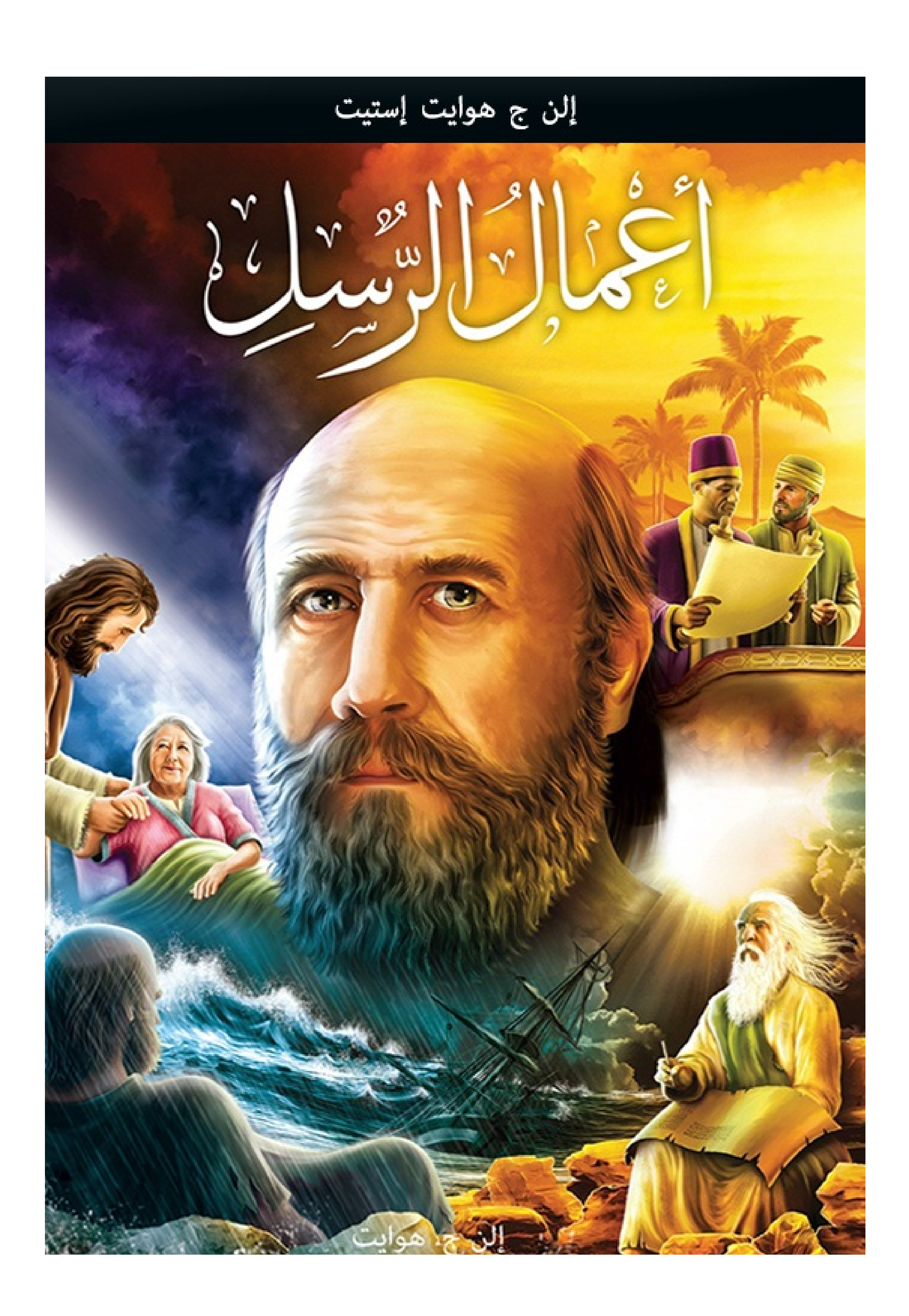

إلن ج هوايت إستيت
أعمال الرسل
إلن ج. هوايت



أعمالالرُّسل

Ellen G. White

Information about this Book .1

Information about this Book

Overview

This eBook is provided by the Ellen G. White Estate. It is included in the larger free Online Books collection on the Ellen G. White Estate Web site.

About the Author

Ellen G. White (1827-1915) is considered the most widely translated American author, her works having been published in more than 160 languages. She wrote more than 100,000 pages on a wide variety of spiritual and practical topics. Guided by the Holy Spirit, she exalted Jesus and pointed to the Scriptures as the basis of one's faith.

Further Links

A Brief Biography of Ellen G. White
About the Ellen G. White Estate

End User License Agreement

Further Information

For more information about the author, publishers, or how you can support this service, please contact the Ellen G. White Estate at mail@whiteestate.org. We are thankful for your interest and feedback and wish you God’s blessing as you read.

مقدمة

في وسط تقلبات الحياة وتناقضاتها المؤلمة يوجد لله شهود أمناء في كل زمان ومكان . فالعشب والزهر في عالم الطبيعة والأشجار والخمائل ، الأدوية ،السهول ،التلال والجبال ، الأنهار والبحيرات ، البر والبحر كلها تشهد لله واضع علمه وبديع صنعه.

السماوات من فوق تشهد لقوته وحكمته وألوهيته . فالأفلاك الملتهبة والنجوم الساطعة تعلن بألسنة من نار مجد الله وتكشف لجميع الناس جمال خليقته وكمال خلقه.

لقد أعلنت كلمته الإلهية لمدى أجيال محبته الخالقة والفادية التي كانت ولازالت تتوسل للناس الرجوع إليه لإيجاد البر والسلام والراحة.

إناليسوع ليتجلى الآن كما تتجلى بالأمس لكل الشعوب على حد سواء ويقدم طريقته النموذجية لكل باحث مخلص عن الحق.

بعد ذكر يسوع تأتي حياته ويأتي تأثيره المباشر العميق على حياة الناس والأتباع. لقد سُرَ الله أن يتخذ طبيعة الإنسان غير الكاملة ويجعلها «لمدح مجد نعمته» بقيامه من الأموات .إن الشهادة لله التي تجلت في حياة كل رسول وكارز إنما هي شهادة عن التجديد وإعادة الخلق والإمتداد الإنساني . وماأكثر الرؤى التي ظهرت للناس على اختلاف طبقاتهم كالصيادين والكتبة والطلبة والأطباء وصانعي الخيام، إذ جعت هذه الرؤى الناس الذين يخافون الله ولايرتجفون أمام القوة البشرية، نماذج رائعة على امتداد التاريخ.

فمن كان يتوقع أن تلك الجماعة القليلة تغدو مع مرّ الزمن قوة روحية جبارة يتجاوز عدد أفرادهااليوم البليون نسمة . تلك هي الكنيسة المسيحية المعاصرة.

لقد تمكنت تلك الجماعة حينئذ من اكتساب الأتباع بغيرة تفوق الوصف حتى أن أعدائهم احتجوا قائلين بأنهم قلبوا العالم رأس على عقب. لقد حققوا ذلك الإنجاز الكبير بالرغم منضآلة مواردهم وإمكاناتهم وبرغم الفقر والمعاناة والإضطهاد المرير .

وبالإضافة إلى تشديد الكتاب على القوة التي آزرت الكنيسة الأولى وقيادتها إلى النصر، فهو يشدد أيضاً على أن القوة إياها لاتزال متاحة للرجال والنساء اليوم أيضاً. وقد كتبت المؤلفة في ذلك تقول: «وكما أرسل يسوع تلاميذه بالأمس فهو يرسل كنسيته اليوم بالقوة ذاتها». ولذلك سينتهي عمل الرب سريعة بزخم أقوة بقوته العاملة في شعبه بلا كلل.

فعن طريق هذا الكتاب الملهم شع نور دافق على الكنيسة الرسولية ونشاطاها الروحي ومايعنيه لنا ذلك في يومنا الحاضر . لأن الكنيسة المناضلة هي الكنيسة المنتصرة. ففي كل حروبها وتجاربها وخيباتها كانت تريم أمامها رؤى النصر والظفر . ومن وراء ضجيج هذا العالم وصخبه تسمع أبداصوت قائدها الإلهي العذب يدوي في آذانها بألحان التشجيع والعزاء . فالذي تألم من أجل أولاده سيختارهم ليملكوا معه ، والذي جاء متضعاً ليموت سيأتي في المجد ملكا أبديا.

إن مؤلفة هذا الكتاب هي سيدة فاضلة كتبت مايزيد على خمسين مجلدا من الكتب الروحية القيمة وهي

من خيرة الكتب الكلاسيكية ذات الرواج الواسع. لذلك يعتبر الناشرون امتيازاً لهم أن يقدموا باللغة العربية هاذا الكتاب الجديد لفائدة النفوس المتعطشة للخلاص .

الناشرون

المحتويات

[1]

الفصل الأول

قصد الله نحو كنيسته

إن الكنيسة هي وسيلة الله التي يستخدمها لأجل خلاص الناس. لقد نُظِّمت لأجل الخدمة، ورسالتها هي حمل الإنجيل للعالم . ولقد كان تدبير الله منذ البدء أنه عن طريق كنيسته ينعكس على العالم ملؤه وكفايته. وأعضاء الكنيسة الذين دعاهم من الظلمة إلى نوره العجيب عليهم أن يعلنوا مجده . إن الكنيسة هي مستودع غنى نعمة المسيح وبواسطة الكنيسة سيظهر أخيرا عند«الرؤساء والسلاطين في السماويات» الإعلان الأخير الكامل لمحبة الله .

ما أكثر المواعيد العجيبة والمدونة في الكتابعن الكنيسة «بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى لِكُلِّ الشُّعُوبِ» (أفسس 3: 10 ، إشعياء 56:7) «وَأَجْعَلُهُمْ وَمَا حَوْلَ أَكَمَتِي بَرَكَةً، وَأُنْزِلُ عَلَيْهِمِ الْمَطَرَ فِي وَقْتِهِ فَتَكُونُ أَمْطَارَ بَرَكَةٍ» «وَأُقِيمُ لَهُمْ غَرْسًا لِصِيتٍ فَلاَ يَكُونُونَ بَعْدُ مَفْنِيِّي الْجُوعِ فِي الأَرْضِ، وَلاَ يَحْمِلُونَ بَعْدُ تَعْيِيرَ الأُمَمِ.فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُهُمْ مَعَهُمْ، وَهُمْ شَعْبِي بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.وَأَنْتُمْ يَا غَنَمِي، غَنَمُ مَرْعَايَ، أُنَاسٌ أَنْتُمْ. أَنَا إِلهُكُمْ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» (حزيقال 34: 26 ، 29 -31)

«أَنْتُمْ شُهُودِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَعَبْدِي الَّذِي اخْتَرْتُهُ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا بِي وَتَفْهَمُوا أَنِّي أَنَا هُوَ. قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ.أَنَا أَنَا [2] الرَّبُّ، وَلَيْسَ غَيْرِي مُخَلِّصٌ. أَنَا أَخْبَرْتُ وَخَلَّصْتُ وَأَعْلَمْتُ وَلَيْسَ بَيْنَكُمْ غَرِيبٌ. وَأَنْتُمْ شُهُودِي» «أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًالِلشَّعْبِ ونورًا للأُمَمِ، 7 لِتَفْتَحَ عيونَ الْعُمْيِ، لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ» (إشعياء 43 : 10 — 12 ، 42 : 6،7)

«فِي وَقْتِ الْقُبُولِ اسْتَجَبْتُكَ، وَفِي يَوْمِ الْخَلاَصِ أَعَنْتُكَ. فَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ، لإِقَامَةِ الأَرْضِ، لِتَمْلِيكِ أَمْلاَكِ الْبَرَارِيِّ، قَائِلاً لِلأَسْرَى: اخْرُجُوا. لِلَّذِينَ فِي الظَّلاَمِ: اظْهَرُوا. عَلَى الطُّرُقِ يَرْعَوْنَ وَفِي كُلِّ الْهِضَابِ مَرْعَاهُمْ.لاَ يَجُوعُونَ وَلاَ يَعْطَشُونَ، وَلاَ يَضْرِبُهُمْ حَرٌّ وَلاَ شَمْسٌ، لأَنَّ الَّذِي يَرْحَمُهُمْ يَهْدِيهِمْ وَإِلَى يَنَابِيعِ الْمِيَاهِ يُورِدُهُمْ.وَأَجْعَلُ كُلَّ جِبَالِي طَرِيقًا، وَمَنَاهِجِي تَرْتَفِعُ..

تَرَنَّمِي أَيَّتُهَا السَّمَاوَاتُ، وَابْتَهِجِي أَيَّتُهَا الأَرْضُ. لِتُشِدِ الْجِبَالُ بِالتَّرَنُّمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ، وَعَلَى بَائِسِيهِ يَتَرَحَّمُ.وَقَالَتْ صِهْيَوْنُ:قَدْ تَرَكَنِي الرَّبُّ، وَسَيِّدِي نَسِيَنِي . هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِهُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ. أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا» (إشعياء49 : 8 — 16)

إن كنيسة الله هي حصنه ومدينه ملجأه التي يقيمها ويثبتها في عالم متمرد . إن كل خيانة من الكنيسة هي خيانة لذلك الذي قد اشترى البشرية بدم ابنه الوحيد. فمنذ البدء تكونت الكنيسة على الأرض من النفوس الأمينة . وفي كل عر كان للرب شهوده الذين قدموا شهادة أمينة للجيل الذي عاشوا فيه. فهؤلاء الحراس قدموا رسالة الإنذار،وعندما دعوا ليلقوا عنهم سلاحهم اضطلع غيرهم بالعمل. لقد جعل الله هؤلاء الشهود يدخلون في عهد معه إذ وحد بين الكنيسة على الأرض وبين الكنيسة في السماء. لقد أرسل ملائكته ليخدموا كنيسته. وأبواب الجحيم لم تقو على شعبه. [3]

فخلال عصور الاضطهاد والحروب والظلام، دعم الله كنيسته ورعاها. فلم تعكر صفوها سحابة واحدة لم هو قد أعد المخرج والحل لها ، ولم تسع أية قوة مضادة لتعرقل عمله إلا ورآها هو مسبقاَ. لقد حدث كل شيءكما سبقه هو وأنبأ به . إنه لم يترك كنيسته مهجورة، بل تتبع الأحداث بإعلانات نبوية، وما ألهم به روحه القدوس أنبياءه أن يعلنوه للناس قد تم فعلاَ. إن كل مقاصده ستتحقق لأن شريعته مرتبطة بعرشه ولا يمكن لأية قوة من قوات الشر أن تلاشيها. إن الله هو الذي يوحي بالحق وهو الذي يحرسه ويهيمنعليهوسينتصر على كل مقاومة أو تحد.

وفي غضون عصور الظلمة الروحية كانت كنيسة الله بمثابة مدينة موضوعة على جبل. ومن جيل إلى جيلعلى مدى العصور المتعاقبة كانت تعاليم السماءالنقية تتكشف للناس من داخلحدود الكنيسة . ومع أن الكنيسة قد تبدو واهنة وناقصة فإنها محط رعاية الله والشيء الوحيد الذي يمنحه اعتباراً وتقديراً عظيماً بمعنى خاص. إنها المجال الذي يظهر فيه نعمته والذي فيه يسر بإظهار قدرته على تغيير القلوب.

لقد تساءل المسيح قائلا: «مَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ، وَبِأَيِّ مَثَلٍ نُمَثِّلُهُ؟» (مرقس : 4 :30) . إنه لم يستطع أن يشبهه بممالك العالم. وفي المجتمع لم يجد شيئا يمثله به . إن الممالك الأرضية تحكم بسلطة القوة المادية، أما ملكوت المسيح فيستبعد منه كل سلاح مادي وكل معدات القهر والإرغام. هاذا الملكوت-يرفع من شأن البشرية إلى مراقي النبل والكرامة . إن كنيسة الله هي دار الحياة المقدسة المليئة بمواهب كثيرة ومختلفة، وهي مزودة بالروح القدس. وأعضاؤها يجدون سعادتهم في إسعاد من يعينونهم ويباركونهم. [4]

إن العمل الذي يقصد الرب أن يتممه بواسطة كنيسته لمجد اسمه هو عمل عجيب حقا. والنبي حزيقال يقدم لنا في الرؤيا التي رآها عن النهر الشافي صورة لهذا العملفيقول «هذِهِ الْمِيَاهُ خَارِجَةٌ إِلَى الدَّائِرَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَتَنْزِلُ إِلَى الْعَرَبَةِ وَتَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ. إِلَى الْبَحْرِ هِيَ خَارِجَةٌ فَتُشْفَى الْمِيَاهُوَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ حَيْثُمَا يَأْتِي النَّهْرَانِ تَحْيَا. وَيَكُونُ السَّمَكُ كَثِيرًا جِدًّا لأَنَّ هذِهِ الْمِيَاهَ تَأْتِي إِلَى هُنَاكَ فَتُشْفَى، وَيَحْيَا كُلُّ مَا يَأْتِي النَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيَكُونُ الصَّيَّادُونَ وَاقِفِينَ عَلَيْهِ. مِنْ عَيْنِ جَدْيٍ إِلَى عَيْنِ عِجْلاَيِمَ يَكُونُ لِبَسْطِ الشِّبَاكِ، وَيَكُونُ سَمَكُهُمْ عَلَى أَنْوَاعِهِ كَسَمَكِ الْبَحْرِ الْعَظِيمِ كَثِيرًا جِدًّا.أَمَّا غَمِقَاتُهُ وَبِرَكُهُ فَلاَ تُشْفَى. تُجْعَلُ لِلْمِلْحِ. وَعَلَى النَّهْرِ يَنْبُتُ عَلَى شَاطِئِهِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ كُلُّ شَجَرٍ لِلأَكْلِ، لاَ يَذْبُلُ وَرَقُهُ وَلاَ يَنْقَطِعُ ثَمَرُهُ. كُلَّ شَهْرٍ يُبَكِّرُ لأَنَّ مِيَاهَهُ خَارِجَةٌ مِنَ الْمَقْدِسِ، وَيَكُونُ ثَمَرُهُ لِلأَكْلِ وَوَرَقُهُ لِلدَّوَاءِ» .(حزقيال 47 : 8-12).

إن الله قدم عمل من البدء بواسطة شعبه لجلب البركة إلى العالم. للقد جعل يوسف نبع حياة الدولة المصرية القديمة . فبواسطة استقامة يوسف حفظت حياةذلك الشعب كله. وبواسطة دانيال أنقذ الله حياة كل حكماء بابل. واختبارات الإنقاذ هذه هي نماذ مرئية ودروس نتعلمها . إنها توضح البركات الروحية المقدمة للعالمنتيجة الارتباط بالله الذي كان يعبده يوسف ودانيال. وكل من يسكن المسيح في قلبه، وكل من يريد أن يعلن محبته للعالم هو عامل مع الله لمباركة الإنسانية.فإذ يقبل من المخلص نعمة ليشرك فيها الآخرين سيفيض سيل من الحياة الروحية من كيانه العميم.

لقد اختار الله إسرائيل قديما لإعلان صفقاته للناس وكان يريدهم أن يكونوا ينابيع خلاص للعالم. وقد استأمنوا على أقوال السماء ، وإعلان إرادته . وفي الأيام الأولى لشعب الله أضاعت أمم العالم معرفة الله بسبب أعمالهم وممارستهم الفاسدة. كانوا قبلا يعرفونه، ولكنهم «لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْوَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ» (رومية 1 :21) . ومع ذلك فإن الله في رحمته لم يمحهم من الوجود. وقد قصد أن يعطيهم فرصة ليتعرّفوا به من جديد [5] عن طريق شعبه المختار. وبواسطة تعاليم الذبائح الكفارية كان المسيح سيُرفع عاليا أمام الأمم حتى يحيا ويخلص كل من يلتفت إليه. لقد كان المسيح هو أساس النظام اليهودي القديم. فكل الطقوس والصور والرموز ماكانت إلا نبوة دقيقة تعلن رسالة الإنجيل الذي تجلت فيه مواعيد الفداء بكل وضوح.

ولكن غابت عن شعب الله امتيازاتهم السامية كنواب عنه . فنسوا الله وأخفقوا في إتمام مأموريتهم المقدسة, والبركات التي نالوها لم تأت بأية بركة للعالم. فقد خصصوا كل امتيازاتهم لتمجيد ذواتهم. ونفوا أنفسهم بعيدًا عن العالم هروباً من التجربة. كما استخدموا النواهي التي بموجبها حرّم الله عليهم معاشرة الوثنيين ليحول بينهم وبين التشبه بالأشرار الوثنيين في ممارستهم ، استخدموها في إقامة سور يفصل بينهم وبين الأمم الأخرى . فسلبوا الله من الخدمة التي طلبها منهم، كما سلبوا بني جنسهم من الإرشاد الديني والمثال المقدس.

كان الكهنة والرؤساء قد اعتادوا على روتين الطقوس واكتفوا بحرفية الدين.لذلك استحال عليهم أن يقدموا للآخرين حقائق السماء الحية. وقد تصوروا أن برهم الذاتي فيه الكفاية ولم يرغبوا في إدخال عنصر جديد في دينهم . لم يقبلوا إرادة الله الصالحة نحو الناس كأنها شيئ خارج ومنفصل عنهم ولكنهم قرنوها باستحقاقهم بسبب أعمالهم الصالحة . إن الإيمان العامل بالمحبة والذي يطهر النفس لم يجد مجالا أو مكانا في ديانة الفريسين المكونة من طقوس ووصايا الناس.

لقد أعلن الله عن شعبه قائلاَ : «وَأَنَا قَدْ غَرَسْتُكِ كَرْمَةَ سُورَقَ، زَرْعَ حَقّ كُلَّهَا. فَكَيْفَ تَحَوَّلْتِ لِي سُرُوغَ جَفْنَةٍ غَرِيبَةٍ ؟» (إرميا 2 : 21) . «إِسْرَائِيلُ جَفْنَةٌ مُمْتَدَّةٌ. يُخْرِجُ ثَمَرًا لِنَفْسِهِ» (هوشع 10 : 1) . «وَالآنَ يَا سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ وَرِجَالَ يَهُوذَا، احْكُمُوا بَيْنِي وَبَيْنَ كَرْمِي. مَاذَا يُصْنَعُ أَيْضًا لِكَرْمِي وَأَنَا لَمْ أَصْنَعْهُ لَهُ؟ لِمَاذَا إِذِ انْتَظَرْتُ أَنْ يَصْنَعَ عِنَبًا، صَنَعَ عِنَبًا رَدِيئًا؟. فَالآنَ أُعَرِّفُكُمْ مَاذَا أَصْنَعُ بِكَرْمِي: أَنْزِعُ سِيَاجَهُ فَيَصِيرُ لِلرَّعْيِ. أَهْدِمُ جُدْرَانَهُ فَيَصِيرُ لِلدَّوْسِ. وَأَجْعَلُهُ خَرَابًا لاَ يُقْضَبُ وَلاَ يُنْقَبُ، فَيَطْلَعُ شَوْكٌ وَحَسَكٌ. وَأُوصِي الْغَيْمَ أَنْ لاَ يُمْطِرَ عَلَيْهِ مَطَرًا.إِنَّ كَرْمَ رَبِّ الْجُنُودِ هُوَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ، وَغَرْسَ لَذَّتِهِ رِجَالُ يَهُوذَا. فَانْتَظَرَ حَقًّا فَإِذَا سَفْكُ دَم، وَعَدْلاً فَإِذَا صُرَاخٌ» (إشعياء 5 : 3-8). «الْمَرِيضُ لَمْ تُقَوُّوهُ، وَالْمَجْرُوحُ لَمْ تَعْصِبُوهُ، وَالْمَكْسُورُ لَمْ تَجْبُرُوهُ، وَالْمَطْرُودُ لَمْ تَسْتَرِدُّوهُ، وَالضَّالُّ لَمْ تَطْلُبُوهُ، بَلْ بِشِدَّةٍ وَبِعُنْفٍ تَسَلَّطْتُمْ عَلَيْهِمْ» (حزقيال 34 :4). [6]

لقد ظن رؤساء اليهود أنهم أحكم من أن يحتاجو إلى تعليم، وأكثر برا من أن يحتاجوا إلى خلاص ، وأنهم حاصلون على كرامة عظيمة بحيث لايحتاجون إلى الكرامة التي تأتي من المسيح . وقد تركهم المخلص ليستودع الامتيازات التي قد أساؤوا استخدامها والعمل الذي احتقروه بين يدي قوم آخرين. لابد من أن يعلن مجد الله ، ولابد من أن يثبت كلامه . ولابد من إقامة ملكوت المسيح في العالم . وينبغي أن يعرف سكان مدن العالم بخلاص الله ، وقد دعي التلاميذ ليقوموا بالعمل الذي أخفق رؤساء اليهود في إنجازه . [7]

الفصل الثاني

تدريب الاثني عشر

لم يختر المسيح علم رجال مجمع السنهدريم اليهودي وفصاحتهم، ولاقوة روما وسلطانها لإنجاز عمله. فقد عبر تاركاً معلمي اليهود الأبرار في أعين أنفسهم واختار رجالا وضعفاء غير متعلمين لكي يذيعوا الحقائق التي كانت على وشك أن تهز العالم . وقد قصد المسيح ، سيد العاملين جميعا ، أن يدرب هؤلاء الرجال ويعلمهم ليكونوا قادة في الكنيسة. وكان عليهم بدورهم أن يعلموا آخرين ويرسلوهم مزودين برسالة الإنجيل, ولكي ينجحوا في عملهم كان لابد من تزويدهم بقوة الروح القدس . إن الإنجيل لم يكن ليذاع بالقوة والحكمة البشريتين بل بقوة الله .

ظل التلاميذ يتلقون العلم والمعرفة لمدى ثلاث سنوات ونصف على يدي أعظيم معلم عرفه العالم. فعن طريق الاتصال الشخصي والمرافقة دربهم المسيح على خدمته . ويوما بعد يوم كان يسيرون ويتحدثون معه وهم يسمعون منه كلمات التشجيع الموجهة للمتبعين والثقيلي الأحمال ويرونه وهو يظهر قدرته لخير المرضى والمعذبين. كان أحيانا يعلمهم إذ يجلس في وسطهمعلى سفح أحد الجبال،وأحيانا أخرى قرب البحر أو فيما هو سائر في الطريق وكان يكشف لهم عن أسرار ملكوت الله. وأينما كانت القلوب [8]

مفتوحة لقبول الرسالة الإلهيةأعلن لهم حقائق طريق الخلاص. وهو لم يأمر التلاميذ بأن يفعلوا هذا أو ذك وإنما قال لكل منهم «اتْبَعْنِي» . وإذا كان يطوف في الفرى والمدن اصطحبهم لكي يروا بأنفسهم كيف كان يعلم الشعب . وكانو يسافرون معه من مكان إلى آخر وقد قاسموه نصيبه المتواضع . وفي بعض الأحيان كان يجوعون مثله وكثيراً ماكانو يعيون. ففي المدن المزدحمة وبقرب شواطئ البحيرة وفي الأماكن الخالية كانوا معه. لقد شاهدوه في كل مراحل الحياة .

وعند تعيين الاثنى عشر اتخذت أول خطوة نحو تنظيم الكنيسة التي كانت ستضطلع بعمل المسيح على الأرض بعد صعوده إلى السماء. وفي هذا الصدد يقول الكاتب : «ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُم فَذَهَبُوا إِلَيْهِ. مر3: 14 وَأَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ، وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا» (مرقس 3 : 13: 14)

انظروا إلى هذا المشهد المؤثر . هوذا جلال السماء محاط بالا ثنى عشر الذين اختارهم.إنه مزمع أن يفرزهم لعملهم . بهذه الوسائل الضعيفة. وبواسطة كلمته وروحه قصد المسيح أن يجعل الخلاص في متناول الجميع.

لقد شاهد الله وملائكته هذا المنظر بسرور وابتهاج. لقد عرف الآب أنه عن طريق هؤلاء الناس سيضيئ نور السماء ، وأن الأقوال التي ينطقون بها حين يشهدون لابنه سيرن صداها من جيل إلى جيل إلى انقضاء الدهر .

كان على التلاميذ أن يخرجوا كشهود للمسيح ليعلنوا للعالم ما قد رأوه وسمعه عنه . إن مركزهم أهم مركز دعي إليه بنو الإنسان، فقد كانوا في المرتبة الثانية بعد المسيح مباشرة. وكان عليهم أن يكونوا عاملين مع الله لأجل خلاص الناس . فكما وقف الآباء الاثنا عشرة نواباً عن إسرائيل في العهد القديم، هكذا

وقف الرسل الاثنا عشر نواباً عن الكنيسة الإنجيلية. [9]

إن المسيح في إبان خدمته الأرضية ابتدأ ينقض حائط السياج بين اليهود والأمم ويكرز بالخلاص لجميع بني الإنسان . ومع أنه كان يهوديا فقد اختلط بالسامريين بكل حرية مبطلاً عادات اليهود الفريسية الخاصة بهذا الشعب المحتقر . لقد نام في بيوتهم وأكل من طعامهم وعلم في شوارعهم.

وقد تاق المخلص أن يكشف لتلاميذه الحق الخاص بنقض «حَائِطَ السِّيَاجِ الْمُتَوَسِّطَ» بين إسرائيل والأمم الأخرى-ويوضح لهم حقيقة كون الأمم شركاء اليهود «في الْمِيرَاثِ وَالْجَسَدِ وَنَوَالِ مَوْعِدِهِ فِي الْمَسِيحِ بِالإِنْجِيلِ» (أفسس 2 :14، 3 :6) . وقد أعلن هذا الحق جزئيا عندما كافأ المسيح إيمان قائد المئة في كفرناحوم، وكذلك عندما كرز بالإنجيل لسكان مدينة سوخار . وقد اتضح هذا الحق بشكل أعظم عندما زار فينيقية وحين شفي ابنة المرأة الكنعانية . هذه الاختبارات أعانت التلاميذ أن يفهموا أنه بين أولئك المعتبرين غير مستحقين للخلاص، من قبل العديد من الناس ، توجد نفوس جائعة إلى نور الحق .

وهكذا حاول المسيح أن يعلم التلاميذ أنه لا توجد في ملكوت الله حدود إقليمية ولا نظام للطبقات ولا أرستقراطية، وأن عليهم أن يذهبوا إلى كل الأمم حاملين إليهم رسالة محبة المخلص. ولكنهم ظلوا متباطئين لبعض الوقت عن فهم هذه الحقيقة فيها ملئها وهي أن الله : «وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا» (أعمال 17 : 26 ، 27).

وقد ظهرت في هؤلاء التلاميذ الأولين اختلافات ملحوظة. كانوا مزمعين أن يكونوا معلمي العالم، ولكنهم قدموا أمثله متباينة لاختلاف الصفات. [10]

فلكي ينجحوا في تقدم العمل الذي قد دعوا إليه كان هؤلاء الرجال المختلفون في المميزات الطبيعية وعادات الحياة، بحاجة إلى توحيد مشاعرهم وأفكارهم مالهم. وقد كان غرض المسيح هو تحقيق هذه الوحدة. فلكي يصل إلى هذه الغاية حاول أن يوحدهم بشخصه.إن عبء تعبه لأجلهم قد عُبِّر عنه في صلاته إلى الآب حين قال : «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا،وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِ وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي»(يوحنا 18 : 21 ، 23) . كانت صلاته الدائمة لأجلهم أن يكونوا مقدسين في الحق. وقد صلّى بيقين عالماً أن أمرًا إلهياً قد صدر قبل خلق العالم فقد أن إنجيل الملكوت سيكرز به لكل الأمم شهادة لهم . كما علم أن الحق المسلح بقدره الروح القدس التي لا تقهر سينتصر في المعركة ضد الشر ، وأن الراية المخضبة بالدم سترفرف بانتصار فوق تابعيه .

وعندما قاربت خدمة المسيح الأرضية على الانتهاء وتأكد لديه أنه لابد أن يتركه تلاميذه قريبا ليقوموا بالعمل دون إشرافه المباشرة عليهم، حاول أن يشجعهم ويعدهم للمستقبل. إنه لم يخدعهم بآمال كاذبة، وقد كان يقرأ الحوادث العتيدة كما من كتاب مفتوح . لقد علم أنه مزمع أن يفترق عنهم ويتركهم كغنم في وسط ذئاب .وأنهم مزمعون أن يقاسوا أهوال الاضطهاد ويُطردوا منالمجامع ويلقى بهم في غياهب السجون . كما علم أم بعضا منهم سيقاسون الموت عندما يشهدون أنه المسيح . وقد أخبرهم ببعض ما ينتظرهم. وذ كان يحدثهم عن مستقبل حياتهم كان كلامه صريحاً ومحددًا ، حتى عندما تهجم عليهم التجارب في المستقبل يذكرون أقواله ويتقوونليؤمنوا به كفاديهم . [11]

وقد خاطبهم أيضاُ بكلام الرجاء والتشجيع ، فقال : «لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي.فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا، وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ، حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا» (يوحنا 14 : 1-4). وكأن به يقول : لأجلكم أتيت إلى العالم لأعلن لكم نفسي لتؤمنوا . وها أنا أمضي إلى أبي وأبيكم لأتعاون معه فيالعمل لأجلكم .

«اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا، لأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي» (يوحنا 14: 12) . لم يكن المسيح يعني بهذا أن تلاميذه سيبذلون جهودا أسمى مما فعل هو لكنه كان يعني أن عملهم سيكون أعظم في أهميته واتساع مداه. وهو لم يشر إلى مجرد صنع المعجزات بل أشار إلى كل ما سيحدث تحت إرشاد الروح القدس . وقد قال لهم: «وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ») (يوحنا 15 : 26 ، 27)

وقد تمت هذه الأقوال بطريقة مدهشة . فبعد نزول الروح القدس امتلأ التلاميذ بالمحبة للمسيح ولكل من قد مات لأجلهم بحيث أن قلوب الحاضرين ذابت لدى سماع أقوالهم وصلواتهم التي قدموها . فقد تكلموا بقوة الروح القدس ، وتحت تأثير تلك القوة اهتدى آلاف الناس .

وكنواب عن المسيح كان على الرسل أن يتركوا للعالم تأثيرا باقياً. إن حقيقة كونهم قوما فقراء لم تكن لتقلل من تأثيرهم بل تزيده لأن عقول سامعيهم كانت [12] ستنتقل من التفكير فيهم إلى التفكير في المخلص الذي وإن يكن غير منظور كان لايزال يعمل معهم . إن تعليم الرسل العجيب وأقوالهم المشجعة المفعمة بالثقة كانت لتؤكد للجميع أنهم لم يكونو يعملون لقوتهم بل بقوة المسيح وباتضاع كانوا سيعلنون أن ذاك الذي قد صلبه اليهود هو رئيس الحياة وابن الله الحي وأنهم باسمه عملوا الأعمال التي قد عملها هو . إن المخلص لم يشر في خطابة الوداعي ، الذي خاطب بهتلاميذه في الليلة التي سبقت الصلب ، إلى الآلام التي كانت تنتظره والتي كان قد بدأ يتجرع مرارتها. لم يتكلم عن الهوان والاتضاع الذي أمامه بل أراد أن يرشد عقولهم إلى مايشجعهم ويقوي إيمانهم فوجه أنظارهم إلى الأمام إلى الأفراح التي تنتظر كل الظافرين .وقد ابتهج بحقيقة كونه يستطيعبل ويريد أن يفعل لتابعيه أكثر مما قد وعدهم به ، وأن منه تفيض المحبة والرأفة مطهرة هيكل النفس وجاعلة الناس مثله في الصفات ، وأن حقه المصحوب بقوة الروح سيخرج غالباً ولكى يغلب .

وقال لهم: «كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يوحنا 16 : 33) . إن المسيح لم يفشل ولافارقته شجاعته ، وكان على التلاميذ أن يبرهونا على أن لهم إيمانا ثابتا كإيمانه . وان يعلموا كما قد عمل هو مستندين عليه في طلب القوة . ومعأن طريقهم كانت ستعترضه بعض العقبات التي يستحيل تخطيها حسب الظاهر فإنه كان عليهم أن يتقدموا بنعمته ولاييأسوا من شيئبل أن يرجوا الرب في كل شيء .

لقد أكمل المسيح العمل الذي أتى ليعمله، وقد اختار أولئك الذين كانوا سيواصلون عمله ذلك بين الناس. فقال : « وَلَسْتُ أَنَا بَعْدُ [page]

فِي الْعَالَمِ، وَأَمَّا هؤُلاَءِ فَهُمْ فِي الْعَالَمِ، وَأَنَا آتِي إِلَيْكَ. أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ». «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي، وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي» (يوحنا 17 :10 ،11، 2 ،23) [14] [15]

الفصل الثالث

المأمورية العظمى

بعد موت المسيح كاد التلاميذ ينهزمون أمام الخيبة والفشل. لقد رُفض سيدهم وحُكم عليه وصُلب. وقد أعلن الكهنة والرؤساء قائلين بكل احتقار: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ» (متى 27 : 42) . لقد غربت شمس رجاء التلاميذ وهم الليل بظلامه على قلوبهم. ومرات عديدة كانو يكررون هذا القول : «وَنَحْنُ كُنَّا نَرْجُو أَنَّهُ هُوَ الْمُزْمِعُ أَنْ يَفْدِيَ إِسْرَائِيلَ» (لوقا 24:21).. وإذ كانوا مستوحشين ومنسقي القلوب ذكروا كلامه القائل : «لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هذَا، فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟».

لقد حاول يسوع مراراً أن يكشف لتلاميذه عن المستقبل ولكنهم لم يكترثوا للتأمل فيما قاله. وبسبب هذا كان موته مفاجأ لهم. وبعد أن راجعوا الماضي ورأوا نتيجة عدم إيمانهم امتلأتقلوبهم حزنا. عندما صلب المسيح لم يكونوا يؤمنون بأنه سيقوم . كان هو قدأبان لهم بكل وضوح أنه سيقوم في اليوم الثالث ، ولكن كانوا مرتبكين ومتحيرين في معرفة معنى كلامه. فعدم فهمهم لكلامه أوقعهم وقت صلبه في يأس شديد. وقد أحسوا بالخيبة المرة . لم يستطع إيمانهم ان يخترق الحجب بحيث يستطيعون أن يروا خلف الظلال القاتمة التي طرحها الشيطان على أفق حياتهم . وقد بدا كل شيء لأنظارهم غامضاً ومبهما [16]ً فلو كانوا قد آمنوا بكلام المخلص فما كان أعظم الحزم الذي كان يمكنهم أن يوفروه على أنفسهم .

فإذا انسحقت أنفسهم تحت ثقل اليأس والحزن والقنوط والجزع اجتمع التلاميذ معا في العلية وأغلقوا خلفهم الأبواب وأوصدوها بكل حرص خشية أن يكون مصيرهم كمصير معلمهم الحبيب. وفي هذا المكان عينه ظهر لهم المسيح بعد قيامته.

وقد بقي المسيح على الأرض أربعين يوماً وهو يعد التلاميذ للعمل الذي أمامهم ويوضح لهم الأمور التي استعصى عليهم فهمها. فحدثهم عن النبوات الخاصة بمجيئه ورفض اليهود لهوموته ، مبرهناً لهم أن كل تلك النبوات قد تمت بحذافيرها .وأخبرهم أنهم يجب أن يعتبروا إتمام هذه النبوات تأكيداً وضماناً للقوة التي ستصحبهمفي مستقبل عملهم . والكتاب يقول : «حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَوَقَالَ لَهُمْ:«هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ،وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ.» ثم أضاف قائلا : «وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ.» (لوقا 24 : 45 — 47)

وفي غضون هذه الأيام التي قضاها المسيح مع تلاميذه حصلوا على اختبار جديد.فإذ سمعوا معلمهم الحبيب يوضح لهم الكتبفي نور كل ما قد حدث، رسخ إيمانهم به تماماً. وقد وصلوا إلى الحد الذي أمكنهم معه أن يقولوا : «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ» (2 تيموثاوس 1: 12) . وبدأوا يتحققون من طبيعة عملهم ومدى اتساعه ، ويرون أن عليهم أن يذيعوا للعالم الحقائق المسلمة إليهم. لقد كانوا شهودا لحوادث حياة المسيح وموته وقيامته ، والنبوات المشيرة إلى تلك الحوادث ، وأسرار تدبير الخلاص ، وسلطان يسوع أن يغفر الخطايا-كانوا [18]

شهوداً لذلك كله ، وكان عليهم أن يعرفوا العالم بتلك الحقائق كلها ، وأن يذيعوا إنجيل السلام والخلاص بالتوبة وبقوة المخلص .

إن المسيح قبل صعوده إلى السماء أعطى لتلاميذه تفويضا للقيام بمأموريتهم ، وأخبرهم أن عليهم أن يكونوا منقذي الوصية التي فيهايرث العالم كنوز الحياة الأبدية . قال لهم : لقد كنتم شهودا لحياة التضحية التي عشتها لأجل العالم رأيتم أتباعي وخدماتي لأجل شعبي . ومع أنهم لم يريدوا أن يأتوا إلى لتكون لهم حياة، ورغم أن الكهنة والرؤساء قد عملوا بي كما أرادوا، ومع أنهم رفضوني،إلا أنه ستعطى لهم فرصة أخرى لقبول ابن الله. لقد رأيتم أن كل الذين يأتون إليَّ معترفين بخطاياهم فأنا أقبلهم مجاناَ. ومن يقبل إليَّ فلا أخرجهفأنا أقبلهم مجاناَ. ومن يقبل إليَّ فلا أخرجه خارجا . فيا تلاميذي إنى أستودع رسالة الرحمة هذه بين أيديكم . وينبغي تقديمها لليهود وللأمم- ولكل الألسنة والقبائل والشعوب ، وكل من يؤمنون ينبغي ضمهم إلى الكنيسة .

إن تفويض الإنجيل هذا هو الميثاق الكرازي العظيم لملكوت المسيح . كان على التلاميذ أن يخدموا النفوس بكل غيرة إذ يقدمون دعوة الرحمة للجميع . لم يكن لهم أن ينتظروا حتى يأتيهم الناس بل كان عليهم أن يذهبوا إلى الناس ليقدموا إليهم الرسالة.

كان على التلاميذ أن يسيروا قُدُماَ في عملهم باسم المسيح . وكل كملة يقولونها وكل عمل يعملونه كان يجب أن يوجه انتباه الناس إلى اسمه على أن فيه تلك القوة الحيوية التي بها يخلص الخطاة. كان ينبغي أن يتركز إيمانهم في ذلك الذي هو نبع الرحمة والقوة. وباسمهكان عليهم أن يقدموا توسلاتهم إلى الآب فتعطى لهم الإجابة . كما كان عليهم أن يعمدوا الناس باسم الآب والابن والروح القدس . فاسم المسيح كان يجب أن يكون هو كلمة السر لهم، ووسام [19]

رفعتهم، وميثاق اتحادهم ، والسلطان الذي به يسيرون قدما في عملهم ، ونبع نجاحهم . فلم يكن هنالك شيئ يُعترف به في ملكوته مالم يكن ممهور اباسمه وعنوانه.

عندما قال المسيح للتلاميذ اذهبوا باسمي لتضموا إلى الكنيسة كل من يؤمنون ، فقد أظهر لهم بكل وضوح ضرورة التحلي بالبساطة . فكلما قل التفاخر والمباهاة كلما عظم تأثيرهم للخير . كان على التلاميذ أن يتكلموا بالبساطة نفسها التي كان المسيح يتكلم بها . كان عليهم أن يثبِّتوا في أذهان سامعيهم التعاليم نفسها التي علمهم إيَّاها .

لم يقل المسيح لتلاميذه إن عملهم سيكون سهلاً هيناً. ولكنه أراهم اتحاد قوى الشر العظيمة المصطفة صدهم وأخبرهم أن محاربتهم ستكون «مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَالسَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتْ» (أفسس 6 : 12) . ولكنهم لن يتركوا ليحاربوا وحدهم بل أكد لهم أنه سيكون معهم وأنهم إذاذهبوا بالإيمانفإنما يذهبون تحت حماية القدرة الإلهية القادرة على كل شيء. وقد أمرهم بأن يتشجعوا ويتقووا، لأن ذاك الذي هو أعظم من الملائكة سيكون بين صفوفهم ـــ قائد جيوش السماء . وطالما كانوا مطيعين لكلمته وعاملين بالارتباط معه، فلم يكن ممكنا أن يفشلوا أبداَ. لقد أمرهم قائلاَ اذهبوا إلى كل الأمم، اذهبوا إلى أقصى المسكونة وتأكدوا بأنني سأكون معكم هناك . اخدموا بإيمان وثقة، لأنه لن يأتي وقت فيه أتخلى عنكم. سأكون معكم كل الأيام معينا لكم على إتمام واجبكم ، مرشدا لكم ومعزياً ومقدساَ ومسنداَ ومعطياَ إياكم النجاح وأنتم تنطقون بالأقوال التي تجذب انتباه الآخرين إلى السماء . [19]

كانت ذبيحة المسيح لأجل الإنسان تامة وكاملة . لقد أكمل شرط الكفارة. وتمم المل الذي لأجله أتى إلى العالم . لقد ربح المملكة إذانتزعها من الشيطان وصار وارثاً لكل شيء. وكان في طريقه إلى عرش الله ليحصل على إكرام أجناد السماء وتمجيدهم. وإذ كان متسربلابسلطان لا حد له أعطى لتلاميذه تفويضا

للاضطلاع برسالتهم قائلا لهم «فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ.وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (متى 28 : 19 ،20) .

وقبيل تركه لتلاميذه شرح لهم المسيح طبيعة ملكوته بوضوح أكمل . وقد ذكرهم بالأمور التي سبق أن قالها لهم عن ذلك الملكوت. كما أعلن لهم أنه لا ينوي أن يقيم في هاذا العالم ملكوتا زمنيا .فلم يتعين عليه أن يملك كملك أرضي على كرسي داود . وعندما سأله التلاميذ قائلين : «يَارَبُّ، هَلْ فِي هذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ» أجابهم قائلا : «لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِيسُلْطَانِهِ» (أعمال 1 :7،6). لم يكن من الضروري أن يروا من المستقبل أكثر من الإعلانات التي كشفها هم الرب فقد كان عملهم يتركز في إذاعة رسالة الإنجيل.

كان حضور المسيح المنظر مزمعاً أن ينسحب من بين التلاميذ، ولكنكانت ستعطى لهم هبة قوة جديدة , فالروح القدس كان مزعا أن يعطى لهم في ملئه فيختمهم لأل عملهم . وقد قال لهم المخلص : «هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي.فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لوقا 24 : 49). «لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ،وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِلَيْسَ بَعْدَ هذِهِ بِكَثِيرٍ» « سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، وَتَكُونُونَ لِي [20] شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (أعمال 1 :5 ، 7) .

لقد عرف المخلص أنه لاتوجد حجة مهما تكن منطقية تستطيع أن تذيب القلوب القاسية أو تخترق غشاء محبة العالموالأنانية . وعرف أيضا أن تلاميذه ينبغي لهم أن يقبلو هبة السماء ، وأن الإنجيل يمكن أن تكون له فاعليته . علىقدر ماتذيعه القلوب الملتهبة والشفاه التي اكتسبت الفصاحة من معرفتهاالحية لذاك الذي هو الطريق والحق والحياة . إن العمل المسلم للتلاميذ كان يتطلب كفاءة عظيمة لأن تيار الشر كان يجري ضدهم في عمقه وقوته . لقد كان على رأس قوات الظلمة قائد يقظ وعنيد ، وماكان لأتباع المسيح أ يناضلوا من أجل الحق إلا بواسطة العون الذي يمنحهم اياه الله بروحه .

وقد أوصى المسيح تلاميذه بأن يبدأوا عملهم من أورشليم . فقد كانت تلك المدينة مسرحا لذبيحته العجيبة لأجل الجنس البشري . فهناك ، إذ كان متسربلاً برداء الناسوت ، كان يسير و يتحدث مع الناس ، ولكن قليلين هم الذين عرفوا مقدار اقتراب السماء من الأرض . وفي تلك المدينة حُكم عليه وصُلب، وكان كثيرون فيها يؤمنون سراً أن يسوع الناصري هو المسيا ، كما كان يوجد كثيرون ممكن قد خدعهم الكهنة والرؤساء . فكان ينبغي تقديم رسالة الإنجيل لهؤلاء أولاً ودعوتهم إلى التوبة. والحقيقة العظيمة التي مؤداها أنه بالمسيح وحده يمكن أن تغفر خطاياهم كان يجب إيضاحها. وبينماكانت كل أورشليم مهتاجة بالحوادث التي هزت المشاعر في الأسابيع القليلة الأخيرةفإن كرازة التلاميذ كانت مزمعة أن تحدث أعمق تأثير.إن يسوع في إبان خدمته جعل نصب عيون تلاميذه وأذهانهم حقيقة كونهم يجب أن يتحدوا معه في عمله لتحرير العالم من عبودية الخطيئة. وعندما أرسل [21] الاثنى عشر وبعد ذلك السبعين لإذاعة تعاليم ملكوت الله ، كان يهم أن يتبعوا إرشاداته في تعليم الآخرين ماقد تعلموه هم منه . وفي كل أعماله كان يدربهم على العمل الفردي ، والذي كان سيمتد ويتسع بنسبة زيادة عددهم حتى يصل أخيراً إلى أقصى الأرض . وآخر درس ذكّر به تابعيه هم أنهم قد استؤمنوا على بشارة الخلاص لإذاعتها للعالم .

وعندما جاء الوقت الذي فيه يصعد المسيح إلى أبيه أخذ تلاميذه إلى بيت عنيا . ثم توقفهنالك فتجمعوا حوله . واذ بسط يديه ليباركهم ويؤكد لهم دوام رعايته وحمايته بدأ يصعد عنهم ببطء . «وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ» (لوقا 24 : 51) .

وإذ كان التلاميذ يشخصون إلى فوق ليلقوا النظرة الأخيرة على سيدهم الصاعد رأوا جموع ملائكة

السماء المتهللين يحفون به وهم ينشدون أنشودة الانتصار في طريقهم إلى المواطن العليا قائلين : «يَا مَمَالِكَ الأَرْضِ غَنُّوا ِللهِ. رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ.لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِأَعْطُوا عِزًّا للهِجَلاَلُهُ، وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ.» (مزمور 68 : 32،34).

وفيما كان التلاميذ لايزالون شاخصين بكل جدية إلى السماء . « إِذَا رَجُلاَنِ قَدْ وَقَفَا بِهِمْ بِلِبَاسٍ أَبْيَضَ وَقَالاَ:أَيُّهَا الرِّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ، مَا بَالُكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقاً إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال 1 : 10 ، 11).

إن الوعد بمجيء المسيح ثانية كان ينبغي أن يظل ماثلا في أذهان التلاميذ على الدوام . فيسوع هذا الذي قد رأوه صاعداً إلى السماء سيأتي ثانية ليأخذ لنفسه أولئك الذين يكرسون ذواتهم لخدمته هنا على الأرض. فنفس الصوت [22] الذي أكد لهم : «هَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» سيرحب بهم للمثول في حضرته في ملكوت السماوات .

وكما كان رئيس الكهنة يخلع عنه حلته الكهنوتية في الخدمة الرمزية ويخدم وهو لابس ثوب الكتاب الأبيض الذي يلبسه أي كاهن عادي ، كذلك المسيح خلع عنه حلته الملكية وتسربل برداء البشرية وقدم الذبيحة ، وكان هو نفسه الكاهن والذبيحة ، وكما كان رئيس الكهنة ، بعدما يتمم خدمته في قدس الأقداس ، يخرج في ثيابه الكهنوتية إلى الشعب المنتظر ، كذلك سيأتي المسيح ثانية متسربلاً بثياب أشد بياضاً منكل شيء«لاَ يَقْدِرُ قَصَّارٌ عَلَى الأَرْضِ أَنْ يُبَيِّضَ مِثْلَ ذلِكَ» (مرقس 9: 3) .وسيأتي في مجده ومجد أبيه وسحف به كل أجناد الملائكة في طريقه .

وهكذا سيتم وعد المسيح لتلاميذه إذ قال هم : «آتي أُيْضًا وآخُذُكُمْ إِلَيَّ» (يوحنا 14: 3). فأولئك الذين قد أحبوه وانتظروه سيكللهم بالمجد والكرامة والخلود. والأموات الأبرار سيخرجون من قبورهم والأحياء سيخطفون معهم لملاقاة الرب في الهواء . وسيسمعون صوت يسوع الذي هو أحلى وأعذب من أية موسيقى سمعتها أذن بشر قائلا لكم :لقد انتهت حربكم : «عَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (متى 25 : 34)

لقد كان التلاميذ محقين في فرحهم برجاء مجيء سيدهم . [23]

الفصل الرابع

يوم الخمسين

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال 2 : 1-39)

عندما رجع التلاميذ من جبل الزيتون إلى أورشليم نظر الناس إليهم متوقعين أن يروا على وجوههم دلائل الحزن والارتباك والهزيمة ، ولكن بدلاً من ذلك رأوا نور الفرح والنصرة يشع من عيونهم . فلم يعد التلاميذ ينوحون على آمالهم التي اعتقدوا أنها خابت. فلقد رأوا مخلصهم الذي قام ، وظل وعده الوداعي لهم يرن في آذانهمدائما .

وامتثالاً لوصية المسيح أقاموا في أورشليم في انتظار موعد الآب بانسكاب الروح القدس . إنهم لم ينتظروا في خمول أو بلادة. فالسّفر المقدس يقول عنهم: «وَكَانُوا كُلَّ حِينٍ فِي الْهَيْكَلِ يُسَبِّحُونَ وَيُبَارِكُونَ اللهَ» (لوقا 24 : 53) . كما أنهم كانو يجتمعون معا ليقدموا صلواتهم وطلباتهم إلى الآب باسم يسوع . فقد علموا أن لهم نائباً يمثلهم في السماء . إنه شفيعهم أمام عرش الله .ففي خشوع مقدس انحنوا يصلون مرددين وعد الرب الأكيد القائل : « الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْإِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ . إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئًا بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً» (يوحنا 16 : 23 ،24). لقد مدوا يد الايمان عالية [24] جدا وفي أفواههم هذه الحجة القوية : «اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا» (رومية 8 : 34).وإذا كان التلاميذ ينتظرون إتمام الواعد ذللوا قلوبهم في توبة صداقة واعترفوا بعدم إيمانهم. فإذا ذكروا الأقوال التي كان المسيح قد تفوه بهالهم قبل موته أدركوا فحواها إدراكا الأقوال التي كان المسيح قد تفوه بها لهم قبل موته أدركوا فحواها إدراكا أكمل . لقد عادت الحقائق التي كانت قد غابت عن أذهانهم إلى عقولهم فجعلوا يرددونها الواحد للآخر. كما لاموا أنفسهم على سوء فهمهم للمخلص . وقد مرت أمام أذهانهم مشاهد حياته العجيبة الواحدة تلو الأخرى كما في موكب عظيم . وإذ تأملوا في حياته ماعادوا يحسون أن أي تعب هو أشق من أن يحتملوه ولا أية تضحية أعظم من أن يُقدِموا عليها لو أمكنهم أن يمثلوا في حياتهم جمال صفات المسيح . وكم تمنوا لو أمكنهم أن يعيشوا السنوات الثلاث الماضية من جديد، وكانوا يفكرون قائلين لو حدث ذلك فكم كان يبدوا تصرفهم مغايراً لما اعتادوه في الماضي. ولو أمكنهم أن يروا معلمهم مرة أخرى فأي غيرة سيحاولون أن يبرهنوا على حبهم العميق له، وحزنهم الصادق لكنوهم أحزنوا قلبه بكلمة أو عمل من أعمال عدم الإيمان. ولكن الذي عزاهم هو الفكر أنه قد غُفِر لهم . ولذلك عقدوا العزم على التكفير بقدر الإمكان عن عدم إيمانهمالسابق بالاعتراف به الآن أمام العالم بكل جرأة .

وقد صلى التلاميذ بغيرة عظيمة طالبين أن يكونوا مؤهلين لمواجهة الناس وأن يتحدثوا بكلمات أثناءاتصالاتهم اليومية، يكون من شأنها أن تقود الخطاة إلى المسيح. وإذ طرحوا عنهم كل الخلافات وكل تطلع إلى السيادة، اتحدوا معا في شركة مسيحية وثيقة . كما ازدادوا قرباإلى الله . وإذ فعلوا هذا تحققوا من قيمة الامتياز الذي كان لهم إذ سمح لهم بمصاحبة المسيح عن [25] قرب. وقد استولى على قلوبهم الحزن وهم يفكرون في المرات التي أحزنوا فيها قلب السيد بسبب بطء فهمهم وإخفاقهم في تعلم الدروس التي كان يحاول أن يعلمهم إياها لخيرهم.

وقد كانت أيام الاستعداد هذه أياماً فحصوا فيها قلوبهم فحصاً عميقاً دقيقاً. لقد أحس التلاميذ بحاجتهم الروحية فصرخوا إلى الرب في طلب المسحة المقدسة التي ستؤهلهم لعمل خلاص النفوس . إنهم لم يطلبوا البركة لأنفسهم فقط. ولكنهم كانوا مثقلين بعبء خلاص النفوس. كانوا متأكدين من أن الإنجيل ينبغي أن يذاع على كل العالم ، فجعلوا يطالبون بالقوة التي قد وعدهم المسيح بها .

في إبان عهد الآباء أعلنت قوة الروح القدس وظهر تأثيره بشكل ملحوظ ، ولكن الروح لم يتجلَّ في ملئه أبداً . أما الآن فقدم التلاميذ ابتهالاتهم إطاعة لقول المخلص في طلب هذه العطية ، كما أن المسيح في السماء أضاف شفاعته ووساطته إلى هذه الابتهالات. فقد طالب بموهبةالروح القدس لكي يسكبها على شعبه .

«وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ» (أعمال 2 : 1 ،2).

وإذ كان التلاميذ منتظرينومصلين حل عليهم الروح بفيض وصل إلى كل قلب .فالإله السرمدي أعلن نفسه لكنيستهبقوة . وقد بدا كأن هذه القوة قد حُجزت مدى أجيال طويلة ، أما الآن فها السماء تفرح لأنها استطاعت أن تسكب على الكنيسة غنى نعمة الروح . وتحت تأثير الروح اختلطت كلمات التوبة والاعتراف بأغاني الشكر على الخطايا التي غفرت . كما سمعت أقوال الشكر والنبوة. وقد انحنى كل سكان السماء ليشاهدوا ويمجدوا حكمة المحبة التي لا [26] تبارى ولا يدركها العقل. وإذ استولت الدهشة على الرسل صاحوا قائلين «في هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ» . لقد تمسكوا بالعطية الممنوحة لهم . وماذا تبع ذلك ياترى ؟ إن سيف الروح الذي حُدد حديثاً بالقوة واغتسل في برق السماء ، شق طريقه مخترقاً عدم الإيمان . وقد اهتدى وتجدد آلاف الناس في يوم واحد .

كان المسيح قد قال لتلاميذه : «خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ» «مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» (يوحنا 16 : 7 ، 13).

إن صعود المسيحإلى السماء كان علامة على أن تابعيه سيقبلون البركةالموعود بها . لهذا كان عليهم أنت ينتظروا هذه البركة قبل البدء في عملهم. وعندما دخل المسيح من أبواب السماء جلس على عرشه وسط تمجيد الملائكة .وحالما تم كل هذا نزل الروح القدس على التلاميذ في سيول غامرة وتمجد المسيح حقا بالمجد الذي كان له عند الآب منذ أيام الأول . إن انسكاب الروح في يوم الخمسين كان علامة السماء على أن عملية تتويج الفادي وتسلمه للسلطة قد تمت . فبناءًا على وعده أرسل الروح الدس من السماء إلى تابعيه كعلامة على أنه قد أخذ كل سلطان في السماء وعلى الأرض ككاهن وملك، وصار هو المسيح (الممسوح) على شعبه.

«وَظَهَرَتْ لَهُمْأَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْوَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا» (أعمال 2 : 3، 4). إن الروح القدس إذ اتخذ هيئة السنة من نار استقر على أولئك المجتمعين. وكان هذا رمز العطية التي منحت للتلاميذ حينئذ والتي مكنتهم أن يتكلموا بطلاقة بلغات لم يسبق [27] لهم أ عرفوها ولاكان لهم بها أدنى علم . إن منظر الناس كان يرمز إلى الغيرة الملتهبة التي كان الرسل مزمعين أن يخدموا بها ، والقوة التي سترافق عملهم .

«وَكَانَ يَهُودٌ رِجَالٌ أَتْقِيَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ سَاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ» (أعمال 2:5). في أثناء الشتات كان اليهود قد تفرقوا وتبددوا في كل أنحاء المسكونة تقريباً، وإذ كانوا في أرض غربتهم تعلموا التكلم بلغات مختلفة . وفي ذلك الحين تواجد كثيرون منهم في أورشليم لإحياء الأعياد الدينية التي كان قد

حان ميعادها. كان المجتمعون يمثلون كل اللغات المعروفة وقت ذلك. وكان يمكن أن يكون هاذا الاختلاف في اللغات عائقًا عظيمًا يحول دون إذاعة الإنجيل، ولذلك سد الله عجز الرسل وقصورهم بطريقة معجزية . فقد عمل الروح القدس لأجلهم ما كانوا يعجزون عن القيام به بمفردهم مدى الحياة. فتمكنوا عندها من إذاعة حقائق الإنجيل في الخارج إذ كانوا يتكلمون بدقة وإتقان بلغات أولئك الذين كانوا يخدمونهم. فهذه العطية المعجزية كانت برهانًا قويًاللعالم أن التفويض المعطى لهم يحمل ختم السماء . ومنذ ذلك الحين صارت لغات التلاميذ نقية وبسيطة ومضبوطة سواء تكلموا بلغتهم الوطنية أو بلغة أجنبية .

«فَلَمَّا صَارَ هذَا الصَّوْتُ، اجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ وَتَحَيَّرُوا، لأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ.فَبُهِتَ الْجَمِيعُ وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «أَتُرَى لَيْسَ جَمِيعُ هؤُلاَءِ الْمُتَكَلِّمِينَ جَلِيلِيِّينَ؟ .فَكَيْفَ نَسْمَعُ نَحْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لُغَتَهُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا؟»» (عدد 6- 8).

وقد ثار غضب الكهنة والرؤساء بسبب هذا الإعلان العجيب ولكنهم لم يجسروا على التعبير عن حقدهم وخبثهم خشية تعريض أنفسهم لقسوة الشعب. [28] قد قتلوا الناصري، ولكن هاهم عبيده الأميونمن أهل الجليل يخبرون الناس بقصة حياته وخدمت بكل اللغات المعروفة حينئذ. وإذ صمم الكهنة أن يعللوا سبب قوة التلاميذ الإعجازية بعوامل طبيعية أعلنوا أنهم سكارى لأنهم أفرطوا في شرب الخمر الجديدة المعدة للعيد . فبعض ممكن كانوا حاضرين، من أشد الناس جهلا ، تمسكوا بهذا الاقتراح على أنه الحق ، ولكن الأذكياء منهم عرفوا زيف هذا الادعاء ، والذين كانوا يستطيعون تمييز اللغاتوفهمها شهدوا للدقة التي كان يتكلم بها التلاميذ بتلك اللغات .

وردًا على تهمة الكهنة برهن بطرس على أن هذه الظاهرة كانت إتمامًا صريحًا لنبوة يوئيل النبي الذي أنبأ فيها بأنه مثل هذه القوة ستحل على الناس لتؤهلهم لعمل خاص . فقال: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْيَهُودُ وَالسَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ أَجْمَعُونَ، لِيَكُنْ هذَا مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ وَأَصْغُوا إِلَى كَلاَمِي،لأَنَّ هؤُلاَءِ لَيْسُوا سُكَارَى كَمَا أَنْتُمْ تَظُنُّونَ، لأَنَّهَا السَّاعَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ النَّهَارِ. بَلْ هذَا مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ.يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا.وَعَلَى عَبِيدِي أَيْضًا وَإِمَائِي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ فَيَتَنَبَّأُونَ».(عدد 14 -18)

فبطلاقة وفصاحة وقوة شهد بطرس لموت المسيح وقيامه قائلا : «ايها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال. يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون.هذا اخذتموه مسلّما بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبايدي اثمة صلبتموه وقتلتموه.الذي اقامه الله ناقضا اوجاع الموت اذ لم يكن ممكنا ان يمسك منه» (عدد 22 -24) .

إن بطرس لم يشر إلى تعاليم المسيح ليبرهن على متانة مركزه ، لأنه كان يعلم أن تعصب سامعيه كان شديدًا بحيث أن كلامه عنهذا الموضوع لن يكون [29] له أيتأثير. ولكن بدلا من ذلك حدثهم عن داود الذي كان اليهود يعتبرونه أحد الآباء في أمتهم . فأعلن قائلا «لأن داووديقول فيه : كنتأرى الرب أمامي في كل حين ، أنه عن يميني ، لكن لا أتزعزع , سر قلبي وتهلل لساني . حتى جسدي ايضا سيسكن على رجاء . لأنك لن تترك نفسي في الهاوية ولاتدع قدوسك يرى فسادا.

«أيها الرجال الإخوة يسوغ ان يقاللكم جهاراعن رئيس الآباء داود انه مات ودفن ، وقبره عندنا حتى هذا اليوم» . وداود «تكلم عن قيامة المسيح ، أنه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى فسادا . فيسوع هذا أقامه الله ، ونحن جميعا شهود لذلك» (عدد 25 32).

إن هذا المشهد مثير للاهتمام . وهوذا الشعب يـاي من كل ناحية ليسمع التلاميذ وهم يشهدون للحق كما هو في يسوع . إنهم يزدحمون حولهم في الهيكل . والكهنة والرؤساء هناك وعلى وجوههم عبوسة الخبث القاتمة ، وقلوبهم لاتزال مليئة بالكراهية الدفينة الدائمة للمسيح ، وأيديهم ملطخة بالدم الذي سفك

عندما صلبوا فادي العالم . لقد ظنوا أنه سيرون الرسل وقد جبنوا خوفا تحت وطأة يد الظلم والقتل القاسية ، ولكنهم يجدونهم الآن مرتفعين فوق كل خوف وممتلئين بالروح وبكل قوة يذيعون حقيقة لاهوت يسوع الناصري . ويسمعونهم يعلنون بكل جرأة أن ذاك الذي قد أذل منذ عهد قريب وعير ، وبالأيدي القاسية ضرب و صلب إن هو إلا رئيس الحياة الذي ارتفع الآن بيمين الله .

إن بعض من أصغوا إلى أقوال الرسل كانت لهم يد في إدانه المسيح وموته . لقد اختلطت أصواتهم بأصوات الدهماء وهم يطلبون صلبه . فعندما وقف يسوع وباراباس جنبا إلى جنب في دار الولاية وسألهم بيلاطس قائلا : «من تريدون أن أطلق لكم» صرخوا قائلين : ليس هذا بل باراباس [30] وعندما أسلم بيلاطس المسيح إليهم قائلا «خذوه أنتمواصلبوه ، لأني لست اجد فيه علة» «إني بريئ من دم هاذا البار» ، صرخوا قائلين : «دمه علينا وعلى أولادنا» «متى 28 :17 ، يوحنا 18 ، 40، يوحنا19: 6 ، متى : 27 : 24 ، 25»

أما الآن فها هم يسمعون التلاميذ يعلنون أن الذي صلب هو ابن الله . وقد ارتعب الكهنة والرؤساء . كما تملك التبكيت والحزن قلوب الشعب و «نخسوا في قلوبهم ، وقالو لبطرس ولسائر الرسل : «ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة»». وكان بين من أصغوا إلى التلاميذ رجال أتقياء كانوا مخلصين في اعتقادهم . فالقوة التي كانت تصحب أقوال المتكلم أقنعهم بأن يسوع هو المسيا حقا .

«فقال لهم بطرس : «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس .لأن الموعد لكم ولأولادكمولكل الذين على بعد ، كل من يدعوه الرب إلهنا»»(عدد 38 - 39).

وقد أقنع بطرس أولئك الناس المتبكتين بحقيقة كونهم قد رفضوا المسيح لأنالكهنة والرؤساء قد غرروا بهم ، وأنهم إذا ظلوا يتطلعون إلى هؤلاء الرجال في طلب المشورة وانتظروهم حتى يعترفوا بالمسيح قبلما يجرؤون هم على عمل ذلك فلن يقبلوه أبدا . إن هؤلاء الرجال ذوي السلطان مع أنهم كانوا يعترفون بالتقوى كانوا يطمحون إلى الغنى والمجد الأرضيين . فلم يريدوا أن يأتوا إلى المسيح ليحلواعلى النور .

وتحت تأثير هذه الإنارة السماوية ظهرت الأقوال الكتابية التي أوضحها المسيح للتلاميذ أمام أذهانهم في بهاء الحق الكامل . والحجاب الذي كان قد أعاقهم عن رؤية ماقد أبطل ، أزيح الآن فأدركوا بكل وضوح غاية رسالة [31] المسيح وطبيعة ملكوته . وقد أمكنهم أن يتحدثوا عن المخلص بقوة وإذ كشفوا لسامعيهم عن تدبير الخلاص تبكت كثيرون واقتنعواوقد اكتسحت الطقوس والخرافات التي فرضها الكهنة وتحررت عقولهم وقبل الناس تعاليم المخلص . «فقبلوا كلامه بفرح ، واعتمدوا ، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس» (عدد41)

كان رؤساء اليهود يظنون أن عمل المسيح سيبطل ويتلاشى بموته ، ولكنهم بدلا من ذلك شهدوا أحداث يوم الخمسين المدهشة. وسمعوا التلاميذ وهم مزودون بسلطان وقوة لم يكون لهم بهما علم من قبل ، يكرزون بالمسيح ، وكانت أقوالهم تثبت بقوة الآيات والعجائب . وفي أورشليم التي كانت معقل الديانة اليهودية جاهر آلاف من الناس بإيمانهم بيسوع الناصرى باعتباره المسيا .

وقد ذهل التلاميذ وفرحوا فرحاً عظيما عندما رأواعظمة حصاد النفوس هذا . إنهم لم يكونوا يعتبرون هذا الحصاد العجيب نتيجة أتعابهم أو جهودهم ، ولكنهم تحققوا أنهم كانوا يدخلون على تعب سواهم.فنمذ سقط آدم ، والمسيح يسلم لعبيده المختارين بذاركلمته ليزرعوها في قلوب الناس . وفي إبان سني حياته على هذه الأرض زرع هو بذار الحق ورواه بدمه . وحوادث اهتداء الناس التي تمت في يوم الخمسين كانت نتيجة هذا الزرع .إنه حصاد المسيح الذي أعلن سلطان تعاليمه.

إن الحجج التي قدمها الرسل وإن تكن واضحة ومقنعة لم تكن وحدها كافية لإزالة التعصب الذي

تصدى للبراهين الكثيرة المفحمة . ولكن الروح القدس أدخل هذه الحجج إلى القلوب بقوة الله .وقد كانت أقوال الرسل كسهام القدير الحادة المبرية إذ بكتت الناس على جريتمتهم الهائلة في رفض رب المجد وصلبه. [32]

وفي ظل تدريب المسيح وتعليمه ابتدأ التلاميذ يحسون بحاجتهم إلى قوة الروح. وفي ظل تدريب الروح وإرشاده قبلوا المؤهلات الأخيرة وخرجوالممارسة عمل حياتهم . وماعادوا بعد ذلك جهلة أو أميين . أو مجرد مجموعة من الأفراد المستقلين عن بعضهم البعض ومن العناصر المتنافرة المتضاربة ، وماعادوا يركزون آمالهم في العظمة الدنيوية . لقد صاروا (برأي واحد) «قلب واد ونفس واحدة» فقد ملأ المسيح أفكارهم واحتلها وكان هدفهم امتداد ملكوته ، فصاروا مثل سيدهم في الفكر والصفات بحيث أن الناس«عرفوهما أنها كانا مع يسوع (بطرس ويوحنا» (اعمال 2 : 46 ،4 : 32 ، 4 :13)

لقد أتاهم يوم الخمسين بالإنارة السماوية . فالحقائق التي استعصى عليهم فهمها حين كان المسيح معهم انكشفت لهم الآن .وبإيمان ويقين لم يكن لهم بهما عهد من قبل قبلوا تعاليم الكلمة المقدسة , فما عاد الاعتقاد بأن المسيح هو ابن الله مجرد إيمان أو عقيدة . لقد عرفوا أنه مع كونه كان متسربلا بالناسوت فقد كان في حقيقة الأمر هو المسيا ، وقد أخبروا العالم باختبارهم بثقة صحبها الإقناع بأن الله كان معهم .

لقد أمكنهم أن يذكروا اسم يسوع بيقين ، أو لم يكن هم صديقهم وأخاهم الأكبر ؟ فإذ صارت لهم شركة وثيقة مع المسيح تيقنوا من أنهم سيجلوس معه في السماء . فبأي لغة ملتهبة وملهبة عبروا عن آرائهم عندما شهدوا له ، لقد كانت قلوبهم مفعمة بمحبة كاملة جداوعميقة جدا وبعيدة المدى إلى أقصى جد بحيث دفعتهم للذهاب إلى أقاصي الأرض شاهدين بقدرة المسيح . لقد امتلأت قلوبهم بشوق عميق طاغ كي يتقدموا بالعمل الذي بدأوه . وقد تحققوا من عظيمة مديونيتهم للسماء ومسؤولية عملهم. فإذ تقووا بعطية الروح القدس خرجوا وهم ممتلئون غيرة لتوسيع رقعة انتصارات الصليب [33] .وقد نشطهم الروح وتكلم على أفواهمم ، وشع سلام المسيح في وجوههم فقد كرسوا حياتهم لخدمته كما دلت قسمات وجوههم بجلاء تام على التسليم الذي قاموا به . [34] [35]

الفصل الخامس

عطية الروح

عندما أعطى المسيح لتلاميذه الوعد بالروح ، كان يقترب من نهاية خدمته الأرضية . كان واقفا في ظل الصليب ، وهو متحقق تماما من ثقل العبءالهائل الذي كان سيستقر عليه بوصفه الحامل خطية العالم . فقبلما قدم نفسه ذبيحة كفارية كان قد أحاط تلاميذه علما عن العطيةالجوهرية الكاملة التي كان مزمعا أن يمنحها لتابعيه. تلك التي ستجعل موارد نعمته غير المحدودة في متناول أيديهم . قال لهم «وانا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذي لايستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لايراه ولايعرفه، واما انتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم» (يوحنا 14:16 ، 17) . كان المخلص يشير بهذا الكلام الى الوقت الذي فيه سيأتي الروح القدس ليقوم بعمل عظيم بوصفه نائباعنه . فالشر الذي تجمع مدى أجيال طويلة كان لابد أن يقاوم ويوقف عند حده بقوة الروح القدس الإلهية .

وماذا كانت نتيجة انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين ؟ فلقد وصلت أخبار المخلص المقام السارة إلى اقصى ارجاء المسكونة.وعندما أذاع التلاميذ رسالة النعمة الفادية خضعت القلوب لسلطان هذه الرسالة. وقد شهدت الكنيسة كثيرا من المهتدين يتقاطرون عليها من كل مكان . فقد رجع المرتدون واشترك [36] الخطاة مع المؤمنين في طلب يسوع اللؤلؤة الكثيرة الثمن . وبعض ممكن كانوا من ألد خصوم الإنجيل صاروا حماته المدافعين عنه وتمت النبوة القائلة «فيكون العاثر ..مثل داوود .. وبيت داوود .. مثل ملاك الرب» (زكريا12 : 8) . لقد رأى كل مسيحيفي أخيه إعلانا للحب والإحسان الإلهيين . فساد الجميع اهتمام واحد . كما طغى موضوع واحد للمناقشة على كل ماعداه . فكان المؤمنون يطمحون إلى إعلان صفات المسيح والاجتهاد في توسيع نطاق ملكوته .

«وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم» (اعمال 4 : 33) . وقد انضم بفضل جهودهم إلى الكنيسة رجال مختارون وهؤلاء اذ قبلوا كلمة الحق كرسوا أنفسهم لعمل تقديم الرجاءالذي ملأ قلوبهم سلاما وفرحا للآخرين. ولم يكن ممكنا ردعهم أو تخويفهم عن طريق التهديد . فقد تكلم الرب بواسطتهم وإذ كانوا يذهبون من مكان إلى آخر كان يكرز للمساكين باالإنجيل فأجريت معجزات االنعمة الإلهية .

إن الله يستطيع أن يعمل بقوة متى سلم الناس ذواتهم لسيادة روحه. فالوعد بالروح القدس غير مقتصر على عصر أو جنس دون الآخر .

فقد أعلن المسيح أن تأثير قوة روحه سيصاحب تابعيه حتى النهاية .فمنذ يوم الخمسين إلى عصرنا الراهن أرسل المعزي إلى كل من قد سلموا أنفسهم بالتمام للرب ولخدمته . وكل الذين قبلوا المسيح مخلصا شخصيا لهم أتاهم الروح القدس باعتباره المشير والمقدس والمرشد والشاهد. وكلما سار المؤمنون مع الله عن أكثر قرب شهدوا بأكثر صراحة وقوة لمحبة فاديهم ونعمته المخلصة. وإن الرجال والنساء الذين تمتعوا لمدى عصور الاضطهاد والتجربة الطويلة المريرة بنصيب كبيرة من حضور الروح في حياتهم . أعلنوا أمام الناسوالملائكة عن قوة المحبة الفادية المغيرة . [37]

إن أولئك الذين تزودوا بقوة من الأعالي في يوم الخمسين لم يتحرروابذلكمن المحن والتجارب المستقبلية . فإذ شهدوا للحق والبر هاجمهم عدو كل حق مرارا وتكرارا إذ حوال أن يجردهم من اختبارهم المسيحي . لقد أجبروا على الجهاد بكل القوى المعطاة لهم من الله ليصلوا إلى قياس قامة الرجال والنساء الذين هم في المسيح يسوع . وفي كل وم كانوا يصلون في طلب المزيد منإمدادات النعمة لبلوغ أسمى مراقي الكمال. وقد تعلم حتى أضعف المؤمنين بواسطة الروح القدس أن يدربوا إيمانهم بالله وأن يحسنوا القوى المودعة بين أيديهم ويصيروا مقدسين وأنقياء وشرفاء. وإذ أسلموا أنفسهم بوداعة لقوة الروح لتصوغهم أخذوا من ملء الله وتشكلواعلى شبه الصورة الإلهية .ثمإن مرور الزمن يم يحدث أي تغيير في وعد المسيح الوداعي بإرسال الروح القدس نائبا عنه . إن السبب في كون غنى نعمة الله لايفيض على سكان الأرض ليس سببه وجود بعض التحفظ من جانب الله . فإذا لم تتم رؤية إتمام الوعد كما ينبغي، فالسبب هو كون الناس لايقدرون الوعد كما يجب . فلورغب الجميع لامتلأوا بالروح . وعندما يقل تفكير الناس أو ينعدم في ملاحظة حاجتهم الماسة إلى الروح القدس، يحل الجفاف والقحط الروحيين.، وتخيم الظلمة الروحية الداجية ويتبع ذلك هبوط أدبي موت روحي . وكلما استأثرت الشؤون الصغرى بانتباهنا ، فإن الكنيسة تفتقر إلى القوة الإلهية اللازمة لنموها ونجاحها وتقدمها . وهذه القوة مقدمة بوفرة وغنى ويمكن لجميع البركات الآخرى أن تأتي في أثرها . وبما أن هذه هي الوسيلة التي يمكننا بواسطتها الحصول على القوة فلماذا لانجوع ونعطش إلى عطية الروح ؟ ولماذا لانتحدث عنها ونصلي في طلبها ونكرز بها ؟ إن رغبة الرب في إعطاء الروح القدس للذين يخدمونه تفوق رغبة [38]

الآباء في إعطاء أولادهم عطايا جيدة . ينبغي لكل عامل التوسل إلى الله كل يوم طبعا لمعمودية الروح . فعلى جميع المسيحيين أن يجتمعوا معا في جماعات ويطلبوا معونة خاصة وحكمة سماوية لكي يعرفواكيف يرسمون الخطط وينفذونها . وعليهم أن يصلوابوجهخاص من أجل سفراء الله المرسلين لحقول الخدمة الشاسعة ليمدهم الله بفيض من روحهالقدوس . فوجود الروح مع خدام الله سيضفي على إذاعة الحق قوة تعجز كل كرامة العالم أو مجده من منح مثل لها .

إن الروح القدس يمكث مع خادم الله المركس أينما وجد . والأقوال التي قيلت للتلاميذ تقال لنا نحن أيضا . فالمعزي هو لنا كما كان لهم . والروح يمنح القوة التي تسند النفوس المجاهدة في كل ظرف طارئ في وسط كراهية العالم وعندما يتحققون من فشلهم ومن أخطائهم . وفي أوقات الحزن والتجارب والضيقات ، عندما يبدو كل شيئ مظلما والمستقبل محيرا مربكا ، وحين نحس بعجزنا ووحدتنا ، فهذه هي الأوقات التي فيها يجيء الروح القدسبالعزاء للقلب إجابة لصلاة الإيمان .

إن حقيقة كون الإنسان يبدو عليه فرح مقدس فوق العادة ونشوة روحية غامرة في ظروف غير اعتيادية ، ليست دليلا قاطعا على كونه مسيحيا . فالقداسة ليست هي الطرب أو السرور العظيم بل هي تسليم الإرادة بالتمام لله ،وهي أن نحيا بكل كلمة تخرج من فم الله ، وعمل إرادة أبينا السماوي والاتكال عليه في التجارب وفي الظلمة كما في النور ، والسلوك بالايمان لا بالعيان والاعتماد على الله بثقة أكيدة والاستراحة من محبته .

ولكنه ليس أمرا جوهريا بالنسبة إلينا أن نحدد ماهو الروح القدس بالضبط بالمسيح يخبرنا أن الروح هو المعزي ،«روح الحق الذي من عند الآب [39] ينبثق» لقد أعلن بكل وضوح عن الروح القدس أنه في عملية إرشاد الناس إلى جميع الحق «لايتكلممن نفسه» (يوحنا 15:26 ، 16 :13)

إن طبيعة الروح القدس هي سر . فليس في مقدور الناس أن يوضحوها لأن الرب لم يعلنها لهم والناس ذو الآراء الخيالية قد يقتبسون بعض الفصول الكتابية ويقيمون عليها بناء بشريا ، ولكن اعتناق هذه الآراء لايقوي الكنيسة ففيما يختص بمثل هذه الأسرار التي هي أعمق من أن يسبر غورها الإدراك البشري ، يكون السكوت من ذهب .

أما وظيفة الروح القدس فتحددها أقوال المسيح إذ يقول «ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة» (يوحنا : 16 :8) . فالروح القدس هو الذي يبكت على خطية . فإذا استجاب الخاطئ لتأثير الروح المحيي فسينتهي به ذلك إلى التوبة وسيتيقظ إلى أهمية إطاعة مطالب الله .

إن الخاطئ التائب الذي يجوع ويعطش إلى البر فالروح القدس سيعلن له حمل الله الذي يرفع خطية العالم .وقد قال المسيح : «يأخذ مما لي ويخبركم» ، «يعلمكم كل شيئ ، ويذكركم بكل ماقلته لكم» (يوحنا : 16 : 14 ، 14 : 26)

إن الروح قد أعطي كعامل في التجديد لكي يجعل الخلاص الذي قد تم بموت فادينا ذا فاعلية عظيمة . وهو يحاول دائما أن يحول انتباه الناس إلى الذبيحة العظيمة التي قدمت على صليب الجلجثة ويكشف للعالم عن محبة الله ويطلع النفس المتبكتة على كنوز الكتاب الثمينة .

إن الروح القدس بعدما يبكت النفس على خطية ويضع أمام الذهب مقياس البر فهو يجتذب عواطفها بعيدا عن أمور هذه الأرض ويملأ النفس شوقا إلى القداسة : «يرشدكم إلى جميع الحق» (يوحنا 16 : 13)هذا ماأعلنه [40] المخلص. فإذا رغب الناس في أن يصاغوا فسيحدث تقديس في كل كيانهم. والروح سيأخذ في أمور الله ويطبعها على النفس . وبقوته سيصير طريق الحياة واضحا جدا بحيث لاتكون بأحد حاجة إلى أن يضله أو يخطئه .

إن الله منذ البدء كان يعمل بروحه بواسطة الوسائل البشرية لإتمام مقاصده لأجل جنسنا الساقط. وقد ظهر هذافي حياة الآباء. وقد أعطي الله أيضا للكنيسة في البرية ، في عهد موسى «روحك الصالح لتعليمهم» (نحميا9 : 2) . وفي أيام الرسل عمل بقوة لأجل كنيسته بواسطة الروح القدس . فنفس القوة التي أسندت الآباء والتي منحت كالب ويشوع إيماناوشجاعة ، والتي جعت عمل الكنيسة الرسولية فعالا ، هي التي أعانت وأسندت أولاد الله الأمناء في كل العصور المتعاقبة . فبواسطة قوة الروح القدسأمكنللمسيحيين الولدنسيين في العصور المظلمة أن يمهدو الطريق للإصلاح . وبواسطة هذه القوةنفسها نجحت مساعي الرجال والنساء النبلاء الذي مهدوا الطريق لإنشاء المرسليات الحديثة وترجمة الكتاب المقدمة إلى لغات ولهجات كل الأمم والشعوب .

واليوم لايزال الله يستخدم كنيسته ليجعل مقاصده معروفة في الأرض . واليوم نرى الكارزين بالصليب يذهبون من مدينة إلى أخرى و من قطر إلى قطر ليعدوا الطريق لمجيئ المسيح ثانية . إن مقياس شريعة الله يرتفع ويتمجد . وروح الله القدير يرف على قلوب الناس ، فالذين يستجيبون لتاثيره ويصيرون شهودا لله ولحقه . وفي أماكن كثيرة يمكن أن يرى رجال ونساء مكرسون يقدمون للناس النور والذي قد أوضح لهمطريق الخلاص بالمسيح . وإذ يداومون على جعل نورهم يضيئ كما فعل أولئك الذين قد [41] تعمدوا بالروح القدس في يوم الخمسين فسيأخذون شيئا أكثر وأكثر من قوة الروح . وهكذا تستنير الأرضمن مجد الله .

ومن الناحية الأخرى يوجد بعض ممن ينتظرون بتكاسل وخمول الوقت المناسب للفرج الروحي الذي فيه تزيد قدرتهم على إنارة الآخرين . فبدلا من أن يحسنوا استخدام الفرص الحاضرة التي بين أيديهم يهملون الواجبات والامتيازات الراهنة ويتركون نورهم يخبو ويصير مظلما . إنهم يتطلعون إلى المستقبل إلى الوقت الذي فيه سيحصلون على بركة خاصة بها يتغيرون ويؤهلون للخدمة بدون أي مجهود من جانبهم .

إنه أمر حقيقيأنه في وقت النهاية عندما يقترب عمل الله في الأرض في نهايته فالمساعي الجادة التي يبذلهاالمؤمنون المكرسون تحت قيادة الروح القدس وإرشاده ستصحبهاعلامات خاصة لرضى الله إن الأنبياء العبرانيين استخدموا رمز المطر المبكر والمتأخر الذي يسقط في بلاد الشرق في وقت إلقاء البذار

والحصاد لينبئوا عن النعمة الروحية التي ستمنح بغنى وبفيض غير عادي لكنيسة الله . إن انسكاب الروح في أيام الرسلكان هو بدء المطر المبكر واكنت نتيجته مجيدة . إن الروح سيمكث مع الكنيسة الحقيقية إلى انقضاء الدهر

ولكن قرب انتهاء حصاد الأرض يوجد وعد بأن نعمة روحية خاصة ستمنح لإعداد الكنيسة لمجيئ ابن الإنسان. فهذا الانسكاب مشبه بسقوط المطر المتأخر ، وعلى المسيحيين أن يقدموا توسلاتهم إلى رب الحصاد في طلب هذه القوة المضافة«في أوان المطر المتأخر» . وإجابة على تلك [42] التوسلات : «ينزل عليكم (الرب) مطرا مبكرا ومتأخرا في أول الوقت» (زكريا 10 : 1 ،، يوئيل 2 : 23).

ولكن مالم يكن لأعضاء كنيسة الله اليوم اتصال وارتباط حي يتبع كل نمو روحي فلن يكونوا مستعدين لوقت الحصاد . ومالم يصلحوا مصابيحهم ويبقوها مضيئة فسيخفقون في الحصول على نعمة زائدة في أوقات الحاجة الخاصة .

إنما فقط أولئك الذين يتقبلون استمرار إمدادات النعمة الجديدة هم الذين ستكون لهم قهوة تتناسب مع حاجتهم اليومية وقدرتهم على استخدام تلك القوة . وبدلا من التطلع إلى الأمام إلى زمن مستقبل فيه يحصلون على إعداد معجزي يعدهم لربح النفوس بواسطة منحهم قوة روحية خاصة . فهم في كل يوم يسلمون أنفسهم لله ليجعلهم أواني معدة له ليستخدمها . وفي كل يوم هم يحسنون استخدام الفرض المقدمة لهم والتي هي في متناول ايديهم للخدمة . وفي كل يوم يشهدون للسيد أينما يوجدون سواء أكانوا في محيط عمل وضيع في البيت أو في حقل الخدمة العام.

إن الخادم المكرس له تعزية عجيبة حين يعلم أنهحتى المسيح نفسه في أثناء حياته على الأرض كان كل يوم يطلب من أبيه إمدادات جديدة من النعمة التي كان يحتاجها ، ومن هذه الشركة مع الله كان يخرج ليقوي الآخرين ويباركهم . انظروا ابن الله ساجدا في الصلاة أمام أبيه ، فمع أنه ابن الله فهو يقوي إيمانه بالصلاة، وبواسطة شركته مع السماء استجمع لنفسه قوة لمقاومة الشر ولخدمةحاجات الناس . وكالأخ الأكبر لجنسنا هو يعرف حاجات أولئك الذين إذ هم محاطون بالضعف وعائشون في عالم الخطية والتجربة لايزالون يشتاقون إلى خدمته. إنه يعرف أن الرسل الذين يرى أنهم أهم لأن يرسلهم للخدمة هم أناس ضعفاء ومخطئون، ولكن كل من يقدمون أنفسهم لخدمته بالتمام يقدم لهم وعدا [43] بالمعونة الإلهية. إن مثاله هو تأكيد وضمان بأن الابتهالات والصلوات الحارة المثابرة إلى الله والمقدمة بإيمان ـــذلك الإيمان الذي يقود صاحبه إلى الاعتماد التام على الله والتكريس لخدمته في غير تحفظ- ستنتصر في الإتيان بمعونة الروح القدس إلى الناس في حربهم ضد الخطية .

فكل خادم يتبع مثال المسيح يكون معدا لقبول واستخدام القوة التي قد وعد بها الله كنيسته لأجل إنضاج حصاد الأرض . ومن صباح إلى صباح إذ يجثو الكارزون بالإنجيل أمام الرب ويجددون عهد التكريس له فسيمنحهم امتياز حضور روحه معهم بقوته المحيية المقدسة .وإذ يخرجون لأداء واجباتهم اليومية يكون عندهم الضمان بأن العامل غير المنظور الذي هو الروح القدس يقدرهم على أن يكونوا «عاملين مع الله». [44] [45]

الفصل السادس

عند باب الهيكل

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال 3 و 4 : 1-31).

كان تلاميذ المسيح يحسون إحساسا عميقا بعدم كفايتهم ، فباتضاع وتذللوصلاة قرنوا ضعفهم بقوته وربطوا جهلهم بحكمته وعدم استحقاقهم ببره وفقرهم بغناه الذي لاينفذ. فإذ تقووا وثم إعدادهم على هذه الصورة لم يترددوا عن التقدم إلى الأمام في خدمة السيد .

بعد حلول الروح القدس بوقت قصير ، وتوا بعد فرصة قضيت في الصلاة الحارة ، كان بطرس ويوحناصاعدين إلى الهيكل للعبادة فشاهدا عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل رجلا أعرج يبلغ الأربعين من العمر ،كانت حياته منذ ولادته حياة الألم والعجز والضعف. وقد اشتاق هذا الرجل السيئ الحظ طويلا لأن يرى يسوع ليشفيه ، ولكنه كان عاجزا عجزا يكاد يكون كاملا ، وقد أقصى بعيدا عن مشهد خدمات الطبيب العظيم. وأخيرا أفلحت توسلاته في إقناع بعض الأصدقاء لحمله إلى باب الهيكل ، ولكن لدى وصوله إلى هناك اكتشف أن ذلك الذي تركزت فيه آماله كان قد مات ميتة قاسية ..

وقد أثارت خيبته عطف الذين عرفوا كم من الوقت ظل ذلك المسكين ينتظر بشوق ولهفة لكي يشفيه يسوع ، فكانو كل يوم يحملونه إلى الهيكل أملا أن ينال [46] بعض العطف من العابرين فيجودون عليه بالقليل مما عندهم ليسد به أعاوزه فإذ مر به بطرسويوحنا سألهما صدقة . فتطلعإليه ذانك التلميذان بحنان وإشفاق . وقال له بطرس : «انظر الينا ، فلاحظهما منتظرا أن يأخذمنهما شيئافقال بطرس ليس لي فضة ولا ذهب» (اعمال 3: 4 6) . فعندما أعلن بطرس أنهفقير سقط وجه الرجل الاعرج ، ولكنه أشرقبعد ذلك وتألق بنور الرجاء عندما تابع الرسول كلامه قائلا : «ولكن الذي لي فإياه أعطيك : باسم يسوع المسيح الناصري قم وامش».

وأمسكه بيده اليمنى وأقامه ، ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه . فوثب ووقف وصار يمشي ،، ودخل معهما إلى الهيكلوهو يمشي ويطفر ويسبح الله . وأبصره جميع الشعب وهو يمشي ويسبح الله . وعرفوه أنه هو الذي كان يجلس لأجل الصدقة على باب الهيكل الجميل، فامتلأوا دهشة وحيرة مما حدث له .

«وبينما كان الرجل الأعرج الذي شفي متمسكا ببطرس ويوحنا ، تراكض اليهم جميع الشعب الى الرواقالذي يقال له «رواق سليمان» وهم مندهشون» (اعمال 3: 6 -11) . لقد اندهشوا لأن التلاميذ استطاعو أن يحرك يصنعو معجزات شبيهة بما كان يصنعه يسوع . ومع ذلك فها هو الرجل الذي كان أرج وعاجزا أربعين سنة ، يفرح متهللا لأنه استطاع أن يحرك أعضاء جسمه التي لم يعد فيها أي ألم ، وهو الآن سعيد بإيمانه بيسوع.

وعندما رأى التلميذان دهشة الشعب قال لهم بطرس : «مابالكم تتعجبون من هذا ؟ ولماذا تشخصون إلينا ، كأننا بقوتنا قد جعلناهذا يمشي ؟«(اعمال 3 : 12) . وقد أكد لهم أن الشفاء قد تم باسم واستحقاق يسوع الناصري الذي أقامه الله من الأموات. ثم أعلن الرسول قائلا: «وبالإيمان باسمه شدد [47] اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه ، والايمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم» (أعمال 3 : 16)

وقد تكلم الرسولان بكل صراحة عن خطية اليهود العظيمة في رفضهم لرئيس الحياة وقتلهم إياه، ولكنهما كانا حريصين ألا يسوقا سامعيهما إلى اليأس . فقال لهم بطرس : «،أنتم انكرتم القدوس البار ، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قال. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأموات ، ونحن شهود لذلك ...والآن أيها الاخوة ، أنا أعلم انكم بجهالة عملتم كما رؤسائكمأيضا . وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفوا جميع أنبيائه ، أن يتألم المسيح ، ق تممه هكذا».(أعمال17،16،15،14:3). وقد أعلن أن الروح القدس يدعوهم الى التوبة والرجوعوأكد لهم أنه لارجاء في الخاص إلا بواسطة رحمةذلك الذي قد صلبوه. فبالإيمان به وحده يمكن أن تغفر خطاياهم .

ثم صاح يقول لهم «فتوبو وارجعوا لتمحى خطاياكم ، لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب» (اعمال 3: 19)

«انتم أنباء الأنبياء ، والعهد الذي عاهد به الله آبائنا قائلا لإبراهيم : وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض . إليكم أولا، إذ أقام الله فتاه يسوع ، أرسله يباركم برد كل واحد من كم عن شروره» (أعمال 3 : 25 ،26)

هكذا كرز التلميذان بقيامة المسيح . وكثيرون من السامعين كانو ينتظرون هذه الشهادة فلما سمعوها آمنوا لأنها ذكرتهم بأقوال المسيح التي نطقبها فانضموا إلى صفوف أولئك الذين قبلوا الإنجيل . إن البذرة التي كان المخلص قدزرعها نبتت ونمت وأتت بثمر كبير. وإذ كان التلميذان يخاطبان الشعب : «اقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون . متضجرين من تعليمهما الشعب وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات» (أعمال4 : 2،1) [48]

بعد قيامة المسيح نشر الكهنة في مكان ذلك الخبر الكاذب الذي يقول إن التلاميذ قد سرقوا جسده فيما كان الحراس الرومان نياما . فلا غرابة إذا استاؤاعندما سمعوا بطرس ويوحنا يكرزان بقيامة ذلك قد قتلوه. وقد ثار الصودقيون بوجه خاصة واهتاجوا جدا . فلقد أحسوا بأن عقيدتهم المأثورة لديهم مهددة بالخطر وبأن سمعتهم بات يخشى عليها .

ازداد عدد المنضمين إلى الإيمان الجديد بسرعة ، فأجمع رأي الفريسيين والصدوقيين على أنه إذا ترك هؤلاء المعلمون الجدد يواصلون عملهم دون رادع ، فإن نفوذهم هم سيمسي مهددا بخطر أعظم مما لو كان يسوع على الأرض . ولذلك قبض رئيس جند الهيكل بمعونة بعض الصدوقيين على بطرس ويوحنا ووضعوهما في حبس إلى الغد لأن الوقت كان مسا ولم يكن ممكنا التحقيق معهما في ذلك اليوم .

إن أعداء التلاميذ لم يسعهم إلا أنيقتنعوا بأن المسيح قام من بين الأموات . كان البرهان واضحا جاد بحيث لم يحتمل الشك . ومع ذلك فقد قسوا قلوبهم إذ رفضو التوبة عن خطيئتهم الهائلة التي ارتكبوها بقتلهم ليسوع . وماأكثر البراهين التي قدمت لرؤساء اليهود للدلالة على أن الرسل كانوا يتكلمون ويعملون بإرشاد إلهي ، ولكنهم قاوموا رسالة الحق بكل إصرار . إن المسيح لم يأتي بالطريقة التي كانو ينتظرونها ، ومع أنهم اقتنعوا في بعض الأحيان بأنه ابن الله ، فقد خنقوا اقتناعم هذا وصلبوه . وقد قدم الله هم في رحمته براهين أخرى ، والآن هاهي فرصة آخى تقدم لهم للرجوع إليه . فأرسل إليهم التلاميذ ليخبروهم بأنهم قد قتلوا رئيس الحياة ، وفي هذه التهمة الهائلة قدم لهم دعوة أخرى ليتوبوا . ولكن إذ أحسوا ــ بالطمأنينة في اعتصامهم ببرهم الذاتي ، رفض معلموا اليهود الاعترااف بأن أولئك الرجال الذين يتهمونهم بصلب المسيح يتكلمون بتوجيه الروح القدس . [49]

فإذ اسلم الكهنة أنفسهم لمسلك ناصبوا فيه المسيح المقاومة والعداء . صار مسلكهم هذا بالنسبة إليهم حافزا إضافيا ليسيروا في نفس الاتجاه . وقد زاد إصرارهم على العناد ، ليس لأنهم لم يستطيعوا التسليم والعدول عن رأيهم، فقد كانو يستطيعون ذلك ولكنهم لم يريدوا . إنهم لم يقطعوا بعيدا عن الخلاص لأنهم

كانوا مذنبين ويستحقون الموت فحسب ، وليس فقط لكونهم قتلوا ابن الله ، بل لأنهم أيضا تسلحوا بالمقاومة ضد الله . فبكل اصرار قاوموا النور ورفضوه وأخمدوا تبكيت الروح . إن القوة التي تسيطر على أبناء المعصية كانت تعمل فيهمفجعلتهم يهينون الرجال الذين كان الله يعمل بواسطتهم. إن خبث عصيانهم زاد وتفاقم بواسطة كل عمل من أعمال المقاومة المتتابعة صد الله والرسالة التي أعطاهالخدامه ليعلونها . في كل يوم كان يمر ويرفض فيه رؤساء اليهود التوبة ، إنما كانو بذلك يبدأون بالعصيانمجددا استعدادا لأن يحصدوا ما قد زرعوه .

إن غضب الله لا يعلن على الخطاء غير التائبين لأجل الخطايا التي قد ارتكبوها فقط ،بل لأنهم بعدما دعوا للتوبة اختاروا الامعان في المقاومةوهم يرتكبون من جديد نفس الخطايا التي سبق أن ارتكبوهامتحدين النور المعطى لهم . فلو خضع رؤساء اليهود لقوة الروح القدس المبكتة لكانت خطاياهم قد غفرت . ولكنهم أصروا على عدم الإذعان. وبنفس هذه الطريقة نجد أن الخاطئ بمقاومته المستمرة يضع نفسه في وضع لا يمكن للروح القدس أن يؤثر فيه .

وفي اليوم التالي بعد شفاء الرجل الأعرج اجتمع حنان وقيافا مع باقي أحبار هيكل للمحاكمة ، فجيء بالسجينين ليمثلاأمامهم . في نفس تلك الدار وأمام بعض الرجال ذاتهم كان بطرس قد أنكر سيده ذلك الإنكار المشين، وقد مثل هذا الأمر بكل وضوح أمام ذهنه عندما وقف ليحاكم. كانت لديه الآن فرصة فيها يفتدي جبنه ذلك . [50] إن أولئك الذين كانوا حاضرين والذين تذكروا الدور الذي مثله لطرس عند محاكمة سيدهكانوا يخدعون أنفسهم بالفكر أنه يمكنهم الآن أن يخيفوه بتهديده بالسجن والموت . ولكن بطرس السريع الاندفاع والواثق من ذاته والذي أنكر المسيح في أحرج ساعاته كان يختلف اختلافا عظيما عن بطرس الذي جيء به الآنأمام السنهدريم للتحقيق معه. فمنذ سقطته تجدد ولم يعد متكبرا او فخورا بل صار متضعا وغير واضع ثقتهفي نفسه . وإذ امتلأ بالروح القدس وبمساعدة هذه القوة عقد العزم على محو لطخة الارتداد في نفسه باكرام وتمجيد الاسم الذي كان قد أنكره سابقا.

لقد تحاشى الكهنة قبل ذلك ذكر شيئ عن صلب يسوع أو قيامته . أما الآن فلكي يتمموا أغراضهم أجبروا أن يسألوا المتهمين كيف تم شفاء الرجل الأعرجالعاجز فسألوهما قائلين : «بأية قوة وبأي اسم صنعتما أنتما هذا» .

فبجرأة مقدسة وبقوة الروح أعلن بطرس قائلا بلا خوف : «ليكن معلوما جميعكم وجميع شعب إسرائيل أنه باسم يسوع المسيح النصاريالذي صلبتموهأنتم ، الذي أقامه الله من الأموات ، بذلك وقف هذا أمامكم صحيحا. هذا هو : الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون ، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخرتحت السماء ، قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص» (أعمال : 4 7 ، 10 -12).

هذا الدفاع الباسل أفزع رؤساء اليهود. كانو يظنون أن التلاميذ سينهزمون من الخوف والارتباك عندما يؤتى بهم أمام السنهدريم . ولكن بدلامن ذلك فقد تكلم هاذا الشاهدان كما كان المسيح نفسه يتكلم ، بقوة إقناع عظيمة أبكمت كل خصومهم . ولكم يكن هنالك أي اثر للخوف في صوت بطرس و هو يعلن قائلا [51]

عن المسيح : «هذا هو : الحجز الذي احتقرتموه أهيا البناؤون ، الذي صار رأس الزاوية».

لقد استخدم بطرس تعبيرا مجازيا معروفا للكهنة. لقد تحدث الأنباء عنالحجر المرفوض . وإذ كان المسيح نفسه يخاطب الكهنة والشيوخ وفي إحدى المناسبات قال: «أما قرأتم قط في الكتب، الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية؟ من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا . لذلك أقول لكم :إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط

هو عليه يسحقه» (متى 21 : 42 -44)

وإذ أصغى الكهنة إلى كلمات الرسولين الجرئية «عرفوهما أنهما كان من اليسوع» (أعمال 3: 14) .

والكتاب يقول عن التلاميذ بعد تجلىالمسيح أنهم في ختام ذلك المشهد العجيب : «ولم يرواأحدا إلا اليسوع وحده» (متى : 17 ،8). «يسوع وحدة» ، هذه الكلمات تشتمل على سر الحياة والقوة اللتين بهما امتاز تاريخ الكنيسة الأولى . إن التلاميذ عندما سمعواأقوال المسيح أول مرة، أحسوا بحاجتهم إليه . لقد طلبوه فوجدوه وتبعوه. كانو معه في الهيكل وعلى المائدة وعند سفح الجبل وفي الحقل . كانو كالتلاميذ مع معلمهم، فكانو يتلقون منه كل يوم دروس الحق الأبدي .

وبعد صعود المسيح كانوا لايزالون يحسون بحضور الله معهم ذلك الحضور المليء بالحب والنور . وقد كان حضورا شخصيا . فيسوع المخلص الذي سار وتحدث وصلى معهم ، والذي خاطب قلوبهم بكلام الرجاء والعزاء ، إذ كانت رسالة السلام على شفتيه أخذ من بينهم الى السماء . وإذ أخذته مركبة الملائكة ذكروا كرمه القائل : «ها أنا معكم كل الأيام إلى [52] انقضاء الدهر» (متى 28 : 20). وقد صعد إلى السماء في هيئة بشرية لقد عرفوا أنه أمام عرش الله ، ولايزال صديقهم ومخلصهم، وأن عواطفه نحوهملم تتغير ، وأنه سيكون متحدا إلى الأبد بالبشرية المتألمة. وعرفوا أنه يقدم أمام الله استحقاق دمه ، ويكشف عن يديه ورجليه المثقوبتين كتذكارللثمن الذي قدمه لأجل مفديه . هذا الفكر منحهم القوة على احتمال العار لأجله. وصار اتحادهم به أقوى الآن مما كان حين عاش معهم شخصيا. إن النور والمحبة والقوة المنبثقة من سكنى المسيح فيهم جعل النور يشع منهم ، حتى أن الناس إذ شاهدوا ذلك تعجبوا.

لقد وضع المسيح ختمه على الكلمات التي تكلم بها بطرس دفاعا عنه . وقد وقف الجرل الذي شفي بكيفية معجزية إلى جوار بطرش كشهادة مقنعة . إن منظر هذا الرجل الذي كان منذ ساعات قليلة أعرج عاجزا. ولكنه صار الآن يتمتع بكامل الصحة ، أضاف شهادة قوية إلى أقوال بطرس .لقد صمت الكهنة والرؤساء إذ كانو عاجزين على تفنيد تصريح بطرس ، ومع ذلك فإنهم لم يكونوا أقل إصرارا على إيقاف تعليم التلاميذ .

إن معجزة المسيح الأخيرة التي توجت على معجزاته الأخرى- أي معجزة إقامة لعازر- ختمت على تصميم الكهنة لحرمان العالم من يسوع وآياته العجيبة التي كانت تعجل بتقويض نفوذهم على الشعب . لقد صلبوه، ولكن هاهو برهان مقنع على أنهم لم يستطيعوا إيقاف صنع المعجزات باسمه ولاإذاعة الحق الذي علم به . وهاهي جوانب مدينة أورشليم قد اهتاجت على أثر كرازة الرسولين وإذاعة نبأ شفاء الأعرج و انتشاره في كل مكان .

فلكي يخفوا حيرتهم وارتباكهم أمر الكهنة والرؤساء بإخراج الرسولين ليتشاوروا في الأمر فيما بينهم . وقد أجمع رأيهم على أنهم عبثا يحاولون إنكار [53] حقيقة كون الرجل قد شفي . كانوا سيسرون لو تكمنوا من إخفاء المعجزة بالأكاذيب ، ولكن ذلك كان أمرا مستحيلا لأن المعجزة ص صنعت في وضح النهار أمام جمهور من الشعب وقد علم بخبرها آلاف من الناس . وقد أحسوا أن عمل التلاميذ ينبغي إيقافه وإلا فإن أناسا كثيرين سيتبعون يسوع. وسيلحقهم العار بعد ذلك لأ،هم سيتهمون بقتل ابن الله .

ولكم برغم تحرقهم لقتل التلميذين وإهلاكهما لم يجرؤ الكهنة إلاعلى تهديدهما بأقسى العقوبات إذا استمرا ينطقان أو يخدمان باسم يسوع . فإذ استدعوهما ليمثلا مرة أخرى أمام السنهدريم أمروهما ألا ينطقا ويعلما باسم يسوع . ولكن بطرس ويوحنا أجاباهم قائلين «إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من اله ، فاحكموا . لأننا نحن لايمكننابما رأينا وسمعنا» .(أعمال 4 : 19 ، 20) . كم كان سيسر الكهنة بمعاقبة هذين الرجلين على ولائهما الذي لايميل ولاينحرف لدعوتهما المقدسة . ولكنهم كانوا يخافون الشعب : «لأن الجميع كانوا يمجدون الله على ماجرى» (أعمال4 : 21) وهكذا أطلق سراح الرسولين بعد تكرار

التهديدات والتصويات.

بينما كان بطرس ويوحناسجينين فالتلاميذ الآخرون لعلمهم بخبث اليهود كانوا يصلون بلا انقطاع لأجل أخويهم إذ كانو يخشون لئلا تتكرر القسوةالتي عوملبها المسيح .وحالما أطلقالرسولان ذهبا إلى باقي التلاميذ وأخبراهم بنتيجة التحقيق . وإذ كان فرح المؤمنين عظيما «رفعوا بنفس واحدة صوتعا إلى الله وقالو : «أيها السيد ،أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها . القائل بفم داود فتاك : لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالباطل؟ قامت ملوك الأرض ، واجتمع الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه لأنه بالحقيقة [54] اجتمع على فتاك القدوس يسوع . الذي مسحته ، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل ليفعلوا كل ماسبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون .

«والآن يارب ، انظر إلى تهديداتهم ، وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة . بمد يدك للشفاء ، ولتجر آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع»» (اعمال4 : 24 — 30).

صلى التلاميذ لكي ينالو مزيدا من القوة في عمل الخدمة ، لأنهم رأوا أنهم سيواجهون نفس المقاومة العنيدة التي واجهها المسيح كان على الأرض . وعندما كانت الصلاة التي رفعوها بنفس واحدة تصعد بالإيمان إلى السماء ، جاءت الإجابة . فلقد تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من جديد من الروح القدس .فإذ امتلأت قلوبهم شجاعة خرجوا مرةأخرى ليذيعوا كلمة الله في أورشليم : «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع» (اعمال 4 : 33) . وقد بارك الله جهودهم بكيفية عجيبة .

إن المبدأ الذي لأجله وقف التلاميذ بلا خوف ، عندما أعلنوا ، جوابا على الأمر الصادر إليهم بألا ينطقوا مرة أخرى باسم يسوع ، قائلين «إن كان حقا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله ، فاحكموا» ، هو نفس المبدأ الذي جاهد أنصار الإنجيل لتأييده في أيام الإصلاح . فعندما اجتمع الأمراء الألمان في عام 1529في مجمع سبايرز عرض أمر الامبراطور الذي ضيق الخنق على الحرية الدينية ونهى عن نشر العقيدة المصلحة فيما بعد . وقد بدا كأن رجاء العالم كان على وشك الإنهيار فهل يرضي الأمراءبهذا الأمر ؟ وهل يحجز نور الإنجيل بعيدا فتحرم منه جموع الناس الذين لازالو جالسين في الظلام ؟ إن نتيجة عظيمة لأجل العالم كانت مهددة بالخطر وقد اجتمع أولئك الذين قبلوا العقيدة المصحلة معا . وكان هذا هو قرارهم بالإجماع : «لنرفض هذا الأمر . ففي أمور الضمير لاقوة ولاسلطان للأغلبية». [55] وعلينا نحن في أيامنا هذه أن نؤيد هاذا المبدأبكل قوة . إن راية الحق والحرية الدينية التي رفعها مؤسسوا الكنيسة الإنجيلية عاليا، والتي رفعها أيضا شهود الله في غضون القرون التي مرت من ذلك الحين —— هذه الراية قد سلمتبين أيدينا في هذه الأخيرة.إن المسؤولية عن هذه العطية العظيمة تستقر على أولئك الذين قد باركهم اللهبمعرفة كلمته . فعلينا أن نقبل هذه الكلمةعلى أنهاالسلطة العليا . وعلينا أن نعتبر الحكومة البشرية معينة من الله ونعلم الناس الطاعة لها على أنها واجب مقدس في حدود محيطها المشروع . ولكن عندما تتعارض مطالبها مع مطالب اللهفينبغي لنا أن نطيع الله أكثرمن الناس . علينا أن نعتبر كلمة فوق كل قانون بشري. ففيما يختص بالأمورية الروحية ينبغي أن لانستبدل القول : «هكذا قال الرب» بالقول: «هذا قالت الكنيسة» أو «هكذا قالت الدولة» . يجب ان يرفع إكليل المسيح فوق كل تجان ملوك الأرض .

إنه لايطلب منا أن نتحدى السلطان . فكلامنا سواءاأكان شفهيا أو مكتوب ينبغي التأمل فيه بكل حرص وحذر لئلا يسجل علينا أن ننطق بكلام يجعلنا نبدو كأننا خصوم القانون والنظام .علينا أن لانقول ولانفعل شيئا يقطععليناالطريق بلا داع او ضرورة . وعلينا ان نتقدم باسم المسيح مدافعين عن الحقائق المسلمة لنا . فإن كان الناس ينهوننا عن مباشرة العملفحين إذ يمكننا ان نقول نفس ماقاله الرسل : «إن كان حقا أمام الله ان نسمع لكم اكثر من الله ، فاحكموا . لأننا نحن لايمكننا ان لا نتكلم بمارأينا وسمعنا». [56] [57]

الفصل السابع

تحذير ضد الرياء

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال 4 : 32 _ 5 : 11).

إن التلاميذ إذ أذاعو حق الإنجيل في أورشليم شهد الله لكلامهموآمن جمع من الناس . وكثيرون من هؤلاء المؤمنين الأولين قطعت الصلة بينهم وبين عائلاتهم وأصدقائهم في الحالبسبب تعصب اليهود الأعمى فصار من اللازم إمدادهم بالمأكل والمسكن .

والكتاب يعلن قائلا : «لم يكن فيهم أحد محتاجا» (أعمال4 : 34) ، كما يخبرنا كيف سدت الحاجة . فالمؤمنون الذين كانوا يملكون أموالا أو مقتنيات ضحوا بها بكل سرور لمواجهة الطوارئ . فإذا كانو يبيعونبيوتهم أو أراضيهم كانوا يجيئون بأثمناويضعونها عند أرجل الرسل : «فكان يزودعلى كل أحد كما يكون له احتياج» (أعمال 4 : 35) .

هذا السخاء الذي أظهره المؤمنونكان نتيجة انسكاب الروح القدس. فالمهتدون إلى الإنجيل كان لهم : «قلب واحد ونفس واحدة» (اعمال4 : 32) . إن اهتماما واحدا مشتركاسيطر عليهم ألا وهو نجاح الرسالة المسلمة لهم ، فلم يكن للطمع في حياتهم . إن محبتهم لأخوتهم وللملكوت الذي قبلوه [58] وأيدوه كان أعظيم من محتبهم للمال والأملاك . وقد شهدت أعمالهم على أنهم كانوا يعتبرون نفوس الناس أغلى قيمةمن ثروات الأرض.

وهذا مايحدث دائما عندما يتسلط روح الله على الحياة . فأولئك الذين قد امتلأت قلوبهم بمحبة المسيح سيتبعون مثال ذلكالذي من أجلنا افتقر لكي نستغنى نحن بفقره . فالمال والوقت والنفوذ-كل العطايا التي نالوها من يد الله سيقدرونها فقط على ماتكون وسيلة لتقدم عمل الإنجيل . هكذا كانت الحال في أيام الكنيسة الأولى ، وعندما يرى في الكنيسة اليوم أنه بقوة الروح قد حول الأعضاء عواطفهم عن أمور العالم وأنهميرغبون في التضحية كي يسمع بنو جنسهم الإنجيل ، فالحقائق المعلنة سيكون لها تأثير قوي على السامعين .

ولكن تصرف حنايا وسفيرة ، الذي سجله قلم الوحي ، أوجد فرقا شاسعا وتباينا حدايخالفمثال كرم المؤمنين وحبهم للخيرالأمر ، الذي وصم تاريخ الكنيسة الأولىبلطخةسوداء . فهذا الشخصان المعترفان بأنهما من التلاميذكاناقد اشتركا في امتياز سماع الإنجيل الذي كرز به الرسل . وكانا حاضرين مع بعض المؤمنين الآخرين عندما : «تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه ، وامتلا الجميع من روح القدس» على أثر الصلاة التي قدمها الرسل (أعمال 4: 31) . وقد استولى على جميع الحاضرين تبكيتعميق ، وتحت قوة تأثير روح الله المباشر تعهد حنانيا وسفيرا ان يقدما ثمن ملك لهمابعد بيعه .

ولكن حنايا وسفيرة أحزنا روح الله فيما بعد إذ خضعا لمشاعر الطمع . فبدءا يأسفان على وعدهما الذي قدماه ، وسرعان خسرا التأثير الحلو للبركة التي كانت قد أضرمتفي قلبيهما الرغبة لعمل أشياء عظيمة لأجل ملكوت المسيح . [59] وقد ظنا أنهما تسرعا وأنه ينبغي لهنا أن يفكرا في المسألةمن جديد . وقد تحدثا معا في هذا الشأن وقررا عدم الوفاء بعهدهما . ومع ذلك رأيا أن الذين باعوا أملاكهم لسد أعاوز

اخوتهم الفقراء ظفروا باحترام المؤمنين وتقديرهم ، وإذ كانا يخجلان من أن يعرف إخوتهما أن أنانيتهما جعلتمها يطمعان فيماقد تعهدا بكل وقار بتقديمه لله وتكريسه لعمله ، أصرا على بيع ملكهما والتظاهر بتقديم كل الثمن للخزانة العامة ، ولكن في واقع الأمر يبقيان جانبا كبيرا من الثمن لنفسيهما . وهكذا يضمنان معيشتهما من الخزانة العامة (المخصصة لمساعدة المحتاجين) وفي نفس الوقت ينالان تقدير إخوتهما .

ولكن الله يمقت الرياءوالكذب . لقد لجأ حنانياوسفيرة إلى الغش في معاملتهما مع الله وكذا على الروح القدس فافتقدت خطيتهما بدينونة سريعة ورهيبة . فعندما جاء حنانيا بعطيته قال له بطرس: «ياحنانيا ، لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل .؟ أليس وهو باق كان يبقى لك ؟ ولما بيع ، ألم يكن في سلطانك ؟ فما بالك وضعت في قلبك هاذا الامر ؟ أنت لم تكذب على الناس بل على الله .

«فلما سمع حنانيا هذا الكلام وقع ومات . وصار خوف عظيم على الجميع الذين سمعوا بذلك» (أعمال5:3-5)

لقد سأله بطرس قائلا : «أليس وهوباق كان يبقىلك ؟» إن حنانيا لم يقع تحت أي ضغط غير لائق لإرغامه على التضحية باملاكه للخير العام . فلقد اتخذ قراره بمحض اختياره . ولكنه إذ حاول أن يخدع التلاميذ كذب على الله القدير . [60]

«ثم حدث بعد مدة نحو ثلاث ساعات ، أن امرأته دخلت ، وليس لها خبر ماجرى . فأجابها بطرس قولي لي أبهذا المقدار بعتما الحقل ؟ فقالت نعم ، بهذا المقدار . فقال لها بطرس مابالكما اتفقتما على تجربة روحالرب ؟ هوذا أرجل الذين دفنوا رجلك على البا ، وسيحملونك خارجا . فوقعت في الحال عند رجليه وماتت . فدخل الشباب ووجدوها ميتة ، فحمولها خارجا ودفنوها بجانب رجلها . فصار خوف عظيم على جميع الكنسيةوعلى جميع الذين سمعوا بذلك» (أعمال5 :7 -11).

لقد رأت حكمة الله غير المحدودة أن هذا الإعلان المميز لغضب الله كان لازما لحفظ الكنيسة الفتية وصيانتها من الفساد . كان عددهم يتكاثر بسرعة وكان يمكن أن تتعرض الكنيسة للخطر لو أنها في حالة الازدياد السريع لعدد المهتدين ، ينضم إليها بعض الرجال والنساء الذين يتظاهرون بأنهم يخدمون الله وهم في الحقيقةيخدمون المال. فهذا القصاص شهد بأن الناس لايمكنهم أنيخدعوا الله ، وأنه يكتشف الخطية المستترة في القلب ولايمكن أن يشمخعليه . وقد قصد به أن يكون إنذارا للكنيسة ليجعلهم يتجنبون التصنع والتظاهر والرياء ، ويتحرسونمن سلب الله .

إن هذا المثال على بغض الله للطمع والغش والنفاق قدم كإشارة خطر ليس للكنيسة الأولى فحسب بل أيضا لكل الأجيال المستقبلة . إن الطمع هو الذي احتضنه حنانيا وسفيرة من البدء . فرغبتهما في إبقاء جزء من المالالذي كانا قد تعهدا بتقديمه للرب ساقتهما إلى الغش والرياء.

لقد جعل الله إذاعة الإنجيل تعتمد على جهود شعبه وعطاياهم . فالتقدمات التطوعية والعشور يتكون منها إيراد عمل الرب. ومن الإمكانات والأموال [61] المودعة أمنة عند الإنسان يطلب الله جزءا معينا ـــ العشر . وهو يترك للجميع كامل الحرية لأن يقولوا ما إذا كانوا يريدون تقديم جزء أكثر من هذا أو لا . ولكن عندما يتحرك قلب الإنسان بفاعلية الروح القدس وينذر أن يقدم قدر معينا لله فلا يحق له أن يستردشيئا لنفسه مما كرسه الله إذ لم يعد ملكا له . إن الوعود التي نقدمها للناس من هذا النوع توقعنا تحت التزام ، أفلام توقعنا عهودنا التي قدمانها لله تحت التزام أعظيم؟ وهل الوعود التي ينظر فيها أمام محكمة الضمير أقل التزاما من مستندات الناس المكتوبة ؟ .

عندما يشرق النور الإلهي في القلب بوضوحوقوة عاديين فإن الأنانية التي تعود الإنسان عليها ترخي من قوة قبضتها ويتولد في النفس ميل لتقديم العطايا لله . ولكن لايظنن أحد أنه سيسمح له بالوفاء بعهوده لله

دون أن يحتج الشيطان على ذلك . إنه لايسر عندما يرى ملكوت الفادي يؤسس على الأرض. فهو يقترحقائلا إن التعهد الذي قدم هو أكثر من اللازم وأنه كفيل بأن يعجزهم عن إحراز الأملاك أو إشباع رغبات عائلاتهم .

إن الله هو الذي يبارك الناس بالنجاح . وهو يفعل هذا حتى يستطيعوا أن يقدموا عطاياهم لنجاح عملهوتقدمه . إنه يرسل نور الشمس والأمطار . ويجعل النباتات والمزروعات تنمو وتزدهر . إنه يمنح الإنسان صحة وقدرة على اصطناع الثروة . فكل البركات التي نتمتع بها تأتينا من يده الكريمة السخية. وفي مقابل ذلك يريد من الرجال والنساء أن يظهروا شكرهم وعرفانهم للجميل بتقديم جزاء من أموالهم له في الشعور والتقدمات- وعطايا الشكر والتقدمات التطوعية وقربان الإثم. فلو تدفقت العطايا السخية في خزانة الرب وفقا لتلك الخطة الإلهية ـــوهو العشر من كل مدخولنا بالإضافة إلى التقدمات السخية- فسيكون هنالك فيض من البركات لتقدم عمل الرب. [62]

إلا أن قلوب الناس تتقسى بالأنانية ، وكما فعل حنانيا وسفيرة ، يحاولون هم أيضا ان يستبقوا جزاء من الثمن في حين يتظاهرون بأنهم قد تمموا مطاليب الله . إن كثيرين من الناس ينفقون ببذخ ليتمعوا أنفسهم . فالرجال والنساء يراعون ملذاتهم ويشبعون شهواتهم، في حين أنهم يقدمون لله عطاياهم الشحيحة وهم يكادون يكونون كارهين . إنهم ينسون أن الله سيحاسبهميوما ما حسابا دقيقاعن كيفية تصرفهم في عطاياه وأنه لن يقبل بعد ، العطايا الزهيدة التي يقدمونها إلى خزانته بأكثر مما قبل عطية حنانيا وسفيرة .

والله يريدنا أن نتعلم أيضا من القصاص الشديد الذي وقع على ذينك الكاذبين مقدار كرهه الشديد لكل رياء وخداع , إن حنانيا وسفيرة إذ تظاهرابأنهما قد قدما كل الثمن ، كذبا علىالروح القدسوكان من نتائج ذلك أنها خسرا هذهالحياة والحياة العتيدة أيضا . ونفس الإله الذي أوقع عليهما هذا القصاص يدين اليوم كل كذب . إن شفاه الكذب مكروهة لديه . وهو يعلن أن المدينة المقدسة «لن يدخلها شيئ دنس ولامايصنع رجسا وكذبا» (رؤيا21: 27). فلانتمسك بقول الصدق بيد مرتخية أو بقبضة ضعيفة مترددة ، بل ليكن جزءا لايتجزأ من الحياة . إن التلاعب بالحق والتظاهر بأنه يطابق خطط الإنسان الأنانية معناه ارتطام سفينة الإيمان وتحطمها : «فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق» (أفسس6 : 14) . إن من ينطق بأكاذيب يبيع نفسه بثمن بخس . قد يبدوا أن أكاذيبه تخدمه في الأزمات ، وقد يبدوا أنه بذلك ينجح في تجارته ، الأمر الذي لم يستطع تحقيقه بالعدل والإنصاف والصدق في معاملاته ، ولكنه أخيرا يصل إلى الحد الذي لايمكنه مع أن يثق في إنسان . فلأنه هو نفسه كذاب ومزور فهو لايثق فيما يقوله الآخرون . [63]

في قضية حنانيا وسفيرة عوقبت خطية الغش ضدالله بقصاص سريع . وقد ارتكبت كثيرا هذه الخطية نفسها في تاريخ الكنيسة بعد ذلك ، ولايزال كثيرون يرتكبونها في أيامنا هذه . ولكن مع أنه قد لاتصحبها أية ظاهرة على غضب الله ، فإنها ليست أقل فظاعة في نظره الآن مما كانت في عصر الرسل . لقد قدم الإنذار ، وقد أظهر الله بكل جلاء كراهيته لهذهالخطيئة ـ، فكل من يعمدون إلى الرياء والطمع يمكنهم أن يتأكدوا من أنهم إنمايهلكون أرواحهم . [64] [65]

الفصل الثامن

أمام السنهدريم

(يعتمد هذا الفصلعلى ماورد في أعمال 5 : 12 — 42)

إن الصليب ، وسيلة العار والعذاب ، هو الذي أتى بالرجاء والخلاص إلى العالم . كان التلاميذ قوما بسطاء لامال عندهم ولاسلاح عدا كلمة الله ، ومع فقد خرجوا بقوة المسيح ليخبروا الناس عن تلك القصة العجيبة ، قصة المزود والصليب وينتصروا على كل مقاومة . ومع أنهم كانوا بلا كرامة أو شهرة أرضية فقد كانو أبطال الإيمان. وقد نطقوا بأقوال الفصاحة التي هزت العالم.

وفي أورشليم التي كان التعصب فيها على أشده والتي ساده فيها أعظم الآراء المتضاربة عن ذاك الذي قد صلب كفاعل شر ، واصل التلاميذ التكلم بكلام الحياة بكل جرأة موضحين لليهود على المسيح ورسالته وصلبه وقيامته وصعوده . وبكلشهدة وحيرة استمع الكهنة والرؤساء لشهادة الرسل الواضحة الجريئة . حقا لقد استقرت قوة المخلص المقام على التلاميذ وكان عملهم مصحوبا بالآيات والمعجزات التي كانت كل يوم تزيد من عدد المؤمنين. ففي الشوارع التي كان التلاميذ يمرون فيها كان الناس يضعون المرضى «على فرش [66] واسرته ، حتى إذا جاء بطرس يخيم ولو ظله على أحد منهم» (أعمال5 : 15) .

وكان يؤتي إلى هناك أيضا بالمعذبين من أرواح نجسة . وقد تجمهرت جموع الناسحولهم والذين شفوا منهم كانو يهتفون تمجيدا لله ممجدين اسم الفادي .

وقد رأى الكهنة والرؤساء أن المسيح قد تمجد أكثر منهم . أما الصدوقيون ، الذين لم يكونوا يؤمنون بالقيامة ، فإذ سمعوا الرسل يعلنون أن المسيح قد قام من الأموات غضبوا ، متحققيين أنه إذا سمح للرسل بأن يكرزوا بالمخلص المقام ويصنعوا معجزات باسمه فإن جميع الناس سيرفضون العقيدة التي تنكر القيامة وسرعان ماتستأصل شيعة الصدوقيين . أما الفريسيون فقد غضبوا إذ لاحظوا أن نزعة كرازة التلاميذ كانت تهدف إلى تقويض الطقوس اليهودية وجعل الذباح الكفارية عديمة التأثير.

وإلى ذلك الحين لم تفلح كل الجهود التي بذلت لكبت هذا التعليم الجديد وقمعه . أما الآن فقد قرر كل من الصدوقيين والفريسيين إيقاف عمل التلاميذ لأنه قد برهن على أنهم قد أجرموا بقتلهم المسيح يسوع . فإذ امتلأ الكهنة غضبا ألقو الأيادي على بطرس ويوحنا ووضعوهما في حبس العامة .

إن رؤساء الأمة اليهودية قد أخفقوا إخفاقا فاضحا في إتمام مقاصد الله نحو شعبه المختار . فأولئك الذين قد جعلهم الله حفاظا على الحق برهنوا على عدمأمانتهم لتلك الوديعة فاختار الله قوما آخرين ليقوموا بعمله .

إن هؤلاءالقادمة في عماهم أطلقوا الآن العنان لما سموه بالغضب العادل على أولئك الذين ألقوا جانبا عقائدهم المحبوبة .أنهم لم يريدوا أن يعترفوا حتى بإماكنية كونهم هم أنفسهم لم يفهمواالكلمة فهما صائبا صحيحا أو أنهم حرفوا أو أساءوا تطبيق ماجاء في الكتب المقدسة.وقد تصرفوا تصرف من قد ضاعت [67] عقولهم . فقالو : بأي حق يقدم هؤلاء المعلمون آراء مناقضة لما قد علمنا بهالشعب ، مع أن

بعضامنهم لايزيدون عن كونهم صيادين .؟ فإذأصروا على وضع حد للتعليم بهذه الآراء ، ألقوافي السجن بمن كانوا ينشرونها .

ولكن التلاميذ لم يجبنوا ولا انسحقت نفوسهم من هذه المعاملة . فلقد ذكرهم الروح القدس بالأقوال التي قالها لهم المسيح«اذكروا الكلام الذيقلتهلكم : ليس عبد أعظم من سيده . إن كانو قد اضطهدونيفسيضطهدونكم ، وإن كانوا قد حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم . لكنهم إنما يفعلون لكم هذا كله من أجل اسمي ، لأنهملايعرفون الذي ارسلني» «سيخرجونكم من المجامع ، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكمأنه يقدم خدمة لله» «لكني قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أني أنا قلته لكم» (يوحنا15 : 20 ، 21، 16 2 ، 4).

إن إله السماء ، حاكم المسكونة العظيم، أخذ مسألة وضع التلاميذ في السجن بين يديه لأن الناس كانوا يحاربون عمله. ففي الليل فتح ملاك الرب أبوابالسجن وقال للتلاميذ : «اذهبوا قفوا وكلموا الشعبفي الهيكل بجميع كلام هذه اليحاة» (أعمال5 : 2) . كان هذاالأمر مناقضا تماما لما أمرهم به الرؤساء ، ولكن هل استعفى الرسل قائلين : إننا لانستطيع أن نفعل هذا قبلما نستشير الحكام ونحصل على إذن منهم .؟كلا فلقد قال لهم الله : «اذهبوا»فأطاعوا امره : «دخلواالهيكل نحوا الصبح وجعلوا يعلمون» (عدد 21).

عندما جاء بطرس ويوحنا وظهراء بين المؤمنين وقصا عليهم كيف قادهما الملاك في وسط فرقة الجنود الذين كانوا يحرسون السجن ، وأمرهما بأن يستأنفا العمل الذي كان قد توقف ، امتلأ الإخوة دهشة وفرحا . [68]

وفي أثناء ذلك الوقت «جاء رئيس الكهنة والذين معه ودعوا المجمع وكل مشيخة بني إسرائيل» (عدد 21) . لقد قرر الكهنة والرؤساء أن يثبوا على التلاميذ تهمة العصيان والثورة ، وأن يتهموهم بتقل حنانيا وسفيرة ، والتآمرعلى تجريد الكهنة من سلطتهم . وقد كانوا يؤملون أنهم لذك سيثيرون ثائرة الرعاع ليتولوا الأمر ويعاملوا التلاميذ كما قد عاملوا يسوع . كانوا يعلمون أنكثيرين ممكن لم يقبلوا تعاليم المسيح كانوا متبرمين بالحكم التعسفي الذي فرضته عليهم السلطات اليهودية ومشتاقين إلى حدوث تغيير . وكانه الكهنة يخشون من أنه لو قبل هؤلاء المتذمرون الحقائق التي يكرز بها الرسلواعترفوا بيسوع كالمسيا فإن غضب الشعب كله سيشتعل ضد الرؤساء الدينيينالذين سيحاكمون على قتلهم المسيح . فصمموا على اتخاذ اجراءات قوية ليمنعوا حدوث هذا .

وعندما أرسلوا يطلبون أن يمثل الأسرى أمامهم كانت دهشتهم عظيمة عندما جاء من يخبرهم أن أبوب السجن كانت مغلقة بكل حرص وأن الحراس كانوا واقفين خارجا على حراستهم ، ولكنهم لما فتحوا الأبوابلم يجدوا السجناء .

وسرعان ماوصلهم الخبز المدهش القائل : «هوذا االرجال الذين وضعتموهم في السجن هم في الهيكل واقفين يعلمون الشعب . حينئذ مضى قائد الجند مع الخدام فأحضرهم لا بعنف ، لأنهم كانو يخافون الشعبلئلا يرجموا» (عدد 25 ، 26) .

ومع أنالرسل خرجوا من السجن بطريقة معجزية فإنهم لم يعفوا من الفحص والقصاص . ولكن المسيح كان قد قال لهم وهو معهم : «فانظروا إلى نفوسكم . لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس» (مرقس13 :9). إن الله إذ أرسل اليهم ملاكا ليخرجهم من السجن قدم لهم البرهان على محبته لهم ويقين حضوره معهم . والآن فها قد جاء الوقت الذي قيه يتألمون لأجل ذاك الذي كانوا يكرزون بإنجليه . [69]

في تاريخ الأنبياء والرسل يوجد كثير من الأمثلة النبيلة على الولاء لله . لقد احتمل شهود المسيح الجسن والعذاب والموت، مفضلين ذلك على كسر أوامر الله . إن مثال بطرس ويوحنا إنما يدل على البطولة كأي مثال آخرفي عهد الإنجيل .فإنهما إذ وقفا للمرة الثانية أمام أولئك الرجال الذي كانو يصرون

على إهلاكهما لم يظهر في كلامهما أو مقفهما أي أضر للخوف أو التردد . وعندما قال رئيس الكهنة : «أماأوصيناكم وصية أن لاتعلموا بهذاالاسموها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم ، وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الانسان» ، أجاب بطرسقائلا : «ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس» (عدد28 — 29) . إن ملاكا من السماء هو الذي أخرجهم من السجن وأمرهم أن يعلموا في الهيكل ، فإذ أطاعوا توجيهاته كانوا يطيعون أمر الله وهذا ما سيوظبون على عمله مهما كلفهم ذلك .

حينئذ حل روح الإلهام على التلاميذ فالمشتكي عليهم صاروا مشتكين إذ ألقوا تبعة قتل المسيح على أعضاء المجم . فقال بطرس : «إله آبائنا أقام يسوع الذي أنتم قتلتموه معلقين إياه على خشبة .هذا رفعه الله بيمينه رئيسا ومخلصا ليعطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا . ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضا ، الذي أعطاه الله للذين يطيعونه» (عدد 30 -32).

وقد كان حنق اليهود بسبب هذه الأقوال عظيما بحيث صمموا على تنفيذ القانون بأنفسهم وبدون محاكمة أهرى وبدون انتظار قرار من السلطان الرومانية لتقل أولئك الأسرى . فإذكانت قد ثبتت عليهم تهمة قتل المسيح كانوا يتوقون الآن أن يلطخوا أيدهم بدم تلاميذ .

ولكن كان يوجد في المجمع رجل ميز صوت الله في الكلمات التي نطق بها . التلاميذ :كان هاذا الرجل هو غمالائيل الفريسي ذو السمعة الطيبة ورجل العلم والمكانة الرفيعة . رأى هذا الرجل بذهنه الصافي أن الإجراء القاسي العنيف [70] الذي كان الكهنة يفكرون في اتخاذه عنه عواقب وخيمة . فقبلما خاطب الحاضرين طلب إخراج الأسرى من ذلك المكان . لقد اختبر جيدا العناصر التي كان عليه أن يتعامل معها وعلم أن قاتلي المسيح لن يترددوا في تنفيذ نواياهم . فجعل يخاطبهم بكل حرص وهدوء قائلا : «أيها الرجال الإسرائيليون ، احترزا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس في ما أنتم مزمعون أن تفعلوا . لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلا عن نفسه إنه شيئ ، الذي التص به عدد من الرجال نحو أربعمئة ، الذي قتل ، وجميع الذين انقادوا إليه تبدووا وصارو لاشيئ . بعد هذا قام يهوذا الجليلي في أيام الاكتتاب ، وأزاغ وراءه شعبا غفيرا . فذلك أيضا هلك وجيمع الذين انقاذوا إليه تشتتوا . والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لأنه إن كان هذا الرأيأو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وإن كان من اللهفلا تقدرون أن تنقضوه لئلاتوجدوا محاربين لله أيضا» (عدد35 -39) .

وقد رأى الكهنة أن هذه الآراءمعقولة فاضطروا للانقياد إلى غمالائيل . ومع ذلك فإنهم بالكاد كانوا يستطيعون ضبط تعصبهم وكراهيتهم . فبنفور وتردد عظيم أطلقوا التلاميذ بعدما جلدوهم وبعدما أوصوهم من جدد ألا يكرزا مرقباسم سيوع وإلا فجزاؤهميكون الموت : «واما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع ، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه. وكانوا لايزالون كل يوم في الهيكلوفي البيوت معلمين ومبشرين بيسوعالمسيح»(عدد 41 42).

إن المسيح قبيل صلبه كان قد أورث تلاميذه ميراث السلام . فقد قال لهم «سلاما أترك لكم . سلامي أعطيكم . ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا . لا تضطرب قلوبكم ولاترهب» (يوحنا14 : 28). [71]

ولكن هذا السلام لايأتي عن طريق مشاكلة العالم . فالمسيح لم يشتري السلام قذط بالتواطؤ مع الشر . فالسلام الذي تركه المسيح لتاميذه هو سلام يبنع من الداخل لامن الخارج واكن سيبقى مع شهوده في وسط النزاع والصراع .

لقد قال المسيح عن نفسه «لاتظنوا أني جئت لألقي سلاما على الأرض . ماجئت لألقي سلاما بل سيفا» (متى 10 : 34) . فرئيس السلام كان لايزال هو سبب الانقسام فذلك الذي جاء ليذيع الأخبار السارة ويولد الرجاء والفرح في قلوب بنى الإنسان، فتح باب للصراع الذي يحرق في الأعماق ويثير أعنف الانفعالات في القلب البشري . وهو ينذر تابعيه قائلا «في العالم سيكون لكم ضيع» ، «يلقون أيديهمعليكم

ويطردونكم ، ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي». «وسوف تسلمون من الوالدين والإخوة والأقرباء والأصدقاء ، ويقتلون منكم» (يوحنا 16 : 33 ، لوقا21 : 12 ، 16) .

وقد تمت هذه النبوة بكيفية ملحوظة . فكل إهانة وعار وقسوة أمكن للشيطان أن يحرض الناس على ابتكارها وقعت على أتباع يسوع . وستتم النبوة أيضا بكيفية ملحوظة، لأن القلب الشهواني لايزال يقف موقف العداء لشريعة الله ولن يخضع لأوامرها . فالعالم ماعاد في حالة وفاق مع مبادئ المسيح اليوم كان كان في أيام الرسل . فنفس العداوة التي أوعزت إلى الناس بأن يصرخوا قائلين : «اصلبه، اصلبه» ونفس العداوة التي دفعتهم لاضطهاد التلاميذ لاتزال تعمل في أبناء المعصية . إنها نفس الروح التي وجدت في العصور المظلمة والتي أرسلت الناس إلى السجون و إلى المنفى وإلى الموت ، والتي ابتكرت عذابا محكمة التفتيش الرهيبة .، والتي رسمت خطت مذبحة سان بارثولوميوونفذتها ، والتي أضرمت النار في ساحة سميث فيلد . هذه الروح لاتزال تعملبنشاط خبيث في قلوبالمتجددين. إن تاريخ الحق كان ولايزال دائما سجلا للحرب بين [72] الصواب والخطأ. وإن الكرازة بالإنجيل قام بها أصحابها وانتشرت في هذا العالم في وجه المقاومة والخطر والخسائر والآلام.

وماذا كانت قوة أولئك الذين قاسوا آلام الاضطهاد لأجل المسحي ؟ لقد كانت هي قوة الاتحاد بالله وبالروح القدس وبالمسيح. لقد فصل العار والاضطهاد كثيرين عن أصدقائهم الأرضيين ولكنها لم تستطع أن تفصل بينهم وبين محبة المسيح . ومامن وقت تكون فيه النفس المعرضة لعواصف التجربة أحب إلى قلب مخلصها أكثر مما عندما تقاسي العار لأجل الحق. قال المسيح : «وأنا أحبه ، وأظهر له ذاتي» (يوحنا14 :21) .فعندما يقف المؤمن أمام المحاكم الأرضية لأجل الحق فالمسيح يقف إلى جانبه . وعندما يلقى في غياهب السجن ويكون حبيس زنزانة ضيقة ، فالمسيح يظهر له ذاته ويفرح قلبه بمحبته . وعندما يكون لأجل المسيح فالمخلص يقول له : قد يقتلون الجسد أما النفس فلا يقدرون أن يسموها : «ثقوا أنا قد غلبت العالم» . «لاتخف لأني معك . لاتتلفت لأني إلهك . قد أيدتك وأعنتك وعضدتك وبيمين بري» (يوحنا16 : 33، إشعياء 41 : 15).

«المتوكلون على الرب مثل جبل صهيون ، الذي لايتزعزع ، بل يسكن إلى الدهر . أورشليم الجبال حولها ، والرب حول شعبه من الآن وإلى الدهر» ، «من الظلم والخطف يفدي أنفسهم ، ويكرم دمهم في عينيه» (مزمور125 : 1، 2 ، 72 :14).

«رب الجنود يحامي عنهم ...ويخصلهم الرب إلههم في ذلك اليوم كقطيع شعبه ، بل كحجارة التاج مرفوعة على أرضه» (زكريا 9: 15 ،16) [73]

الفصل التاسع

الشمامسة السبعة

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال6 : 1-7) .

«وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ ، حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يغفل عنهن في الخدمة اليومية»(أعمال 6 : 1).

كانت الكنيسة الأولى مكونة من طبقات كثيرة من الناس ،من جنسيات مختلفة . وعند انسكاب الروح القدس في يوم الخمسين «كان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم»(أعمال 2 : 5) . وكان بين منيدينون بالعقيدة العبرانية ممكنا كانوا مجتمعين في أورشليم جماعة من اعتاد أن يسموهم يونانيين ، وكان بينهم وبين يهود فلسطين عدم ثقة تطورت فصارت خصومة .

إن قلوب الذين اهتدوا على أيدي الرسل لينتها المحبة المسيحية ووحدتها . فبرغم التعصب السابق كان الجميع في حالة وفاق مع بعضهم البعض .و قد عرف الشيطان أنه طالما بقي ذلك الاتحاد فسيكون عاجزا عن صد تقدم حق الإنجيل . وقد حاول الاستفادة من عادات التفكير القديمة آملا أنه بواسطتها سيتمكن من دس عناصر الشقاق في الكنيسة . [74] وهكذا حدث أنه إذ تكاثر التلاميذ أفلح العدو في إثارة شكوك بعض من اعتادو قبلا أن ينظروا إلى إخوتهم في الإيمان بعين الحسد ، محاولين أن يكتشفوا غلطة في حياة قادتهم الروحيين، وهمذا «حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين» وكان سبب الشكوى هو الادعاء بأن الأرامل اليونانيات قد أهمل أمرهن في الخدمة اليومية. إن أي تحيز أو عدم مساواة هو مغاير لروح الإنجيل ، ومع ذلك فقد أفلح الشيطان في إثارة الشكوك .. فلا بد من اتخاذ إجراءات سريعة الآن لإزالة كل أسباب التذمر لئلا ينتصر العدو في سعيه لإحداث انقسام بين الإخوة .

إن تلاميذ يسوع قد واجهتهم أزمة في اختبارهم . ولكن تحت القيادة الحكيمة للرسل الذين عملوا معا متحدين بقوة الروح القدس ، فالعمل المسلم لرسل الإنجيل كان ينمو ويتقدم بسرعة . كانت الكنيسة تتسع بدون توقف وهذا النمو فيالعضوية جلب أعباء لاتنقطع على الذين أنيط العمل بهم . ولم يكن ممكنا لرجل أو حتى لمجموعة من الرجال أن يواصلو تحمل هذه الأعباء وحدهم دون أن يعرضوانجاح الكنيسة في المستقبل للخطر . فعلى الرسل الآن أن يتخذوا خطوة هامة نحو إكمال نظام الإنجيل في الكنيسة بوضع بعض الأعباء على كاهل قوم آخرين-تلك الأعباء التي كانوا حتى ذلك الحين يضطلعوا بها وحدهم .

فإذ دعا الرسل المؤمنين لحضور اجتماع ، أرشدهم الروح القدس لرسم خطة لتنظيم أفضل كل قوات الكنيسة العاملة.قال الرسل إنه قد جاء الوقت الذي فيه يعفى القادة الروحيون الذين هم الإشراف على الكنيسة من عمل التوزيع على الفقراء وماشابهه من الأعباء بحيث يتفرغون لعمل الكرازة بالإنجيل . فقالوا : «فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم ، مشهودا لهم ومملوين من الروح القدس وحكمة ، فنقيمهم على هذه الحاجة . وأما نحن فنوظب على الصلاة [75]

وخدمة الكلمة» (عدد 3 ،4) . وقد أتبعت هذه النصيحة ، وعن طريق الصلاة ووضع الأيدي تم اختيار سبعة رجال وأفرزوا بكل وقار لواجباتهم كشمامسة .

إن تعيين أولئك السبعة ليقوموا بعملية الإشراف على نواحي العمل الخاصة برهن على كونه بركة كبيرة للكنيسة . فقد أبدى المعينون للخدمة اعتبارا وحرصا نحو حاجات الأفراد كالاعتبار الذي أبدوه نحو مصالح الكنيسة المالية . وبفضل تدبيرهم الحكيم ومثالهم المقدس كانوا عونا هاما لزملائهم في ربط مصالح الكنيسة المختلفة معا في وحدة كاملة.

وقد دلت النتائج الباهرة التي تجلت سريعا ذلك ، على أن هذه الخطو كانت هي نظام الله وجاءت بإرشاده وموافقته . ويقول الكتاب : «وكانت كلمة الله تنمو ، وعدد التلاميذ يتكاثر جدا في أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان» (عدد 7). إن حصاد النفوس هذا يعزي إلى أمرين — الحرية العظمى التي كفلها الرسل ، وإلى الغيرة والقوة اللتينأظهرهما الشمامسة السبعة . إن حقيقة كون هؤلاء الأخوة قد رسموا للعم الخاص ألا وهو الاهتمام بحاجاتالفقراء لم يحرمهم من تعليم الناس مبادئ الإيمان . بل على العكس فقد كانو مؤهلين أهلية كاملة لتعليم الحق للآخرين، فاشتغلوا في ذلك العمل بغيرة ونجاح عظيمين .

لقد أوكل إلى الكنيسة الأولى عمل كان يتسع مداه بلا توقف- ألا وهو إقامة مراكز للنور والبركة أينما وجدت نفوس أمينة راغبة في تكريس ذاتها لخدمة المسيح . إن إذاعة بشرى الإنجيلكانت ستشمل العالم كله في اتساع مداه ن ولم يكن رسل الصليب يؤملون أن يتمموا رسالتهم الهامة ما لم يظلوا متضامنين في وحدة مسيحية وثيقة ، وهكذا يعلنون للعالم أنهم واحد مع المسيح في الله . ألم يصل قائدهم الإلهي إلى الآب قائلا : «احفظهم في اسمك [76] الذين أعطيتني ، ليكونوا واحدا كما نحن» (يوحنا 17 : 11) . أولم يعلنعنتلاميذه قائلا : «والعالم أبغضهم لأنهم ليسوا من العالم» (يوحنا 17 : 14) .ألم يتوسل لأجلهم إلى الآب قائلا : «ليكونوامكملين إلى واحد» (عدد 23) «ليؤمن العالم أنك أرسلتني» (عدد 21). إن حياتهم وقوتهم الروحية كانت موقوفة على الارتباط الوثيق بذاك الذي قد أرسلهم ليكرزوا بالإنجيل .

وعلى قدر ماكانوا متحدين بالمسيح كان التلاميذ يرجون أن تصبحهم قوة الروح القدسويتعاون معهم ملائكة السماء . فبمساعدة هذه العوامل الإلهية كان يمكنهم أن يظهروا أمام العالم كجبهة متحدة وينتصروا في الحرب الدائمة التي كانوا مضطرين لخوض غمارها ضد قوات الظلمة . وإذ كان عليهم أن يظلوا متضامنين في العمل معا فإن رسل السماء كانواسيسيرونفي طليعتهم ليفتحوا الطريق أمامهم ، والقلوب كانت ستجهز أيضا لقبول الحق ، وكثيرون كانوا سيربحون للمسيح . وطالما كانوا متحدينفإن الكنيسة ستسير قدما : «جميلة كالقمر ، طاهرة كالشمس ، مرهبة كجيش بألوية» (نشيد6: 10) . ولم يكن أي شيئ يستطيع أن يتصدى لها في تقدمها إلى الأمام . وستسير الكنيسة من نصرة إلى نصرة متممة رسالتها الإلهية في الكرازة بالإنجيل للعالم بكيفية مجيدة .

كان نظام الكنيسة في أورشليم مزمعا أن يكون نموذا للنظام الكنائس في كل الأماكن الأخرى حيث كان رسل الحق سيربحون نفوسا إلى الإنجيل . ولكن أولئك الذين وضعت عليه مسؤلية الإشراف العام على الكنيسة لم يكن لهم أن يتسلطوا على ميراث الله ، بل كرعاة حكماء كان عليهم أن «ارعوا رعية الله ..صائرين أمثلة للرعية» (1 بطرس 5 : 2، 3). أما الشمامسة فينبغي أن يكونوا رجالا : «مشهودا لهومملوين من الروح القدس وحكمة» (أعمال 6 : 3 [77]) . كان على أولئك الرجال أن يتخذوا موقفهم متحدين معا في جانب الحق ، وأن يحتفظوا بموقفهم بثبات وتصميم . إذ بهذه الكيفية يكون لهم تأثير موحد على العرية كلها . في التاريخ اللاحق للكنيسة الأولى ، عندما انتظمت جماعات كثيرة من المؤمنين في كنائس منتشرة في أنحاء العالم المختلفة، صار نظام الكنيسة أقرب إلى الكمال حتى أمكن الاحتفاظ بالنظام والعمل المتوافق . وقد نصح كل عضو بأن يؤدي دوره على الوجه أكمل ، وأن يحسن استخدام المواهب والوزنات المسلمة له . كان الروح القدس قد وهب بعضا منهم مواهب خاصة «أولا رسلا،ثانيا أنبياء ، ثالثا معلمين ، ثم قوات ، وبعد ذلك مواهب شفاء أعوانا ، تدابير ، وأنواع ألسنة» (1 كورنثوس 12 :28) .

ولكن كان يجب على كل هؤلاء العمال المختلفين أن يعملوا معا في توافق وانسجام .

«فأنواع مواهب موجودة ، ولكن الروح واحد . فأنواع مواهب موجودة ولن الروح واحد. وأنواع أعمال موجودة ، ولكن الله واحد ، الذي يعمل الكل في الكل . ولكنه لكل واحدة يعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخركلام علمبحسب الروح الواحد . ولآخر إيمان بالروح، ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد .ولآخر عملقوات ، ولآخر نبوة ، ولآخر تمييز الأرواح ولآخر أنواع ألسنة ، ولآخر ترجمة ألسنة . ولكن هذه كلها يعملهاالروح الواحد بعينه ، قاسما لكل واحدبمفرده ، كما يشاء . لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد ، كذلك المسيح أيضا» (1 كورنثوس 12 : 4 -12). [78]

إن التبعات الملقاة على عواتق أولئك المدعوين ليقوموا بدور القيادة في كنيسة الله على الأرض هي تبعات لها خطورتها . في أيام الحكومة الإلهية عندما كانموسى يحاول أن ينهض وحده بأعباء ثقيلة جدا أنهكت قوه بسرعة ، أشار عليه يثرون بأن يرسم خطة حكيمة لتوزيع المسؤوليات . فنصحه يثرون قائلا: «كن أنت للشعب أمام الله ، وقدم أنت الدعاوي إلى الله . وعلمنهم الفرائض والشرائع ، وعرفهم الطريق الطي يسلكونه ، والعمل الذي يعملونه» وبالاضافة الى ذلك نصحه أن يقيم رجالا «رؤساء ألوف ، ورؤساء مئاب ، ورؤساء خماسين ، ورؤسات عشرات». وكان ينبغي أن يكون هؤلاء «ذوي قدرة خائفين اللهأمناء مبغضين الرشوة» وكان عليهم أن «فيقضون للشعب كل حين» (خروج 18: 19-22) ، وبهذا أراح موسى المسؤولية المنهك، مسؤولية فحص مسائل صغيرة كثيرة يمكن أن تحل بحكمة بواسطة مساعدين مكرسين .

إن أولئك الذين قد وضعتهم عناية الله في مراكز المسؤولية الرئيسية في الكنيسة ينبغي أن يصرفوا الوقت والقوة في النظر في أخضر المسائل التي تتطلب حكمة خاصة ودراية. فليس في نظام الله أن يطلب من هؤلاء الناس تنظيمالمسائل الصغيرة التي يمكن لغيرهم من ذوي الكفاءة ان يعالجوها . لقد اقترح يثرون على موسى قائلا : «يكون أن كلالدعاوي الكبيرة يجيئون بها إليك ، وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها . وخفف عن نفسك ، فهم يحملون معك . إن فعلت هذا الأمر وأوصاك الله تستطيع القيام . وكل هذا الشعب أيضا يأتي إلى مكانه بالسلام«(خروج 18 : 22 ، 23°).

وتمشيا مع هذه الخطة «واختار موسى ذوي قدرة من جميع إسرائيل وجعلهم رؤوسا على الشعب ، رؤوسا ألوف ، ورؤساء مئات ، ورؤساء خماسين [79] ورؤساء عشرات . فكانو يقضون للشعبكل حين . الدعاوي العسرة يجيئون إلى موسى ، وكل الدعاوي الصغيرة يقضون هم فيها» (خروج 18 : 25 ، 26).

وبعد ذلك عندما اختار موسى سبعين شيخا ليشتركوا معه في مسؤوليات القيادة كان حريصا بأن يختار لمساعدته رجالا ذوي كرامة وحكم صائب وخبرة. وفي وصيته لهؤلاء الشيوخ عند إقامتهم ، لخص بعضا من المؤهلات التي تؤهل الإنسان ليكون رئيسا حكيما في الكنيسة فقال : «اسمعوا بين إخوتكم واقضوا بالحق بين الإنسان وأخيه ونزيله. لاتنظروا إلى الوجوه في القضاء . للصغير كالكبير تسمعون. لاتهابوا وجه إنسان القضاء لله» (تثنية 1 : 16 ، 17).

والملك داود قرب نهاية ملكه قدم وصية مقدسة لأولئك الذين كانوا يضطلعون بعمل الله في عهده. فإذ جمع إلى أورشليم «رؤساء إسرائيل ، رؤساء الأسباط، ورؤساء الفرق الخادمين الملك ، ورؤساء الألوف ورؤساء المئات ، ورؤساء كل الأموال والأملاك التي للملك ولبنيه ، ومع الخصيان والأبطال وكل جبابرة البأس».فذلك الملك الشيخ أوصاهم بكل وقار قائلا : «في أعين كل إسرائيل محفل الرب ن وفي سماع إلهنا ، احفظوا واطلبوا جميع وصايا الرب إلهكم» (1 أخبار 28 : 1، 8).

أما لابنه سليمان الذي كان مدعوا ليشغل مركزا ذا مسؤولية هماة فقد قدم داود وصية خاصة فقال :

«وانت ياسليمان ابني ، اعرف إله أبيك واعبده بقلب كامل ونفس راغبة، ولأن الرب يفحص جميع القلوبويفهم كل تصورات الافكار . فإذا طلبته يوجد منك ، وإذا تركته يرفضك إلى الأبد .انظر الآن لأن الرب اختارك..فتشدد» (1 أخبار 28 : 9 ،10). [80]

إن نفس مبادئ التقوى والعدالة التي كانت مرشدا لرؤساء شعب الله في عهد موسى وداود كان يجب أن يتبعها أولئك الذين أعطي لهم حق الإشراف والمناظرة على كنيسة الله المنظمة حديثا في عهد الإنجيل . وفي عمل تنظيم الأمور في كل الكنائس وإقامة رجال لائقين ليعلموا كموظفين ورؤساء ، تمسك الرسل بمثل القيادة العليا الملخصة في أسفار العهد القديم . واعتبروا أن منيدعى ليحتل مركزا مرموقا ذا مسؤولية في الكنيسة يجب أن «يكون ...بلا لوم كوكيل الله ، غير معجب بنفسه ، ولاغضوب ، ولامدمن الخمر ، ولاضراب ، ولاطامع في الربح القبيح . بل مضيفا للغرباء ، محبا للخير ، متعقلا ، بارا ، ورعا ،ضابطا لنفسه . ملازما للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم ، لكي يكون قادرا أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين» (تيطس 1 : 7 -9).

إن النظام الذي استتب في الكنيسة المسيحية الأولى جعل من السهل عليهم أن يتقدمو إلى الأمام بخطى راسخة كجيش منظم حسن التدريب ومتسلح بسلاح الله . ومع أن جماعات المؤمنين كانوا مشتتين في أقاليم واسعة إلا أنهم كانوا كلهم أعضاء في جسد واحد ، وكانوا يسيرون متحدين ومتوافقين بعضهم مع بعض. وعندما كان يقوم نزاع ما في كنيسة محلية ، كما قد حدث بعد ذلك في أنطاكية وغيرها من الكنائس ،وكان المؤمنون عاجزين على الاتفاق فيما بينهم ، لم يسمح لمثل تلك الشؤون أن تخلق انشقاقا في الكنيسة ، بل كانت ترفع إلىمجمع عام من المؤمنين مكون من مندوبين معينين من الكنائس المحلية المختلفة بالإضافة إلى الرسل والمشايخ ذوي المراكزالتي تنطوي على مسؤوليات خطيرة. وهكذا قوبلت مساعي الشيطان لمهاجمة الكنيسة في الأماكن المنعزلة بعمل متحد مكرس قام بع الجميع ، وأحبطت خطط العدوللتمزيق والإهلاك . [81]

«الله ليس إله تشويش بل إله سلام ، كما في جميع كنائيس القديسين» (1 كورنثوس 14 : 33). وهو يطلب أن يراعى النظام والتناسق في إدارة شؤون الكنيسة اليوم كاما كان الحال في أيام القدم . وهو يرغب أن يتقدم عمله بإتقان ودقة حتى يختمه بختم الاستحسان والمصادقة . فعلى المسيحيأن يتحد مع أخيه المسيحي ، والكنيسة بأختها ، وأن تتعاون الوسائل البشرية مع الوسائل الإلهية ، وكل هذه الوسائل تكون خاضعة للروح القدس وأن يتحد الجميع في تقديم بشائر نعمة الله المفرحة للعالم . [82] [83]

الفصل العاشرة

الشهيد المسيحي الأول

«يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال 6 : 5-15 و ص 7».

إن استفانوس الذي كان في طليعة الشمامسة السبعة كان رجلا عميقا في تقواه وواسع الأفق في إيمانه . ومع أنه من نسل اليهود فقد كان يتكلم اليونانية ، كما كان عليما بعادات اليونانيين وأخلاقهم . ولذلك وجد فرصة للكرازة بالإنجيل في مجامع اليهود اليونانيين. وقد كان نشيطا جدا في عمل المسيح وبكل جرأة جاهرة بإيمانه. وقد اشتبك معه المعلمون الفهماء وأساتذة الشريعة في مجادلات علنية وهم واثقون من إحراز نصرة ميسورة ، «ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به» (6 :10) . وهم لم يتكلم بقوة الروح القدس وحسب ولكنه كان أمرا واضحا أنه كان ضليعا بالنبوات ومتبحرا في كل شؤون الناموس . وبكل براعة دافع عن الحقائق التي هب لمناصرتها ، وهزم خصومه هزمية ماحقة . وقد تم له الوعد الإلهي القائل : «فضعوا في قلوبكم أن لاتهتمواا من قبللكي تحتجوا . لأني أنا أعطيكم فما وحكمةلايقدر جيع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها» (لوقا 21: 14 ،15).

فإذا رأى الكهنة والرؤساء القوة التي كانت تصحب كرازته امتلأت قلوبهم كراهية مرة له . فعوض التسليم بالبراهين التي أوردها ، صمموا على إسكاته بالقضاء عليه بالموت . وفي مناسبات عديدة قدموا رشوة للسلطات الرومانية [84] حتى يتجازوا ولاينتقدوا اليهود في المرات العديدة التي فيها أخذوا على عاتقهم تنفيذ القانون وحاكموا أسراهم وأدانوهم وقتلوهم بموجب عاداتهم القومية . ولم يشك أعداء استفانوس في أنهم سينتهجون تلك الخطة ذاتها دون أن يعرضوا أنفسهم للخطر . وإذ صمموا على المجازفة بالعواقب قبضوا على استفانوس وأوقفوه أمام مجمع السنهدريم ليحاكم.

وقد دعي بعض علماء اليهود من البلدان المجاورة لكي يفندوا الحجج التي سيدليلهم بها الأسير وينقضوها . كان شاول الطرسوسي حاضرا وكانت له اليد الطولى في مقاومة استفانوس . وقد استخدم قوة فصاحة المعلمين ومنطقهم لمقارعة الحق وإقناع الشعب بأن استفانوس كان يعلم تعاليم خادعة خطيرة . ولكنه وجد في استفناوس إنسانا ذا معرفة وفهم وإلمام كامل بقصد الله في نشر الإنجيل في ربوع الأمم الأخرى.

فلما لم يستطع الكهنة والرؤساء أن ينتصروا على حكمة استفانوس الواضحة الهادئة ، عقدوا العزم أن يمثلوابه . وبينما كانو بذلك يشبعون كراهيتهم وانتقامهم أرادوا في نفس الوقت أن يخيفوا الآخرين ويمنعوهم من قبول عقيدته . وقد قدموا رشوة لأناس كي يشهدوا زورا بأنهم سمعوه يجدف على الهيكل والناموس. وقد أعلن هؤلاء الشهود قائلين : «لأننا سمعناه يقول إن يسوع الناصري هذا سيقض هذا الموضع، ويغير العوائد التي سلمنا إياها موسى» (6 : 14).

فإذا وقف استفانوس وجها لوجه أمام قضاته للدفاع عن تهمة التجديف ، أشرق على وجهه نور مقدس «فشخص إليه جميع الجالسينفي المجمع ، ورأوا [85] وجهه كأنه وجه ملاك» (6 : 15) . وكثيرون ممن أبصروا هذا النور ارتعدوا وغطوا وجوههم ، ولكن عدم إيمان الرؤساء وتعصبهم العنيد لم يتأثر ولاتردد.

وعندما سئل استفانوس عن صدق التهم الموجهة إليه بدأ يدلي بدفاعه بصوت واضح يهز المشاعر دوى في أرجاء دار المجمع. وبأقوال أذهلت المجمع تقدم ليتلوا تاريخ شعب الله المختار . وقد برهن على معرفته الكاملة للنظام اليهودي والتفسير الروحي له والذي تجلى الآن في حياة المسيح . وقد ردد النبوة التي نطق بها موسى المنبئة عن المسيا إذ قال : «نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكمله تسمعون» (7 : 37) . وقد أوضح ولاءهوللعقيدة اليهودية ، وكما أظهر لهم في الوقت نفسه أن الناموس الذي اتكل عليه اليهود للخلاص لم يكن قادراعلى تحرير إسرائيلمن عبادة الأوثان . وقد أظهر مدى الترابط بين يسوع المسيح وكل التاريخ اليهودي . كما أشار إلى بناء سليمان للهيكل وأقوال سليمان واشعياء فقال : «لكن العليلايسكن في هياكل مصنوعات الأيادي ، كما يقول النبي : السماء كرسي لي ، والأرض موطئ لقدمي . أي بيت تبنون لي ؟ يقول الرب ، وأي هو مكان راحتي ؟ أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها» (7 : 4750).

وعندما وصل استفانوس إلى هذا الحدث حدث شغب بين الشعب . فإذ ربط المسيح بالنبوات وتحدث عن الهيكل ، فالكاهن إذ تظاهر بأنه يرتعب ويستاء مما يسمع ، مزق رداءه. وقد كان هذا العمل بالنسبة إلى استفانوس علامة على أن صوته سرعان ماسيبكم إلى الأبد . فإذ رأى المقاومةالتي بها قوبلت أقواله، علم أنه كان يقدم آخر شهادة له. ومع أنه كان في منتصف موعظته فقد ختمها فجأة . وفجأة إذ ابتعد عن سلسلة التاريخ التي كان يتتبع مراحلها. التفت إلى قضاته الساخطين وصاح قائلا : «ياقساة الرقاب ، وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم [86] دائما تقاومون الروحالقدس . كما كان آبائكم كذلك أنتم . أي الأنبياء لم يضطهده آباؤكم ؟وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأو بمجيئ البار ،. الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه» (7 : 51 — 53).

وعند هذا الحد جن جنون الكهنة والرؤساء من فرط الغضب . وكان تصرفهم أقرب إلى الوحوش الكاسرة منه إلى البشر ، فهجموا على استفانوس وهم يصرون بأسنانهم عليه . وقد قرأ الأسير مصيره في الملامح القاسية المحدقة به ولكنه لم يضعف ولم يتردد . فبالنسبة إليه كانت مخاوف الموت ومرارته قد زالت . ولم يرتعب من الكهنة الساخطين أو الرعاع الثائرين . فالمنظر الذي أمامه اختفى عن عينيه. وقد انفتحت له أبوابالسماء وإذ نظر إلى الداخل رأى مجد مساكن الله ، كما رأى المسيحوكأنه قد قام للتو عن عرشه ، ووقف مستعدا لإسناد خادمه .فبكلام النصرة هتف استفانوس قائلا: «ها أنا أنظر السماوات مفتوحة وابن الإنسان قائما عن يمين الله» (7 : 56).

فإذ وصف المنظر المجيد الذي كانت عيناه تشخصان إليه لم يعد مضطهدوه يستطيعون الاحتمال. فسدوا آذانهم حتى لايسمعوا كلامه وصاحوا بأصوات عالية وهجموا عليه بوحشية «وأخرجوه خارج المدينة ورجموه» «فكانو يرجمون استفانوس وهو يدعو ويقول أيها الرب يسوع اقبل روحي . ثم جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم يارب ، لاتقم لهم هذه الخطية ، وإذ قال هذا رقد» (أعمال7 :57 — 60).

إن استفانوس لم يحكم عليه بحكم شرعي ، بل أعطيت رشوة كبيرة للسلطات الرومانية كي لاتتقصى هذه القضية. [87]

ولكن استشهاد استفانوس أثر تاثيرا عميقا على كل من شاهدوه , إن ذكرى ختم الله على وجهه ، وأقواله التي لمست قلوب من قد سمعوها ظلت حية في عقول مشاهديه وشهدت لصدق ماقد أعلنه. وقد كان موته تجربة قاسية على الكنيسة ولكن كان من نتائجه أن تبكت شاول الذي لم يستطع أن يمحو من ذاكرته إيمان الشهيد وثباته والمجد الذي استقر على وجهه .

إن شاول عند مشهد محاكمة استفانوس وموته بدا كأنه متشبع بغيرة مجنونة. وفيما بعد غضب من الاقتناع الدفين الذي ثار في أعماقه من أن الله قد أكرم استفانوس في الوقت ذاته الذي كان الناس يهينونه

فيه . وقد ظل شاوليضطهد كنيسة الله ويتصيد تلاميذ المسيح ويقبض عليهم وهم في بيتوهم ويسلمهم للكهنة والرؤساء ليسجنوا ويقتلوا . إن غيرته التي جعلته يثير عليهم هذا الاضطهاد أرعبت المسيحيين الساكنين في أورشليم . ولم تبذل السلطات الرومانية مجهودا خاصا لإيقاف أعمال القسوة تلك ، بل كانوا في الخفاء يناصرون اليهود لكي يستميلوهم ويظفروا برضاهم .

وبعد موت استفانوس اختير شاول ليكون عضوا في مجمع السنهدريم تقديرا للدور الذي قام به في تلك المأساة .وقد ظل بعض الوقت أداة قوية في يد الشيطان لإتمام تمرده على ابن الله . ولكن بعدذلك بقليل كان هذا المضطهد الذي لايرحم مزمعا أن يستخدم في بناء الكنيسة التي كان الآن يهدمها . إن سيدا أقوى وأعظم من الشيطان قد اختار شاول ليأخذ مكان استفانوس الشهيد ليكر ويتألم لأجل اسم المسيح وينشر في كل الأماكن القاصية والدانية أخبار الخلاص بدمه الكريم [88] [89]

الفصل الحادي عشر

دخول الإنجيل إلى السامرة

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال اصحاح 8)

بعد موت استفانوس ثار اضطهاد عنيف ضد المؤمنين في أورشليم ، وقد كان هذا الاضطهاد من القسوة بحيث «تشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة» «وأما شاول فكانيسطوعلى الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ويجر رجالا ونساءا ويسلمهمإلى السجن» (عدد 1، 3)وفي تاريخ لاحق وصف غيرته عندما كان يقوم بهذا العمل القاسي ، بهذه الكلمات: «فأنا ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري وفعلت ذلك أيضا في أورشليم ، فحسبت في سجون كثيرين من القديسين ..وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مرار كثيرة ، وأضطرهمإلى التجديف . وإذأفرط حنقي عليهمكنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج». أما حقيقة كون استفانوس لم يكن هو الشخص الوحيد الذي ذاق الموت فيمكننأأن نعرفها من كلام شاول نفسه إذ قال : «ولما كانو يقتلون ألقيت قرعة بذلك» (أعمال : 26 :9 —11).

ولكن في وقت الخطر هذا تقدم نيقوديموس مجاهرا بإيمانه بالمخلص المصلوب بلا خوف . كان نيقوديموس عضوا في السنهدريم وقد تأثر هو وآخرون من تعليم يسوع . فإذ شاهد الآيات التي صنعها المسيح ثبت في ذهنه [90] اقتناع راسخ بأنه كان (المسيا) مرسلا من قبل الله . ولكنه إذ كان متكبرا جدا عن أن يجاهر بتعاطفه العلني مع المعلم الجليلي، سعى لأن يقابله على انفراد في السر . وفي ذلك اللقاء كشف له يسوع عن تدبير الخلاص ورسالته إلى العالم ، ومع ذلك فقد ظلنيقوديموس مترددا . لقد أخفى الحق بين جنبات قلبه، ولمدى ثلاث سنين لم يظهر فيه غير ثمر قليل . ولكن في حين أن نيقوديموس لم يعترف بالمسيح جهارا ، ففي مجمع السنهدريم عرقل مؤمرات الكهنة لإهلاك يسوع وأحبطعا مرار كثيرة . فلما رفع المسيح أخيرا على الصليب تذكر نيقوديموس الكلمات التي كان قد قالها له عندما كان يتحادثان معا في تلك الليلة على جبل الزيتون : «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الانسان» (يوحنا 3 : 14) . وقد رأى في شخص يسوع فادي العالم .

وقد اشترك نيقوديموس مع يوسفأسرعا لنجدتهم بكل جرأة . لقد كانو في أشد الحاجة إلى معونة هذين الرجلين الغنيين المكرمين في ساعة الظلمة تلك . فقد كانا قادرين على أن يعملا لمعلمهما المائت ماكان يستحيلعلى التلاميذ الفقراء أن يعملوه، وقد كان ثراؤهماونفوذهما كفيلين بوقايتهم ، إلى حد كبيرة من خبث الكهنة والرؤساء.

والآن عندما كان اليهود يحاولون ملاشاة الكنيسة الوليدة تقدم نيقوديموس يدافع عنها ويحميها . ما عاد بعد حذرا ولا متشككا فشجع إيمان التلاميذ وأنفق أمواله في إعالة كنيسة أورشليم وفي نشر عمل الإنجيل . فالذين كانوا قبلا يوقرونه صارو الآن يحتقرونه ويضطهدونه ، فصار فقيرا في أملاك هذا العالمإلا أنهيتردد في الدفاع عن إيمانه . [91]

إن الاضطهاد الذي وقع في الكنيسة في أورشليم نتج عنه إعطاء عمل الإنجيل قوة دفعته إلى الأمام . لقد لازم النجاح خدمة الكلمة في ذلك المكان وكان هنالك خطر من أن يبقى التلاميذ هناك وقتا أطولمن

اللازم غافلين عن المهمة التي أوكلها المخلص اليهم بأن ذهبوا إلى العالم أجمع . فإذ نسوا أن القوة على مقاومة الشر تكتسب فقط عنطريق الخدمة المناضلة والكفاح ، بدأو يظنون أنه لايوجد لهم عمل يعملونه أهم من وقاية الكنيسة في أورشليم من هجمات العدو . وبدلا منأن يدربوا المهتدين الجددعلى حمل الإنجيل إلى من لم يسمعوا عنه ، كانوا في خطر الإقدام على عمل يجعل الجميع يكتفون بما قد أنجز . فلكي يشتت الله ممثليههؤلاء إلى الخارج حيث يمكنهم أن يخدموا الآخرين ، سمح بأن يثور الاضطهاد ضدهم. فإذ طردوا من أورشليم «جالو مبشرين بالكلمة» (عدد 4) .

وقد بين الذين كلفهم المخلص القيام بعمل الكرازة قائلالهم : «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (متى28 : 19)كثيرون ممكن قاد أتوا من مسالك الحياة الوضيعة — من الرجال والنساء الذين قد تعلموا أن يحبوا سيدهم وعقدوا العزمعلى اتباعمثاله في الخدمة المضحية , فلأولئك الناس المحتقرين كما للتلاميذالذين كانوامع المخلص مدى سني خدمته على الأرض أعطيت المأمورية الثمينة سواء بسواء . كان عليهم أن يحملوا إلى العالم تلك البشرى المفرحة ، بشرى الخلاص بالمسيح.

وعندما تشتتوا بسبب الاضطهاد خرجوا ممتلئين بالحماسة الكرازية ، وكانوا متحققيين من مسؤولية كرازتهم والقيام بمأموريتهم . لقد عرفوا أنهم كانو يمسكونبخبز الحياة بين أيديهم للعالم الذي يتضرر جوعا ، وقد كانت محبة المسيح تحصرهم لأن يكسروا هذا الخبز لكل من كانوا بحاجة إليه . ومد عمل الرب بواسطتهم . واينما ذهبوا كان المرضى ينالون الشفاء والمساكين يبشرون . [92] وقد كان فيلبس ، أحد الشمامسة السبعة، ضمن من قد طردوا من أورشليم .هذا الرجل : «انحدر .. إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح. وكان الجموع يصغون بنفس واحدة إلى مايقوله فيلبس عند استماعهم ونظرهم الآيات التي صنعها . لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج ..وكثيرون من المفلوجين والعرج شفوا . فكان فرح عظيم في تلك المدينة» (عدد 5 — 8).

إن رسالة المسيح إلى المرأة السامرية التي تحدث إليها عند بئريعقوب قد أثمرت . فتلك المرأة بعدما أصغت إلى أقواله مضت إلى أهل المدينة قائلة: «هلموا انظرو إنسانا قال لي كل مافعلت . ألعل هذا هو المسيح ؟» فذهبوا معها وسمعوا يسوع وآمنوا به . وإذ كانوا مشتاقين إلى أن يسمعوا المزيد طلبوا إليه ان يمكث عندهم . فمكث عندهم يومين : «فآمن به أكثر جدا بسبب كلامه» (يوحنا 5 : 29، 41).

فعندما تشتت تلاميذ المسيح من أورشليم وجد بعضهم ملجأ لهم يلوذون به في السامرة. وقد رحب السامريون برسل الإنجيل هؤلاء . وجمع المهتدون من السهود حصادا ثمينا من بين أولئك الذين كانوا قبلا ألد أعدائهم .

وقد حالف فيلبس في خدمته نجاح عظيم ، فإذ حصل على هذا التشجيع أرسل إلى أورشليم يطلب المساعدة . وقد فهم الرسل الآن فهما كاملا معنى كلام المسيح عندما قال : «وتكونون لي شهودا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أعمال 1 : 8).

وإذ كان فيلبس لايزال في السامرة أمره رسول سماوي قائلا له : «قم واذهب نحو الجنوب ، على الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة .. فقام [93] وذهب» (عدد 26 ، 28) . إنه لم يشك في الدعوة ولاتردد في الطاعة لأنه كان قد تعلم درس الامتثال لإرادة الله .

«وإذا رجل حبشي خصيى ، وزير لكنداكة ملكة الحبشة ، كان على جميعخزائنها . فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد .وكان راجعا وجالسا على مركبته وهو يقرأ النبي إشعياء» (عدد 27 ، 28). كان هذا الرجل الحبشيعظيم المقال ذا مركز كبير ونفوذ عظيم . وقد رأى الله أنه عندما يهتدي هذا الرجل فسيشرك آخرين في النور الذي حصل عليه وسيكون له نفوذ قوي في نشر الإنجيل . وقد كان ملائكة الله يلازمون هذا الرجل الطالب النور وقد اجتذب إلى المخلص.وبواسطة خدمة الروح القدس جعله الرب يلاقي إنسانا

يستطيع أن يرشده إلى النور .

وقد وجه الله فيلبس بالذهاب إلىى ذلك الحبشي ليشرح له النبوة التي كان يقرأها. قال له الروح : «تقدم ورافق هذه المركبة» فلما اقترب فيلبس من الخصى سأله : «ألعلك تفهم ماأنت تقرأ ؟فقال كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد ؟ وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه. وأما فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان» من نبوة أشعياء المتعلقة بالمسيح والقائلة:

«مثل شاة سيق إلى الذبح ، ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه . في تواضعه انتزع قضاؤه ، وجيله من يخبر به ؟ لأن حياته تنتزع من الأرض».

«فأجاب الخصي فيلبس وقال : «اطلب اليك : عن من يقول النبي هذا ؟ عن نفسه أم عن واحد آخر؟ ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فبشره بيسوع» (عدد 29- 30) وفتح أمامه حق الفداء العظيم . [94]

وقد اختلج في قلب ذلك الرجل اهتمام عظيم عندما كانت الكلمة الإلهية تفسر له . فلما انتهى ذلك التلميذ من كلامه كان الوزير مستعدا لقبول النور المعطى له . ولم يجعل مركزه الدنيوي السامي عذرا لرفض الإنجيل. «وفيما هما سائران في الطريق أقبلا على ماء ، فقال الخطي هوذا ماء . ماذا يمنع أن أعتمد ؟ فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال أنا أومن أن يسوع المسيح هو ابن الله. فأمر أن تقف المركبة.، فنزلا كلاهما إلى الماء ، فيلبس والخصي ، فعمده.

«ولما صعدا من الماء ، خطف روح الرب فيلبس ، فلم يبصره الخصي أيضا ، وذهب في طريقه فرحا . وأما فيلبس فوجد في أشدود . وبينما هو مجتاز ، كان يبشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية«(عدد 36 — 40).

إن هذا الرجل الحبشييمثل طائفة كبيرة من الناس الذين يحتاجون إلى أن يعلمهم كارزون كفيلبس ، رجال يسمعون صوت الله ويذهبون إلى حيث يرسلهم . يوجد كثيرون ممكن يقرأون الكتاب ولكنهم لايفهمون المعنى الحقيقى لما يقرأون . وفي كل مكان في العالم ينظر الرجال والنساء إلى السماء في لهفة وشوق . فالصلوات والدموع والأسئلة تصعد من النفوس المشتاقة إلى النور والنعمة والروح القدس . وكثيرون هم الذين يقفون على أعتاب الملكوت في انتظار أن يجمعوا إليه .

إن ملاكا أرشد فيلبس إلى الشخص الذي كان يبحث عن النور والذي كان مستعدا لقبول الإنجيل ، واليوم سيرشد الملائكة أولئك الخدام الذينيسمحونللروح القدس بأن يقدس السنتهم ويطهر قلوبهم ويشرفها. إن الملاك المرسل إلى فيلبس كان يمكنه أن يقوم بذلك العمل للرجل الحبشي ،ولكن هذه ليستخطة الله في العمل . إن خطته هي أن الناس يجبأن يخدموا إخوتهم من بني الإنسان . [95]

قد اشترك المؤمنون في كل عصر في المأمورية المسلمة للتلاميذ الأولين . فكل من قبل الإنجيل سلم له الحق المقدس ليبلغه للعالم. إن شعب الله الأمين كانوا دائما كارزين مناضلين مقتحمين مكرسين مواردهم لتجميد اسمهومستخدمين وزناتهم بكل حكمة في خدته . إن خدمة المسيحيين المتحررة من الأنانية في الماضي ينبغي أن تكون درسا مرئيا وإلهاما . إن أعضاء كنيسة الله ينبغى أن يكونوا غيورين في أعمال صالحة ، وأن ينفصلوا عن الطموح العالمي ويسيروا في آثار خطوات ذاك الذي جال يصنع خيرا . فبقلوبملؤها العطف والحنان عليهم أن يخدموا من هم في حاجة إلى العون إذ يقدمون للخطاة معرفة محبة المخلص . مثل هذا العمل يتطلب جهدا وكدا ولكن له جزاءا عظيما مفرحا. والذين يضطلعون به بنية خالصة سيرون نفوسا تربح للمخلص ، لأن التأثير الذي يلازم التنفيذ العملي للمأمورية الإلهية لايمكن مقاومته.

إن مسئولية الخروج لإتمام هذه المأمورية لاتستقر على الخادم المرتسم وحده . فكل من قبل المسيح مدعو ليعمل على خلاص بني جنسه : «الروح والعروس يقولا تعال» (رؤيا 22 : 17). إن الوصية

المقدمة لإذاعةهذه الدعوة تشمل الكنيسة كلها . وكل من قد سمع الدعوة عليه أن يردد الرسالة لكي يرن صداها فوق الجبال الشاهقة والوديان السحيقة قائلا : (تعال).

إنها لغلطة مميتة أن نظن أن عمل تخليص النفوس يتوقف على الخدام وحدهم. فالمؤمن الفقير المكرس الذي يضع عليه رب الكرم حمل مسؤولية ربح النفوس عليه أن ينال التشجيع من أولئك الذين وضع الرب عليهم مسؤوليات أعظم . وأولئك المعتبرون قادة في كنيسة الله عليهم أن يتحققوا من أن مأمورية المخلص مقدمة لكل من يؤمنون باسه . والرب سيرسل إلى كرمه كثيرين ممكن لم يكرسوا للخدمة بوضع الأيدي . [96]

إنمئات بلآلافا ممكن سمعوا رسالة الخلاص لايزالون قياما في السوق بطالين في حين كان يمكنهم القيام بأي نوع من أنواع الخدمة النشطة. فلمثل هؤلاء يقول المسيح : «لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟» ثم يضيف قائلا : «اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم» (متى 25 : 7، 6). ولكن لماذا يحدث أن كثيرين جدا لايستجيبون للدعوة ؟ هل لأنهم يظنون أنفسهم معذورين لأنهم لايقفون على المنابر ؟ ليفهم هؤلاء أنه يوجد عمل كثير ومتسع يعمل خارج المنبر يمكن أن يقوم به آلاف من العلمانيين المكرسين.

لقد ظل الله طويلا ينتظر أن تتملك روح الخدمة على كل كنيسة، بحيث كون كل فرد عاملا لأجله بقدر استطاعته . فعندما يقوم أعضاء كنيسة الله كل بالعمل المعين له في الحقول المحتاجة في الوطن وفي الخارج إتماما لمأمورية الإنجيل ورسالته ، فسرعان مايسمع العالم كل الإنذار ويأتي الرب يسوعإلى هذا العالم بقوة ومجد كثير : «ويكرز ببشارة الملكوت هذه فيكل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتي المنتهى» (متى 24 : 14) [97]

الفصل الثاني عشر

المضطهد يصير تلميذا

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال9: 1 -18).

كان شاول الطرطوسي من أشهر اليهود الذين ثاروا واغتاظوا جدا من النجاح المنقطع النظير الذي لازم الكرازة بالإنجيل . ومع كونه موطنا رومنيا بفضل ميلاده فإن شاول هذا كان من نسل اليهود وتهذب في أورشليم على أيدي أهشر المعلمين الروحيين. فإذ كان شاول «من جنس إسرائيل من سبط بنيامين» فقد كان «عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي ، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة منجهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (فيلبي 3 : 5، 6)وكان أحبار اليهود يعتبرونهشابا يرجى منه كل خير وكانت لهم فهي آمال كبار كم هو مدافع مقتدر وغيور عن إيمان الآباء . هذا وإن ترقيته التي صار بموجبها عضوا في مجلس السنهدريم جعلته في مركز النفوذ والقوة .

وكان شاول قد لعب دورا كبيرة في محاكمة استفانوس وإدانته ، ولكن البراهين المدهشة على وجود الله مع الشهيد جعلت شاول يشك في عدالة القضية التي ناصرها ودافع عنها ضد تابعي يسوع . لقد اضطرب عقله اضطرابا هائلا. ففي حيرته لجأ إلى أولئك الذين كان يثق في حكمتهم وعدلهم ثقة كاملة. [98] ولكنحجج الكهنة والرؤساء أقنعته أخيرا بأن استفانوس كان مجدفا وأن المسيح ، الذي كان ذلك التلميذ الشهيد يبشر به كان محتالا ، وأن أولئك الذين يقومون بالخدمة المقدسة هم على صواب .

ولكن شاول لم إلى هذه النتيجة إلابعد تجربة قاسية . أخيرا ، وبسبب تهذيبه وتعصبه واحترامه لمعلميه السابقين وكبرياء الشهرة استجمع شاول قواه ليتمرد على صوت الضمير ونعمة الله . وإذ حكم حكما قاطعا بأن الكهنة والكتبة كانوا على صواب ، اشتد شاول في مقاومته للتعاليم التي كان يعلم بها تلاميذ يسوع . إن نشاطه المنقطع النظير في جره للرجال والنساء القديسين إلى المحاكم ، حيث حكم على بعض منهم بالسجن والبعض الآخر بالموت لمجرد أنهم كانوا يؤمنون بيسوع ، جلب كل ذلك على الكنيسة المنظمة حديثا الحزن والوجوم ، وتسبب في هروب كثيرين لينجوا بحياتهم .

وأولئك الذين طردوامن أورشليم بسبب هذا الاضطهاد «جالوا مبشرين بالكلمة» (أعمال8 : 4) . ومن بين المدن التي ذهبوا إليها كانت مدينة دمشق حيث اهتدى كثيريون الإيمان الجديد.

كان الكهنة والرؤساء يؤملون أن المساعي اليقظة التي يقومون بها والاضطهاد العنيف الذي يثيرونه ستكون كفيلة بالقضاء على تلك البدعة. والآن هاهم يشعرون بوجوب تطبيق الإجرءات الحاسمة التي اتخذوها في أورشليم ضد التعليم الجديد ، على أماكن أخرى . وقد أبدي شاول استعداده للقيام بالعمل الخاص الذي تاقوا إلى تنفيذه في دمشق. فإذ كان «ينفث تهددا وقتلا على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، إلى الجماعات)المجامع» حتى إذا وجد أناسامن الطريق ، رجالا أو نساءا ، يسوقهم موثقين إلى أورشليم» (عدد 1 ، 2) . وهكذا شرع شاول الطرسوسي في [99] تلك الرحلة التي لاتتسى «بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة» (أعمال 26 : 12) وهو في ملء قوة الرجولة ونشاطها وعنفوانها تحفزة على ذلكحماسة مضللة ، وقد غيرت الأحداث الغريبة التي حدثت في رحلته تلك ، مجرى

حياته كلها .

ففي آخر أيام تلك الرحلة «في نصف النهار» إذ اقترب المسافرون المتعبون من دمشق انبسطت أمام أنظارهم مساحات واسعة من الأراضي الخصبة والحدائق الغناء والبساتين الغنية بالثمار التي تسقيها مياه الينابيع المنحدرة من الجبال المجاورة . فبعد السفر الطويل عبر القفار والأراضي المجدبة كانت هذه المناظر الأخيرة منعشة لهم جدا . فإذ نظر شاول ومرافقوه بإعجاب إلى ذلك السهل الخصيب وإلى المدينة الجميلة الرابضة أسلفه ، «بغته» كما أعلن هو بعد ذلك، أبرق «نورا منالسماء أفضل من لمعان الشمس ...حولي وحول الذاهبين معي» (أعمال26 : 12، 13) . وكان ذلك النور أمجد من أن تستطيع العيون البشرية احتماله . فانطرح شاول على الأرضوقد عميت عيناه وشمله الارتباك والحيرة

وإذ ظل النور يغمرهم سمع شاو صوتها يكلمه «باللغة العبرانية» قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال من أنت ياسيد ؟ فقال الرب أنا يسوع الذي أنت تضطهده صعب عليك أن ترفس مناخس (أعمال9 : 4 ، 5 ، 26 : 13 ،14).

ورفاق شاول الذين امتلأوا خوفا وكاد لمعان النور يعميهم ، سمعوا صوتا ولكنهم لم يروا أحدا . أما شاول ففهم الكلام الذي قيل ، وبكل جلاء استعلن له ذاك الذي تكلم- ابن الله نفسه. وقد رأى في الكائن المجيد الذي وقف أمامه ، المسيح المصلوب. وانطبعت إلى الأبد صورة وجه المخلص على نفس ذلك اليهودي المصعوق. وقد اخترق ذلك الكلام شغاف قلبه بقوة مروعة . وفي [100] مخادع عقله المظلم فيض من النور معلنا وكاشفا له عن جهالة وخطأ حياته الماضية ، وحاجته الراهنة إلى إنار الروح القدس .

وقد رأى شاول الآن أنه إذ كان يضطهد أتباع يسوع كان في الحقيقة يعمل عمل الشيطان. وقد رأى أن قناعته بواجبه وبما ارتآه صوابا كانت مبنية بأكثر على ثقته الراسخة في الكهنة والرؤساء . لقد صدقهم عندما أخبروه أن قصة القيامة كانت اختلاقا ماكرامن صنع التلاميذ. أما الآن وقد وقف يسوع نفسه ظاهرا أمامه فقد اقتنع شاول بصدق ماقاله التلاميذ .

وفي تلك الساعة التي أشرق عليه فيها نور السماء كان عقل شاول يفكر بسرعة عظيمة . وقد انكشفت نبوات الكتاب المقدس أمام ذهنه . ورأى أن رفض اليهود ليسوع وصلبه وقيامته وصعوده ، الأمور التي كان الأنبياء قد سبقوا فأنبوا بها ، برهنت على أنه هو المسيا الموعود به . ثم أن العظة التي فاه بها استفانوس في يوم استشهاده عادت بقوتها إلى عقل شاول ، فتحقق أن ذلك الشهيد رأى «مجد الله» عندما قال : «ها أنا أنظر السماوات مفتوحة ، وابن الإنسان قائما عن يمين الله» (أغمال 7 : 55 ، 56) . لقد قال الكهنة أن هذا الكلام تجديف ولكن شاول يراه الآن عين الصدق .

ماكان أعظم هذا من إعلان يراه المضطهد ، لقد عرف شاول الآن بكل يقين أن المسيا الموعود به قد أتى إلى الأرض في شخص يسوع الناصري ، وأ،ه رفض وصلب بأيدي أولئك الذين قد أتى ليخلصهم. كما عرف أيضا أن المخلص قد خرج من القبر ظافرا وصعد إلى السموات . في لحظة الإعلانالإلهي تلك تذكر شاول برعب كيف أنه وافق على قتل استفانوس الذي قد للمخلص المصلوب والمقام ،وأنه بعد ذلك مات كثيرون من أتباع يسوع الأفاضل لأنه اضطهدهم حتى الموت . [101]

كان المخلص قد كلم شاول بواسطة استفانوس الذي لم يمكن مناقضة حججه الدامغة. إن ذلك العالم اليهوي كان قد رأى وجه الشهيد يعكس بهاء مجد المسيح إذ ظهر «كأنه وجه ملاك» (أعمال6 : 15) . ولقد عاين احتمال استفانوس لاعتداءات أعداءه وغفرانه لهم . كما عاين الصبر والتسليم والرضى الذي أظهره كثيرون ممكن تسبب هو في ضيقهم وعذابهم . وقد رأى بعض منهم يسلمون الروح بفرح لأجلإيمانهم.

كل هذه الأمور خاطبت شاول بصوت عال ، وفي بعض الأحيان أقحمتعلى عقله اقتناعا يكاد يكون

غامرا وقاهرا بأن يسوع هو المسيا الموعود به . وفي مثل تلك الأوقات كان يصارع ليالي طويلة ضد هذا الاقتناع ، وقي كل مرة كان ينهي المسألة بالاعتقاد بأن يسوع ليس هو المسيا وأنتلاميذه هم قوم متعصبون ومخدوعون.أما الآن فقد كلم المسيح شاول بصوته قائلاك له : «شاول شاول ، لماذا لماذا تضطهدني ؟» فسأله قائلا : «من أنت ياسيد؟» فأجابه نفس الصوت قائلا: «انا يسوع الذي أنت تضطهده» . فالمسيح هنا يقرن نفسه بشعبه. إن شاول إذ اضطهد أتباع يسوع كان يوجه ضرباته المباشرة إلى رب السماء . وحين وجه إليهم اتهامات كاذبة وشهد ضدهم زورا كان يتهم مخلص العالم ويشهد ضده .

إن الشك لم يتطرق إلى عقل شاول أن الذي كلمه هو يسوع الناصري المسيا الذي ظل الشعب ينتظرونه أمدا طويلا ،تعزية لهم وفداءا. «فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ، ماذا تريد أن افعل ؟ فقال له الرب قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل» (عدد 6).

فبعدما انسحب ذلك المجد الباهر ونهض شاول عن الأرض وجد نفسه أعمي لايبصر . لقد كان بها مجد المسيح أقوى من أن تحتمله العيون البشرية. فلما [102] انسحب ذلك النوراكتنف عينيه ظلام الليل المدلهم . وقد اعتقد أن هذا العمى هوقصاص من الله على اضطهاده القاسي لتلاميذ يسوع . فكان يتلمس طريقة في ذلك الظلام المخيف ، وإذ كان رفاقه خائفين ومتحيرين «اقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق» (عدد 8).

في صبيحة ذلك اليوم الكثير الوقائع كان شاول قد اقترب من دمشق وعوامل الرضا تملأ قلبه بسبب الثقة التي وضعها فيه رؤساء الكهنة . لقد وكلت إليه مسؤوليات خطيرة ، وأوفد لكي يروج ويساعد على تقدم مطاليب الديانة اليهودية ومصالحها بكونه يوقف تقدم الإيمان الجديد وانتشاره في دمشق إن أمكن ذلك.

وقد قرر شاول أن تكلل مأموريته بالنجاح وكان يتطلع إلى الأمامبأمل وشوق إلى الاختبارات التي كانيتوقع أن يراها أمامه .

ولكن كم كان دخوله إلى المدينة مغايرا لآماله التي كانت تملأ عقله، فإذ ضرب بالعمى وصار عاجزا ومعذبا من الألم والندامة وهو لايعلم ماالذي كان مخبوءا بين طيات الغيب من قصاص وعقوبة مزمعة أن تنقض عليه ، ذهب يطلب بيت التلميذ يهوذا حيث اعتكف فيه فكانت لديه فرصة كافية للتأمل والصلاة .

وإذ كان لمدى ثلاثة أيام : «لايبصر ، فلم يأكل ولم يشرب» (عدد 9). إن أيام العذاب النفسي تلك كانت في اعتباره كسنين طويلة . ففي عذاب روحه تذكر مرارا وتكراراالدور الذي مثله في استشهاده استفانوس . وبرعب عظيم جعل يفكر في جريمته التي ارتكبها حين سمح أن يسيطر عليه خبث الكهنة والرؤساء وتعصبهم ، حتى عندما أشرق وجه استفانوس بنور سماوي . ففي حزنه وانسحاق روحه تذكر المرات الكثيرة التي فيها أغمض عينيه وصم أذنيه عن أعظم البراهين المدهشة ، ليواصلاضطهاده للمؤمنين بيسوع الناصري. [103] فهذه الأيام ، أيام امتحان النفس واتضاع القلب ، قضاها شاول وهو معتكف عزلته. إن المؤمنين إذ قد أرسل إليهم الإنذار عن نواياشاول في مجيئه إلى دمشق كانوا يخشون لئلا يكون يمثل دورا لكي يستطيع أن يخدعهم بسهولة ، فتباعدوا عنه ورفضوا أن يمنحوه عطفهم. ولم يكن هو يريد الالتجاء إلى اليهود غير المهتدين الذين كانو قد اتفق معهم على اضطهاد المؤمنين ، لأنه علم أنهم لن يصغوا إلى روايته . وهكذا بدا كأنه قد حرم من كل عطف بشري . ولكن رجاءه الوحيدة كان في رحمة الله فالتجأ إليه في انسحاق قلبه.

وفي أثناء الساعات الطويلة التي كان فيها شاول منفردا مع الله جعل يتذكر كثيرا من أقوال الكتاب المشيرة إلى المجيئ الأول للمسيح. وبكل اهتمام جعل يتتبع النبوات بذاكرته التي نشطها اقتناعه الذي سيطر على عقله. وإذ كان يتأمل في معنى هذه النبوات اندهش من عمي إدراكه السابق وعمى اليهود عموما الذي أدى بهم إلى رفض يسوع بإعتباره المسيا الموعود به . أما الآن فقد وضح كل شيئ أمام

بصيرته المستتيرة. وقد عرف الآن أن تعصبه وعدم إيمانه فيما مضى كانا قد أظلما بصيرته الروحية ومنعاه من رؤية يسوع الناصري بإعتباره المسيا الذي تنبأت عنه النبوات .

وإذ سلم شاول نفسه وخضع بالتمام لقوة تبكيت الروح القدسرأى أخطاء حياته واعترف بمطاليب شريعة الله البعيدة المدى. فذاك الذي كان فريسيا متكبرا واثقا من التبرر بأعماله الصالحة انحنى وسجد الآن أمام الله باتضاع وبساطة ، كطفل صغير ، ومقرا بعدم استحقاقه وتوسل طالبا أن يكون له نصيب في استحقاقاتالمخلص المصلوب والمقام . وقد تاق شاول لأن يدخل في شركةوتوافق كاملين مع الآب والابن ، ثم قدم ابتهالات حارة أمام عرش النعمة لأنه كان مشتاقا جدا إلى الغفران والقبول لدى الله. [104]

ولم تكون صلوات ذلك الفريسي التائب باطلة . لقد غيرت النعمة الإلهية افكاره الخفية وبواعثه ، وقد صارت قواه السامية في حالة وفاق مع مقاصد الأزلية . لقد صار المسيح وبره أعظم وأسمى من كل العالم في نظر شاول .

إن اهتداء شاول هو برهان مدهش لقدرة الروح القدس على تبكيت الناس على الخطية لقد كان قبلا يعتقد اعتقادا راسخا بأن يسوع الناصري ازدرى بشريعة الله وعلم تلاميذه أن لاتأثيره لها ولاقوة . ولكن شاول بعدما اهتدى إلى الله اعترف بأن يسوع قد أتى إلى العالم لأجل الغاية الصريحة التي هي تزكية شريعة أبيه. وقد اقتنع بأن يسوع هو مبدع كل نظام الذبائح اليهودية. ورأى أنه عند الصلب التقى الرمز بالمرموز إليه ،وان يسوع قد تمم نبوات العهد القديم الخاصة بفادي العالم.

في قصة اهتداء شاول توجد بعض المبادئ الهامة التي ينبغي لنا أن نتذكرها دائما . فشاول أوقف في حضرة المسيح مباشرة وجها لوجه . كان هو الشخص الذي قصد المسيح أن يقوم بعمل هام جدا ، والذي سيكون «إناء مختارا» له ، ومع ذلك فالرب لم يخبره لأول وهلة بالعمل المعين له . لقد أوقفه عن السير في طريقه وبكته على خطيته ، ولكن عندما سأل شاول قائلا: «يارب، ماذا تريد أن افعل» جعل المخلص ذلك اليهودي السائل يتصل بكنيسته حيث يمكنه أن يحصل على معرفة مشيئة الله بالنسبة إليه .

ثم إن النور العجيب الذي بدد ظلمات قلب شاول كان من عمل الرب ، ولكن كان يوجد أيضا عمل بعمل لأجله يوم به التلاميذ . لقد قام المسيح بعملية الإعلان والتبكيت ، والآن فها هو ذلك التائب قد صار في حالة فيها يمكنه أن يتعلم من أولئك الذين قد أقمهم الله لتعليم حقه . [105]

وإذ كان شاول يواظب على الصلاة والابتهال إلى الله وهو معتكف في بيت يهوذا ظهر الرب في رؤيا «التلميذ في دمشق اسمه حنانيا» ليخبره أن شاول الطرسوسي يصلى وفي حاجة إلى العون. قال له رسول السماء «قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم ، واطلب في بيت يهوذا رجلا طرسوسيااسمه شاول . لأنه هوذا يصلي . وقد رأى في رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخل ووضعا يده عليه لكي يبصر» (عدد 11، 12).

لم يكد حنانيا يصدق كلام الملاك لأن أنباء اضطهاد شاول المر لقديسي أورشليم انتشرت في كل مكان . فتجرأ حنانيا على الاعتراض والمحاجة قائلا : «يارب ، قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل ، كم من الشرور فعل بقديسك في أورشليم ، وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك» (عدد 13 ، 14). ولكن الأمر كان قاطعا : «اذهب ، لأن هاذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك بني اسرائيل» (عدد 15).

فامتثالا لتوجيهات الملاك خرج حنانيا يطلب الرجل الذي كان منذ عهد قريب ينفث تهديدا وقتلا على كل من كانوا يؤمنون باسم يسوع، وإذ وضع يديه على رأس ذلك المتألم التائب قال له : «أيها الأخ شاول ، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه ، لكي تبصر وتملئ من الروح القدس.فللوقت وقع من عينيه شيئ كأنه قشور ، فأبصر في الحالوقام واعتمد «(عدد 17، 18). وهكذا أعلن

يسوع مصادقته على سلطة كنيسته المنظمة وجعل شاول على اتصال بوسائله المعينة وخدامه المختارين على الأرض . لقدصارت للمسيح كنيسة تمثله على الأرض وكان لها عمل هو توجيه الخاطئ التائب في طريق الحياة . [106]

إن كثيرين يرون أنهم مسئولون أمام المسيح وحده عن النور والاختبار الذي لهم ، وأنهم مستقلون عن تلاميذه المعترف بهم على الأرض. إن يسوع هو صديق الخطاة وقلبه يرثي لأحزانهم وشقائهم ، ومع أنه له سلطان في السماء وعلى الأرض ، إلا أنه يحترم الخدام الذين أقامهم لأجل إنارة الناس وخلاصهم. فهو يوجه الخطاة على الكنيسة التي قد جعلها أداة لتوصيل النور إلى العالم.

عندما ظهر المسيح لشاول الذي كان يضطهده ، وهو مكتنف بعمى الضلال والتصعب ، فقد وضعه على اتصال بالكنيسة التي هي نور العالم . وفي هذهالحالة نجد أن حنانيا يمثل المسيح كما يمثل خدام المسيح على الأرض المعينين لينوبوا عنه في العمل . فحنانيا الذي ناب عن المسيح لمس عينيشاول لكي ينال البصر ، وكنائب عن المسيح يضع عليه يديه وإذ يصلي باسم المسيح يقبل شاول الروح القدس . فكل شيئ قد تم باسم المسيح وسلطانه .فالمسيح هو النبع والكنيسة هي قناة الاتصال . [107]

الفصل الثالث عشر

أيام الاستعداد

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال 9 : 19 -30).

بعدما اعتمد الرسول بولس تناول طعاما : «وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياما . وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله» (عد 19 ، 20) فبكل جرأة أعلن أن يسوع الناصري هو المسيا المنتظر الذي «مات من أجل خطايانا حسب الكتب ، وأنه دفن ، وأنه قام في اليوم الثالث» وبعد ذلك رآه الاثنا عشر وآخرون . ثم أضاف الرسول بولس قائلا : «وآخر الكل ـــ كأنه للسقط ظهر لي أنا» .كانت حججه التياقتبسها من النبوات قاطعة . وقد صحبت جهوده قوة الله بشكل ملحوظ بحيث ارتبك اليهود واستغلقعليهم الكلامفلم يجدوا جوابا (1 كورنثوس 15 : 3 ،4 ،8)

وقد أدهشت أنباء اهتداء بولس جميع اليهود إذ كانت مفاجأة عظيمة لهم فذاك الذي سافر إلى دمشق «بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة» (أعمال (26 : 12). ليقبض على المؤنين ويحاكمهم أخذ يكرز الآن بإنجيلالمخلص المصلوب والمقام مشددا أيادى أولئك الذين كانوا يكرزون به ، وكان دائبا على الإيتان بمهتدين جدد إلى الإيمان الذي كان قبلا يقاومه مقاومة مريرة. [108]

كان معروفا عن الرسول بولس من قبل أنهالمدافع الغيور عن الدين اليهودي وأنه المضطهد الذي لايكل لاتباع يسوع. وإذ كان جسورا ومعتزا بنفسه ومثابرا فإن مواهبه وتربيته أعانته على أن يخدم بكل قوة في كافة المجالات. كان يمكنه أن يحاج ويجادل بوضوح منقطع النظير ، وبتهكمهاللاذع كان يستطيع أن يوقف خصمه في موقف لايجد عليه . والآن فإن اليهود يرونهذا الشاب الذي كانوا يعلقون عليه الآمال الكبار ينضم إلى أولئك الذين كان قبلا يضطهدهم وبلا خوف يكرز باسم يسوع .

إن القائد الذي يقتل في المعركة يخسره جيشه ولكن موته لايزيد من قوة العدو . ولكن عندما ينضم رجل شهير إلى الجيش المعادى فإنه فضلا عن كون الفريق الأول الذي كان ينتمي إليه تضيع عليه خدماته ، فالذين ينضم إليهم يحصلون على ميزة حاسمة. إن شاول الطرسوسي وهو في طريقه إلى دمشقكان يمكن للرب بكل سهولة أن يضربه الضربة القاضية، وبذلك كانت جحافل الاضطهاد تخسر قوة عظيمة. ولكن الله في عنايته فضلا عن إبقائه على حياة شاول فقد جدده وخلصه وبذلك نقل الخصم من جانب العدو إلى جانب المسيح.فإذ كان بولس خطيبافصيحا ونقادا قوي الحجة فإنه بعزمه الصارم الذي لايفل وشجاعته وبسالته كانت له المؤهلات نفسها التي كانت تفتقر إليها الكنيسة الأولى.

وإذ كان بولس يكرز بالمسيح في دمشق بهت الذين كانوا يسمعونه وقالوا «أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم ؟ وقد جاء إلى هنا لهذا ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة» (عدد 21) وقد أعلن بولس أن التغيير الذي طرأ على معتقده لم يكن بسبب أية نزوة أو تعصب ولكن ذلك حدث بقبرهان قاطع لايقهر . وفي كرازته بالإنجيل حاول إيضاح [109] النبوات التي تشير إلى المجيئ الأول للمسيح . وقد برهن بشكل قاطع أن هذه النبوات قد تمت في يسوع الناصري . وقد كان أساس إيمانه كلمة النبوةالثابتة. وإذا ظل الرسول بولس يناشد سامعيه المدهوشين : «أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين

أعمالا تليق بالتوبة«(أعمال 26 : 20) ،«كان يزداد قوة ، ويحير اليهود الساكنين في دمشق محققا أن هذا هو المسيح «(عدد 22). ولكن كثيرين منهم قسوا قلوبهم ورفضوا الاستجابة لرسالته ، وسرعان ماانقلبت دهشتهم من اهتدائه إلى عداوة شديدة كتلك التي أظهرها ليسوع.

ولقد اشتدت وطأة المقاومة بحيث لم يسمح الرسول بولس أن يواصل عمله في دمشق. وقد أمره رسول سماوي بأن يرحل عن المدينة إلى الحين ، ولذلك فقد«انطلقت إلى العربية» (غلاطية 1 : 17) حيث وجد معتكفا أمينا .

هنا وهو في وحدته وعزلته في البرية وجد الرسول بولس متسعا من الوقت للدرس والتأمل الهادئ . وفي هدوء راجع اختباره الماضي وتأكد من أنه قد تاب توبة صادقة . لقد طلب الله بكل قلبه ولم يسترح حتى تأكد أن توبتهقد قبلت وأن خطايا قد غفرت . كان يتوقإلى التأكيد بأن يسوع سيكونمعه في خدمته القادمة . لقد أفرغ نفسه من التعصبوالتقليدالذي كان قد طبع حياته إلى ذلك الحين . وقبل التعليم من نبع الحق . وقد تحادث يسوع معه وثبته في الإيمان مانحا إياه نصيباكبيرامن الحكمة والنعمة .

عندما يكون فكر الإنسان في شركة واتصال مع فكر الله ، المحدود مع غير المحدود ، فإن أثر ذلك على الجسد والعقل والنفس يتجاوز كل الحدود. وفي مثل هذه الشركة يوجد أسمى تهذيب. فهذه هي وسيلة الله لنمو الإنسان«تعرف به» (أيوب 22 : 21) ، هذه هي رسالته لبنى الإنسان. [110]

إن المأمورية المقدسة التي قدمت للرسول بولس عندما ذهب حنانيا لزيارته استقرت على قلبه بثقلها المتزايد . فعندما فتح عينيه استجابة للكلمات : «أيها الأخ شاول ، أبصر» ، ولأول مرة شاهد وجه هذا الرجل التقي ، فإن حنانيا وهو مسوق بالروح القدس مال له «إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته ، وتبصر البار ، وتسمع صوتا من فمه . لأنك ستكون له شاهدا لجميع الناسبما رأيت وسمعت . والآن لماذا تتوانى؟ قم واعتمد واغسلخطاياك داعيا باسم الرب» (أعمال22 :14 -16).

كان هذا الكلام متوافقا مع فوق يسوع نفسه الذي عندما أوقف بولس عند حده وهو في طريقه إلى دمشق أعلن قائلا له : «لأني لهاذا ظهرت لك ، لأنتخبك خادما وشاهدا بما رايتوبما سأظهر لك به ، منقذا إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم ، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى الله ، وحتى يناول بالإيمان بي غفران الخطاياونصيبا مع المقدسين» (أعمال 26 : 16-18).

وإذ كان الرسول يردد هذه الأقوال متأملا بها في قلبه أدرك بوضوح أشد معنى دعوته «رسولا ليسوع المسيح بمشيئة الله» (1 كورنثوس 1:1) . إن دعوته قد أتت «لا من الناس ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح والله الآب» (غلاطية 1: 1) . إن جسامة العمل العظيم الذي أمامه ساقته إلى الاستزادة من دراسة الكتب المقدسة حتى يستطيع أن يكرز بالانجيل : «لابحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح» «بل ببرهان الروح والقوة ، لكي لايكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله» (1 كورنثوس 1 : 17 ، 2: 4 ،5).

وإذ فتش بولس الكتب عرف أنه مدى أجيال التاريخ : «ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ، ليس كثيرون أقوياء ، ليس كثيرون شرفاء ، بل اختار الله [111] جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء . واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود ، لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه» (1 كورنثوس 1: 26 -29) . وهكذا إذ نظر الرسول بلوس إلى حكمة العالم في نور الصليب قال : «لم أعزم أن أعرف شيئا ..إلا يسوع المسيح وإياهمصلوبا» (1 كورنثوس 2:2).

إن بولس مدى حياته بعد ذلك لم يغب عن ناظريه قط نبع الحكمة والقوة . اسمعوه بعد ذلك بسنين يعلن قائلا : «لأن لي الحياة هي المسيح» (فيلبي 1 : 21). «إني أحسب كل شيئ أيضا خسارة من أجل فضلمعرفة المسيح يسوع ربي ، الذي من أجله خسرت كل الأشياء ..لكي أربح المسيح ، وأوجد فيه، وليس

لي بري الذي من الناموس ، بل الذي بإيمان المسيح ، البر الذي من اللهبالإيمان لأعرفه ، وقوةقيامته ، وشركةآالامه» (فيلبي 3: 8 -10) .

ومن العربية «رجع بولس الرسل إلى دمشق» وكان «يكرز بمجاهرة باسم يسوع» فإذ لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام حججهالسديدة الحكيمة «تشاور اليهود ليقتلوه» (عدد 23). وكانوا يراقبون أبواب المدينة بيقظة واجتهاد نهارا وليلا ليقطعوا عليه طريق الهروب . فهذه الأزمة ساقت التلاميذ إلى أن يطلبوا الله باجتهاد وغيرة . وأخيرا «أخذه التلاميذ ليلا وأنزلوه من السورمدلين إياه في سل» (عدد 25).

وبعد هروبه من دمشق ذهب إلى أورشليم ، بعد انقضاء حوالي ثلاث سنين على اهتدائه . كان غرضه الرئيسيمن الزيارة كما قد أعلن هو بعد ذلك أن «يرى بطرس» (غلاطية 1: 17). وحالما وصل إلى المدينة التي كان معروفا عنه فيها أنه «شاول المضطهد» ، فقد «حاول أن يلتصق بالتلاميذ ، وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تليمذ» (عدد 26). لقد كان من الصعب عليهم [112] أن يصدقوا أن مثل ذلك الفريسي المتعصب والذي بذل كل مافي طاقته لمالاشاة الكنيسة يمكن أن يكون تابعا مخلصا ليسوع .
«فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل ، وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه ، وكيف جاهز في دمشق باسم يسوع» (عدد 27).

فإذ سمع التلاميذ هذا قبلوه كواحد منهم ، وحينئذ توافر لديهم البرهان على صديق اختباره المسيحي . فذلك الذي كان مزمعا أن يصير رسولا للأمم في المستقبلكان الآن في المدينة التي عاش فيها زملاؤه الأولون، وكان الرسل بولس يتوق لأن يوضح لقادة اليهود النبوات الخاصة بالمسيا والتي تمت بمجيء المخلص وكان موقنا من أن معلمي الشعب هؤلاء الذين كان قبلا يعرفهم جيدا ، مخلصون وأمناء كما كان هو . ولكنه كان ممعنا في التفاؤل فأساء تقدير روح إخوته اليهود . وإذ كان يؤمل أنهم سيهتدون إلى الإيمان سريعاكانت خيبته مريرة ومع أنه كان «يجاهر باسم الرب يسوع وكان يخاطب ويباحث اليونايين» (عدد 28 ، 29).، فإن من كانوارؤساء الكنيسة اليهوديةرفضوا الإيمان «فحاولوأن يقتلوه» (عدد 29) . فامتلأ قلبه حزنا . كان على أتم استعداد لأن يسلم حياته للموت لو أمكنه بهذه الوسيلة أن يجعل بعضا منهم يقبلون إلى معرفة الحق . وبكل خزي وخجل كان يفكر في الدور الذي قام به عند استشهاد استفانوس ، والآن هاهو في جزعه ومحاولته أن يمحو اللطخة التي لصقت بذاك الذي قد اتهم ظلما فقد حاول أن يزكي ويبرر الحق الذي في سبيلهأسلم استفانوس روحه .

وإذ كان بولس مثل القلب حزنا بسبب قساوة أولئك الذين رفضوا الإيمان، ظل يصلي في الهيكل ،كما شهد هو بذلك فيما بعد ، وإذا به بعد قد حصل في [113] غيبه ، ومن ثم ظهر أمامه رسول سماوى وقال له : «أسرع ، واخرج عاجلا من أورشليم ، لأنهم يقبلون شهادتك عنى» (أعمال22 : 18) . كان بولس يميل للبقاء في أورشليم حيث كان يستطيع مواجهة المقاومة .كان يعتبر الهروب جبنالو أمكنه بواسطة بقائه أن يقنع بعض اليهود العنيدين بحق رسالة الإنجيل ، حتى ولو كلفه البقاء حياته . وهكذاأجاب قائلا :
«يارب ، هم يعلمون أني كنت أحبس وأضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك . وحين سفكدم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفا وراضيا بقتله ، وحافاظا ثياب الذين قتلوه» (أعمال 22 : 19 — 21). ولكن غرض الله لم يتفق مع تعريض حياة خادمه للخطر بلا داع . فأجابه رسول السماء قائلا : «اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدا» (أعمال 22 : 19 — 21).

فإذ علم الأخوة بهذه الرؤيا أسرعوا بتمهيد سبيل هروبه سرا من أورشليم خيفة اغتياله :
«أحضروهإلى قيصرية وأرسلوه إلى طرسوس» (عدد 30). وقد كان من نتائج رحيل بولس أن توقفت المقاومة والعنف من جانب اليهود إلى حين فكانت الكنيسة تنعم بفترة راحة في خلالها انضم إلى جماعة المؤمنين أنس كثيرون. [114] [115]

الفصل الرابع عشر

رجل يبحث عن الحق

(يعتمد هذا الفصل على مارود في أعمال9 : 32 ، 11 : 18).

إن بطرس الرسول وهو يجول في البلاد خادما وكارزا زار المؤمنين في لدة . وفي هذه المدينة شفي إينياس الذي ظل ملازما فراشه ثامنى سنين إذ كان مفلوجا . قال الرسول : «ياإينياس ، يشفيك يسوع المسيح. قم وافرش لنفسك . فقام للوقت . ورآه الساكنين في لده وسارون ، الذين رجعوا إلى الرب» (أعمال 9 : 34 ، 35).

أما يافا لم تكن تبعد كثيرا عن لده فكانت تعيش فيهاامرأة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة . فقد حببتها أعمالها الصالحة الكثيرة إلى قلوب الجميع . كانت طابيثا إحدىفضليات تلميذات يسوع وكانت حياتها ممتلئة بأعمال الحنان والحب والإحسان. كانت تعرف المحتاجين إلى الثياب المريحة والظمئين إلى الحب والعطف ، فكانت تقوم بخدمات مجانية للفقراءوالمحزونين. وكانت أصابعها أمهر وأسرع في العمل من شقشقة لسانها

«وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت» (أعمال9 : 37).وقد احست كنيسة يافا بخسارتها الفادحة ، فإذ سمع التلاميذ هناك أن بطرس في لدة أرسلو [116] إليه رسولين«يطلباناليه ان لايتوانى عن أن يجتاز اليهم .فقام بطرس وجاء معهما . فلما وصل صعدوا به إلى العلية ، فوقفت ليده جميع الأرامل يبكين ويرين أقمصة وثيابا مما كانت تعمل غزالة وهي معهن» (أعمال9 :37 ، 39).فبالنظر إلى حياة الخدمة التي عاشتها غزالة فلا غرابة إذا كانت الأرامل ينحن ويبكين ويسكبن الدموع السخينة على جثمانها العديم الحياة .

وقد تأثر قلب الرسول بالعطف وهو يرى حزن أولئك النسوة . وحينئذ أمر بإخراج أولئك الصديقات الباكيات من العلية وجثا وقدم صلاة حارة كي يعيد إلى غزالة الحياة والصحة. ثم التفت إلى الجسد وقال :» ياطبيثا ، قومي ففتحت عينيها , ولما أبصرت بطرس جلست» (أعمال 9 : 40)لقد كانت غزالة (طابيثا) ذات نفع عظيم للكنيسة . فرأى الله أنه من المناسب إعادتها من أرض العود حتى تظل مهارتها ونشاطها بركة للآخرين وكي يتقوى ملكوت المسيح ويشتد بواسطة إظهار قدرته .

وإذا كان بطرس لايزال في يافا استدعاه الله ليقدم رسالة الإنجيل إلى كرنيليوس في قيصرية ، وكان كرنيليوس هذا رومانيا وقائد مئة . وكان رجلا غنياكريم الخلق شريف النسب . وكان مركزه الاجتماعي محط ثقة وكرامة. ورغم أنه كنا وثنيا بحكم مولده وتربيته وتهذيبه ، إلا أنه عن طريق اتصاله باليهود واحتكاكه بهم حصل على معرفة الإله الحقيقي وكان يعبده بإخلاص القلب مبرهنا على خواص إيمانه بالرفق بالمساكين . وقد اشتهر هذا الرجل في كل مكان بإحسانه ، كما أكسبته حياة البر التي عاشها شهرة حسنة وسيرة عطرة بين اليهود والأمم ، وكان تأثيره سبب بركة لكل من عاشرهم . والسفر المقدس الموحى به يصفه على أنه : «تقيوخائف الله مع جميع بيته ، يصنع حسنات كثيرة للشعب ، ويصلي إلى الله في كل حين» (أعمال 10 : 2). [117]

فإذ كان كرنيليوس يؤمن بالله على أنه خالق السماء والأرض كان يوقره ويعترف بسلطانه ويسأل مشورته في كل شؤون الحياة . لقد كان أمينا للرب في حياته البيتية وفي شؤون وظيفته وواجباتها . كما أنه أقام في بيته مذبحا لله لأنه لم يكن يجرؤ على تنفيذ خططه أو الاضطلاع بمسؤولايته بدون معونة الله .

ومع أن كرينيليوس كان يؤمن بالنبوات وينتظر مجيئ المسيا فإنه لم يكن يعرف شيئا عن الإنجيل المعلن في حياة السيد المسيح وموته. لم يكن عضوا في الكنيسة اليهودية ، وقد نظر إليه اليهود على أنه وثني ونجس. ولكن نفس الساهر القدروس الذي قال عن ابراهيم «عرفته» عرف كرنيليوس أيضا وأرسلإليه رسالة من السماء مباشرة . وقد ظهر الملاك لكرنيليوس فيما كان يصلي .فإذ سمع قائد المئة شخصا يناديه باسمه داخله الخوف ، ومع ذلك فقد علم أنه هذا الرسولقد أتاه من قبل الله ، فقال : «ماذا ياسيد؟» ،فأجابه الملاك قائلا : «صلواتك وصدقاتكصعدت تذكارا أمام الله . والآن أرسل إلى يافا رجالا واستدع سمعان الملقب بطرس . إنه نازل عند سمعان رجل دباغ بيته عند البحر» (أعمال10 : 4-6).

إن دقة هذه التعليمات التي ذكرت فيها حتى حرفة الرجل الذي كان بطرس نازلا عنده تبرهن على أن السماء عليمة بتاريخ وعمل الناس في كل مراكز الحياة . فالله عليم باختبار العالم الوضيع وعمله ، وكما هو عليم باختبار وعمل الملك الجالس على عرشه.

«أرسلإلى يافا رجالا واستدع سمعان» وهكذا برهن الله على تقديره لخدمة الانجيل ولكنيسته المنظمة . ولكن الملاك لم يفوض إليه بأن يخبر كرنيليوس برواية الصليب . ولكن رجلا خاضعا للضعفات والتجارب البشرية ، كما كان قائد المئة نفسه ، كان هو الشخص المعين ليبشره بالمخلص المصلوب والمقام . [118] إن الله لايستخدم الملائكة الذين لم يسقطوا أبدا ليكونوا ممثليه بين الناس، بل يستخدم أناسا تحت الآلام مثل أولئك الذين يطلبون تخليصهم . لقد اتخذ المسيح جسم إنسان ليتمكن من الوصول إلى البشرية. كانت هنالك حاجة إلى المخلص إلهي بشري ليجيء بالخلاص إلى العالم. وقد أوكل إلى الرجال والنساء بتلك المأمورية المقدسة ألا وهي تعريف الناس : «بغنى المسيح الذي لايستقصى» (أفسسس 3: 8).

إن الرب في حكمته يجعل الذينيطلبونالحق في صلة مع من يعرفونه من بني جنسهم . فخطة السماء هي أن الذين حصلوا على النوريقدمونه لمن يعيشون في الظلمة . إن البشرية إذ تحصل على قدرتها وأهليتها من نبع الحكمة تغدو الوسيلة الفعالة التي عن طريقها يؤثر الإنجيل بقوته المنيرة على العقل والقلب .

كان كرنيليوس مطيعا للرؤيا بكل سرور . فعندما انطلق الملاك : «نادي اثنين من خدامه، وعسكريا تقيا من الذين كانوا يلازمونه ، وأخبرهم بكل شيئ وأرسلهم إلى يافا» (أعمال 10 : 7،8).

إن الملاك بعدما تحدث مع كرنيليوس ذهب إلى بطرس في ياافا . وكان بطرس في ذلك الوقت يصلي على سطح البيت ، ويخبرنا الكتاب قائلا أنه «جاع كثيرا واشتهى أن يأكل . وبينما هم يهيئون له ، وقعت ليه غيبة» (أعمال 10 :10). فبطرس لم يكون جائعاإلى الخبز الجسدي وحده ، فهو إذ أشرف من فوق السطح على ندينة يافا والقرى المجاورة لها كان يجوع إلى خلاصبني جنسه. كان يرغب رغبة حارة في أن يريهم من الكتب المقدسة النبوات التي تشير إلى آلام المسيح وموته .

في الرؤيا رأى بطرس «السماء مفتوحة ، وإناءا نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض . وكان فيه كل دواب الأرض [119] والوحوش والزحافات وطيور السماء . وصار إليه صوت قم يابطرس ، واذبح وكل . فقال بطرسكلا يارب . لأني لم آكل قط شيئا دنسا أو نجسا . فصار إليه أيضا صوت ثانية ما طهره الله لاتدنسه أنت . وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناءأيضا إلى السماء» (عدد 11 -16).

هذه الرؤيا انطوت على توبيخ وتعليم لبطرس .فقد كشفت له عن قصد الله ـــأنه بموت المسيح يبنغي أن يصير الأمم ورثةمع اليهود في بركات الخلاص. إلى

ذلك الحين لم يكن أحد من التلاميذ قد كرز بالإنجيل للأمم . فحائط السياج المتوط الذي قد هدمه موت المسيح كان لايزال موجودا في أذهانهم . ولذلك فد قصرووا خدماتهم على اليهود إذ كانوا يعتبرون أن الأمم محرومون من بركات الإنجيل . أما الآن فقد كان الرب يحاول أن يعلم بطرس مدى اتساع تدابيره التي تشمل العالم كله .

كان كثيرون من الأمم يصغون بكل انتباه إلى كرازة بطرس والرسل الآخرين ، وكثيرون من اليهود اليونانيين صاروا مؤمنين بالمسيح ، ولكن اهتداء كرنيليوس كان هو الأول في أهميته بين الأمم.

لقد حان الوقت الذي فيه تشرع كنيسة المسيح بالدخول في مظهر جديد من مظاهر العمل . فالباب الذي أغلقه كثيرون من المهتدين اليهود في وجه الأمم كان سيفتح الآن على مصراعيه. والذين قبلوا الإنجيل من الأمم كانوا سيعتبرون متساوين مع التلاميذ اليهود دون أن تكون بهم حاجة إلى ممارسة فريضة الختان.

فبأي حرص واهتمام عمل الرب للتغلب على التعصب ضد الأمم الذي كان متاصلا وراسخا في ذهب بطرس بواسطة تربيته اليهودية . فبرؤية الملاءةومحتوياتها حاول الرب أن يحرر عقل الرسول من هذا التعصب ويعلمه الحق [120] الهام القاضي بأن السماء ليس فيها محاباة للوجوه، وأن اليهودي والأممي كلاهما مكرمان في نظر الله، وأنه في المسيح يمكن للوثنيين أن يصيروا شركاء في بكرات الإنجيل وامتيازاته .

وإذ كان بطرس يفكر متأملا في معنى الرؤيا وصل إلى يافا الرجال الموفدون من قبل كرنيليوس ووقفوا أمام البيت الذي كان فيه . فقال له الروح : «هوذا ثلاثة رجال يطلبونك . لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب في شيئ ، لأني أنا قد أرسلتهم» (عدد 19، 20).

وكان هذا أمرا صعب التنفيذ في نظر بطرس، ولذلك فبكل نفور كان بطرس يخطوا خطوة في أثر خطوة وهو يشرع في القيام بالواجب المفروض عليه ولكنه لم يكن يجرؤ على العصيان. «فنزل بطرس إلى الرجال الذين أرسلوا إليه من قبل كرنيليوس ، وقال ها انا الذي تطلبونه . ماهو السبب الذي حضرتهم لأجله ؟» فأخبروه عن مهمتهم الفريدة قائلين : «إن كرنيليوس قائد مئة ، رجلا بارا وخائف الله ومشهودا له من كل أمة اليهود ، أوحي إليه بملاك مقدس أن يستدعيكإلى بيته ويسمع منك كلاما» (عدد 21 ، 22).

فامتثالا للتعلميات التي كان قد تلقاها من الله في تلك الساعة وعدهم بطرس بالذهاب معهم , وفي صبيحة اليوم التالي انطلق معهم إلى قصيرية مصطحبا معه ستة من إخوته . وكان لابد من وجود شهود يشهدون عن كل ماسيقوله أو يفعله في أثناء زيارته للأمم ، لأن بطرس كان يعلم أنه لا بد سيدعى ليقدم حسابا عن مثل ذلك الانتهاك المباشر للتعاليم اليهودية .

وعندما دخل بطرس بيت ذلك الرجل الأمم لم يصافحه كرنيليوس على أنه إنسان عادي بل كمن تكرمه السماء وكم أرسله إليه الله . من بين عادات أهل الشرق أن ينحني الإنسان أمام ملك أو أمير أو أحد الأحبار العظام ، كما كان [121] على الأولاد أن ينحنوا أمام والديهم ، أما كرنيليوسفإذ غمره شعور بالاحترام والتوقير لمن قد أرسله إليه اللهليعلمه خر عند قدمي الرسول وسجد له . فارتعب بطرس وأقام قائد المئة قائلا له : «قم ، أنا أيضا انسان » (عدد 26).

عندما انطلق رسل كرنيليوس لاستدعاء بطرس ، «وقد دعا أنسابه وأصدقاءه الأقربين» (عدد 24) لكي يسمعوا هم أيضا الكرزة بالإنجيل . فلما وصل بطرس وجد كثيرين مجتمعين وهم ينتظرون بلهفة للإصفاء إلى أقواله .

وخاطب بطرس أولئك المجتمعين أولا عن عادة اليهود التي تحرم على رجل يهودي أن يختلط بالأمميين في المجتمع ، وكيفأن هذا العمل ينطوي على نجاسة طقسية . فقال لهم: «أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه . واما أنا فقد أراني الله أن لاأقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس . فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتموني . فـأستخبركم : لأي سبب استدعيتموني ؟» (عدد 28 ، 29).

حينئذ أخبره كرنيليوس باختباره وبكلمات الملاك ، وختم حديثه بالقول : «فأرسلت إليك حالا ، وأنت فعلت حسنا إذ جئت . والآن نحن جميعا حاضرون أمام الله لنسمع ماأمرك به الله».

فقال بطرس : «بالحق أنا أجد أن الله لايقبل الوجوه. بل في كل أمة ، الذي يتقيه ويصنع البر مقبول عنده» (عدد 34، 35).

بعد ذلك كرز بطرس بالمسيح أمام هؤلاء القوم الذين أصاخوا بآذانهم حتى لاتفوتهم أي كلمة. فتكلم عن حياة المسيح ومعجزاته وتسليمه وصلبه وقيامته وصعوده وعمله في السماء كنائب وشفيع عن الإنسان. فإذ وجه بطرس أنظار [122] أولئك الحاضرين إلى يسوع باعتبارهرجاء الخاطئ الوحيد فهمهو نفسه وأدرك إدراكا كاملا معنى الرؤيا التي كان قد رآها ، فاتقد قلبهبروح الحق الذي كان يقدمه لهم . وفجأة قوطع الكلام بحلول الروح القدس : «فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة . فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان ، كل من جاء مع بطرس ، لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضا .لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بألسنة ويعظمون الله».

«حينئذ أجاب بطرس أترى يستيطع أحد أن يمنع الماء حتى لايعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا ؟ وأمر أن يعتمدوا باسم الرب» (عدد 44 — 48).

وهكذا قدم الإنجيل إلى الذين كانوا غرباء وأجانب مما جعلهم مواطنين مع القديسين وأعضاء في بيت الله . إن اهتداء كرنيليوس وأهل بيته كان باكورة حصاد عظيم ومزمعا أن يجمع إلى المخزن . ومن ذلك البيت أنجز عمل من أعمال النعمة الواسعة النطاق في تلك المدينة الوثنية.

واليوم لايزال الله يبحث عن النفوس بين العظماء كما بين البسطاء . يوجد كثيرون أمثال كرنيليوس يرغب الرب في أن يربط بينهم وين عمله في العالم. إن ميولهم وعواطفهم هي مع شعب الرب ولكن الروابط التي تربطهم بالعالم تشدهم إليه بكل قوة . إن وقوفهم إلى جانبالمسيح يتطلب شجاعة أدبية . فينبغي بذل جهود خاصة مع هذه النفوس لأن هؤلاء الناس همفي خطر جسيم بسبب التزاماتهم وعلاقاتهم بمن حولهم.

إن الله يطلب عمالا غيورين ودعاء يحملون رسالة الإنجيلإلى الطبقات الراقية . هنالك معجزات ينبغي أن تتم نحو تجديد الناس تجديدا حقيقيا — معجزات لانشاهدها [123] في هذه الايام . إن أكبر عظماء هذه الأرض ليسوا أبعد من أن تصل إليهم قدرة الله صانعة المعجزات . فلو أن أولئك العاملين معه يحسنون انتهاز الفرص ويؤدون واجبهم بكل شجاعة وأمانة ، فالله سيهدي ويجدد الذين يحتلون مراكز تنطوي على مسؤليات جسيمة والذين يتمتعون بالذاء ، والنفوذ العظيم. فكثيرون سيقبلون المبادئ الإلهية عن طريقة قوة الروح القدس. وإذ يهتدون إلى الحق فسيصيرون آلات في يد الله لمشاركة النور مع الآخرين سيما الجالسين في الظلمة. وسيشعرون بمسئوليتهم العظيمة تجاه النفوس من بين أفراد هذه الطبقة المهملة . وسيكرسون الوقت والمال لعمل الرب فتضاف إلى الكنيسة كفاءة وقوة جديدتان .

إن كرنييليوس إذ كان مطيعا للتعليمات التي قد تلقاهافقد وجه الله الأحداث بحيث أعطي له حق أعظيم . فقد جاء رسول من مواطن السماء إلى قائد المئة الروماني هذا ، وإلى بطرس كي يكون كرنيليوس على اتصال بذلك الإنسان الذي كان يستطيع أن يقوده إلى نور أعظيم .

كثيرون في عالمنا هذا هم أقرب إلى ملكون الله مما نظن. ففي عالم الخطيئة المظلم هذا هنالك خاصة للرب (جواهر ثمينة) وسيرشد رسله إليهم.وفي كل مكان يوجد من سيقفون إلى جانب المسيح . وكثيرون سيقدرون حكمه الله فوق كل ميزة أرضية وسيصونون حاملي النور الأمناء . فإذ تحصرهم محبة المسيح يقنعون الآخرين بالمجيء إليه .

وعندما سمع الإخوة الذين في اليهودية أن بطرس قد ذهب إلى بيت رجل أممي وكرز للمجتمعين هناك دهشوا واغتاظوا . وقد باتوا يخشون أن يكون تصرفه هذا الذي بدا لهم أنه ينطويعلى كثير من الجرأة ، معطلا لتعليمه. فعندما رأوا بطرس بعد ذلك جلعوا يوجهون إليه ألفاظ اللوم القاسية قائلين «إنك دخلت إلى رجال ذوي غلفة وأكلت معهم» (أعمال11: 3). [124]

وقد بسط بطرس أمامهم المسألة كلها . فحدثهم عن اختباره في أمر الرؤيا التي رآها وقال أنها كانت إنذارا له حتى لايعود فيما بعد يراعى الفروق الطقسية الخاصة بالختان والغزلة ، ولا أن ينظر إلى الأمم على أنهم نجسون .

وأخبرهم عن الأمر الذي صدر إليهبأن يذهب إلى الأمم ، وعن مجيء رسل قائدة المئة ، وعن سفره إلى قيصرية ومقابلته لكرنيليوس . وأخبرهم عن حديثه مع قائد المئة الذي فيه أخبره كرنيليوس عن الرؤيا التي أمر باستدعاء بطرس بناء عليها .

وإذ كان بطرس يسرد عليهم اختباره قال : «فلما ابتدأت أتكلم ، حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضا في البداءة. فتذكرت كلام الرب كيف قالإن يوحنا عمد بماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس. فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لناأيضا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح ، فمن أنا ؟ أقادر أمنه الله ؟» (أعمال 11 : 15- 17).

فإذ سمع الإخوة هذا التقرير سكتوا وإذ اقتنعوا بأن تصرف بطرس كان إتماما مباشرا لتدبير الله وأن تعصبهم وانطواءهم يناقضان روح الإنجيل مناقضة قاطعة ، كانوا يمجدون الله قائلين : «إذا أعطى الله الأمم أيضا التوبة للحياة» (أعمال 11 : 18).

وهكذا بدون جدال ، نقض سياج التعصب ، والاعتزال والانطواء والموانع التي ظلت راسخة بحكم العادة مدى عصور طويلة تركت واندثرت ، وفتحت الطريق للكرازة بالإنجيل بين الأمم. [125]

الفصل الخامس عشر

النجاة من السجن

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال12 : 1-23).

«وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسيئ إلى أناس من الكنيسة» (عدد 1).

وفي ذلك الحين كانت إدارة اليهويدة تحت سلطان هيرودس أغريباس وكان هذا خاضعا لكوديوس الامبراطور الروماني . كما كان هيرودس أيضا واليا على الجليل . وكان يجاهر باهتدائه إلى الإيمان اليهودي وكان حسب الظاهر غيورا جدا في حفظ طقوس الشريعة اليهودية . وإذ كان يحاول أن يخطب ود اليهود ويكتسب رضاهم ،آملا أن هذا سيجعله يحتفظ بوظائفه وألقابالشرق التي له ، بدأ في تنفيذ رغباتهم باضطهاد كنيسة المسيح ، مدمرا بيوت المؤمنين ومفيدا أمتعتهم وملقيا في السجن بكبار أعضاء الكنيسة. فطرح يعقوب أخا يوحنا في السجن ثم أرسل جلادا فقتله بالسيف تماما كما فعل هيردوس آخر من قبله. يقطع رأس النبي يوحنا المعمدان. وإذ رأى أن اليهود قد سروا كثيرا بتلك الجهود عاد فقبض على بطرس وألقى به في غياهب السجن .

وقد ارتكبت أعمال القسوة والوحشية هذه في أثناء عيد الفصح. ففيما كان اليهود يحتفلون بذكر نجاتهم من مصر ويتظاهرون بالغيرة على شريعة الله كانوا [126] في الوقت ذاته يتعدون على كل مبدأ من مبادئ تلك الشريعة باضطهادهم وقتلهم للمؤمنين بالمسيح .

وقد أحدث موت يعقوب حزنا وذعرا شديدين بين المؤمنين . وعندما طرح بطرس أيضا في السجنعكفت الكنيسة كلها على الصوم والصلاة.

وقد صفق اليهود لما قام به هيرودوس في قتل يعقوب ، وإن يكن بعضهم قد تذمروا واشتكوا لكون القتل قد تم خفية ، قائلين أنه لو عمل ذلك على ملأ منالشعب لكان كفيلابأن يلقي الرعب في قلوب المؤمنين ومن يعطفون عليهم . فلأجل ذلك ألقى هيرودس بطرس في السجن مزمعا أن يشبع نهم الشعب إلى رؤية أعمال القسوة بقتل بطرس جهارا . ولكن البعض اقترحوا أن إخراج كبير الرسل هذا والرجل المحنك بينهم ليقتل أمام كل الشعب المجتمع في أورشليم لإحياء العيد لن يكون مأمون العاقبة ، وكان يخشى أن يثير منظره وهو خارج ليقتل ، عطف الشعب .

وقد كان الكهنة والرؤساء أيضا يخشون أن يلقي بطرس خطابا من خطاباتهالقوية التي سبق أن أيقظت الشعب لدراسة حياة يسوع وصفاته- تلك الخطابات التي لم يستطيعوا هم مع قوة حججهم أن يناقضوها أو يفندوها . إن غيرة بطرس في الدفاع عن دعوىالمسيح قادت كثيرين للوقوف إلى جانب الإنجيل ، فبات الرؤساء يخشون أنه إذا أتيحت له الفرصة ليدافع عن عقيدته أمام الجماهير الذين قد أتوا إلى المدينة للعبادة فإنهم سيطلبون من الملك إطلاق سراح بطرس.

وفي حين أرجئ قتل بطرس إلى مابعد الفصح، لأسباب وحجج مختلفة،فإن أعضاء الكنيسة كان لديهم متسع من الوقت لفحص قلوبهم والصلاة الحارة ,كانو يصلون لأجله بلا انقطاع لأنهم أحسوا أنهم لايستطيعون الاستغناء عنه في [127] قضية الحق. وتحققوا من أنهم وصلوا إلى الحد الذي فيه ستدمر

كنيسة المسيح وتتلاشى، مالم يقدم الرب لهم عونا خاصا .

وفي أثناء ذلك كان العابدون من كل أمة يقصدون الهيكل المكرس لعبادة الله . فإذ كان يتوهج بالذهب والأحجار الكريمة كان مشهدا من مشاهد الجمال والعظمة . ولكن الله لم يعد يوجد في هذا القصر الجميل . إن إسرائيل كأمة كانت قد أفلتت نفسهامن يد الله . وعندما نظر المسيح لآخر مرة إلى ماداخل الهيكل ،قرب انقضاء خدمته على الأرض ، قال «هوذا بيتكم يترك لكم خرابا».(متى 23 : 38). كان قبل ذلك يدعوا الهيكلبيت أبيه ولكن إذ خرج ابن الله من ذلك البيت فقد انسحب حضور الله إلى الأبد من الهيكل المبني لمجده. أخيرا حدد اليوم الذي فيه قتل بطرس، ومع ذلك فقد كانت صلوات المؤمنين تصعد إلى السماء بلا انقطاع . وبينما كانوا يستجمعون كل نشاطهم وعواطفهم في صلوات جارة في طلب العون ، كانت ملائكة السماء تحرس الرسول السجين .

وإذ تذكرهيرودس المرات الماضية التي فيها نجا الرسل من السجن ، أعد هذه المرة احتياطات مشددة مضاعفة. فلكي يسد على بطرس كل منافذ النجاة، ولكيلايبقى لهروبه أي إمكانية وضعه تحت حراسة أربعة من العسكر (16 ــــ جنديا). كانوا يتناوبون حراسته نهارا وليلا . وفي زنزانته داخل السجن وضعبطرس بين عسكريين وكان مقيدا بسلسلتين كل منهما كانت مثبتة في أحد العسكريين. ولم يكون يستطيع أن يبدي حراكا بدون علمهما . فإذ كانت أبواب السجن موصدة بكل إحكام وأمامها الحراس الأشداءفقد انقطع كل أمل في النجاة أو الهروب بوسائل بشرية.ولكن أقصى درجات الشدة والخطورة التي يقع فيها الإنسان ، هي فرص الله السانحة. [128]

كان بطرس سجينا في زنزانة منقورة في الصخر وكانت أبوابها موصدة بكل إحكام وحرص وعناية ، وكان الجنود الذين يتولون الحراسة مسئولين عن بقاء السجين بين جدران زنزانته . ولكن الحرس الروماني والمتاريس والمزاليج التي قضت على كل أمل في معونة البشرية ، كانت مزمعة أن تثبت انتصار الله في نجاة بطرس . كان هيرودس يرفع يده ضد القدير وكان سيصاب بهزيمة ماحقة . إن الله إذ أبرز قدرته كان مزمعا أن ينقذ تلك الحياة الثمينة العزيزة التي كان اليهود يتآمرون على اهلاكها .

كانت تلك هي الليلة الأخيرة قبل تنفيذ حكم الاعدام المقترح . ولكن ملاكا قويا يرسل من السماء لإنقاذ بطرس . فتنفتح أمامه الأبواب القوية التي كان قديس الله محبوسا خلفها، تفتح دون مساعدة بشرية . ويمر من خلالها ملاك الله العلي ، ثم تغلق تلك الأبوابمن خلفه دون أدنى ضجة . فإذ يدخل الزنزانة يجد بطرس نائما نوم الاطمئنان الناشيئ عن الثقة الكاملة.

وها هو النور المحيط بالملاك يملأالزنزانة ولكن ذلك لايوقظ الرسول . فهو لم يستيقظ حتى أحس بلمسة يد الملاك وسمع صوت قائلا : « قم عاجلا» (عدد7). فإذ يستيقظ يرى غرفته وقد غمرها نور السماء وملاكا محاطا بمجد عظيم واقفا فقبالته. فبحركة آلية يطيع بطرس الأمر الصادر إليه ، وإذ ينهض رافعا يديه يحس إحساسا غامضا بأن السلسلتين قد سقطتا من يديه .

ومرة أخرى يأمره صوت الرسول السماوي قائلا : «تمنطق والبس نعليك». ومرة أخرى ينصاع بطرس للأمربطريقة آلية مثبتا نظراته المتسائلة في زائره وهو يظن أنه يحلم أو يرى رؤيا. ومرة أخرى يأمره الملاك قائلا: «البس ردائك واتبعني» (عدد 8). فيتحرك صوب الباب يتبعه بطرس الذي كان عادة ثرثارا أما الان فقد عقدت الدهشة لسانه. فيتجاوزان [129] الحرس ويصلان إلى البابالموصد بمزاليج ثقيلة والذي ينفتح لهما من ذاته ثم يغلق ثانية في الحال بينما كان الحراسة في الداخل والخارج يقفون في أماكن حراستهم بدون أدنى حركة .

وبعد ذلك يصلان إلى الباب الثاني الذي عليه أيضا حراس من الداخل والخارج . فينفتح لهما كما انفتح الأول بدون صرير أو ضوضاء فيمران عبر بلاضجة ، وبنفس الطريقة يجوزان من خلال الباب الثالث

ومن ثم يجدان نفسيها في الشارع الخارجي . لم تسمع كلمة ولم يحس أحد بوقع أقدامهما . فيتقدمه الملاك يحيط به نور يبهر الأنظار ، أما بطرس الذي استولت عليه الدهشة والحيرة فكان لايزال يعتقد أنه يحلم وهو يسير تابعا منقذه . وهكذا يخترفان شارعا، وحينئذ فإن الملاك وقد أنجز مهتمه ، اختفى فجأة .

اختفى النور السماويفأحس بطرس بالظلام الدامس من حوله ، ولكن عندما اعتادت عيناه على الظلام خفت حلوكته تدريجياووجد بطرس نفسه وحيدا في ذلك الشارع الساكن ونسيم الليل البارد يداعب وجهه . لقد تحقق لديه الآن أنه حر في حي من أحياء المدينة مألوف لديه . لقد كان يعرف ذلك المكان معرفة جيدة إذ كثيرا ماكان يزوره ، وكان ينتظر أنه سيمر فيه في الغد لآخر مرة إذ كان سيساق للإعدام .

حاول بطرسأن يسترجع إلى ذاكرته حوادث اللحظات الأخيرة. فتذكر أنه كان قد نام وهو موثق بين العسكريين بعدما خلع نعليه وثيابه الخارجية. فجعل يتحسس جسمه الآن فوجد أنه لابس كل ملابسه وأنه متمنطق . ويداه المتورمتان من أثر الحديد القاسي الذي كان فيهما، تحررتا الآن من القيود . وقد تحقق من أن حريته لم تكن خداعا أو تضليلا، لا حلما ولا رؤيا بل حقيقة واقعة مباركة . [130] فيصبيحة اليوم التالي كان مزمعا أن يساق إلى اموت ، ولكن ، هوذا الملاك ينقذه من السجن والموت : «فقال بطرس ، وهو قد رجع إلى نفسه الآن علمت يقينا أن الرب أرسل ملاكه وأنقذني من يد هيرودس ، ومن كل انتظار شعب اليهود» (عدد 11).

ففي الحال شق الرسول طريقه منطلقا إلى البيت الذي كان إخوته في الرب مجتمعين فيه حيث كانوا في تلك اللحظة عاكفين على الصلاة الحارة لأجله : «فلما قرع بطرس باب الدهليز جاءت جارية اسمها رودا لتسمع. فلما عرفت صوت بطرس لم تفتح الباب من الفرح ، بل ركضت إلى داخل وأخبرت أن بطرس واقف قدام الباب. فقالوا لها أنت تهذين. وأما هي فكانت تؤكد أن هكذا هو . فقالوا إنه ملاكه . وأما بطرس فلبث يقرع . فلما فتحو ورأوه اندهشوا . فأشار إليهم بيديه ليسكتوا ، وحدثهم كيف أخرجه الرب من السجن» . ثم أن بطرس «خرج وذهب إلى موضع آخر» (عدد 14 — 17). وقد امتلأت قلوب كل المؤمنين فرحا وامتلأت أفواههم ترنما وتسبيحا لأن الله قد سمع لهم واستجاب صلواتهم وأنقذ بطرس من يدي هيرودس . وفي الصباح اجتمع حشد كبير من الناس ليشهدوا مقتل الرسول . فأرسل هيرودس ضباطا إلى السجن لإحضار بطرس الذي كان ينبغي إحضاره في عرض كبير للأسلحة والحراس ، ليس فقط ليضمن عدم إفلاته وإنما أيضا لكي يلقي الرعب في قلوب كل من يعطفون عليه ليظهر قدرته وسلطانه .

وعندما اكتشف الحراسةالواقفون أمام الباب أن بطرس قد هرب استولى عليهم الرعب .كان قد تقرر بكل وضوح بأن حياتهم ستكون رهنا بحياة أسيرهم ، ولأجل هذا كانوا ساهرين ويقظين . فعندما جاء الضباط يطلبون [131] بطرس كان الحراس لايزالون على باب السجن وكانت الأقفال والعوارض مثبتة في أماكنها وكانت السلاسلفي يدي الجنديين أما الجسن فكان قد مضى .

وعندما بلغ خبر هروب بطرس مسامع هيرودس اهتاج وغضب أشد الغضب . وإذ اتهم حراس السجن بعدم الأمانةأمر بقتلهم . لقد عرف هيرودس أن يدا بشرية لم تكون هي التي أنقذت بطرس ولكنه أصر على عدم الاعتراف بأن قوة إلهية أحبطت أغراضه ووقف في جرأة يتحدى الله.

وبعدما نجا بطرس من السجن بوقت قصيرة ذهب هيرودس إلى قيصرية. وإذ كان هناك أقام احتفالا عظيما وكان قصده من ذلك أن يثير إعجاب الشعب ويظفر باستحسانهم. وقد حضر إلى هذ المهرجان طلاب السرور والملذات من كل الأرجاء وكانت هنالك ولائم خمر كثيرة وعربدة. وقد ظهر هيرودس أمام الشعب في أبهة وعظمة وفخامة وجلال وجعل يلقى عليهم خطابا بليغا. وإذ كان متسربلابحلة تتألق بالذهب والفضة انعكست عليها أشعة الشمس في طياتها للامعة فبهرت عيون المشاهدين فبدا الملك بهيا ، رائعا وفائق الجمال. إن جلال مظهره وقوة لغته المميزة هزا مشاعر أولئك المحتفلين بقوة عظيمة. وإذ كانت

مشاعرهم قد تلقت بفعل النهم في الأكل والإفراط في شرب الخمر فقد بهرتهم الزينات التي كان هيرودس يتحلى بها . وقد سحر الملك ألبابهم بتصرفه وصفاحة خطابه. وإذ تحمسوا له إلى حد الجنون وأمطروه بوابل من كلامالمداهنة والتملق ، معلنين أنه لايمكن لبشر أن يظهر بمثل ذلك المظهر أو تكون له مثل تلك الفصاحة المذهلة. ثم أعلنوا فوق ذلك أنهم وإن كانوا قبلا يكرمونه كحاكم فإنهم من الآن سيسجدون له كإله.

إن بعضا من أولئك الناس الذين كانت أصواتهم تسمع حينئذ ممجدة رجلا خاطئا نجسا ، كانوا منذ سنوات قليلة يصيحون صيحات مجنونة قائلين: خذ [132] يسوع ، اصلبه ، اصلبه ، لقد رفض اليهود قبول المسيح الذي كانت ثيابه خشنة ومتسخة من وعثاء السفر ولكنها كانتتخفي قلبا مفعما بمحبة الله . لم يمكن لعيونهم أم ترى ماهو خلف ذلك المظهر الخارجي الوضيع ، رب الحياة والمجد ، مع أن قدرة المسيح تحلت أمامهم فيأعمال وعظائم لايمكن أنيجريها مجرد إنسان . ولكنهم كانوا على أم الاستعداد لتقديم عبادتهم وسجودهم للملك المتعجرف الذي كانت ثيابه الفاخرة المزينة بالذهب والفضة تخفي تحتها قلبا فاسدا قاسيا .

ولقد عرف هيرودس أنه لم يكن يستحق شيئا من كل ذلك التمجيد والولاء ، ومع ذلك فقد قبل من الشعب تلك العبادة الوثنية كأنها من حقه. وقد خفق قلبه بفرحة الانتصار ، وتألق وجهه إذ أشبع غروره وكبرياؤه عندما سمع الشعب يهتفون له قائلين : «هذا صوت إله لاصوت إنسان» (عدد22).

ولكن فجأة طرأ عليه تغيير مخيف فقد شحب وجهه شحوب الموت وتشوه بالعذاب . وقد نضحت من جسمه قطرات كبيرة من العرق. ووقف لمدى لحظة كام لو كان قد طعن بالألم والرعب . وحينئذ إذ اتجه ببصره إلى أصدقائه المصعوقين من هول الرعب بوجهه المحتقن الممتقع صرخ صراخت يأس جوفاء قائلا:إن الذي كنتم تمجدونه كإله قد طعن بحربة الموت .

وإذ كان يقاسي أشد العذابات المبرحة حمل من ذلك المشهد ، مشهد العربدة والمظاهر الخلابة . قبل ذلك بلحظة كان يتقبلالتمجيد والعبادة من ذلك الجمع الغفير في عجرفة وكبرياء ، أما الآن فقد تيقن أنه بين يدي حاكم أعظم وأقوى منه. وقد اكتنفته الندامة وتبكيت الضمير ، فقد ذكر اضطهاده لتلاميذ المسيح في غير رحمةأو هوادة ، وذكر أمرهالقاسي القاضي بقتل يعقوب البار ، وعزمه على القضاء على رسول بطرس بالموت ، وذكر [133] كيف أنه في خيبته وسخطه الفاشل صب جامات انتقامه غير المعقول على حراس السجن. وقد أحس بأن الله يتعامل مع الآن، معه هو المضطهد الذي لايعرف الرحمة . ولم يجد راحة لا من آلام الجسد ولا من عذاب العقل ، ولم يكن ينتظر شيئا من ذلك .

لقد كان هيرودس يعرف شريعة الله القائلة : «لايكن لك آلهة أخرى أمامي» (خروج 20 : 3)، وعرف أنه بقبوله لعبادة الشعب ملأ مكيال إثمه وجلب على نفسه غضب الرب العادل.

إن نفس الملاك الذي نزل من السماء لإنقاذ بطرس كان هو رسول الغضب والدينونة لهيرودس . لقد ضرب الملاك جنب بطرس ليوقظه من النوم ، ولكن الضربة التي وجهها إلى ذلك الملك الشرس كانت تختلف عن هذه إذ وضع كبيرياءه في الرماد وجلب عليه قصاص الله القدير . وقد مات هيرودس متأثرا بعذابات جسدية وعقلية هائلة تحت دينونة الله وعقابه .

هذا وقد كان لإظهار عدل الله تأثيره القوى الفعال على الشعب . فالأخبار القائلة أن رسول المسيح قد نجا بطريقة معجزية من السجن والموت في أن المضطهد قد صعق بلعنة الله ، وصلت إلى كافة البلدان واكنت من بين الوسائل العاملة على الإتيان بكثيرين إلى الإيمان بالمسيح .

إن اختبار فيلس الذي وجهه وجه ملاك من السماء لأن يذهب إلى مكان يجد فيه شخصا يبحث عن الحق ، واختبار كرنيليوس الذي زاره ملاك برسالة من الله ، واختبار بطرس السجين وهو محكوم عليه بالموت والذي أخرجه ملاك إلى رحاب السلامة والحرية —— كل ذلك يبرهن على العلاقة الوثيقة والقرب

العظيمبين السماء والأرض . [134]

إن هذا البيان المسجل في تلك الزيارات الملائكية ينبغي أن يلهم كل عامل في كرم الرب بالقوة والشجاعة . إن رسل السماء ، بكل يقين هم اليوم كما في أيام الرسل ، يجوبون الأرض طولا وعرضا ، مجتهدين في تعزية المحزونين وإرشاد غيرالتائبين وجذب الناس إلى المسيح . ولايمكننا أن نراهم بعيوننا ، ومع ذلكفهم معنا يرشدوننا ويجهوننا ويحرسوننا .

إن السماء قد غدت قريبة من الأرضبفضل تلك السلم السرية التي ترتكز بكل ثبات على الأرض بينما رأسها يمس عرض الله السرمدي . والملائكة علىالدوام يصعدون وينزلون على هذه السلم المتألقة بالنور وهم يحملون صلوات المحتاجين والمتضايقين إلى الآب في السماء ، ويعودون محملين بالبركة والرجاء والشجاعة والعون لبني الإنسان. هؤلاء الملائكة المتألقون بالنور يخلقون جوا سماوياحول النفس ويرفعوننا إلى غيرالمنظور والأبدي . لايمكننا رؤيتهم بعيوننا البشرية الطبيعية ، إنما بالبصيرة الروحية نستطيع أن نميز ونرى الأمور السماوية .والأذن الروحية هي وحدها التي تستطع أن تسمع الأصوات السماوية المتناسقة. «ملاك الرب حال حول خائفيه ، وينجيهم» (مزمور34: 7). إن الله يفوض ملائكته أمر تخليص مختاريه من النوازل التي تحيق بهم ، وحراستهم من«وبإ يسلم في الدجى ، و... هلاك يفسد في الظهيرة» (مزمور91 : 6). ومرار وتكرار تحدث الملائكة مع الناس كما يحدث الانسان صاحبه وقادوم إلى مواطن السلامة. ومرار عديدة كانت كلمات التشجيع التي نطق الملاكة كفيلة بتجديد قوة نفوس الأمناء الخائرة ، فرفعت أفكارهم فوق الأمور الأرضية وجعلتهم يرون بالإيمان الثياب البيضاء والأكاليل وسعوف النخل رمز الانتصار . تلك الأشياء التي ستعطى للغالبين حينما يجتمعون حولالعرش العظيمالأبيض . [135]

إن عمل الملائكة هو أن يقتربوامن المجربين والمتألمين والمتضايقيين. وهم يخدمون بلا كلل أولئك الذين قد مات المسيح لأجلهم. وعندما يسلم الخطاة أنفسهم للمخلص فالملائكة يحملون تلك الأخبار السارة إلى السماءفيكون فرح عظيم بين أجناد السماويين : «يكون فرح في السماءبخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لايحتاجون إلى توبة» (لوقا15 : 7) . وسيرسل خبر إلى السماء عن كل مسعى ناجح من جانبنا لطرد الظلمة ونشر معرفة المسيح. وعندما يتلى الخبر أمام الآب، فإن قلوب كل أجناد السماء تهتز فرحا . إن رؤساء وسلاطين السماء يرقبون الحرب التي يخوض عبيد الله غمارها في ظروف تبدو مثبطة للهمم . وإذ يخرج المسيحيون المحتشدون حول راية فاديهم ليجاهدوا جاهد الإيمان الحسن ، فإنهميحرزون انتصارات جديدة ويكسبون أوسمة شرف . كل ملائكة السماء هم في خدمة شعب اللهالمتواضعين المؤمنين. وعندما ينشد العاملون في جيش الرب هنا على الأرض أناشيد الحمد فان أجواق السماويين تشترك معهم إذ يقدمون التسبيح لله ولابنه .

علينا أن ندرك إدراكا أفضل مما ندرك الآن رسالة الملائكة.ويحن بنا أن نذكر أن كل ابن حقيقي لله ينال عون الخلائق السماوية. إن جيوش النور والقوة غير المنظورة ترافق الودعاء والمتواضعين الذين يؤمنون ويطالبون بحقهم في في مواعيد الله . فالكاروبيم والسرافيم والملائكة المقتدرون قوة يقفون عن يمين الله : «جميعهم أرواحاخادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص» (عبرانيين 1: 14). [136] [137]

الفصل السادس عشر

رسالة الإنجيلفي أنطاكية

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال11 : 19 -26 ، 13 : 1-3).

بعدما طرد التلاميذ من أورشليم بسبب الاضطهاد انتشرت رسالة الإنجيل بسرعة في الأقاليم البعيدة عن تخوم فلسطين وكونت جماعات صغيرة كثيرة من المؤمنين في مراكز هامة. وبعض التلاميذ «اجتازوا إلى فينيقية وقبرس وأنطاكية» يكرزون بالكلمة (أعمال 11 : 19) وقد كانت جهودهم مقصورة على العبرانيين واليهود واليونانين ، وكانت توجد في ذلك الحين مستعمرات كبيرة مأهولة بهم في أغلب بلدان العالم.

ومن بين الأماكن المذكورة حيث قبل الناس الإنجيل بفرح مدينة أنطاكية التي كانت حاضرة سوريا حينذاك. ثم أن التجارة الواسعة التي تحمل من ذلك المركز الآهل بالسكان جلب إلى تلك المدينة أناساكثيرين من أجناس مختلفة. وفضلا عن هذا فإن أنطاكية اشتهرت بكونها مأوى لمحبي الراحةوالملذات نظرا لموقعها الحسن وبيئتها الجميلة والثروة والمدنية والثقافة التي كانت توجد فيها . وفي أيام الرسل قد صارت مدينة الترف والرذيلة. [138]

وقد علم بالانجيل في أنطاكية جهارابعض التلاميذ القادمين من قبرص وبلاد القيروان . «مبشرين بالرب يسوع» (أعمال11: 20) «وكانت يد الرب معهم»وأثمرت جهودهم الجادة الغيورة ثمارات مفرحة «فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب» (عدد 21).

«فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم ، فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى أنطاكية» فلما وصلإلى حثلخدمته الجديد رأى العمل الذي أتمته نعمة الله «فرح ، وعظ الجميع ان يثبتوا في الرب بعزم القلب» (عدد 22 ، 23).

وقد بوركت خدمات برنابا في أنطاكية بغنى فانضم عدد كبير إلى المؤمنين هناك. وإذ تقدم العمل ونما أحس برنابا بحاجته إلى معونة مناسبة كي يتقدم بالعمل الذي أتاحتعناية الله فرصا سانحة للسير به قدما. فخرج إلى طرسوس ليطلب بولس ، الذي بعد رحيله عن أورشليم قبل ذلك بزمن ، كان يخدم في» أقاليم سورية وكيليكية» «يبشر ... بالايمان كان قبلا يتلفه» (غلاطية 1 : 21، 23). وقد أفلح برنابا في العثور على بولس وبإقناعه بالرجوع معه ليكون زميلا له في الخدمة .

وقد وجد بولس في مدينة أنطاكية المزدحمة بالسكان حقلا خصبا للخدمة . فقد كان لعملهالواسع وحكمته وغيرته تأثير فعال على السكان ومن كانوا يفدون على تلك المدينة التي كانت مركزا للثقافة والمدنية ، وقد برهن بولس أنه المعين الكفء الذي يحتاجه برنابا . وقد ظل ذانك التلميذان يخدمان سنة كاملةيدا واحدة في خدمة أمينة ، وكانا يقدمان لأناس كثيرين معرفة يسوع الناصري الخلاصية ، الذي هو فادي العالم .

ودعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولا . وقد أطلق عليهم هذا الاسم لأن المسيح كان الموضوع الرئيسي في كرازتهم وتعليمهم وأحاديثهم . وكانوا [139] باستمراريقصون أخبار الأحداث التي جرب

مدى أيام خدمة المسيح على الأرض عندما تبارك التلاميذ بوجوده شخصيا معهم. ولم يكونوا يكلون من إطالة شرح تعاليمه ومعجزات الشفاء التي أجراها . وبشفاه مرتجفة من فرض التأثر وبعيون دامعة تحدثوا عن عذابه النفسي في البستان وتسليمهومحاكمته وصلبه ، وعن الاحتمال والوداعة الذين بهما احتمل الخزء والعذاب الذين أوقعهما عليه أعداؤه ، والحنان الإلهي الذي به صلى لأجله مضطهديه . وقد كانت قيامته وصعوده وعمله في السماء كوسيط عن الإنسان الساقط، مواضيع سرهم أن يتحدثوا عنها كثيرا . فحسنافعل الوثنيون إذ دعوهم مسيحيين حيث أنهم كرزوا بالمسيح وقدموا صلواتهم لله عن طريقه .

إن الله هوالذي أطلق عليهم اسم مسيحيين. هذا اسم ملكييعطى لكلمن يتحدون بالمسيح. لقد كتب يعقوب في رسالته عن هذا الاسم فيما بعد يقول : «أليس الأغنياء يتسلطونن عليكم وهم يجرونكم إلى المحاكم ؟ أما هم يجدفون على الاسم الحسن الذي دعي به عليكم ؟» (يعقوب2 : 6 7) وقد أعلن بطرس قائلا : «وكلن إن كان كمسيحي، فلا يخجل ، بل يمجد الله من هذا القبيل»، «إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم، لأن روح المجد والله يحل عليكم» (1 بطرس 4: 16 ، 14).

وقد تحقق المؤمنون في أنطاكية بأن الله يريد أن يعمل في حياتهم : «أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسراة» (فيلبي2 : 13) . فإذ كانوا يعيشون بين أناسبدا أنهم لايكتثرون للأمور ذات القيمة الأبدية إلا بالنزر اليسير ،فقد حاولوا أن يوجهوا انتباه ذوي القلوب الأمينة إلى ذاك الذي قد أحبوه وخدموه وأن يقدموا عنه شهادة إيجابيه صريحة. وفي خدمتهم المتواضعة تعلموا الاعتماد على قوة الروح القدس كي يجعل كلمة الحياة قوية وفعالة. وهكذا ففي مسالك الحياة المختلفة قدموا كل يوم الشهادة لإيمانهم بالمسيح . [140]

إن مثل تلاميذ المسيح في أنطاكية ينبغي أن يكون مصدر إلهام لكل مؤمن يعيش في مدن العالم العظيمة في عصرنا هاذ ا . حين يتضح في نظام الله أن العمال المختارين المكرسينذوي المواهبينبغي أن يوجدوا في مراكز هامة حيث يكثر السكان ، ليكونوا في الطليعة في المساعي العامة , فإن قصده ايضا أن أعضاء الكنائس العائشين في هذه المدن يستخدمون المواهب الممنوحة لهممن الله في خدمة النفوس . توجد بركات غنية مختزنة لأولئك الذين يخضعون خضوعا كاملا لدعوة الله. وإذ يحاول أمثال أولئك الخدام أن يربحوا نفوسا ليسوع فسيجدون أن كثيرين ممكن لم يكون ممكنا الوصل إليهم بأية طريقة أخرى هم مستعدون للاستجابة للجهود الشخصية الذكية . إن عمل الله في الأرض اليوم بحاجة إلى ممثلين أحياء لحق الكتاب المقدس . إن الخدام المرسومين وحدهم ليسوا أكفاء لإنذار المدن العظيمة . إن الله لايدعوا الخدام وحدهم بل هو يدعوا أيضا الأطباء والممرضين موزعي الكتاب والمتجولين ، وخدام الكلمة وغيرهم من العلمانيين المكرسيين ذوي المواهب المختلفة الذين لهم إلمام بكلمة الله ويعرفون قوة نعمته ليراعوا حاجات المدن التي لم يصلها الإنذار . إن الوقت يمر سريعا وهنالك عمل كثير. فينبغي استخدام كل وسيلة للعمل حتى يمكن استخدام الفرص السائحة، بأفضل طريقة .

إن خدمات بولس التي قام بها في أنطاكية بصحبة برنابا زادت من اقتناعه بان الرب قد دعاه ليقوم بعمل خاص بين الأمم . في وقت اهتداء بولس أعلن الرب أنه سيكون خداما للأمم : «لتفتح عيونهم كي يجرعوا من ظلمات إلى نور ، ومن سلطان الشيطان إلى الله ، حتى ينالو بالايمان بي فقران الخطايا ونصيبيا مع المقدسين» (أعمال26 : 18). إن الملاك الذي ظهر لحنانيا قال عن بولس : «لأن هذالي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملولك [141] وبني إسرائيل» (أعمال 9 : 15). وبولس نفسه ، في اختباره المسيحي فيما بعد ، بينما كان يصلي في الهيكل في أورشليم، زاره ملاك من السماء وأمره قائلا : «اذهب ، فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدا» (أعمال 22 : 21).

وهكذا فوض الرب إلى بولسأمر الدخول إلى ذلك الحقل الكرازي المتسع بين الأمم في كل العالم . فلكي يعده الله لهذا العمل الواسع الشاق ، جعله في شركة واتصالبشخصه وكشف لبصيرته الفرحة المتهللة عن مناظر ومشاهد جمال السماء ومجدها . وقد فوض بخدمة إعلان «السر الذي كان مكتوما في الأزمنة

الأزلية» «سر بمشيئته» (رومية16 : 25أفسس1 ك: 9)، «الذي في أجيال أهر لم يعرف به بنو البشر ، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبياءه بالروح . أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال موعده في المسيح بالإنجيل» وقد أعلن بولس قائلا : «الذي صرت أنا خادما له .. لي أنا أصغر جميع القديسين ، أعطيت هذه النعمة ، أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لايستقصى ، وأنير الجميع في ماهو شركةالسر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح . لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماوايات، بواسطة الكنيسة ، بحكمة الله المتنوعة ، حسب قصد الدهور الذي صنعه المسيح يسوع ربنا» (أفسس3 : 5 — 11).

كان قد بارك جهود بولس وبرناباببركات غزيرة في غضوب السنة التي قضياها مع مؤمني أنطاكية . ولكن أيا منهما لم يكن قد أقيم رسميالخدمة الإنجيل . كانا الآن قد بلغا في اختبارهما المسيحي حدا كان الله مزمعا فيه أن يكل إليهما القيام بمشروع كرازي شاق ، ولكي يتمماه كانا بحاجة إلى كل ميزةيمكن الحصول عليهابواسطة الكنيسة . [142]

«وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون : برنابا ، وسمعان الذي يدعى نيجر ، ولوكيوس القيرواني ، ومناين ..وشاول . وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه» (أعمال 13 : 1 ، 2). إن هذين الرسولين قبل إرسالهما كمرسلين إلى العالم الوثني ، كرسا لله تكريسامقدسا بالصوم والصلاة ووضع الأيدي . وهكذا رخصت لهما الكنيسة ليس فقط بأن يعلما الناس الحق ، بل أيضا أن يمارسا فريضة المعمودية وأن ينظما الكنائس ، إذ كانا مزودين بسلطان الكنيسة الكامل .

كانت الكنيسة في ذلك الحين مقبلة على حقبة هامة في تاريخها . إن عمل إذاعة رسالة الإنجيل بين الأمم كان مزمعا أن ينجز بكل نشاط ، ونتيجة لذلك كانت الكنيسة ستتقوى بحصاد عظيم للنفوس . والرسولان اللذان تعين عليهما أن يسيرا في الطليعة في هذا العمل لابد أن يصيراهدفا للشبهة والشكوك والتعصبوالحسد . وتعاليمهما الخاصة بنقض «حائط السياج المتوسط» الذي ظل يفصل طويلا بين اليهود والأمم ، سيعرضهما بطبيعة الحال لتهمة الهرطقة ، وكثيرون من اليهود المؤمنين الغيورين سيشكون في سلطانها كخادمين للإنجيل. وقد سبق لله أن رأى المشقات التي سيواجهها خادماه ، فلكي يكون عملهما فوق كلاعتراض أعلن للكنيسة إعلانا سماويا أن تفرزهماعلنا لعمل الخدمة . وقد كان فرزهما وتكريسهما اعترافا علنيا بتعيينهما من قبل الله لحمل بشارة الإنجيل المفرحة للأمم.

كان بولس وبرنابا كلاهما قد أخذا تفوضيهما من الله نفسه ، وإن خدمة وضع الأيدي لم تضف إليهما نعمة جديدة أو صلاحية فعلية . إنما كانت فقط شكلا معترفا به من أشكال التعيين لوظيفة المعينة ، واعترافا بسلطة ذلك الشخص في تلك الوظيفة. وبواسطته وضع ختم الكنيسة على عمل الله. [143]

وقد كان لهذا الطقس في نظر اليهود دلالته العظيمة. فعندما كان الأب اليهودي يبارك أولاده كان يضع يديه على رؤوسهم بكل وقار . وعندما كان يكرس الحيوان للذبيحة كان الشخص المزود بالسلطان الكهنوتي يضع يده على رأس الذبيحة . وعندما وضع خدام الكنيسة المؤمنون في أنطاكية أيديهم على بولس وبرنابا ، فإنهم بذلك العمل سألوا الله أن يمنح بركته لرسوليه المختارين بتكريسهما للعمل الخاص الذي عينا له .

وفي تاريخ لاحق بعد ذلك ، أسيئ استخدام طقس التكريس بوضع الأيدي إلى حد كبير. فقد نسبت إلى هذا الطقس ينالون قوة مباشرة وقوية تؤهلهم لكل أنواع الخدمة الرعوية. ولكن عند إفراز هذين الرسولين ، لم يذكر شيئ يدل على أن قوة قد منحت لهما لمجرد عملية وضع الأيدي . إنما ذكر فقط الخبر البسيط خبر تكريسهما وعلاقة هذاالتكريس بعملهما في المستقبل .

إن الظروف المتصلة بفرز بولس وبرنابا بواسطة الروح القدس ليقوما بعمل خدمة معين ، ترينا بوضوح أن الرب يعمل عن طريق وسائل معينة في كنيسته المنظمة .قبل ذلك بسنين عندما أعلن المخلص نفسه ، القصد الإلهي الخاصببولس الأول مرة ، أدخل بولس في الحال في صلة معأعضاء كنيسة دمشق المنظمة حديثا. وفضلا عن ذلك فإن الكنيسة في تلك المدينة لم تظل جاهلة للاختبار الشخصي الذي كان يجوز فيه ذلك الفريسيالمهتدي. عندما حان موعد تنفيذ تلك المأمورية الإلهية التي كلف بها عندما ظهر له الرب قرب دمشق ، فإن الروح القدس إذ شهد مرة ثانية عن بولس كالإناء المختارليحمل الإنجيلإلى الأمم ، أوكل إلى الكنيسة مهمة سيامته هو وزميله. فإذ كان قادة الكنيسة في أنطاكية «يخدمون الرب ويصومون ، قال الروح القدس : «أفرزوا برنابا وشاول للعمل االذي دعوتهما إليه» (أعمال13 : 2). [144] لقد جعل الله كنيسته على الأرض أداة للنور ، وعن طريقها يوصل للناس مقاصده وإرادته. إنه لايعطي واحدا من خدامه اختبارا مستقلا ومناقضا لاختبار الكنيسة نفسها . وكذلك هو لايعطي فردا معرفة إرادته لأجل الكنيسة كلها ، بينما الكنيسة ــــجسد المسيح ـــــ تترك في الظلام . إنه في عنايته يجعل خدامه في صلة وثيقة بكنيسته حتى يكونوا أقل ثقة في نفوسهم وأكثر ثقة في الآخرين الذين يقودهم ويفرزهم لإنجاح عمله وتقدمه.

يوجد في الكنيسة دائما جماعة يميلون على الدوام إلى الاستقلالالشخصي ويبدوا أنهم غير قادرين على الإدراك بأن استقلال الروح كفيل بأن يجعل الإنسان يثق في نفسه أكثر من اللازم ويركن إلى حكمه ولايحترم مشورة إخوته ولا يقدر حكمهم ، وعلى الخصوص أولئك الذين يشغلون المراكز التي قد عينها الله لقيادة شعبه . لقد زود الله كنيسته بسلطان وقوة خاصة لاحق لإنسان أن يستخف بهما أو يحتقرهما ، لأن من يفعل هذا إنمايحتقر صوت الله .

إن من يميلون إلى اعتبار حكمهم الشخصي أسمى حكم ، هم في خطر جسيم . إن مسعى الشيطان المدروس هو أن يفصل أمثالهؤلاء عن أولئك الذين هم أدوات للنور ، الذين قد عمل الله من خلالهم كي يقيم عمله وينشره في الأرض . إن إهمال أو احتقار أولئك الذين قد عينهم الله لحمل تبعات القيادة فيما يختص بتقدم الحق ، معناه رفضالوسيلة التي قد رسمها الله لمعاونة شعبه وتشجعيهم وتقويتهم . فكون أي خادم يعمل في ملكوت الله يتجاوز هؤلاء الأشخاص في غير اكتراث ظانا أن نوره ينبغي ألا يأتي منأي قناة أخرى بل من الله مباشرة ، فهو بذلك يضع نفسه في وضع يجعله عرضة لأن يخدعه العدو فيسقط أخيرا . لقد رتب الله في حكمته أنه بواسطة الصلة الوثيقة التي يجب أن يحرص عليها جميع المؤمنين يتحد المؤمن بأخيه المؤمن والكنيسة بالأخرى . وهكذا [145] تستطيع الوسائل البشرية أن تتعاون مع الوسائل الإلهية , كل عامل ينبغي أن يكون خاضعا للروح القدس ، وكل المؤمنين يتبطون معا في مجهود منظم وموجه توجيها حسنا لتقديم بشارة نعمة الله للعالم.

وقد اعتبر بولس فرصة تكريسه الرسمي نقطة بدء تاريخ جديد هام في عمل حياته. وفيما بعد اعتبر هذا الوقت هو بدء عمله كرسول في الكنيسة المسيحية. وفي حين كان نور الإنجيل يضيئ بلمعان عظيم في أنطاكية كان يوجد عمل هام به الرسل الذين بقوا في أورشليم. ففي كل سنة في أوقات الأعياد كان كثيرون من اليهود يأتون من كل البلدان إلى أورشليم ليسجدوا في الهيكل . وكان بعض هؤلاء الحجاج رجالا أتقياء وغيورين وكانوا يدرسون النبوات بكل غيرة واجتهاد. كانوا ينتظرون بشوق عظيم مجيئ المسيا الموعود به ورجاء إسرائيل. وإذ امتلأت أورشليم بهؤلاء الغرباءكان الرسل يكرزون بالمسيح بشجاعة لاتنثني ، مع علمهم أنهم بهذا التصرف كانوايجازفون بنفوسهم ويقدمون على مخاطرة عظيمة. وقد ختم روح الله جهودهم هذه بخاتم استحسانه، كما اهتدى كثيرون إلى الإيمان، وهؤلاءعند عودتهم إلى أوطانهم في أنحاء العالم المختلفة نشروا بذار الحق في كل الأمم وبين كل طبقات المجتمع.

وكان من أشهر الرسل الذين قاموا بهذا العملبطرس ويعقوب ويوحنا الذين كانوا واثقين من أن الله قد

أقامهم ليكرزوا بالمسيح بين مواطني بلدتهم. وقد خدموا بكل أمانة وحكمة شاهدين بما قد رأوه وسمعوه ، وموجهين الأنظار إلى«الكلمة النبوية وهي أثبت» في محاولتهم أن يقنعوا «بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ، ربا ومسيحا» (2 بطرس 1 : 9 ، أعمال 2:36). [146] [147]

الفصل السابع عشر

الكارزون بالإنجيل

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال13 : 4 — 52)

إن بولس وبرنابا بعدما وضع الإخوةأيديهم عليهما في انطاكية : «إذ أرسلا من الروح القدس انحدرا إلى سلوكية ، ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس» (عدد 4) وهكذا بدأ الرسولان سفرتهما الكرازية الأولى.

كانت قبرس إحدى الأماكن التي هرب إليها المؤمنون من أورشليم بسبب الاضطهاد الذي حدث إثر موت استفانوس . ومن قبرس سافر رجال إلى أنطاكية «مبشرين بالرب يسوع» (أعمال 11: 20) . وقد كان برنابا نفسه «قبرسي الجنس» (أعمال 4 : 36) ، والآن ها برنابا وبولس ويتبعهما يوحنا مرقس الذي هو من أقرباء برنابا يذهبون لزيارة هذه الجزيرة.

كانت أم مرقس تعتنق الدين المسيحي وكان بيتها في أورشليم ملجأ للتلاميذ. وكانوا واثقين دائما من أنهم سيجدون ترحيبافي ذلك البيت حيث يتمتعون بفترة راحة . وفي أثناءإحدى زيارات الرسولين لبيتها عرض مرقس على بولس وبرنابا أنه ينبغي له أن يصحبهما في سفرتهما الكرازية . لقد أحس برضى الله في قلبه فاشتاق إلى أن يكرس نفسه بالتمام لعمل خدمة الإنجيل . [148]

فإذ وصلوا إلى سلاميس«ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود ..ولما اجتازا الجزيرة إلى بافوس ، وجدا رجلا ساحرانبيا كذابا يهودياسمه باريشوع كان مع الوالي سرجيوس بولس ، وهو رجل فيهم . فهذا دعا برنابا وشاول والتمس أن يسمع كلمة الله . فقاومهما عليم الساحر، لأن هكذا يترجم اسمه طالبا أن يفسد الوالي عن الإيمان» (عدد 5 — 8).

إن الشيطان لايسمح بأن يقام ملكوت الله في الأرض إلا بعد حرب ونضال . إن قواتالشر مشتبكة أبدا في حرب لاتنقطع ضد القوات المعينة لنشر الإنجيل . وقات الظلمة هذه تكون على أتم نشاطها على الخصوص عندما يكرز بالإنجيل أمام رجاالمشهورين المتصفين بالسيرة النقية والاستقامة التي لاغبار عليها . هكذا كانت الحال عندما كان سرجيوس بولس والي قبرس يصغي إلى رسالة الانجيل . لقد أرسل الوالي يدعوا الرسولين حتى يتعلم منهما الرسالة التي كانا يحملانها ، والآن ها هي قوات الشر تعمل عن طيق عليم الساحر وتحاول بواسطة مقترحاتهاالمهلكة أن تفسد الوالي عن الإيمان وبذلك تعرقل مقاصد الله .

وهكذا يعمل العدو الساقط على إبقاء الناس ذوي النفوذ بين صفوفه ، أولئك الذين لو اهتدوا إلى الله فلا بد أن يسدوا إلى عمله خدمات جليلة فعالة . ولكن لاحاجة بخادم الإنجيلالأمين أن يخاف الهزيمة أمام العدو ، لأن من امتيازاته أن يكون مزودا بقوةمن فوقللصمود أمام كل تاثيرشيطاني. ومع أن الرسول بولس واجه هجوم الشيطان ومقاومته ، فقد كانت لديه شجاعة بها انتهر ذاك الذي اتخذه العدو مطية له واستخدمه لإتمام أغراضه. فالرسولإذ امتلأ من الروح القدس شخص اليه وقال : «ايها الممتلئ كل غش وكل خبث ، ياابن ابليس ، ياعدو كل برألا تزال تفسد سبل اللهالمستقيمة؟ فالآن هوذا يد الرب عليك ، فتكون أعمى

لاتبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه [149] ضباب وظلمة، وفجعل يدور ملتمسا من يقوده بيده. فالوالي حينئذ لما رأى ماجرى ، آمن مندهشا من تعليم الرب» (عدد9 — 12).

كان الساحر قد أغمض عينيه حتى لايرى براهين حق الانجيل ، ولذلك فالرب في غضبه العادل جعل عينيه الطبيعيتين تصابان بالعمى إذ حرمه من نور النهار . إلا أن هذا العمى لم يكن مستديما بل كان إلى حين لكي يكون تحذيرا له كي يتوب ويطلب الغفران من الله بعد أن قد أسخطه جدا . فالارتباك الذي حل به لاشي تأثير حيله الماكرة ضد تعاليم المسيح. وإن حقيقة كونه كان ملتزما أن يتلمس بيديه ويتحسس طريقه في ظلام العمى أثبتت للجميع أن المعجزات التي أجراها الرسولان ، والتي ادعى هو أنها قد صنعت بطريق الخداع وخفة اليد ، صنعت بقوة الله . فإذا اقتنع الوالي بصدق التعاليم التي قدمها له الرسولان قبل الإنجيل.

لم يكن عليم هذا رجلا متعلما ومع ذلك فقد كان مؤهلا بطريقة خاصة ليعمل عمل الشيطان. إن الذين يكرزون بحق اللهسيواجهون العدو المحتال في أشكال مختلفة كثيرة . فـأحيانايواجهونه في شخص رجل عالم و لكن في احيان اخرى كثيرة في شخص اناس جهلاء دربهم االشيطان كي يكونوا آلا ت ناجحة في خداع النفوس. فمن واجب خادم المسيح أن يوقف في مكانهأمينافي خوفالله وفي شدة قوته . وهكذا يستطيع أن يوقع أعوان الشيطان في الحيرة والارتباك وينتصر باسم الرب.

وقد واصل بولس ورفيقاه السير في رحلتهم فوصلو إلى برجة بمفيلية . وقد كان طريقهم شاقا وقابلوا صعوبات جمة وعوزا وحرماناومكتنفين بالمخاطر من كل جانب . ففي المدن الصغيرة والكبيرة التي اجتازوا فيها وفي الطرقالعامة الموحشة كانوا محاطين بالمخاطر المنظورة والخفية. ولكن بولس وبرنابا كانا [150] قد تعلما أن يثقا في فدرة الله على إنقاذهما . كان قلباهما مفعمين حبا حارا للنفوس الهالكة. فكرعاة أمنااء يبحثون عن الخروف الضال ، لم يكونا يفكران في راحتهما أو استجمامهما . فاذ نسيا نفسيهما تماما لم يضطرباوهما يعانيان من شدة التعبوالجوع والبرد. كان أمام نظريهما هدف واحد- خلاص أولئك الذين قد ضلوا وتاهوا بعيدا عن حظيرة الله .

في هذا المكان ، إذ كان مرقس مكتنفا بالخوف وخور العزيمة ، تردد بعض الوقت في عزمه على ان يكرس نفسه بقلبكامل لعمل الرب. فإذ لم يكن معتادا على المشقات خار عزمه أمام مخاطرالطريق والضنك والحرمان . لقد كانت خدمته ناجحة في الظروف المؤاتية أما الآن ففي وسط المقاوماتوالمخاطر التي كثيرا ماتكتنف الخادم االجديد ، فقد أخفق في احتمال المشقات كجندي صالح للصليب. لقد كان عليه أن يتعلم مجابهة الخطر والاضطهاد والشدة بقلبشجاع. فإذ تقدم الرسولان وكان هو يخشى من وقوع مشقات وضيقات أعظم جبن قلبه وفارقته شجاعته فرفض مرقسالتقدم في سيره وقفل راجعا إلى أورشليم .

فهكذا النكوص والهجران جعل بولس يحكم على مرقس حكما جائرا بل قاسيا لبعض الوقت . أما برنابا فكان يميلإلى مسامحته نظرا لقلة اختباره. وكان مهتما ألا يترك مرقس الخدمة ، لأن كان يرى فيه مؤهلات يمكن أن تجعله خادما نافعا للمسيح.وفي السنين التي جاءت بعد ذلك كوفئ جزعه على مرقس مكافأة غنية لأن هذا الشاب أسلم نفسه للرب في غير تحفظ ودأب على نشر رسالة الإنجيل في حقول مختلفة صعبة.بفضل بركة الله وتدريب برنابا الحكيم صار خادما نافعا .

وبعد ذلك تصالح بولس مع مرقس وقبله شريكا معه في الخدمة. كما امتدحه لدى أهل كولوسي على أنه عامل معه في«ملكوت الله» وسبب «لي تسلية [151] (تعزية)» . وقبيل موته تكلم بولس الرسول عن مرقس مرة أخرى باعتباره نافعاله«للخدمة» (كولوس 4: 11 ، 2تيموثاوس 4: 1).

وبعد مفارقة مرقس لهما زار بولس وبرنابا أنطاكية بيسيدة ، وفي يوم السب دخلا مجمع اليهود وجلسا : «وبعد قراءة الناموس والأنبياء ، أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين أيها الرجال الاخوة، إن كانت

عندكم كلمة وعظ للشعب فقولو» (عدد15). فإذا قدمت له الدعوة للكلام «فقام بولس واشار بيده وقال : « أيها الرجال الاسرائليون والذين يتقون الله ، اسمعوا» (عدد 16). ثم تلا ذلك خطاب عجيب عرض فيه بولستاريخ تعامل الرب مع شعبه منذ خروجهم من عبودية مصر وكيف قدم لهم الوعد بمجيئ مخلص من نسل داود. وبعد ذلك أعلن بكل جرأة قائلا: « من نسل هذا ، حسب الوعد ، أقام الله لاسرائيل مخلصا ، يسوع إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل . ولما صار يوحنا يكملسعيه جعل يقول : من تظنون أني أنا ؟لست أنا إياه، لكن هوذا يأتي بعدين الذي لست مستحقا أن أحل حذاء قدميه» (عدد 23 — 25) . وهكذا بكل قوة كرز بيسوع كمخلص الناس والمسيا الذي تكلمت عنه النبوات .

وبعدما قدم بولس هذا الإعلان قال : «أيها الرجالالاخوة بني جنس ابراهيم والذين بينكم يتقون الله ، إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص .لأن الساكنين في في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا . وأقوال الأنبياء التي تقرأ كل سبت تمموها إذ حكموا عليه» (عدد26 ، 27).

ولم يتردد بولس في التكلم بالحقالصريح عن رفض رؤساء اليهود للمخلص. فقد أعلن الرسول قائلا: «ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوامن بيلاطس أن يقتل . ولما تمموا كل ماكتب عنه ، أنزلوه عن الخشبة ووضعوه في قبر . ولكن الله أقامه من الأموات, وظهر أياما كثيرة للذين [152] صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم، الذين هم شهوده عند الشعب» (عدد 2831).

ثم استطرد الرسول يقول : «ونحن نبشركم بالموعد الذي صار لآبائنا ،إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم ، إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضا في المزمور الثاني : أنت ابني أنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموت ، غير عتيد أن يعود أيضا إلى فساد ، فهكذا قال : إني سأعطيكم مراحم داود الصادقة. ولذلك قال أيضا في مزمور آخر : لن تدع قدوسك يرى فسادا. لأن داود بعد ماخدم جيله بمشورة الله، رقد وانظم إلى آبائه ، ورأى فسادا. وأما الذي أقامه الله فلم يرى فسادا»(عدد 32- 37).

والآن فبعدما تحدث بولس صراحة عن إتمام النبوات المألوفة الخاصة بالمسيا جعل يكرز لهم بالتوبة وغفران الخطية باستحقاق يسوعمخلصهم فقال : «فليكن معلوما عندكم أيها الرجال الإخوة ، أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا ، وبهذا يتبرر كل من يؤمن من كل مالم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى» (عدد 38 ، 39).

لقد كان روح الله يرافق هذه الأقوال التي قيلت فتأثرت القلوب. إن التجاء الرسول إلى نبوات العهد القديم وإعلانه بأن هذه النبوات قدتمت في خدمة يسوع الناصري ، حملت قوة إقناع عظيمة إلى قلوب كثيرين ممن كانوا يشتاقون إلى مجيئ المسيا الموعود به . وأقوال المتكلم اليقينية على أن البشارة أو الأخبار السارة عن الخلاص هم لليهود والأمم على السواء جلبت الرجاء والفرح لأولئكالذين لم يكونوا محسوبين ضمن نسل إبراهيم حسب الجسد.

«وبعدما خرج اليهود من المجمع جعل الأمم يطلبون إليهما أنيكلماهم بهذا الكلام في السبت القادم . ولما انفضت الجماعة ، تبع كثيرون من اليهود [153] والدخلاء المتعبدين بولس وبرنابا ، اللذين كانا يكلمانهم ويقنعانهم أن يثبتوا في نعمة الله» (عدد 42 ، 43).

وقد كان الاهتمامالذي ثار في نفوس الناس في أنطاكية بيسيدية على أثر الخطاب الذي ألقاه بولس عظيما جدا بحيث أنه في السبت التالي : «اجتمعت كل المدينة تقريبا لتسمع كلمةالله . فلما رأى اليهود الجموع امتلأوا غيرة ،وجعلوا يقاومون ماقاله بولس مناقضين ومجدفين).

«فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب أن تكلموأنتم أولا بكلمة الله ،ولكن إذ دفعتموها عنكم ، وحكمتكم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية ، هو ذا نتوجه إلى الأمم . لأن هكذا أوصانا الرب : قد أقمتك

نورا لأمم، لتكون أنت خلاصا أقصى أقصى الأرض».

«فلما سمع الأمم ذلك كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب. وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية» .لقدفرحوا فرحا عظيما لأن المسيح اعترف بهم أنهم أولاد الله ، وبقلوب شاكرة كانوا يصغون إلى الكلمةالمكروز بها . وأولئك الذين آمنوا كانوا غيورين في إبلاغ رسالة الإنجيل للآخرين ، وهكذا «وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة)(44- 49).

قبل ذلك بقرون تتبعالكاتب الملهم انضمام الأمم هذا ولكن تلك الأقوال النبوية لم تفهم بكل وضوح . فقد قال هوشع النبي : «لكن يكون عدد بنيإسرائيل كرمل البحر الذي لايكال ولايعد ، ويكون عوضا عن أن يقال لهملستم شعبي ، يقال لهم أبناء الله الحي» ثم يقوم أيضا : «وأزرعها لنفسي في الأرض ، وأرحم لورحامة ، وأقول للو عميأنت شعبي ، وهو يقول أنت إلهي» (هوشع 1 : 10 ،2: 23). [154]

إن المخلص نفسه في أثناءخدمته على الأرضأنبأ بانتشار الإنجيل بين الأمم. ففي مثل الكرم أعلن لليهود غير التائبين قائلا : «إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» وبعد قيامته فوض إلىتلاميذهأن يذهبوا «إلى العالم أجمع» و « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم». كان عليهم ألا يتركوا أحدا بدون إنذار بل كان يجب عليهم : «واكرزا بالإنجيل للخليقة كلها».(متى 21 : 43 ، 28 : 19 ، مرفس16 :15).

إن بولس وبرنابا إذ توجها إلى الأمم في أنطاكية بيسيدية لم يكفا عن خدمة اليهود في كل مكان أينما كانت توجد فرصة مؤاتية فيها يجدون من يسمعون .وبعد ذلك في تسالونيكي وكورنثوس وأفسس وغيرها من المراكز الهامة كان بولس وزملاؤه في العمل يكرزون بالإنجيل لليهود والأمم .ولكن منذذلك الحين كان الجانب الأكبر من جهودهم منصرفا إلى بناء ملكوت اللهفي الأقاليم الوثنيةبين الشعوب التي لم يكن لها غير معرفة قليلة أو لم يكن لها أي معرفة على الإطلاق بالإله الحقيقي وبابنه .

كان قلب بولس الرسول وقلوب رفاقه العاملين معه منجذبة نحو أولئك الذين كانوا «أجنبيين عن رعوية إسرائيل ، وغرباء عن عهود الموعد ، لارجاء لكم ، وبلا إله في العالم».وبواسطة خدمات الرسل التي لم تكل للوثنيين ، فإن «غرباء ونزلا» الذين«كنتم قبلا بعيدين ، صرتم قريبين بدم المسيح» وأنهم فالايمان بذبيحته الكفارية صاروا : «رعية مع القديسين وأهل بيت الله» (أفسس2:12 ، 13 ، 19).

وإذ تقدم بولس بالإيمان خدم بلا انقطاع في إقامة ملكوت الله بين أولئك الذين كان معلموا إسرائيل قد أغفلوهم. وبدون انقطاع كان يعظم ويمجد المسيح يسوع على أنه «ملك الملوك ورب الأرباب» (1 تيموثاوس6 : 15). [155] وكان يوصي المؤمنين أن يكونوا «متأصلين ومبنيين فيه ، وموطدين في الإيمان» (كولوسي2: 7).

إن المسيح بالنسبة للمؤمنين هو أساس راسخ وعلى هذا الحجر الحي يمكن لليهود والأمم على حد سواء أن يبنوا . إنه عريض بما فيه الكفاية بحيث يتسع للجميع ، ومتين وقوي جدا بحيث يسند أثقال وأحمال العالم كله . هذه حقيقة يعترف بها الرسول نفسه بكل صراحة . ففي ختام أيام خدمته ،عندما كتب إلى جماعة من الأمم المؤمنين الذين ظلوا ثابتين على محبتهم لحقالإنجيلقال : « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (افسس2 : 20).

وإذا انتشرت رسالة الإنجيلفي بيسيدية فإن يهود أنطاكية غير المؤمنين، في تعصبهم الأعمى ، «حركواالنساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة، وأثاروا اضطهاد على بولس وبرنابا ، وأخرجوهما منتخومهم» (عدد 50).

لم يفشل الرسولان بسبب تلك المعاملة ، فقد تذكرا أقوال سيدهما الذي قال : «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة ، من أجلي ، كاذبين ، افرحوا وتهللوا ، لأن أجركمعظيم في

السماوات ، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» (متى 5 : 11، 12).

كانت رسالة الإنجيل تنتشر وتتقدم وكان لدى الرسولين كل الأسباب لأن يتشجعا . لقد باركت السماء جهودهما بين أهل أنطاكية بيسيدية . أما التلاميذ والمؤمنون الذين تركهم الرسولانليحملوا أعباء العمل وحدهم بعض الوقت «فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس» (عدد 52). [156] [157]

الفصل الثامن عشر

الكرازة بين الوثنيين

(يعتمد هذا الفصلعلى ماورد في أعمال 14 : 1- 26).

انتقل بولس وبرنابا من أنطاكية بيسيدية لى أيقونة , وفي هذا المكان كمان في أنطاكية بدءا خدمتهما في مجمع بني شعبهما . وقد كللت خدماتهما بنجاح ملحوظ إذ «آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين» (عدد 1) . ولكن في أيقونة كما في باقي الأماكن التي خدم فيها الرسولان نجد أن «اليهود غير المؤمنين غرواوأفسدوا نفوس الأمم على الإخوة» (عدد2)

ومع ذلكفإن الرسولين لم يتحولا عن خدمتهما لأن كثيرين كانوا يقبلون إنجيل المسيح. ففي وجه المقاومة والحسد والتعصب ظلا يقومان بعملهما «يجاهران بالرب» والرب نفسه «كان يشهد لكلمة نعمته ، ويعطي أن تجرى آيات وعجائب على أيديهما» (عدد 3), فهذه البراهين على رضى الله واستحسانه كان لها تأثير قوي على أولئك الذين كانت عقولهم مفتوحة للاقتناع وتكاثر عدد المهتدين إلى الإنجيل

هذا وإن الشهرة المتزايدة التي كانت للرسالة التي حملها الرسولان ملأت قلوب اليهود غير المؤمنين بالحسد والكراهية فأصروا على إيقاف خدمات بولس وبرنابا [158] في الحال . فبواسطة البلاغات الكاذبة والمبالغ فيها جعلواالسلطات تخشى أن تكون المدينةكلها مهددة بخطرالتحريض على الثورة. وقد أعلنوا أن عدد كبيرا من الناس التصقوا بالرسولين وأوعزوا أن ذلك سببه المقاصد السرية والنوايا الخطرة .

فكان من نتائج هذه الاتهامات أن أوقف الرسولانمرارا أمام السلطات . ولكن دفاعهما كان واضحا ومعقولا جداوشرحهمالما قد علما به كان هادئا وشاملا بحيث انحاز كثيرون إلى جانبهما . ومع أن الولاة كانوا متحيزين ضدهما بسبب البلاغات الكاذبة التي سمعوها عنهما فإنهم لم يجرؤوا على إدانتهما . ولم يسعهم إلا الاعتراف بأن تعاليم بولس وبرنابا جعلت الناس قوما صالحين ومواطنين حريصين على السير بموجب القوانين ، وأن أخلاقأهل المدينةوالنظام المتسبب فيها لابد ان تتحسن وتصير الى حال أفضل لو قبل الناس تعاليم الرسولين.

ولكن رسالة الحق ظفرت عن طريق المقاومة التي اصطدم بها الرسولان بشهرة عظيمة. وقد رأى اليهود أن جهودهم التي بذلوها لتعطيل عمل المعلمين الجديدين كان من نتائجها زيادة عدد معتنقي العقيدة الجديدة. «فانشق جمهور المدينة ، فكان بعضهم مع اليهود ، وبعضهم مع الرسولين» (عدد4).

وقد اغتاظ رؤساء اليهود غيظا شديدا بسبب تطور الأمور بهذا الشكل بحيث قرروا الوصول إلى أغرا ضهم عن طريق الظلم والقسوة . فإذ أثاروأحط أهواء الرعاع الصخابين الجهلة وغضبهم فقد أفلحوا في إحداث شغبنسبوه إلى تعليم الرسولين . وبواسطة هذه التهمة الكاذبة كانوا يرجون الحصول على معونة من الحكام في تنفيذ غرضهم. وقد عزموا على ألا يعطوا الرسولين فرصة تبرئة نفسيهما وأن يتدخل الرعاع لرجم بولس وبرنابا ، وهكذا يبطلون خدماتهما . [159]

إن أصدقاء الرسولين ، وإن كانوا من غير المؤمنين ، حذروهما من نوايا اليهود ومؤامراتهم الخبيثة وألحوا عليهما بألا يعرضانفسيهما للرعاع الهائجين من غير داع بلأن يهربا لحياتهما . وتبعا لذلك رحل

بولس وبرناباعن أيقونة سرا تاركين الإخوة المؤمنين ليضطلعوا بأعباء العمل وحدهم إلى حين. ولكنهما لم يرحلا عنهم إلى غير عودة ، فلقد قصدا أن يعودا إليهم بعدما تخف حدة الاهتياج ، لتكملة العمل الذي بدءا به .

في كل عصر وقطر دعي رسل الله لمواجهة المقاومة المرتمن أولئك الذين اختاروابإصرار أن يرفضوا نور السماء وعن طريق التحريف والتشويه والكذب ، كثيرا ماانتصر أعداء الإنجيل انتصارا ظاهريا مزعوماإذ أغلقوا الابواب التي بواسطتها كان يمكن لرسل الله ان يصلوا الى الناس . ولكن هذه الابواب لايمكن ان تظل موصدة إلى الأبد، ففي غالب الأحيان عندما عاد خدام الله بعد وقت الاستئناف عمله كان الله يعمل لأجلهم بقوة حيث استطاعوا أن يقيموا نصبا تذكاريا لمجد اسمه تعالى.

فإّذ طرد الرسولان من أيقونية بسبب عنف الاضطهاد ذهبا إلى لسترة ودربة في ليكاؤنية . وكانت غالبية سكان هاتين المدينتين من الوثنيين المتعلقين بالخرافات ، ولكن كان يوجد بينهم قوم رغبوا في سماع رسالة الانجيلوقبولها . وقدقصد الرسولان أن يخدما في تينك المدينتين وما جاورهما من مدن ذلك الاقليم على أمل أنيتجنبا تعصب اليهود واضطهادهم.

ولم يكن يوجد مجمع لليهود في لسترة مع أن قليلين من اليهود كانوا يعيشون في تلكالمدينة. وكان كثيرونمن سكان لسترة يعبدون في هيكل مخصص للاله جوبيتر . فعندما أتى بولس وبرنابا إلى المدينة وجمعا حولهما أهل لسترى [160] وشرحا لهم حقائق الانجيل البسيطة حاول كثيرون ان يربطوا هذه التعاليم باعتقادهم الخرافي في عبادة جوبيتر .

وقد حاول الرسولان أن يقدما لعبادي الأوثان هؤلاء معرفة الله الخالق وابنه مخلص الجنس البشري . ففي البدء وجها انتباه الناس إلى أعمال الله العجيبة- الشمس والقمر والنجوم وتعاقب الفصولفي نظام بديع إذ يجيئ كل في أوانه المحدد له، والجبال الشاهقة المكللة بالثلوج ، والأشجار الباسقة وغير ذلك من عجائبالطبيعة المختلفة التي تبرهن على مهارة وحكمة تفوق إدراك الإنسان . وعن طريق أعمال الله القديرهذه قاد الرسولان أفكار الوثنيين إلى التأمل في سيد المسكونة العظيم .

فبعدما أوضحا هذه الحقائق الأساسية عن الخالق تحدث الرسولان مع أهل لسترة عن ابن الله الذي نزل من علياء السماء إلى عالمنا لأنه أحب بنيالإنسان , فتكلما عن حياته وخدمته ورفضه من قبل الذين أتى ليخصلهم ، كما تحدثا عن محاكمته وصلبه وقيامته وصعوده إلى السماء حيث يقوم بدور الشفيععن الإنسان. وهكذا كرز بولس وبرنابابالإنجيلفي لسترة بروح الله وقوته.

وذات مرة إذ كان بولس يخبرالناس عن عمل المسيح كشافي المرضى والمتاملين رأى بين سامعيه رجلا مقعدا ظل مثبتا عينيه في الرسولوقد قبل كلامه وآمن به . وقد امتلأ بولس عطفا على ذلك الرجل المتألم ورأى ال «له إيمانا ليشفى» (عدد 9). فأمام ذلك الجمع من عابدي الأوثان أمر بولس ذلك المقعد أن يقف على رجليه منتصبا . حتى تلكاللحظة كان الرجل لايستطيع إلا الجلوس فقط. ولكن هاالآن أطاع على الفور أمرالرسول بولس ولأول مرة في حياته وقف منتصباعلى قدميه . فمع مجهود الإيمان الذي بذله كي يقف ، سرت في جسمه القوة ووثب ذاك الذي كان مقعدا «وصار يمشي» (عدد 10). [161]

«فالجموع لما رأوا مافعل بولس ، رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا».وقد كان هذا البيان متوافقامع أحد تقاليدهم الذي يقول إن الآلهة أحيانا تزور الأرض. فدعوا برنابا زفس أبو الآلهة بسبب منظره الوقور وجلال هيئته والرقة والإحسان المرتسمين على محياه. أما بولس فاعتقدوا أنه هرمس «إذ كان هو المتقدم في الكلام» (عدد 11 ، 12) وغيورا ونشطا وفصيحا في كلام الإنذار والنصح .

فإذ أراد أهل لسترة أن يبرهنوا على شكرهم ألحوا على كاهن زفس بأن يقدم الإكرام للرسولين فأتى

«بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع ، وكان يريد أن يذبح» (عدد 13). أما بولس وبرنابا اللذان كانا ينشاد الاعتكاف والراحة فلم يكونا عالمين بهذه الاستعدادات . ومع ذلك فسرعان ما استرعت انتباههما أصوات الموسيقى الحماسية الصادرة عن جمع غفير ممن قد أتوا إلى البيت الذي كان يقيمان فيه . فعندما تحقق الرسولانمن سبب هذه الزيارةوالاهتياج الذي صاحبها : «مزقا ثيابهما واندفعا الى الجمع» (عدد 14)على أمل ان يمنعا أية إجراءات أخرى.

وبصوت عال مجلجل ارتفع فوق هتاف الجمع طلب بولس من الناس أن يعيروه التفاتهم ، فإذ سكن الشعبفجأة قال : «أيها الرجال، لماذا تفعلون هذا ؟ نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم ، نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيلإلى الإله الحي الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل مافيها ، الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم . مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد ، وهو يفعل خيرا يعطينا من السماء أمطارا وأزمنة مثمرة ، ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا» (عدد 15 — 17).

وبالرغم من الإنكار القاطع الذي صرح به الرسولان بأنهما ليسا من الآلهة وبالرغم من محاولة بولس أن يوجه عقول الناس إلى الإله الحقيقي الذي له وحده [162] تليق العبادة والسجود فقد بدأ وكأنه يستحيل منع أولئك الوثنيين عن عزمهم في تقديم ذبائح كان عندهم اعتقاد راسخ بأن هذه الرجلين هما آلهة ، وقد بلغ حماسهم جدا عظيما بحيث لم يريدوا الاعتراف بخطئهم . والكتاب يقول أنهما : «وبقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما» (عدد 18).

وقد احتج أهل لسترة قائلين إنهم قد شاهدوا بعيونه القوة المعجزية التي أجراها الرسولان ورأوا الرجل المقعد الذي لم يقو على سير من قبل ، يفرح ويتهلل بالصحة والقوة الكاملتين اللتين أعطيتا له . إنما فقط بعد الإقناع الكثير من جانب الرسول بولس والشرح الحريص عن رسالته هو وبرنابا على أنهما فقط نائبان عن إله السماء وعن ابنه الشافي العظم ، أمكن اقناع الجموع بالكف عن إتمام غرضهم .

إإلا أن خدمات بولس وبرنابا في لسترة أوقفت فجأة بسبب خبث اليهود الذين أتوا من «أنطاكية وإيقونية» (عدد 19) الذين إذ علموا بنبأ نجاح الرسولين في عملهما بين أهل ليكأونية عقدوا العزم على تعقبهما واضطهادهما . فإذ وصل هؤلاء اليهود إلى لسترة فسرعان مانجحوا في أن يلهبوا قلوب شعب المدينة بالعداوة التي تحكمت في نفوسهم . وبكلام التشويه والتحريف والوشاية أمكن إقناع أولئك الذين منذ قليل كانوا يعتبرون بولس وبرنابا كائنات إلهية ، بأن الرسولين أردأ من المجرمين والقتلة ويستحقانن الموت .

إن الخيبة التي مني بها أهل لسترة في حرمانهممن امتاز تقديم الذبائحللرسولين مهدت لهم الطريق لأن ينقلبوا ضد بولس وبرنابا بحماس شبيه بالحماس الذي هتفوا به لهمها على أنهما آلهة فإذ حرضهم اليهود دبروا خطة للهجوم على الرسولين بالقوة. وقد أوصاهم اليهود بألا يسمحوا لبولس بفرصة للكلام مدعين بأنهم إن منحوه تلك الفرصة فسوف يخدع الشعب بتأثيره الساحر . [163]

وسرعان مانفذت المؤامرات الاجرامية التي دبرهاأعداء الانجيل. فإن أهل ليكأونية إذ خضعوا لقوة الشر سيطر عليهم غضب شيطاني ، وإذ قبضوا على بولس رجموع بلا رحمة . وقد ظن الرسول أن نهايته قد دنت، وعاد إلى ذهنه بكل جلاء مشهد استشهاد استفانوس والدور القاسي الذي قام هو به في ذلك الحين . فإذ كان مصابا برضوض وكان مغشيا عليهمن فرط الألم سقط إلى الأرض ، وحينئذ فالرجال الهائجون: «جروه خارج المدينة ، ظانين أنه قد مات» (عدد19)

ففي هذه الساعة المظلمة الشاقة ظلجماعة المسلمين في لسترة الذين بواسطة خدمة بولس وبرنابا اهتدوا إلى الإيمان بيسوع ، ظلوا مخلصين وأمناء . فالمقاومة غير المعقولة اوالاضطهاد القاسيالذي لجأ إليه الأعداء كان من نتائجه تثبيت إيمان هؤلاء الإخوة المكرسين . والآن ففي مواهجة الخطر والاحتقار

برهوا على ولائهم بأن اجتمعوا وهم محزونين حولجسد ذاك الذي كانوا يظنون أنه قد مات .

وكم كانت دهشتهم عظيمة ، إذ فيما كانوا يولون عليه في حزن عظيم رفع الرسول رأسه وهب واقفا على قدميه، وعلى شفتيه تسابيح الشكر لله . لقد اعتبر المؤمنون إعادة الحياة إلى خادم الرب هذا معجزة أجريت بقدرة الله وبدا كأنها تصادق على إيمانهم الجديد وتختمه بختم السماء ، وقد فرحوا فرحا لاينطق بهوسبحوا الله بإيمان متجدد.

وقد كان بين من اهتدوا في لسترةوالذين كانوا شهود عيان لآلام بولس ، شاب كان مزمعا أن يصير فيما بعد خادما بارزا للمسيح، وكان مزمعا أن يشترك مع الرسول في التجارب والأفراح التي ستكون من نصيبيه في خدمته كرائد في الحقول الشاقة . كان هذا الشاب يدعى تيموثاوس . فعندما سحب بولس إلى [164] خارج المدينة كان هذا الشاب واحدا ممكن وقفوا إلى جانب جسده الممد الذي كان يبدوا وكأن نسمة الحياة قد فارقته ، ورآه يقوم مريض الجسم وملطخا بالدم ، ولكن كان فهمه مملوءا تسبيحا لله لأنه سمح له أن يتألم لأجل المسيح.

وفي اليوم التالي بعدما رجم بولس رجع الرسولان إلى دربة حيث بارك الله خدماتهما وقبل كثيرون المسيح مخلصا. ولكن «بشرا في تلك المدينة وتلمذاكثيرين» (عدد 21) فإنه لا أبلوس ولا برنابا قنعا بأن يخدما في أي مكان آخر بدون أن يشددا أولا إيمان المهتدين الذين قد اضطرالتركهم إلى حين في الأماكن التي خدما فيها منذ عهد قريب . فإذ لم تكن ترهبهما المخاطر «رجعا إلى لسترة وايقونية وانطاكية ، يشددان انفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الايمان» (عددا 21 ، 33) .كان كثيرون قد قبلوا بشارة الانجيل معرضينأنفسهم للتعيير والمقاومة . فأراد الرسولان أن يثبتا هؤلاء في الايمان حتى يدوم العمل الذي بدئ به .

ومن بين العوامل الهامة لنموا المهتدين الجدد روحيا حرص الرسولين على إحاطتهم بنظام الإنجيلكحارس وواق . وسرعان مانظمت كنائس في كل الأماكن في ليكأونية .

كان هذا متفقا مع خطة الإنجيل وهي توحيد كل المؤمينن بالمسيح في جسد واحد. وبيسيدية حيث كان يوجد مؤمنون . وقد أقيم موظفون في كل كنيسة وساد النظام واستتب كل شيئ لإدارة كل الشؤون الخاصة لخير المؤمنين الروحي .

وكان بولس حريصا على اتباع هذه الخطة في كل خدمته . فكل الذين قبلواالمسيح مخلصا بفضل جهوده في أي مكان ، نظموا في هيئة كنيسة في الوقت المناسب . وكان الاجراءيتبع حتى عندما كان المؤمنون قليلي العدد . وهكذا [165] تعلم المسيحيون أن يعين بعضهم بعضا متذكرين وعد الرب القائل : «لأنه حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم» (متى 18 : 20):

ولم ينس بولس الكنائس التي أسست هكذا. فالاهتمام بهذه الكنائس كان يشغل تفكيره باستمرار كحمل يزداد ثقلا مع الوقت.فمهما كانت جماعة المؤمنين صغيرة ، فقد كانت مع ذلك موضوع اهتمامه الدائم . كان بكل رقة ومحبة يسهر على الكنائس الصغرى متحققا أنها في حاجة إلى رعاية خاصة كي يثبت أعضاؤها في الحق ويتعلموا أن يبذلوا جهودا غيورة منكرة لذاتها لأجل من حولهم .

إن بولس وبرنابا في كل خدماتهما الكرازية حرصا على أن يتبعا مثال المسيح في التضحية الطوعية والعمل الغيور الأمين لأجل النفوس. وإذ كانا يقضين وغيورين لم يتبعا ميولهما أو راحتهما الشخصية بل بحرص وصلاةونشاط لايهدا جعلا يبذران بذار الحق .... ومع إلقاء بذار الكلمة حرص الرسولان على أن يقدما لكل من اختار أن يقف إلى جانبالإنجيل ، إرشادات عملية لاتقدر بثمن . إن هذه الروح ، روح الغيرة ومخافة الله ، تركت تأثيراباقيا على عقول التلاميذ الجدد فيما يختص بأهمية رسالة الانجيل .

وعندما كان يهتدي الرجال المقتدرون الموهوبون كما في أمر تيموثاوس ، كان بولس وبرنابا

يجتهدان بكل غيرة كي يبنيا لهم ضرورة العمل في الكرم . وعندما كان الرسولان ينتقلان من هناك إلى مكان آخر فإن ايمان أولئك الرجال لم يكن يضعف بل كان يتقوى ويزداد, كانوا يتلقون التعليم بكل أمانة في طريق الرب وتعلموا كيف يقومون بخدمات منكرة لذاتها بغيرة ومواظبة لأجل خلاص بني جنسهم . فهذا التدريب الحريص للمهتدين الجدد كان عاملا هاما في النجاح العظيم الذي واكب بولس وبرنابا وهما يكرزان بالإنجيل في البلدان الوثنية. إن [166] الرحلة الكرازية الأولى كانت موشكة على الانتهاء . فإذ استودع الرسولان الكنائس المنظمة حديثا بين يدي الربذهبا إلى بمفيلية , «وتكلما بالكلمة في برجة ، ثم نزلا إلىأتالية . ومن هناك سافرا في البحر إلى انطاكية» (عدد 25 ، 26). [167]

الفصل التاسع عشر

اليهود والأمم

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال15 : 1 — 35).

إن بولس وبرنادبا إذ وصلا إلىأنطاكية في سوريا حيث انطلقا منها للكرازة، استغلا أول فرصة ليجمعا المؤمنين ويخبرا «بكل ماصنع الله معهما ، وأنه فتح للأمم باب الإيمان» (أعمال14: 28). كانت الكنيسةفي أنطاكية كنيسة كبيرة ونامية . وكانت مركز للنشاط الكرازي وتضم أهم جماعات المسيحيين المؤمنين . وكان أعضاؤهامن طبقت مختلفة من الشعب من بينهم اليهود والأمم .

وإذ اتحد الرسولا مع الخدام والأعضاء العلمانيين في انطاكية في بذل مسعى جدا غيور لربح نفوس كثيرة للمسيح ، نجح بعض اليهود المؤمنين «من مذهب الفريسيين» (عدد 5) في اثارة سؤال سرعان ما أدى الى مشادات واسعة النطاقفي الكنيسة وسبب ذعرا للمهتدين من الأمم . فهؤلاء المعلمون المتهودون صرحوا بـتأكيد عظيم أنه لكي يخلص الانسان عليه أن يختتن ويحفظ كل الناموس الطقسي .

وقد واجه بولس وبرنابا هذه العقيدة الكاذبة بكل حزم وعارضا في تقدم ذلك الموضوع إلى الأمم. ومن الناحية الأخرى فإن العديد من اليهود المؤمنين في أنطاكية انحازوا إلى الموقف الذي وقفه الاخوة القادمون حديثا من اليهودية [168]

وبوجه عام لم يكون المهتدون من اليهود يرغبون في التقدم بنفس السرعة التي فتحت لهم بها عناية الله الطريق . وقد كان واضحا من نتائج خدمات الرسولين بين الأمم أن عدد المهتدين من بين هؤلاء كان أكثر جدا من المهتدين اليهود . وقد بات اليهود يخشون أنه إذا لم يجبر الأمم على حفظ القيود وطقوس الناموس كشرط لانضمامهم إلى شركة الكنيسة، فإن الصفات القومية المميزة لليهود والتي قد حفظتهم إلى الآن منعزلين عن باقي الناس ، ستختفي نهائيا من بين أولئك الذين قد قبلوا رسالة الانجيل . كان اليهود يفاخرون دائما بخدماتهم المعينة لهم م نالله ، وكثيرون ممن قد اهتدوا إلى الايمان بالمسيح كانوا لايزالون يحسون بـأنه حيثأن الله قد حد وعين طريقة العبادةللعبرانيين فقد كان من غير المرجح بأنه سيسمح بأي تغييرفي خصائصها وشروطها . وقد أصروا على أن الشرائع والطقوس اليهودية ينبغي أن تندمج في فرائض الديانة المسيحية. لقد كانوا متباطئين في إدراك حقيقة كون كل التقدمات الكفارية إنما كانت ترمز إلى موت ابن الله الذي فيه التقى الرمز بالمرموز إليه ، وأنه بعد موته ماعاد أحد ملتزما بحفظ طقوس وشعائر النظام الموسوي .

إن بولس قبل اهتدائه كان يعتبر نفسه «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم«(فيلبي3 : 6) ولكن منذ تغير قلبه، حصل على إدراك واضح لرسالة المخلص بوصفه الفادي للجنس البشري كله ، الأمم منهم واليهود على السواء، وتعلم الفرق بين الايمان الحيوالطقوس الميتة. ففي نور الانجيل أصبح للطقوس والشعائرالقديمة المسلمة إلى اسرائيل معنى جديدا وعميقا . فالذي كانت ترمز اليه هذه الطقوس قد تم ، والذين كانوا يعيشون في عهد النعمة والانجيلتحرروا من حفظها.إلا ان بولس ، مع ذلك ، كان لايزال يحفظ شريعة الله غير المتغيرة والمتضمنة في الوصايا العشر ـــ كان يحفظها روحا وحرفا. [169]

إن التأمل والتداول في مشكلة الختان في كنيسة أنطاكية، نتج عنه كثير من المجادلاتوالنزاع . أخيرا ،إذ كان أعضاء الكنيسة يخشون أن ينتج عن مجادلاتهم المستمرة انقسام بين صفوفهم ، قرروا أن يرسلوابولس وبرنابا مع بعض الرجال المسؤولين في الكنيسة إلى أورشليم لكي يبسطوا المسألة أمام الرسل والمشايخ. وكانوا سيقابلون هناك مندوبينعن الكنائس المختلفة وأولئك الذين قد أتوا إلى أورشليم لإحياء الأعياد التي كان موعدها قد أوشك . وفي أثناء ذلك كان ينبغي الكف عن كل المناقشات والمشادات إلى أن يبت نهائيا في الأمر في مجمع عام . ومن ثم كان ينبغي أن يقبل الجميع من مختلف الكنائس في كل البلاد هذا الحكم ويعملوا به .

وفي الطريق إلى أورشليم زار الرسولان ، المؤمنين المتواجدين في المدن التي مرا بها ، وشجعاهم بسرد اختبارهما في عمل الرب، واهتداء الأمم إلى الحق .

وفي أورشليم التقى المبعوثون القادمون من أنطاكية بالاخوة القادمينمن كنائس مختلفة الذين كانوا قد اجتمعوافي اجتماع عام، فأخبرهم الرسولان عن النجاح الذي حالفهمافي خدمتهما بين الأمم . وحينئذ قدما لهم ملخصا واضحا صريحا بالارتباك الذي حدث لأن بعض المهتدين من الفريسيين قد ذهبوا إلى انطاكية وأعلنوا أنه ينبغي للأمم أن يختتنوا ويحفظوا ناموس موسى لكييخلصوا .

وقد تم بحث هذه المشكلة في المجمع بكل اهتمام. كام كانت توجد مشاكل أخرى مرتبطةارتباطا وثيقا بمشكلة الختان تتطلب الدرس والبحث . كان بين المسائل مسألة الموقف الذي يتخذ حيال الذبائح التي تقدم للأوثان . لقد كان كثيرون من المهتدين من الأمم يعيشون بين شعب جاهل متمسك بالخرافات وكانوا كثيرا ما يقدمون ذبائحهم وقرابينهم للأوثان . كما كان كهنة الأوثان أولئك [170] يزاولون تجارة واسعة بالذبائح التي كانت تقدم لهم . وكان اليهود يخشون أن يجلب المهتدون من الأمم العار على المسيحية إذ يشترون مما قد ذبح للأوثان، إذ بذلك يجيزون العدات الوثنية إلى حد ما .

ثم ان الامم كانوا معتادين على اكل لحوم الحيوانات المخنوقة ، بينما كان الله قد علم اليهود أنه عند ذبح الحيوانات لتؤكل كان يبنغي ملاحظة الدم وهو يسيل من جسمها وإلا فاللحم لم يكن يعتبر صحياأو محللا . لقد اعطى الله لليهود هذه الوصايا بقصد حفظ صحتهم. وقد اعتبر اليهود اكل الدم خطية . اذا كانوا يعتبرون إن الحياة هي في الدم وان سفك الدم هو نتيجة الخطية .

أما المم فعلى نقيض ذلك كانوا يأخذون الدم السائلمن الحيوانات بعد ذبحا ويستخدمونه في اعداد الطعام. ولم يستطع اليهود ان يصدقوا انه ينبغيلهم تغيير العادات التي ساروا عليها بموجب توجيهات خاصة من الله . ولذلك ففي تلك الحالة لو حاول اليهودي والاممي أن يأكلا على مائدة واحدة فان الاممي كان سيصيب اليهودي بصدمة شديدة ويسيئ اليه .

لقد كان الامم ،ونخص بالذكر منهم اليونانيين ، قوما شهوانيين لى اقصى جد . وكان هنالك خطر من ان بعض الذين لم تتجد قلوبهم يعترفون بالايمان اعترافا سطحيا دون ان ينذبوا اعمالهم الشريرة . ولم يكن المسيحيون من اليهود يستطيعون التساهل أمام الدعارة والفجور التي لم يكن الوثنيون يعتبرونها اجراما .ولذلك كان اليهود يعتقدون أنه من الملائم جدا ان يفرض على المهتدين من الأممأن يختتنوا ويحفظوا الناموس الطقسي كاختبار لاخلاصهم وتكريسهم. وقد اعتقدوا بأن هذا كفيل بأن يمنع عن عضوية الكنيسة أولئك الذين إذ اعتنقوا الايمان بدون تغيير في القلب كان يمكن أن يجلبوا العار فيما بعد على عمل الله بنجاستهم وافراطهم. [171]

ان النقاط المختلفة المتضمنة في تسوية المشكلة الرئيسية التي كانت قد البحث بدا وكأنها تسل المجمعبسبب المشاكلالتي لايمكن حلها . ولكن الحقيقةهي ان الروح القدس كان قد سبق فبت في هذه المشكلة التي كان يتوقف على الحكم فيها نجاح الكنيسة المسيحية أن لم يكن كيانها ووجودها نفسه .

«فبعد ماحصلت مباحثة كثيرة قام بطرس وقال لهم ايها الرجال الاخوة ، انتم تعلمون انه منذ ايام قديمة اختار الله بيننانانه بفمي يسمع الامم كلمة الانجيل ويؤمنون» (عدد 7). لقد حاجهم قائلا إن الروح القدس قد بت في القضية التي هي موضوع النزاع إذ حل على الأمم بقوة شبيهة بتلك التي قد حل بها على اليهود المختونين سواء بسواء . وقد قص عليهم خبر الرؤيا التي أراه الله فيها ملاءة بها كل دواب الارض والوحوش وامره ان يذبح ويأكل . فلما رفض مؤكدا انه لم يأكل قط شيئادنسا او نجسا ، جاءه الجواب يقول : «ماطهره الله لاتدنسه انت» (أعمال 10: 15).

وقد قص بطرس على المجمع التفسير الواضح لهذه الاقوال ، ذلك التفسير الذي قدم اليه بعد الرؤيا مباشرة اذ جاء من استدعاء للذهاب إلى قائد المئة ليعلمهعن الايمان بالمسيح. وقد برهنت هذه الرسالة على ان الله لا يحابي الوجوه ولكنه يقبل ويعترف بكل من يتقونه . وقد اخبرهم بطرس عن دهشته اذ فيما كان ينطق بكلام الحق هذا في مسامع أولئك الذين كانوا مجتمعين في بيت كرنيليوس شاهد الروح القدسيحل على سامعيه من الأممين واليهود سواء بسواء. فنفس النور والمجد اللذان أضاءا على اليهود المختونين أضاءا كذلك على وجوه الأمميين الغلف أي غير المختونين. وقد كان هذا إنذارمن اللهلبطرس كي لايعتبر إنسانا أقل شأنا من إنسان آخر ، لأن دم المسيح يستطيع أن يطهر من كل نجاسة . [172]

كان بطرس قد تحاجمع إخوته قبل ذلك بشأن اهتداء كرنيليوس وأصدقائه واختلاطه بهم. فإذ كان في تلك الفرصة يقص عليهم كيف حل الروح القدس على الأمم أعلن قائلا: «فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح ، فمن أنا ؟ أقادر أن أمنع الله ؟» (أعمال 11 17).
والآن فها هو بنفس تلك الغيرة والحماس والقوة يقول : «والله العارف القلوب ، شهد لهم معطيا لهم الروح القدس كما لنا أيضا. ولم يميز بيننا وبينهم بشيئ ، إذ طهر بالايمان قلوبهم . فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولانحن أن نحمله» (عدد 8 -10). لم يكون ذلك النير هو الوصايا العشر كما يدعى من يقاومون مطاليب الشريعة الملزمة ، ولكن بطرس يشير هنا إلى الشريعة الطقسية التي قد ألغيت وأبطلت بواسطة صلب المسيح .

وقد هيأ خطاب بطرس أعضاء المجمع كي يستمعوا بصبر إلى بولس وبرنابا الذين قصا عليهم اختبارهما وهما يخدمان بين الأمم : «فسكت الجمهور كله . وكانو يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهم» (عدد 12). ثم أن يعقوب قدم شهادته بعزم وتصميم معلنا أنه كان في قصد الله أن يمنح الأمم نفس الامتيازات والبركات التي منحها لليهود.

لقد رأى الروح القدس أنه ليس حسنا أن تفرض الشريعة الطقسية على المهتدين من الأمم . وكان رأي الرسل في هاذا الأمر متفقا مع رأي روح الله القدوس. ثم أن يعقوب كان رئيسا للمجمع فكان قراره النهائي هو هاذا : «لذلك أنا أرى أن لايثقل على الراجعين إلى الله من الأمم» (عدد 19). [173]

فكان في هذا فصل الخطاب وانتهاء الجدال. ولنا في هذا دليل على دحض عقيدة الكنيسة البابوية الكاثوليكية ــــ القائلة ان بطرس هو رأس الكنيسة وان ادعاء البابوات بأنهم خلفاؤه ، ليس له أساس كتابي يدعمه. ولاشيئ في حياة بطرس يمكن اعتباره مصادقة على الادعاء بأنه قد ارتفع وسما فوق اخوته بوصفهوكيل العلي . فول أن الذي أعلنوا بأنهم خلفاء بطرس اتبعوا مثاله لكانوا قنعوا بأن يظلوا على قدم المساواة مع إخوتهم .

وفي هذه الفرصة يبدو أن يعقوب هو الذي اختير ليعلن الحكم الذي قد توصل إله المجمع وقد حكم بأنه ينبغي ألا يفرض الناموس الطقسي على الأمم أو أن يلزموا بحفظه وعلى الخصوص فريضة الختان . وقد حاول يعقوب أن يطبع على عقول اخوته هذه الحقيقة وهي أن الأمم اذا رجعوا إلى الله فقد حدث في حياتهم تغييم عظيم، وأنه ينبغي مراعاة جانب الحيطة والحذر فلا يزعجوهم بمسائل مربكة مشكوك فيها وقليلة

الأهمية لئلا يفشلوا وتخور قواهم فلا يستطيعون اتباع المسيح.

ومع ذلك فقد كان على الراجعين إلى الله من الأمم أن يمتنعوا عن العادات التي تتعارض مع مبادئ المسيحية. ولذلك فقد أجمع الرسل والمشايخ على أن يوصوا الأمم عن طريق رسائليرسلونها إليهم بالامتناع عن أكل ماذبح للأوثان والزنا والمخنوق والدم . وكان يجب توصيتهم بحفظ الوصايا والعيشة المقدسة . كما كان ضروريا أن يؤكدوا لهم أيضا أن الرجال الذين أعلنوا لهم بأنهم ملزمو بالختان ، لم يتلقوا تفويضامن الرسل بذلك.

وقد امتدح الرسل لهم بولس وبرنابا على أنهما رجلان قد بذلا نفسيهما لأجل الرب وخاطرا بحياتهما لتقدم عمله . وقد أرسل يهوذا وسيلا مع هذين الرسولين ليخبرا الأمم شفاها بحكم المجمع فقالو : «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ، أن [174] لانضع عليكم ثقلا أكثر ، غير هذهالأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ، وعن الدم والمخنوق والزنا ، التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون» (عدد 28 ، 29). وقد ارسل خدام الله الاربعة هؤلاء إلى انطاكية بالخطاب والرسالة التي كانت ستضع حدا ونهاية لكل المجادلات ، لأنها كانت من أعلى سلطة على الأرض .

وقد كان المجمع الذي أصدر حكمه في هذه القضية مكونا من الرسل والمعلمين الذي كان لهم الفضل في إقامة الكنائس المسيحية من اليهود والأمم، ومعهم مندوبون من أماكن مختلفة , فقد كان حاضرا في ذلك المجمع شيوخ من أورشليم ومندوبون من أنطاكية، وكانت أعظم الكنائس نفوذا ممثلة في المجمع. وكان المجمع يسير في أعماله بموجب الحكم النير وعظمة الكنيسة التي أقامتها إرادة الله . وكان من نتائج مداولاتهم أنهم رأوا أن الله نفسه قد اجاب عن تلك المسألة التي كانت مطروحة للبحث بكونه اعطى الروح القدس للامم ، فتحققوا أن عملهم هو ان يتبعوا ارشاد الروح .

لم يدع كل اعضاء الكنائس المسيحية ليبدوا رأيهم في تلك القضية. ولكن «الرسل والمشايخ» ، الرجال ذوي النفوذ والحكم الصائب هم الذي صاغوا ذلك الحكم وبعثوا به ، ولذلك فقد أجمعت الكنائس المسيحية على قبوله. ومع ذلك لم يكن الجميع راضين عن هذا الحكم ، فلقد كان هناك حزن من بعضالاخوة ذوي الطموح الذين كانوا واثقين بأنفسهم ، حيث لم يوافقوا عليه . هؤلاء القوم ادعوا بأنهم انما يقومون بالعمل على مسؤوليتهم . وقد أمعنوا في التذمر والكشف عن أخطاء الآخرين، وكنوا يقترحون خططا جديدة ويحاولون هدم عمل الرجالالذين قد أقامهم الله ليعلموا الناس رسالة [175] الانجيل لقد كان على الكنيسة ان تواجه مثل هذه العقاب منذ البداية وسيظل الحال هكذا إلى انقضاء الدهر .

لقد كان أورشليم حاضرة اليهود ، وكان يوجد فيها أعظيم تزمت واشد تعصب . فالمسيحيون من اليهود الذين كانوا ساكنين على مرأى من الهيكل ارتدت عقولهم بالطبع إلى امتيازات اليهود الخاصة كأمة. وعندما رأو الكنيسة المسيحية تترك الطقوس والتقاليد اليهودية ، وأدركوا أن القدسية الخاصة التيأضيفتإلى العادات اليهودية ا مزمعة أن تغيب عن الأنظار في نور الإيمانالجديد، غضب على بولس على اعتبار أنه الشخص الذي أحدث هذا التغيير إلى حد كبير. بل حتى التلاميذ أنفسهم لم يكونوا مستعدين كلهم لقبول قرار المجمع بكل رضى . كان كثيرون غيورين على الناموس الطقسي وكانوا ينظرون إلى بولس بازدراء لظنهم أن مبادئه الخاصة بحقوق الشريعة اليهودية والارتباط بها كانت تميل إلى التهاون والتراخي.

إن قرارات المجمع العام الجريئة والبعيدة المدى جلبت الثقة إلى نفوس صفوف المؤمنين من الأمم فنجح عمل الله وازدهر . وفي أنطاكية تمتعت الكنيسة بحضور يهوذا وسيلا، وهما الرسولان الخاصان اللذان عادا مع الرسلمن الاجتماع في أورشليم. إن يهوذا وسيلا «إذ كانا هما أيضا نبيين ، وعظا الاخوة بكلام كثير وشدداهم» (عدد 32) . «اما بولس وبرنابا فأقاما في أنطاكية يعلمان ويبشران مع آخرين كثيرين ايضا بكلمة الرب» (عدد 35).

وعندما زار بطرس انطاكية بعد ذلك ظفر بثقة كثيرين بتصرفه الحكيم نحو المهتدين من الامم . فقد ظل لبعض الوقت يتصرف بموجب النور المعطى من السماء . وقد انتصر على تعصبه الفطري إلى حد أنه كان يأكل مع المهتدين من الأمم. ولكن عندما أتى أورشليم بعض اليهود الغيورين على الناموس [176] الطقسي ، تصرف بطرس تصرفا غير حكيم حيال المهتدين من الوثنية: «وراءى معه باقي اليهودأيضا ، حتى إن برنابا أيضا انقاد إلى ريائهم».إن اظهار هذا الضعف من جانب الذين كانوا موقرين ومحبوبين كقادة، ترك أثرا مؤلما جدا في نفوس المؤمنين من الأمم. وهدد الكنيسة بالانقسام. ولكن بولس الذي رأى الأثر المخرب للظلم الذي وقع على كنيسة بسبب رياء بطرس ، وبخه علانية على إخفائه مشاعره الحقيقية بهذه الطريقة. وأمام الكنيسة سألبولس بطرس قائلا : «إن كنت وانت يهودي تعيش أمميا لايهوديا ، فلماذا تلزم الأمم أن يتهودوا ؟» (غلاطة 2 : 13، 14).

وقد رأى بطرس الخطأ الذي وقع فيه ، وفي الحال عمد إلى إصلاح الشر الذي نتج عن ذلك ، على قدر ماستطاع. والله الذي كان يعرف النهاية من البداية سمح لبطرس بإظهار هذا الضعف في خلقه كي يرى ذلك الرسول المحنك أنه لايوجد فيه شيئ يدعوه للافتخار. فحتى أفاضل الناس سيخطئون في حكمهم لو تركوا لذواتهم . كما رأى الله أيضا أنه في المستقبلسينخدع كثيرون بحيث يدعون أن لبطرس وخلفائه الادعياء حقوقا متميزة هي من حق الله وحده. وهذه الحادثة التي سجلتعلى الرسولناحية من نواحي ضعفه ، كانت ستبقى برهانا على أنه معرض للخطأ وعلى حقيقة كونه لايمتاز بشيئ عن باقي الرسلوأنه ليس معصوما .

إن تاريخ هذا الانحراف عن مبادئ الحق يقف إنذارا خطيرالمن هم في مراكز ذات مسؤولية في عمل الله ، حتى لايحيدوا عن الاستقامة ، بل يظلوا ثابتين على المبدأ. فكلما زادت التبعاتالملقاة على الانسان ، وكلما كثر الفرض التي يمكنه فيها ان يملي ارادته ويفرض سلطانه ، كلما زاد الخطر الذي يمكنهأن يحدثه إذ هو لم يحرص على اتباع طريق الرب ويخدم متوافقا مع القررات التي قد وصل اليهاجموع المؤمنين في مجمع متحد . [177]

بعد كل السقطات التي تردى فيها بطرس ، وبعد سقوطه ورجوعه ، وطريق خدمته الطويل وصلته الوثيقة بالمسيح ومعرفته لأعمال المخلص المستقيمة المبنية على المبادئ الصالحة ، وبعد كل التعاليم التي تلقاها ، والهبات والمعرفة والتأثير الذي حصل عليه عن طريق تعليم الكلمة والكرازة بها — أليس منالغريب أنه يرائي ويرواغ حول مبادئ الانجيلبدافع الخوف من الناس أو لكي يظفر بالتقدير والاكرام ؟ أليس غريببانه يتردد ويتذبذب في صمودهلحق ؟ ليت الله يعطي كل انسان نعمة حتى يتحققمن عجزه وعدم قدرته بنفسه على أن يقود سفينة حياته باستقامة وسلام إلى الميناء .

إن بولس في خدمته كان يضطر في كثير من الاحيان لأن يقف وحده . لقد تعلم تعليما خاص من الله ولم يجرؤا على أي تنازل يتضمن التضحية بالمبدأ. أحيانا كان كاهله ينوء تحت حمله الثقيل ، إلا أنه ظل ثابتا إلى جانب الحق. ولقد تحقق من أن الكنيسة ينبغي ألا تخضع لسيطرة الانسان . فالتقاليد والمبادئ المقررة من الناس ينبغيألا يستعاض بها عن الحق الالهيالمعلن . وينبغيألا يتعطل تقدم رسالة الانجيلبواسطة تعصب الناس أو تفضيلهم او استحسانهم مهما يكن مركزهم في الكنيسة .

لقد كرس بولس نفسه وكل قواهلخدمة الله . فلقد قبل حقائق الانجيل من السماء مباشرة ، ومدة سني خدمته كلها ظل محتفظابصلة حيوية مع رسل السماء. كان قد تعلم من الله فيما يختص بوضع أحماللاضرورة لها على أعناق المسيحيين من الأمم ، وهكذا عندما قدم اليهود المؤمنون للكنيسة التي في أنطاكية مشكلة الختان ، عرف بولس فكر روح الله بخصوص هذا التعليم ، واتخذ موقفا ثابتا لايلين كفلللكنائس الحرية من الطقوس والشعائر اليهودية . [178]

وبالرغم من حقيقة كون بولس متعلما من الله تعليما شخصيا فلمتكن عنده آراء متصلبة عن المسؤولية الفردية , ففيما كان ينظر إلى الله في انتظار ارشاد مباشر ، كان أبدا مستعدالأن يعترف بالسلطة المعطاة لهيئة المؤمنين المتحدين معا في شركة الكنيسة . لقد احس بالحاجة إلى المشورة وعندما طرأت شؤون هامة سره أن يبسطها أماما الكنيسة ويتحد مع إخوتهفي طلب الحكمة من الله لاتخاذ القرارات الصائبة حيالها. وقد أعلن قائلا : «وأرواح الانبياء خاضعة للأنبياء لأن الله ليس إله تشويش بل الهسلام، كما في جميع الكنائس القديسين» (1 كورنثوس14 : 32 ، 33) . وقد اشترك مع بطرس في التعليم الداعي إلى أن جميع المرتبطينمعا في نظام الكنيسة وإمكاناتها ، ينبغي أن يكونوا «خاضعين بعضكم لبعض» (1 بطرس 5:5). [179]

الفصل العشرون

تمجيد الصليب

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال 15: 36 — 41 ، 16 : 1-6).

اقترح بولس على زميله في العمل بعدما قضيا وقتا في الخدمة في أنطاكية أن يخرجا في رحلة كرزاية جديدة. فقال مخاطبابرنابا: «لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب ، كيف هم» (اعمال : 15 36) .

كان كلمن بولس وبرنابا يكن في قلبهأرقعواطف المحبة والتقدير لأولئك الذين قبلوا رسالة الانجيلمنذ عهد قريب نتيجة كرازتهما ، فكانا مشتاقين لرؤيتهم مرة أخرى . هذه الغيرة لم تفارق بولس قط. فحتى عندما كان في حقول كرازية نائية ، بعيد عن مشاهدة خدماتهاالأولى ، كان لايزال يحمل في قلبه حمل حث هؤلاء المهتدين على أن يظلوا أمناء : «مكملين القداسة في خوف الله» (2 كورنثوس7 : 1). لقد حاول بلا انقطاع ان يساعدهم على أن يكونوا مسيحين نامين معتمدين على أنفسهم ، أقوياء في الايمان حارين في غيرتهموذوي قلوب موحدة في تكريسهم لله ولعمل تقدم ملكوته.

وقد كان برنابا مستعدا للذهاب مع بولس لا أنه كان يرغب في أن يأخذ معهما مرقس الذي عاد فقرر ان يكرس نفسه للخدمة . إلا ان بولس اعترض على [180] هذا : «فكان يستحسن ان الذي فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل ، لا يأخذانه معهما» (أعمال15 : 38) ، لقد فارقهما مرقس وقت الحاجة القصوىأثناء سفرتهما الكرازية الأولى ولهذا لم يرد بولس أن يصطحبه معهما هذه المرة . لم يكون بولس يميللأن يغفر لمرقس ضعفه في تركه للعمل لينعم بالأمان والراحة في بيته وقد دافع عن وجهة نظره قائلا أن شابا ضعيف القوة إلى هذا الحد غير أهل لعمل يتطلب الصبروانكار الذات والشجاعة والتكريس والايمان والرغبة في التضحية حتى بالحياة نفسها إذا دعت الضرورة . وقد كان النزاع حادا وشديدا إلى حد أن انفصل بولس عن برنابا، الذي سار بموجب قناعاته وأخذ مرقس معه : «وبرنابا أخذ مرقس وسافر في البحر إلى قبرس . أما بولس فاختار سيلا وخرج مستودعا من الاخوة إلى نعمة الله» (أعمال15 : 39 و 40). فإذا اجتاز بولس وسيلا في سورية وكيليكية حيث كان يشددان الكنائس ، وصلا أخيرا إلى دربة ولسترة في إقليم ليكأونية. كان بولس قد رجم في لسترة ومع ذلك فها نحن نراه يذهب إلى مشهد الخطر الذي جاز فيه من قبل . كان يتوق لأن يرى كيف كان أولئك الذين قد قبلوا الإنجيل بواسطة خدماته ، يحتملون امتحان التجربة. ولم يفشل، لأنه وجد المؤمنين في لسترة قد بقوا ثابتين في وجه المقاومة الشديدة . وفي تلك المدينة التقى بولس بتيموثاوس للمرة الثانية ، ذاك الذي كان قد شاهد آلامه في نهاية زيارته الأولى للسترة، والذي كان التأثيرالذي انطبع على عقله وقتها قد زاد رسوخا وعمقا بمرور الزمن حتى اقتنع بأن واجبه يقتضيه تكريس نفسه كاملا عمل الخدمة. لقد ارتبط قلبه بقلب بولس فتاق إلى مشاطرة الرسول في خدماته بقدر مايتسع أمامه المجال .

أما سيلا رفيقبولس في الخدمة فكان خادما محنكا وعنده موهبة النبوة. ولكن العمل اللازم إنجازه كان عظيما ومتسعا بحث كان الحاجة تدعوا لتدريب [181] عمال أكثر للخدمة النشطة . وقد رأة بولس في تيموثاوس شاب يقدر قدسية عمل الخادم، شابا لايفزعه منظر الالام والاضطهاد ويرغب في التعلم . ومع

ذلك فإن الرسول لم يجازف في أن يأخذ على نفسه مسئولية تدريب تيموثاوس ، الشاب غير غير المختبرعلى خدمة الانجيل ، قبلما يتقنع تمام بسلامة أخلاقه وحياته الماضية .

كان ابو تيموثاوس يونانيا أما أمه فكانت يهودية . ومنذ طفولته كان يعرف الكتب المقدسة . إن التقوى التي رآهافي حياته البيتية كانت سليمة ومعقولة.إن إيمان امه وجدته بالكتب المقدمة كان بالنسبة اليه مذكرا دئما بالبركة الناشئة عن عمل ارادة الله . لقد كانت كلمة الله هو القانون الذي بواسطته قادت تانك المرأتان التقيتان تيموثاوس. إن القوة الروحية التي اقتبسها من تلك الدروس جعلت حديثه طاهرا وحفظته من ان يتلوث بالمؤثرات الشريرة المحيطة به. وهكذا تعاونت معلمتاه في البيت مع الله في إعداده لحمل المسؤوليات والاضطلاع بالتبعات.

وقد رأى بولس أن تيموثاوس شاب أمين وثابت وصادق فاختاره ليكون رفيقا له في الخدمة والسفر . إن تينك المرأتين اللتين علمتا تيموثاوس في طفولته كوفئتا بان رأتا ذلك الابن قد ربتاه ، مرتبطا في شركة وثيقة مع الرسول العظيم . كان يتموثاوس شاب مجردا عندما اختاره الله ليكون معلما ، ولكن مبادئه كانت قد رسخت بفضل تهذيبه الباكر حيث صارمؤهلا لأن يأخذ مركزه كمساعد لبولس . ومع أنه كان شابا فقد حمل تبعاته بوادعة مسيحية .

وزيادة في الاحتراس والحيطة نصح بولس تيموثاوس بحكمة ان يختتن كإجراء تحفظي _ لا لأن طلب ذلك ، بل لكي يزيلمن عقول اليهود مايكن ان يكون اعتراضاعلى خدمة تيموثاوس . إن بولس وهو يباشر عمله كان عليه ان [182] يسافر منمدينة إلى أخرى في بلدان كثيرة. وفي غالب الاحيان كانت ستتاح له الفرص ليكرزبالمسيح في مجامع اليهود كمافي اماكن اخرى . فلو علم ان احدا من شركائه في العمل غير مختتن، فان ذلك قد يعطل عمله الى حد كبير بسبب تحامل اليهود وتعصبهم . فقد كان الرسول في كل مكان يصطدم بمقاومة عنيدة واضطهادات قاسية . وكان يرغب في ان يقدم على اخوته اليهود ، كما الى الامم ، معرفة الانجيل ، وذلك فقد سعى دون مخالفة اسس الايمان ، ان يزيل كل عذر للمقاومة. ومع ذلك ففي حين انه تسامح مع التعصب اليهوي إلى هذا الحد ، فقد كان يعتقد ويعلم ان الختان والغرلة (أي البقاء بلا ختان) عما لا شيئ ، وان انجيل المسيح هو كل شيئ .

لقد احب بولس تيموثاوس» الابن الصريح في الايمان» (1 تيموثلوس1: 2). وكثيرا مكان الرسول العظيم ينفرد بتلميذه الشاب ويسأله فيما يختص بتاريخ الكتاب ، وإذ كانا يسافران من مكان الى آخر كانالرسول يعلمه بكل حرص كيف يقوم بعمل ناجح . إن بولس وسلا كانا يحاولان في كل اجتماعتهما مع تيموثاوس ان يعمقا التأثير الذي كان قد انطبع على عقله عن طبيعة اعمال خادم الانجيل المقدسة والخطيرة.

ولكن تيموثاوس في عمله ، كان يطلب دائما مشورة بولس وتعليماته.ولم يتصرف مدفوعا بالعاطفة والشعور بل كان يمارس التأمل والتفكير الهادئ، وفي كل خطو كان يسأل : هل هذا هو الطريق الرب ؟ وقد وجد فيه الروح القدس إنسانا «يمكن ان يصاغ ويشكل كهيكليسكنه الله»

إن تعاليم الكتاب حين تمارس في الحياة اليومية ، يكون لها على الاخلاق تأثير عميق ودائم. وقد تعلم تيموثاوس هذه التعاليم ومارسها . [183] لم يكنيملك مواهب فذة أو عبقرية ممتازة،ولكن عمله له قيمته لأنه استخدم المواهبالممنوحة له من الله في خدمة السيد . إن معرفته بالتقوى الاختبارية م ميزته عن غيره من المؤمنين وجعلت له تأثيرا كبيرا . إن أولئك الذين يعملون لأجل النفوس ينبغي لهم أن يصلوا إلى معرفة أعمق وأكمل وأوضح لله مما يمكن أن يصلإليه الانسان بمجهوده العادي عليهم أن يلقوا بكل نشاطهم في عمل السيد .إنهم يقومون بدعوة سامية مقدسة ، فإذا كان لهم أن يربحوا نفوسا أجرا لهم، عليهم ان يتمسكوا بالله بكلقوتهم ، وفي كل يوم قبلون النعمة والقوة من نبع كل بركة : «لأنه قد ظهرت نعمة الله

المخلصة ، لجميع الناس، معلمة إياناان ننكر الفجور والشهوات العالمية ، ونعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر ، منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح، الذي بذلنفسه لأجلنا ، لكي يفدينا من كل اثم، ويطهر لنفسه شعبا خاصا غيورا في أعمال حسنة» (تيطس2: 11 —— 14).

إن بولس وزميليه زاروا قبل ان يتقدموا الىاقليم جديد ، الكنائس التي كانت قد تأسنت في بيديسية والاقاليم المتاخمة لها : «واذا كانوا يجتازون في المدن كانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسلوالمشايخ الذين في اروشليم ليحفظوها . فكانت الكنائس تتشدد في الايمان وتزداد في العدد كل يوم».

كان بولس الرسول يحس بمسئوليته العظيمة نحو أولئك الذين قد اهتدوا نتيجة لخدماته . وكان يتوق فوق كل شيئ لأن يكون أمناءوقد قال : «لافتخاري في يوم المسيح ، بأني لم أسع باطلا ولاتعبت باطلا «(فيلبي2: 16). لقد كان يرتعد رهبة على نتيجة خدمته.إذ أحس أنه حتى خلاصه هو قد يتعرض للخطر إذا هو أخفق في القيام بواجبه، وإذا أخفقت الكنيسة [184] في التعاون معه في خدمة خلاص النفوس. لقد عرف ان الكرازة وحدها لا تكفي لتعليم المؤمنين ان يتمسكوا بكلمة الحياة . كما عرف انه «امر عل ىامر .. فرض على فرض ..هنا قليل هناك قليل» ، ينبغي لهم ان يتعلموا التقدم في عمل المسيح .

إنه لمبدأ عام أنه يرفض انسان استخدام المواهب المعطاة له من الله ،فإن تلك المواهب تتلف وتهلك. فالحق الذي لايعيشه الانسان ، والذي لايذاع على الآخرين ، يتجرد عن القوة المانحة للحياة كما يفقد قوته الشافية. ولهذا كان الرسول يخشى لئلا يفشل في إحضار كل إنسان كاملا في المسيح . إن رجاءبولس في السماء ظهر قاتما وغامضا عندما فكر في أن أي اخفاق من جانبه كان يمكن ان ينتج عنه تقديم النموذج البشري بدلامن الالهي للكنيسة. إن علمه وفصاحته ومعجزاته ورؤاه التي فيها رأى المشاهد الأبدية عندما اختطف الى السماء الثالثة —— كل ذلك يمسي بلا جدوى إذا كان بسبب عدم امانته في عمله يخيب، أولئك الذين قدم خدمهم ، من نعمة الله . وهكذا كان يتوسلبكلامه الذي نطق به برسائله إلى من قد قبلواالمسيح أن يحيوا حياة تعينهم على ان يكونوا : «بلا لوم ، وبسطاء أولاد لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتوا ، تضيئون بينهم كأنوار في العالم ، متمسين بكلمة الحياة» (فيلبي 2 : 15 ،16).

كل خادم أمين يحس بمسؤولية ثقيلة لأجل تقدم المؤمنين الموكلين إلى رعايته ،وتحدوه الرغبة والشوق كي يكونوا عاملين مع الله . إنه يتحقق من أن نجاح الكنيسة يتوقفإلى حد كبير على أمانته في إتمام الواجب المعطى له من الله . فبكلغيرة وبلا كلل يحاول أن يلهمالمؤمنين بالرغبة في ربح النفوس للمسحي متذكرا ان كل نفس تنضم الى الكنيسة ستكون عاملا آخرا لأجل تنفيذ. [185]

إن بولسوسيلا ومعهما تيموثاوس بعدما زاروا الكنائس في بيدسيديةوالاقليم المجاور «اجتازو في فريجية وكورة غلاطية» (أعمال16 : 6)حيث أعلنوا بشارة الخلاص المفرحة بقوة عظيمة . كان اهل غلاطية يتعبدون للأوثان، ولكن إذا بشرهم الرسل فرحوا بالرسالة التي تعدهم بالحرية في عبود الخطية . وقد أعلن بولس وزميلاهتعليم التبرير بالايمان بذبيحة المسيح الكفارية . وقد قدموا لهم المسيح على انه الشخص الذي اذ رأى حالة العجز لجنسنا الساقط ، جاء ليفتدي الرجال والنساء بحياة الطاعة لشريعة الله وبدفع ثمن العصيان واحتمال القصاص . وفي نور الصليب بدأ كثيرون ممكن لم يسبق لهم ان عرفوا الاله الحقيقي، يدركون عظمة محبة الآب.

وهكذا تعلم الغلاطيون الحقائق الاساسية عن «الله الاب» و«ربنا يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجل خطايانا ، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب ارادة الله وابينا» «، بخبر الايمان» قبلوا روح الله وصاروا «انباء الله بالايمان بالمسيح يسوع» (غلاطية 1: 3 ،4 ، 3 :2 62)

لقد عاش بولس بين أهل غلاطية بطريقة مكنته من أن يقول بعد ذلك : «أتضرع اليكم ايها الاخوة،

كونواكما انا» (غلاطية4: 12). إن شفتيه كانتا قد مستا بجمرةمن على المذبح فاستطاع ان يرتفع فوق الضعفات الجسدية، وان يقدم يسوع للناسكرجاء الخاطئ الوحيد والذين سمعوه عرفوا أنه كان مع يسوع . فإذ كان مزودا بقوة من الأعالي استطاع أن يقرن الروحيات بالروحيات ويهدم معاقل الشيطان الحصينة.لقد انسحقت القلوب عندما سمعه الناس يقدم محبة الله كما ظهرت فيذبيحة ابنه الوحيد ، وكثيرون سألوا قائلين : ماذا ينبغي ان افعل لكي اخلص ؟

هذه الطريقة في تقديم الانجيل كانت مميزة لخدمات الرسول طول مدة خدمته بين الامم . لقد كان يرفع صليب جلجثة اما عينيهم دائما . وقد اعلن بذلك [186] بسنين عن اختباره قائلا: «فإننا لسنا نكرز بأنفسنا ، بل بالمسيح يسوع ربا، ولكن بأنفسنا عبيدا لكم من اجل يسوع . لأن الله الذي قال ان يشرق نور من ظلمة ، هو الذي اشرق في قلوبنا ، لانارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح» (2 كورنثوس4 : 5 ، 6).

إن الرسل المكرسين الذين في ايام المسيحية الاولى حملوا بشارة الخلاص للعالم الهالك ، لم يسمحوا لاي فكر عن تمجيد الذات ان يفسد ويشوه تقديمهم للمسيح وياه مصلوبا. انهم لم يشتهوا السلطة او التفوق . فإذ اخفوا ذواتهم في المخلص مجدوا تدبير الخلاص وحياة المسيح رئيس هذا التدبير ومكمله. فالمسيح الذي هو امسواليوم والى الابد كان هو عبء تعليمهم.

ولو كان أولئك الذين يعلمون بكلمة الله اليوم يرفعون صليب المسيح أعلى فأعلى ، فإن خدمتهم كانت تصير أنجح بكثير مما كانت . فإذا امكن ارشاد الخطاة لأن ينظروا الى الصليب نظرة واحدة. جادة ، واذا امكنهم ان ينظروا نظرة كاملة الى المخلص المصلوب فسيتحققون من عمق رأفة الله وشر الخطية.

إن موت المسيح يبرهن على محبة الله العظيمة للانسان.وهو ضمان خلاصنا فإذا ابعدنا الصليببعيدا عن المسيحي فكأننا حجبنا الشمس من جلد السماء. ان الصليب يقربنا الى الله ويصالحنا معه. فبشفقة الاب المحب العطوف ، ينظر الرب إلى الآلام التي احتملها ابنه كي يخلص جنسنا من الموتالابدي ويقبلنا في المسيح يسوع .

بدون الصليب ماكان يمكن للانسان ان يتحد بالاب . فعليه يتوقف كل رجائنا . ومنه تنبعث انوار محبة المخلص ، وعندما ينظر الخاطئ وهو عند اسفل الصليبالى فوق ، الى ذاك الذي قد مات ليخلصه ، يمكنه ان يفرح بملء [187] الفرح لأن خطاياه مغفورة. وإذ يجثوا بإيمان عند الصليب يكون قد وصل إلى أرفع مكان يمكن ان يبلغه انسان.

وبواسطة الصليب يمكننا ان نعلم ان الآب السماوي يحبنا محبة غير محدودة . فهل نستغرب اذا سمعنا بولس يهتف قائلا : «فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح» (غلاطية6 : 14). انه امتياز لنا نحن ايضاان نفتخر بالصليب ، وان نسلم انفسنا بالتمام لمن قد بذل نفسه لأجلنا . وحينئذ فبكل النور الذي ينبثق من الجلجثة والذي يلتمع في وجوهنا يمكننا ان نخرج لنعلن هذا النور لمن هم في الظلمة . [188] [189]

الفصل الحادي والعشرون

في الأقاليم البعيدة

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في اعمال 16 : 7 — 40)

حان وقت اذاعة الانجيل في الاقاليم البعيدة متخطياحدود آسيا الصغرة . كان الطريق معبدا لبولس ورفيقيه ليعبروا الى اوروبا . ففي ترواس ، على تخوم البحر الابيض المتوسط «ظهرت لبولس رؤيا في الليل : رجل مكدوني قائم يطلب اليه ويقول اعبر الى مكدونية وأعنا» (عدد 9).

كانت الدعوة ملزمة وقاطعة لاتسمح بأي تأخير . إن لوقا الذي كان مصاحبا لبولس وسيلا وتموثاوس في الرحلة عبر أوروبايعلن قائلا: «فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا ان نخرجالى مكدونية ، متحقيقين ان الرب قد دعاناالنبشرهم فأقلعنا من ترواس وتوجهنا بالاستقامة الى ساموثراكي ، وفي الغد الى نيابوليس . ومن هناك الى فيلبي ، التي هي اول مدينة منمقاطعة مكدونية ، وهي كولونية» (عدد 10 — 12).

ثم يستطرد لوقا فيقول : «وفي يوم السبت خرجنا الى خارج المدينة عند نهر حيث جرت العادة ان تكون صلاة ، فجلسنا وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعنفكانت تسمع امرأة اسمها ليدية، بياعه ارجوان من مدينة ثياتيرا ، متعبدة لله ، [190] ففتح الرب قلبها» (عدد 13، 14). لقد قلبت ليديا الحق بفرح. واهتدت هي وأهل بيتها واعتمدوا . ثم توسلت إلى الرسلأن يجعلوا بيتها بيتا لهم ويمثكوا فيه .

وإذ كان رسل الصليب يقومون بعملهم في التعليم تبعتهم جارية فيها روح عرافة وصرخت قائلة : «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي ، الذين ينادون لكم بطريق الخلاص . وكانت تفعل هذا اياما كثيرة» (عدد 17 ، 18).

هذه الجارية كانت اداة طيعة في يد الشيطان، وكانت تكسب مواليها (او اسيادها) مكسبا كثيرا بعرافتها . وقد أعان تأثيرها على تقوية العبادة الوثنية . لقد عرف الشيطان ان مملكته غزيت واعتدي عليها ، فلجأ الى هذه الوسيلة لمقاومة عمل الله على امل ان يمزج سفسطته بالحقائق التي كان يعلم بها أولئك الذين كانوا يذيعون رسالة الانجيل . إن كلمات المديح التي كانت الجارية تنطق بهاكان فيها ضرر وتعطيل لقضية الحقاذ كانت تلهي عقول الناس وتصرف اذهانهم عن تعاليم الرسل وتجلب العار على الانجيل ، وعن طريقها اعتقد العدد من الناس أن الرجال الذي كانوا يتكلمون بروح الله وقوة انما كانوا مسوقين الى ذلك بنفس الروح التي اعتملت في رسولة الشيطان تلك.

وقد ظل الرسل محتملين تلك المقاومة وصابرين عليها بعض الوقت ، وحينئذ، وبالهام روح القدس ، امر بولس ذلك الروح الشرير ان يخرج من تلك الجارية . وقد شهد صمتها المفاجئ ان الرسل هم فعلاعبيد الله وان الشيطان قد اعترف بأنهم كذلك وانه اطاع امرهم وخرج منها .

فاذ خرج ذلك الروح الشرير من الجارية ورجع اليها عقلها اختارت ان تكون تابعة للمسيح. حينئذ انزعج مواليها خوفا على مهنتهم. لقد رأوا ان كل املهم في الكسب عن طريق عرافتها وتنبؤاتها قد انتهى، وان مصدر رزقهم سينقطع تماما فيما اذا سمح للرسل بمواصلة الكرازة بالانجيل . [191]

كثيرون غيرهم من سكان المدينةكانوا مهتمين بتحصيل المال عن طريق الخدع الشيطانية . وهؤلاء

اذ كانوا يخشون من تأثير تلك القوة التي كانت فعالة في ايقاف عملهم ، اثارو ضجةعظيمة ضد عبيدالله . فجروهما (بولس وسيلا) الى الحكام واشتكوا عليهما قائلين«هذا الرجلان يبلبلان مدينتنا ، وعما يهوديان، ويناديان بعوائد لايجوز لنااننقبل ولا نعمل بها ، اذ نحن رومانيون» (عدد 20 ، 21).

واذ ثار الجموع وتملكهم اهتياج جنوني ، قاموا على التلميذين ، وقد اعتملت فيهم روح السوقة والرعاع سيما وانالسلطاتت صادقت على ذلك اذ «مزق الولاة ثيابهما وامروا ان يضربا بالعصى . فوضعوا عليهما ضربات كثيرة والقوهما في السجن واوصوا حافظ السجن ان يحرسهما بضبط . وهو اذ اخذ وصية مثل هذه القاها في السجن الداخل ، وضبط ارجلهما في المقطرة» (عدد23 -24).

وقد تعذب الرسولان عذابا هائلالايطاق بسبب الوضع المؤلمالذي كانا عليه ، ولكنهما مع ذلك لم يتذمرا . بل عوضا عن ذلك ، وفي دجى الليل ووحشة السجن ، كان أحدمهما يشجع الآخربكلام الصلاة ، وكانا يسبحانالله الذي حسبمهما مستأهلين أ نيحتملا العار لأجل اسمه. فابتهج قلباهما بمحبة عميقة حارة من اجل عمل فاديهما . وقد ذكر بولس الاضطهادات التي أوقعهاعلى تلاميذ المسيمح ، وفرح لأن عينيهقد فتحتا ليرى، ولأن قلبه بدأ يخفق بقوة الحقائق المجيدة التي كان قبلايحتقرها .

وبدهشة وذهول سمع السجناء الآخرون صوت الصلاة والتسبيح آتيا منالسجن الدخلي, لقد كانو معتادين من قبل على سماع الصرخات وأصوات الأنين واللعنات والسباب تبدد سكون الليل ، ولكنهم لم يسبق لهم قط ان سمعوا تلك [192] الصلوات والتسابيح صاعدة من تلك الزنزانة المظلمة الكئيبةولقد ذهل الحراس والمسجونون ، على حد سواء،وسألو بعضهم بعضاعمن يكون ذانك الرجلان اللذان ، رغم البرد الذي مزق أوصالهما ، والجوع الذي أضناهما ، والعذاب الذي مزق جسديهما ، امكنهما ، مع ذلك ، ان يفرحا ويتهللا.

وفي تلك الاثناء كان الولاة في طريق عودتهم الى بيوتهم ، وهم يهنئون انفسهم على انهم بتلك الاجراءات السريعة الحاسمة قمعوا الثورة قبل نشوبها .'الا انهم وهم سائرون ، سمعوا تفصيلاتاخرى عن صفة وعمل ذينك الرجلين الليذن قد حكم عليهما بالجلد والسجن . ثم اذر أو الجارية التي خرج منها الروح الشيطاني ، دهشوا بسبب التغيير الذي رأوه في وجهها وتصرفها. كانت الجارية قد أحدثت في الماضي اضطرابا عظيما في المدينة ، اما الان فقد اصبحت هادئة ومسالمة. واذا تحققوا اتهم من المرجح ان يكونوا قد اوقعوا عقوبة القانون الروماني القاسية على رجلين بريئين ، غضبوا على انفسهم وعقدوا العزم على انهمفي الصباح التالي سيأمرون بإطلاقسراح الرسولين سرا ويخرجونهما من المدينة ، بعيدا عن خطرظلم الرعاع وقسوتهم .

ولكن في حين كان الناس قساة ومحبين للانتقام او مهملين اهمالاجراميا للتبعات الخطيرة الملقاة على عواتقهم، فان الله لم ينس ان يكون رحيما نحو عبدية. لقد كانت السماءبأسرهامهتمة بالرجلين اللذين كانا يتألمان لأجل المسيح، فأرسل ملائكة لزيارة السجن . فما ان لمست ارجلهم الارض حتى تزلزلت، وابواب السجن الموصدة بكل ضبط واحكام انفتحت وانفكت قيود المسجونين جميعا وغمر حرجات السجن المظلمة فيض من النور.

كان حافض السجن قد سمع بدهشة وذهول صلوات وتسبيحات الرسولين السجيينين. فإذ كان يدخلهما إلى السجن شاهد جروحهما المتورمة الدامية وقد [193] ضبط هو بنفسه أرجلهما في المقطرة. وكان يتوقع ان يسمع منهما اصوات الانين المر واللعنات والفاظ السباب، ولكنه بدلا من ذلك سمع اغاني الفرح والتسبيح . وإذا كانت هذه الاصوات لاتزال ترنفي أذنيه عبن النعاس بجفنيهفنام السجان نوما أوقظ منه على صوت الزلزلة واهتزاز اسوار السجن .

فإذ استيقظ فزعا ، رأى برعب شديد كل أبواب السجن مفتوحة ، فتملكه الخوف لئلا يكون المسجونين

قد هربوا . وقد ذكر كيف اسلم اليه بولس وسيلا بوصية مشددة ، وفي الليلة السابقة، كي يحرسهما بضبط وايقن من ان الموت الاكيد سيكون جزاءه على عدم امانته الظاهرة.. فقد احسن في مرارة نفسه بأنه خير له ان يقتل نفسه ، جلجلصوت بولس بنغمة مرحة قائلا : «لاتفعل بنفسك شيئا رديا ، لأن جميعنا ههنا» (عدد 28). لقد ظل كل رجل في مكانه ، محصورا بقوة الله التي تجلت في رفيقلهم في السجن .

ان القسوة التي عوم لبها الرسولان من قبل السجان ، لم تثر غضبهما . فاللذيكان يسكن في قلب بولس وسيلا هو روح المسيح وليس روح الانتقام. فإذ كان قلباهما مفعمين بمحبة المخلص لم يكن فيهما أي مجال للحقد على مضطهديهما .

اسقط السجان سيفه ، وإذ طلب ضوءا ، اندفع الى السجن الداخلي . كان يريدأن يرى أي رجلين هما هذا اللذان قابلا القسوة التي عوملا بها بمثل هذا الرفق. فاذ وصل الى حيث كان الرسولان وخر اماهما ، طلب منهما الصفح . ثم اذا اخرجهما الى الدار الخارجية، سألهما قائلا: «ياسيدي ، ماذا ينبغي ان افعل لكي اخلص ؟» (عدد 30).

لقد ارتعب السجان اذ رأى غضب الله باديا في الزلزلة ، وعندما ظن ان المسجونينقد هربوا ، كان مستعدا لان يسقط على حد سيفه ويموت ، اما الان [194] فكل هذه الاشياء تبدوا قليلة الاهمية بالمقارنة مع الرعب الجديد الغريب الذي اهتاج في عقله ، ورغبته في امتلاك الهدوءوالفرح الذين اظهرهما الرسولان تحت الالام والاهانات . لقد رأى نور السماء على وجهيهما ، وعلم ان الله قد تدخل بطريقة معجزية لانقاذ حياتهما . وبقوة غريبة عادت الى ذهنه الكلمات التي نطقت بها الجارية التي كان فيها روح العرافة حين قالت : «هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي ، الذي ينادون لكم بطريق الخلاص» (عدد 18)

فبوداعة عميقة سأل الرسولين ان يرياه طريق الحياة. فأجاباه قائلين: «آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص انت واهل بيتك . وكلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب» (عدد31 ، 32). حينئذ غسل السجان جروح الرسولين وخدمهماوبعد ذلك اعتمد هو والذين له اجمعون ، لقد تغلغلت في قلوب نزلاء ذلك السجن قوة مقدسة، وانفتحت اذهان الجميع للاصغاء الى الحقائق التي نطق بها الرسولان. وقد اقتنعوا ان الاله الذي يخدمه هذانالرجلانقد تدخل بطريقة معجزية لإنقاذهما من الأسر . ارتعب سكان مدينة فيلبي سبب الزلزلة . وعندما أخبر ضباط السجن الولاة في الصباح بما حدث في الليل ، خافوا وارسلوا الجلادين لإطلاق سراح الرسولين من السجن . ولكن بولس أعلن قائلا: «ضربونا جهرا غير مقضي علينا ، ونحن رجلان رومانيان ، والقونا في السجن . افالان يطردوننا سرا ؟ كلا، بل ليأتوا هم انفسهم ويخرجونا» (عدد 37).

كان الرسولان من الموطنين الرومان ، وكان القانون يحرم جلد أي رجل روماني ، الا اذا كان ذلك بسبب جريمة شنعاء فاضحة. كما كان يحرم ايضا تجريد الرماني من حريته بدون محاكمة عادلة. اما بولس وسيلا فقد سجنا علانية ، ولذلك فقد رفضا الآن انيطلق سراحهما سرا إلا بعدما يقدم الولاة تفسيرا لائقا لذلك . [195]

فعندما وصل هذا الكلام الى مسائع الحكام ،فزعوا خوفا من ان يشكوهم الرسولان الى الامبراطور . واذ ذهبوااللتو الى السجن اعتذروا لبولس وسيلا عن الظلم والقسوة الذين وقعا عليهما ، واخرجوهما بأنفسهم من السجن ، متوسلين اليهما ان يخرجا من المدينة. لقد كانوايخشونمن تأثير الرسولين على الشعب، كما كانوا يخشون من بطش القوة التي قد تدخلت لصالح هذيه الرجلينالبريئين .

فتمشيا مع توصيات المسيح لم يرد الرسولان ان يفرضا وجودهما حيث لم يكن من يرغب في بقائهما «فخرجا من السجن ودخلا عند ليدية ،فأبصرا الاخوة وعزياهم ثم خرجا» (عدد 40).

ان الرسولين لم يعتبراتعبهما في فيلبي باطلا. نعم انهماواجها مقاومات واضطهادات كثيرة ، ولكن

تدخل عناية الله لصالحهما، واهتداء السجان واهلبيته، كان ترضية وتعويضا كافيا عن العار والآلام التي قد احتمالاها . ان انباء القائهمافي السجنظلما ونجاتهما بمعجزة انتشرت في كل ذلك الاقليم ، وهذا جعل عددا كبيرا من الناس يعرفون عن عمل الرسولين ، ممن لم يكن ممكن الوصول اليهم بطريقة اخرى .

وكان من نتائج خدمات بولس في فيلبي ان تأسست فيها كنيسة كانت عضويتها تتزايد باستمرار . فغيرته وتكريسه ، وفوق الكل ، استعدادهلأن يتألم لأجل المسيح كل ذلك كان له تاثير عميق ودائم على المهتدين الذين كانوا يقدرون الحقائق الثمينة التي لأجلهاقدم الرسل كل تلك التضحيات ، وهكذا قدم هؤلاء الناس انفسهم في تكريس قلبي كامل لعمل فاديهم .

ومن بعض ماجاءفي رسالة بولس اليهم ، يمكننا ان نتحقق منان هذه الكنيسة لم تنج من الاضطهاد اذ يقول : «لأنه قد وهب لكم لاجل المسيح لا ان [196] تؤمن به فقط ، بل ايضا ان تتألموا لأجله . اذ لكم الجهد عينه الذي رأيتموه في ، والان تسمعون في». ومع ذلك فقد كان ثباتهم في الايمان عظيما ، بحيث اعلن هم قائلا : «اشكر الهيعند كل ذكري اياكم دائمافي كل ادعيتي ، مقدما الطلبة لأجل جميعكم بفرح لسبب مشاركتكم في الانجيلمن أول يوم الى الان» (فيليبي1 : 29- 30، 3- 5).

مارهب الصراع الناشب بين قوات الخير وقوات الشر في المراكز الهامة التي يدعى رسل الحقللعمل فيها . فالرسوليعلن قائلا: «فإن مصارعتنا لسيت مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء ، مع السلاطين، مع ولاة اعالم ، على ظلمة هذا الدهر» (افسس6 : 12) . وسيظل النضال محتدما بين كنيسة الله وبين أولئك الذين هم تحت سيطرة الملائكة الاشرار ، الى انقضاء الدهر .

كثيرا ماكان يدعى المسيحيون الاولون لمواجهة قوات الظلمة وجها لوجه . لقد حاول العدو بواسطة المغالطة والاضطهاد ان يحولهم عن الايمان الحقيقي وفي عصرنا الحاضر ، عندما نرى نهاية كل شيئ تدنوا سريعا ، يبذل الشيطان جهودا يائسة ليصطادالعالم في اشراكه. انه يبتكر خططا كثيرة ليشغل الاذهان ويحولالتفات الناس عن الحقائق الجوهرية للخلاص . وفي كل مدينة يدأب أعوانه على حشد الذين يقاومون شريعة الله وتنظيمهم في أحزاب. إن المخادع الأعظم يعمل على إدخالعناصر الارتباك والعصيان، فتثور ثائرة الناس بغيرة ليست حسب المعرفة .

إن الشر قد تفاقم إلى حد لم يبلغه من قبل ، ومع ذلك فكثيرون من خدام الانجيل يصرخون قائلين : «سلام وأمان» ولكن على رسل الله الأمناء أن يتقدموا إلى الأمام بثبات في عملهم. وإذ يلبسون سلاح السماء ، عليهم أن يتقدموا بلا خوف وبانتصار ، ولايكفون قط عن شن الحرب حتى تقبلكل نفس يمكن ان يصلوا إليها ، رسالة الحق الخاصة بهاذالزمن. [197]

الفصل الثاني والعشرون

تسالونيكي

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال 17 : 1- 10)

اتجهبولس وسيلا بعد تركهما فيلبي إلى تسالونيكي. وفي هذه المدينة كان لهما امتياز مخاطبة جمع غفير من الناس في مجمع لليهود . إن منظرهما برهن على المعاملة المهيئة التي عوملا بها منذ عهد قريب واستلزم ايضاحا لما قد حدث .وهذا مافعلاه دون ان يمجدا نفيسهما ، بل مجدا ذاك الذي هيأ لهما سبيلا للنجاة.

إن بولس ، وهو يكرز للتسالونيكيين ، استشهد بما ورد في نبوات العهد القديم عن المسيا . إن المسيح في خدمته فتح أذهان التلاميذ إلى هذه النبوات إذ «ابتدأ من موسى ومن جميع الانبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لوقا24 : 27) . وبطرس وهو يكرز بالمسيح ، اقتبس براهينه من كتب العهد القديم . واستفانوس سار على النهج نفسه . وكذلك التجأ بولس في خدمته إلى أجزاء العهد القديم المنبئة بميلاد المسيح وآلامه وموته وقيامته . فمن شهادة موسى والأنبياء الموحى بها ، برهن على أن يسوع الناصري هو المسيا ذاته ، وبرهن أيضا على أنه منذ عهد آدم كان صوت المسيح هو الذي تكلم على أفواه الآباء والأنبياء. [198]

لقد أعطيت نبوات واضحة وصريحة خاصة بظهور السيد الموعود به . فلقد أعطي لآدم تأكيد عن مجيء الفادي . فالحكم الذي صدر على الشيطان والقائل : «وأضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها . هو يسحق رأسك ، انت تحسبين عقبه» كان وعدا لأبوينا الأولين عن الفداء الذي كان سيتم بواسطة المسيح

وقد أعطي لابراهيم الوعد أنه من نسله سيأتي مخلص العالم ، إذ قال له الله «ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض» ، «لايقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح» .

ثم أن موسى قرب نهاية عمله كقائد ومعلم لإسرائيلتنبأ بكل وضوح عن المسيا الآتي فقال لحشود الإسرائيليين المجتمعين هذه الكلمات : «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي . له تسمعون». وقد أكد موسى للاسرائليين بأن الله نفسه قد أعلن هذا حين كان في جبل حوريب قائلا : «أقسم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (تكوين3 : 22،15 : 18 ،غلاطية3 : 16 ، تثنيه 18 : 15 ، 18).

كان المسيا سيأتي من نسل الملوك لأن الرب قال في النبوة التي نطق بها يعقوب : «لايزول قضيبمن يهوذا ومشترعمن بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب».

وإشعياء تنبأ قائلا: «ويخرج قضيبمن جذع يسى ، وينبت غصن من أصوله»كما يقول أيضا : «أميلوا أذآنكم وهلموا إلى . اسمعوا فتحيا انفسكم وأقطع لكم عهدا أبديا ، مراحم داود الصادقة ، هوذا قد جعلته شارعا للشعوب ، رئيسا وموصيا للشعوب . ها أمة لاتعرفها تدعوها ، وأمة لم تعرفك تركض إليك ، من اجل الرب الهك وقدوس اسرائيل لانه قد مجدك» [199]

كما شهد ارميا ايضا عن مجيئ الفادي كرئيس بيت داود فقال : «ها أيام تأتي ، يقول الرب ، وأقيم لدواد غصن بر ، فيملك ملكوينجح ، ويجري حقا وعدلا في الأرض. في أيامه يخلص يهوذا ، ويسكن اسرائيلآمنا ، وهذا هواسمه الذي يدعونه به : الرب برنا» كما قال أيضا : «لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداوك انسان يجلس على كرسي بيت اسرائيل ، ولاينقطع للكهنة اللاوين انسان من أمامي يصعد محرقة ، ويحرق تقدمه ، ويهيئ ذبيحة كل الايام» (تكوين49 ، 10، اشعياء11: 55،1 :3 — 5 ، ارميا23 : 5 ،6 ، 33 :17 ، 18).

بل حتى مكان ميلاد المسيا سبق فأنبئ به إذ يقول ميخا النبي : «أما انت يابيت لحكم أفراتة، وانت صغيرة ان تكوني بين ألوف يهوذا ، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على اسرائيل ، ومخارجه منذ القديم ، منذ أيام الأزل».

كما ان العمل الذي كان يجب ان يقوم به المخلص على الارض لخص تخليصا شاملا اذا يقول الوحي : «ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب ولذته تكون في مخافة الرب».

ذاك الممسوح هذا كان سيجول يبشر المساكين .. «لأعصب منكسري القلب ، لأناديللمسببين بالعتق ، وللمأسورين بالاطلاق .لأنادي بسنة مقبولة للرب ، وبيوم انتقام لإلهنا . لأعزي كل النائحين . لأجعل لنائحي صهيون، لأعطيهم جمالا عوضا عن الرماد ، ودهن فرح عوضا عن النوح ، ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة ، فيدعون أشجار البر ، غرس الرب للتمجيد» (ميخا5 : 2 ،اشعياء11: 2 ، 3 ،61 : 1-3).

«هوذا عبدي الذي أعضده ، مختاري الذي سرت به نفسي . وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم . لايصيح ولايرفع ولايسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لايقصف ، وفتيلة خامدة لايطفئ . إلى الامان يخرج الحق [200] لايكل ولاينكسر حتى يضع الحق في الارض ، وتنتظر الجزائر شريعته» (اشعياء42 :1 — 4) .

وهكذا ، وبقوة اقناع عظيمة كان بولس يحاج من أسفار العهد القديم«موضحا ومبينا أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات» (أعمال 17 : 3).ألم يتنبأ ميخا قائلا : «يضربون قاضيإسرائيل بقضيب على خده» (ميخا5 :1). أولميتنبأ السيد عن نفسه علىلسان إشعياء قائلا : «بذلت ظهري للضاربين، وخدي للناتقين. وجهي لم أستر عن العار والبصق» (إشعياء50 : 6). وبواسطة المرنم تنبأ المسيح عن المعاملة التي كان سيعامله لها الناس فقال : «أنا .. عار عند البشر ومحتقر الشعب . كل الذين يرونني يستهزئون بي . يفغرون الشفاه، وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه ، لينقذه لأنه سر به» «أحصى كل عظامي ، وهم ينظرون ويتفرسون في . يقسمونثيابي بينهم ، وعلى لباسييقترعون» «صرت أجنبيا عند اخواتي ، وغريباعند بني امي، لأن غيرة بيتك اكلتني ، وتعييرات معييريك وقعد علي» «العار قد كسر قلبيفمرضت . انتظرت رقة قلم تكن ، ومعزين فلم أجد» (مزمور22 : 6 -8 -، 17 ، 18 ، 69 :7 ، 9 ، 20).

وبأي وضوح لايخطئ وصفت نبوات إشعياء آلام المسيح وموته حين قال متسائلا : «من صدق خبرنا ، ولمن استعلنت ذراع الرب ؟ نبت قدامه كفرخ وكعرقمن أرض يابسة ، لاصورة له ولاجمال فننظر إليه، ولامنظر فنشتهيه. محتقر ومخذول من الناس ، رجلأوجاعومختبرالحزن ، وكمستر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به .»

«لكن أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها. وحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا . وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا». [201]

«كلنا كغنم ضللنا . ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا . ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم فتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ. وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الاحياء ، أنه ضرب من أجل ذنب شعبي» (إشعياء53 : 1-8).

بل حتى كيفية موته رمز إليها. فكما رفع موسى الحية في البرية كذلك كان ينبغى أن يرفع الفادي الآتي : «لكي لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا 3 : 16).

بل حتى كيفية موته رمز إليها. فكما رفع موسى الحية فيالبرية كذلك كان ينبغي أم يرفع الفادي الآتي : «لكي لايهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا 3 : 16).

«فيقول له : ماهذه الجروح في يديك ؟ فيقول : هي التي جرحت بها في بيتي أحبائي» (زكريا : 13: 6) . «وجعل مع الاشرار قبره ، ومع غني عند موته على أنه لم يعمل ظلما ، ولم يكن في فمه غش، اما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن» (إشعياء53 : 9 ،10).

ولكن ذاك الذي كان مزمعا أن يموت بأيديالأشرار كان سيقوم ثانية كمنتصر على الخطيةو القبر . إن مرنم شعب الله الحلو شهد بالهام من الله العلي عن امجاد صباح القيامة فقال بفرح : «جسدي ايضا يسكن مطمئنا . لأنك لن تترك نفسي في الهاوية. (في القبر)، لن تدع تقيتك يرى فسادا» (مزمور 16:9 ، 10).

لقد اظهر بولس الاتحاد الوثيق الذي به قرن الله الخدمة الكفارية بالنبوات التي تشير إلى ذلك الذي كان «كشاة تساق الى الذبح». فالمسيا كان مزمعا ان يبذل حياته «ذبيحة اثم» . ان النبياذ تطلع عبر العصور الى مشاهد كفارة المخلص شهد بأن حمل الله «سكب للموت نفسه وأحصي مع اثمة ، وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين» (اشعياء53 : 7 ، 10 ، 12). [202]

إن المخلص الذي تكلمت عنه النبوات كان سيأتي لا كملك أرضي ليحرر الأمة اليهودية من ظالميها الأرضيين ، بل كإنسان بين الناس ليحيا حياة الفقر والاتضاع وفي النهاية يحتقر ويرفض ويقتل . إن المخلصالذي تنبأت عنه أسفر العهد القديم كان سيقدم نفسه ذبيحة عن جنسنا الساقط، وبذلك يوفي كل مطاليب الشريعة التي كسرت . ففيه كانت الرموز الكفارية ستلتقي بالمرموز اليه ، وكان موته على الصليب سيضفي معنى على كل النظام اليهودي.

وقد اخبر بولس جماعة اليهود في تسالونيكي عن غيرته الماضية على الشريعة الطقسية ، وعن اختباره العجيب الذي حدث له عند ابواب دمشق . كان قبل اهتدائه يضيع ثقته في التقوى الوراثية ، وكانا ذلك الا رجاء كاذب وسراب مخادع. فلم يكن ايمانه مثبتا في المسيح. وبدلا من ذلك وثق في الفرائض والطقوس. وكانت غيرته على الناموس منفصلة عن الايمان بالمسيحفكانت عديمة الجدوى . وفيما كان يفخر بأنه بلا لوم في ممارسة أعمال الناموس والتقيد بحرفيته ، كان قد رفض ذاك الذي جعل النموس ذا قيمة .

ولكن عند وقت اهتدائه وتجديده كل شيئ . فيسوع الناصريالذي كان يضطهده في شخصقديسيه ظهر أمامه كالمسيا الموعود به . لقد رآه المضطهد كابن الله الذي قد جاء إلى اللأرضإتماما للنبوات ، والذي في حياته تمت كل شروط الكتب المقدسة.

وإذ جاهر بولس بالانجيل في المجمع في تسالونيكي بجرأة مقدسة، سلط فيض من النور على معنى الفرائض والطقوس المتصلة بخدمة خيمة الاجتماع. وقد وجه عقول سامعيه الى مابعد الخدمة الارضية وخدمة المسيح في القدس السماوي ، الى الوقت الذي فيه ، بعدما يكمل المسيح عمله كوسيط ، سيأتي ثانية بقوة ومجد عظيم ويثبت ملكوته على الارض. كان بولس يؤمن بالمجيئ الثاني [203] للمسيح ، وبكل وضوح قوةقدم الحقائق الخاصة بهاذا الحادث ، بحث تأثرت عقول كثيرين من سامعيه تأثيرا لم يمح قط.

ولمدى ثلاثة سبوت متتابعة جعل بولس يكرز لأهل تسالونيكي وهم يحاجهم من الكتب المقدسة فيما يختص بحياة المسيح وموته وقيامته وعمله السماوي ومجده العتيد «الخروف المذبوح منذ تأسيس العالم» (رؤيا13 : 8). لقد مجد المسيح ، الذي كان يعتبر إدراك خدمته إدراكا جيدا ، المفتاح الذي يفتح أسفار العهد القديم مانحا للجميع الفرصة للاطلاع على كنوزها الغنية.

فإذ أذيعت حقائق الإنجيل هكذا في في تسالونيكي ، بقوة عظيمة ، استرعى هذا انتباه جماعات كثيرة «فاقتنع قوم منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا ، ومن اليونانيين المتعبدين جمهور كثير ، ومن النساء المتقدمات عدد ليس بقليل» (اعمال17 : 4).

وقد اصطدم الرسولان بمقاومة عنيدة كما حدث في الأماكن التي دخلاها من قبل : «فغار اليهود غير المؤمنين» . هؤلاء اليهود لم تكن لهم حظوة في عيون السلطات الرومانية ، لأنهم منذ عهد قريب قاموافي روما . فكان ينظرإليهم نظرات الشكوالشبهة وقد حدمن حريتهم إلى درجة ما. فوجدوا الآن الفرصة ليستفيدوامن الظروف ويعيدواالحظوة التي كانواقد أضاعوها ، وفيالوقت نفسه يلقون اللوم على الرسولين وعلى المهتدين إلى المسيحية ويهينونهم . وهذا ماشرعوافي عمله بالاتحاد مع «رجالا أشرارا من أهل السوق» وبهذه الوسيلة «سجسوا المدينة» وإذ كانوا يؤملون أن يجدوا الرسولين «قاموا على بيت ياسون» ولكنهم لم يجدوا بولس ولاسيلا . (عدد 5) . «ولما لم يجدوهما» فالرعاع في جنون خيبتهم : «جروا ياسون وأناسا من الاخوةالى حكام المدينة صارخين إن هؤلاء الذين فتنواالمسكونة حضروا إلى ههنا ايضا . وقد قبلهم [204] ياسون .وهؤلاء كلهم يعملون ضد احكام قيصر قائلين : انه يوجد ملك آخر :يوسع» (عدد6 ، 7).

فإذ لم يوجد بولس ولاسيلا أخذ الحكام المؤمنين ووضعوهم في الحبس حفظا للسلام . أما الإخوة فإذ كانوا يخافون من هجوم جديد «فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلا إلى بيرية» (عدد 10).

لاحاجة بمن يكرزون بحقائق غير مقبولة في هذه الايام ، أن تضعف عزائمهمإذا كانوا لايظفرون باستقبال حافل ، حتى ممن يدعون بأنهم مسيحيون ، أكثر مما ظفر بولس ورفقاؤه ، من الناس الذين خدموا بينهم . على رسل الصليب أن يتسلحوا بالسهر والصلاة ، ويتقدموا إلى الأمام بإيمان وشجاعة ، خادمين دائما باسم يسوع . وعليهم أن يمجدوا المسيح بوصفه الوسيط عن الانسان في القدس السماوي ، الذي فيه تركزت كل ذبائح نظام العهد القديم ، والذي في ذبيحته الكفارية يجد من يتعدون على شريعة الله سلاما وغفرانا . [205] [205]

الفصل الثالث والعشرون

بيرية وأثينا

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال17 : 11 — 34).

وجد بولس في بيرية يهودا كانوا مستعدين لأن يفحصوا الحقائق التي علم بها ويتحققوا بأنفسهم من صحتها . ويسجل لوقا عنهم هذه الحقيقة إذ يقول : «وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي ، فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم : هل هذه الامور هكذا .فآمن منهم كثيرون ،ومن النساء اليونانيات الشريفات ، ومن الرجال عدد ليس بقليل» (عدد 11، 12).

إن عقول أهل بيرية لم تكن ضيقة بسبب التعصب . وكانوا راغبين في فحص صدق التعاليم التي كرز بها الرسولان . لقد درسوا الكتاب المقدس ، لاحبا في الاستطلاع ، بل ليتعلمواماقد كتب عن المسيا الموعود به . وفي كل يوم كانوا يفتشون الكتب الموحى بها . وإذ كانوا يقارنون بين آية وأخرى كان ملائكة السماء إلى جوراهم ينيرون أذهانهم ويؤثرون على قلوبهم.

أينما تذاع حقائق الانجيل فالذين يرغبون بإخلاص أن يتبعوا الحق ، يعملون على تفتيش الكتب باجتهاد . ففي ختام مشاهد تاريخ هذه الأرض ، لو كان الذي [206] تقدم لهم حقائق الانجيلالأكيدة يتمثلون بأهل بيرية، فيفتشون الكتب ويفحصونها كل يوم ويقارنون بكلمة الله ، الرسائلالمقدمة لهم ، لكان يوجد اليوم عدد كبير ممن هم مخلصون لوصايا الرب ، حيث لايوجد سوى عدد قليل نسبيا منهم الآن . ولكن عندما تقدم الحقائق غير مشهورة ، فكثيرون يرفضون فحصهاوالتحري من صحتها . ورغم عدم قدرتهم على دحض تعاليم الكتاب الواضحة، فإنهم مع ذلك يبدون أعظم نفور وترو في دراسة البراهين المقدمة . والبعض يدعون أنه حتى لو كانت هذه التعاليم صادقة حقا ، فإنه لايهم كثيراما إذا يقبلون النور الجديد أو لايقبلونه ، وهكذا يتعلقون بالخرافات المسرة التي يستخدمها العدو لتضليلالنفوس. وبذلك تظلم بصيرتهم وتطمس أذهانهم بالضلال ، فينفصلون عن السماء .

إن الجميع سيدانون على قدر النور المعطى لهم . فالرب يبعث رسله وسفراءه برسالة الخلاص ، والذين يسمعونها سيكونون مسئولين عن الكيفية التي بها يعاملون أقوال خدامه. إن الذين بكلأمانة وإخلاص يبحثون عن الحق سيقومون بفحص دقيق للتعاليم المقدمة لهم في نور كلمة الله.

أما يهود تسالونيكي غيرالمؤمنين إذ امتلأت قلوبهم حسداوكراهية للرسولين ، وإذ لم يكتفوا بطردهما من مدينتهم فقد تعقبوهما أيضا إلى بيرية ، وأثاروا ضدهما انفعالات الطبقة الوضيعة . فإذ كان الإخوة يخشون لئلا يعامل بولس بالقسوة لو بقي هناك ، أرسلوه إلى أثينا يصحبه بعض أهل بيرية الذين قبلوا الإيمان حديثا .

وهكذا كان الاضطهاد يتعقب معلميالحق من مدينة إلى أخرى. إنأعداء المسيح لم يستطيعوا أن يوقفوا تقدم الإنجيل ، ولكنهم أفلحوا في جعل عمل الرسل شاقا وقاسيا جدا . ومع ذلك ففي وجه المقاومة والصراع ، تقدم بولس [207] إلى الأمام بثبات ، وقد عقد العزم على تنفيذ قصد الله الذي أعلن له في رؤيا في أورشليم، حيث قال له الله : «سأرسلك إلى الأمم بعيدا» (أعمال22 : 21).

إن رحيلبولس العاجل من بيرية ، حرمه من الفرصة التي كان يؤمل أنيزور فيها الإخوة في تسالونيكي .

فإذ وصل الرسولإلى أثينا ، أرسل الإخوة القادمين معه من بيرية برسالة إلى سيلا وتيموثاوس كي يجتمعا به في الحال .كان تيموثاوس قد أتى إلى بيرية قبل رحيل بولس عنها ، وبقي هناك مع سيلا لإتمام العمل الذي قد بدئ به بداية حسنة ، ولكي يعلما المهتدين حديثا مبادئ الايمان .

كانت مدينة أثينا حاضرة العالم الوثنى. وفي هذه المدينة لم يلتق بولس بقوم جهلة أو سذج كما في لسترة، بل التقى بأناس اشتهروا بذكائهم وتهذيبهم . وأينما اتجه بولس ببصره ، كان يرى تماثيل لآلهتهم وللابطالالذين صاروا آلهةفي نظر التاريخ والشعر ، في حين ان فن العمارة وهندسة البناء والصور والزخارف صورت مجد الامة وعبادة الالهةالوثنية الشائعة. ولقد سرحت حواسالناس من جمال الفن وبهائه . فأينما اتجه الانسان كان يرى المعابد والهياكلالضخمة التي كلفت الامة مبالغ طائلة من المال . وقد خلدت التماثيل والمعابد والصور ذكريات الانتصارات التي احرزها اصحابها بقوة السلاح ، واعمال الرجال المشهورين ، كل هذه الاشياء جعلت من اثينا مسرحا كبيرا للفنون.

فإذ تطلع بولس إلى ماكان يحيط به من جمال وأبهة ، ورأى المدينة مملوءة أصناما ، احتدت روحه فيه غيرة لله الذي رآه مهانا في كل مكان ، وامتلأ قلبه اشفاقا على شعب أثينا، الذين برغم تهذيبهم العقلي ، كانوا يجهلون الاله الحقيقي . [208]

ولم ينخدع الرسول بما رآه في مركز العلم هذا .إن طبيعته الروحية كانت يقظة وسريعة التأثير بجاذبية الامور السماوية بحيث ان فرح ومجد الغنى الذي لايزول جعل الابهة والفخامة والجلال والبهاء الذي كان محاطا به ، عديم القيمة في نظره . فإذ رأى فخامة أثينا ، تحقق من سلطانها الخادع على محبي الفنون والعلوم فتأثر عقله تأثرا عميقا بأهمية العمل الذي كان ينتظره .

في هذه المدينة التي لم تكن تعرف الله ولاتعبده ، تضايق بولس لشعوره بالوحدة ، وكان يتوق إلى عطف زملائه ومعونتهم . وفيما يختص بالصداقة البشرية ، احس بولس بوحدة تامة. وفي رسالته الاولى إلى أهل تسالونيكي ، عبر عن شعوره بهذه الكلمات : «استحسنا ان نترك في اثينا وحدنا» (1 تسالونيكي3: 1) فالعقبات التي بدا استحالة التغلب عليها ، اعترضت طريقه ، فجعلت أمر وصوله إلى قلوب الناس محاولة ميئوسا منها .

وإذ كان بولس ينتظر سيلا وتيموثاوس، لم يكن عاطلا ولاوقف مكتوف الدين . بل «كان في المجمع اليهود المتعبدين، والذين يصادفونه في السوق كل يوم» (اعمال17 : 17). ولكن عمله الرئيسي في اثينا كان حمل بشرى الخلاص الى الذين لم يكن عندهم ادراك فطن عن الله ومقاصده من نحو الجنس الساقط. إن الرسولكان مزمعا ان يواجه الوثنية في اعظم اشكالها اغراء ودهاء.

وبعد قليل سمع عظماء اثينا عن وجود معلمفريد في مدينتهم ، كان يقدم للناس تعاليم جديدة وغريبة. فبعض أولئك الرجال طلبوا بولس، ثم دخلوا معه في حديث ونقاش. وسرعان ماتجمع حولهم جمهور من الناس ينصتون إلى ذلك الحديث . وكان بعض منهم متأهبين لأن يسخروا بالرسولباعتباره أدنى منهم مقاما من الناحية الاجتماعية والثقافية ، وجعلوا يتهكمون عليه فيما بينهم قائلين [209] :«ترى ماذا يريد هذا المهذار ان يقول؟»ولأن بولس «كان يبشرهم بيسوع والقيامة» قال بعضهم الآخر : «انه يظهر مناديا بآلهة غريبو» (عدد 18).

ومن بين من التقوا ببولس في السوق «قوم من الفلاسفة الابيكوريين والرواقيين». ولكنهم وكل من احتكوا به ، سرعان ما اكتشفوا أن عنده رصيدا وافرا من العلم ، يفوق حتى ماحصلوه هم أنفسهم . إن ثقافته وذكائهضألزما العلماء باحترامه ، بينما محاجته الجادة المنطقية وقوته كخطيب ، استرعت انتباه كل

سامعيه وجذبتهم إليه. وقد اعترف سامعوه بحقيقة كونه ليس تلميذاغرا قليل الخبرة ، بل يستطيع مواجهة كل الطبقات بالحجج المقنعة لدعم التعاليم التي كان يعلم بها . وهكذا وقف الرسول بلا خوف أو وجل ليواجه مقاوميه على أرضهموفي ميدانهم وهو يقرع منطقا بمنطق وفلسفة بفلسفة وفصاحة بفصاحة .

وقد وجه خصومه الوثنيون انتباهه إلى مصير سقراط ، الذي لكونه قد نادى بآلهة غريبة ، حكم عليه بالموت ، ثم اشروا على بولس بلا يخاطر بحياته بالسير في الطريق نفسه . ولكن محاضرات الرسول جعلت الشعب ينتبهون اليه بكل حواسهم ، ثم ان حكمته غير المتصنعة ارغمتهم على احترامه والاعجاببه . لم تسكنه علوم الفلاسفة ولاتهكماتهم، واذ سرهم كونه عقد العزم على ان يتمم غرضه بينهم ، وان يخبرهمبقصته مخاطرا بذلك بنفسه ، قرروا هم ايضا ان يصنعوا اليه فأعطوه سكوتا افضل .

وتبعا لذلك اقتادوه الى تل المريخ . وكان هذا المكان من اقدس الاماكن في اثينا كلها ، وكانت الذكريات والاشياء المقترنة به عظيمة بحيث جعلت الناس يوقرون ذلك المكان توقيرا خرافياوصل الى حد الخوف والرعب في عقول بعض الناس.في هذا المكانكان الرجال الذين اعتبروا قضاة ولا [210] مرد لحكمهم، في الشؤون المتعلقة بالامور الاعظم اهمية ، كالمشاكل الادبية والمدنية ، غالباماينظرون ايضا في الشؤون المتعلقة بالدين بكل اهتمام وحرص.

ففي هذا المكان البعيد عنضجيج الطرق العمومية المزدحمة بالمارة وضوضائها، وبعيداعلى الاحاديث المنطوية على الشغب والجدال ، كان يمكن للرسولان يتكلم دون ان يقاطعه احد. وقد تجمع حوله الشعراء والفنانون والفلاسفة — أساتذة أثينا وحكماؤها الذينخاطبوه قائلين : «هل يمكننا ان نعرف ماهوا هذا التعليم الجديد الذي تتكلم به . لأن تأتي الى مسامعنا بأمور غريبة ، فنريد ان نعلم ماعسى ان تكون هذه» (عدد 19، 20).

في تلك الساعة ، ساعة المسؤولية الخطيرة ، كان الرسول ساكناورابط الجأش . كان قلبه مثقلا برسالة هامة ، والأقوال التي نطقت بها شفتاه اقنعت سامعيه انه لم يكن مهذارا عاطلا ، فقال : «أيها الرجال الأثينويون اراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيرا لأنني بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم ، وجدت ايضا مذبحا مكتوبا عليه لإله مجهول . فالذي تتقونه وانتم تجهلونه، هذا انا انادي لكم به» (عدد 22 ، 23). فبكلماكان لديهم من ذكاء وعلم ، كانوا يجهلون الاهل الذي خلق الكون . ومع ذلك فقد وجد بعض منهم ممكن كانوا يتوقون الى نور أعظيم اذا كانوا يتلمسونطريقهم الى الاله السرمدي .

واذ بسط بولس يده نحو الهيكلالذي تكدست فيه الاوثان سكب العبء الذي كان يثقل على نفسه وكشف عن ضلالات ديانة اهل اثينا ومغالطاتها . وقد دهش الحكماء من سامعيهوهم يصغون الى محاجته . فقد برهن على درايته بأعمالهم الفنية ومؤلفاتهم الادبية وديانتهم. واذ اشار الى تماثيلهم واوثانهم، اعلن ان الله لايمكن ان يشبه بتماثيل من صنع الناس. فهذه [211] التماثيل المنحوتةلايمكنها بأي معنى ان تمثل مجد الرب . كما ذكرهم بأن هذه التماثيللاحياة فيها ، وأنها خاضعة لقوة الانسانالذي يتحكم فيها ، فهي لاتبرح من أماكنها إلامتى حركها الناس بأيديهم. ولذلك فالذينيتعبدون لها هم أسمى وارفع مما يبعدونه في كل شيء.

ثم قاد بولس افكار سامعيه الوثنيين الى ابعد من حدود ديانتهم الكاذبة لينالوا نظرة حقيقية عن اله الذي أطلقوا عليه اسم «الاله المجهول». فهذا الكائن الذي يخبرهم الآن عنه ، مستقل عن الانسان ، وليس في حاجة ليزيد من قدرته اومجده.

وقد بلغ الاعجاب بالناس مبلغا عظيما بسبب عرض بولس لصفات الاله الحقيقي بطريقة جادة ومنطقية اذ حدثهم عن قدرته الخالقة ووجود عنايته المسيطرة . فبفصاحة وغيرة وحماسة أعلن الرسول قائلا: «الاله الذي خلق العالم وكل مافيه ، هذا ، اذ هو رب السماء والارض ، لايسكن في هياكل مصنوعة

بالايادي ، ولايخدم بأيادي الناس كأنه محتاج الى شي ، إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسا وكل شيئ» (عدد 24 ، 25). إن السماوات لم تكن لتسع الله فكم بالحري الهياكل المصنوعة بأيد بشرية.

في ذلك العصر ، عصر القبائل والاجناس، عندما كانت حقوق الناس لايعترف بها في غالب الاحيان ، بسط بولس الحق العظيم ، حق الاخوة البشريةوالمساواة ، معلنا أن الله : «وصنع من دم واحدة كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض» (عدد 26) . كل الناسسواسية في نظر الله وكل كائن بشري مدين بالولاء والامانة للخالق . وبعد ذلك أبان الرسول كيف أن قصد الله ، قصد النعمة والرحمة، يتخلل كل معاملاته مع الانسان كخيوط من ذهب . «وحتم [212] بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم ، لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه ، مع انهعن كل واحد منا ليس بعيدا» (عدد26 ، 28).

واذا اشار الى نماذ الرجولة النبيلة المثالثة امامه ، صور الله السرمدي بكلام مستعار من اجد شعرائهم على انه اب وهم اولاده ، فأعلن قائلا : «لأننابه نحيا ونتحرك ونوجد. كما قال بعض شعرائكم ايضا : لأننا ايضا ذريته . فإذ نحنذرية اللهن لاينبغي ان اللاهوت شبيه بذهب او فضة او حجر نقش صناعة واختراع انسان».

«فالله الان يأمر جميع الناس في كل مكان ان يتوبوا ، متغاضياعن ازمة الجهل» (عدد38 -30). في عصور الظلام التي سبقت مجيئ المسيح تغاضى الله عن وثنية الوثنيين ، أما الآن فعن طريق ابنه ، أرسل الى الناس نور الحق ، وكان ينتظر من الجميع التوبة للخلاص ليس فقط من الفقراء والوضعاء بل ايضا من كل فيلسوف متكبر ومن ملوك الارض: «لأنه اقام يوما هو فيه مزمع اين يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد عينه ، مقدما للجميع ايمانا اذا اقامه من الاموات».(عدد 31) . وعندما تكلم بولس عن القيامة من الاموات : «كان البعض يستهزئون ، والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا ايضا» (عدد32).

وهكذا انتهت خدمات الرسول في اثينا مركز العلوم الوثنية لأن الاثتينين اذك انو متعلقين بوثنيتهم بكل اصرار ، ارتدوا عن نور الدين الحقيقي . عندما يقنع الناس بما قد بلغوه وحصوا عليه م بجهودهم ، فلا ينتظر منهم الا القليل بعد ذلك . فمع ان الاثينيين كانوا يفخرون بعملهم وثقافتهم ، فقد كانوا ينحدرون شيئا فشيئا الى اعماق الفساد ، وصاروا قانعين بطقوس الوقنية الغامضة.

وكان بين من اصغوا الى اقوال بولس، جماعة اقتنعوا بتلك الحقاق المقدمةلهم ، الا انهم لم يتواضعوا الى حد الاعتراف بالله وقبول تدبير الخلاص. لا [213] يمكن ان فصاحة الكلام او قوة الحجة تجددالخاطئ . ولكن قوة الله هي وحدها التي تستطيع ان توصل الحقي الى القلب . فالذي يرتد عن هذه القوة في اصرار لايمكن الوصول اليه . كان اليونانيون ينشدون الحكمة ، ومع ذلك فقد كان رسالة الصليب جهالة في نظرهم لأنهم كانوا يعتبرون حكمتهم افع واسمى من الحكمة النازلة من فوق .

ان السبب الذي لأجله لم تلاق رسالة الانجيل الا نجاحا نسبيا ضئيلا بين اهل اثينا هو تفاخرهم بذكائهم وحكمتهم البشرية. إن الرجال الحكماء الدنيويين الذين يأتون الى المسيح كخطاة مساكين هالكين، سيصيرون حكماء للخلاص، اما الذين يأتون كرجال ممتازين يومتحدون حكمتهم ، فسيفشلون في الحصول على النور والمعرفة اللذين يمنحهما الله وحده .

وهكذا واجه بولس وثنية عصره . ومع ذلك فإن اتعابه في اثينا لم تكنكلها عبثا . فإن ديونسيوس الأريباغيالذي كان واحدا من أهشر المواطنين، وجماعة اخرى قبلوا رسالة الانجيل وانضمواكليا الى المؤمنين . لقد قدم لنا الوحي هذه اللمحة من حياة اهل اثينا الذين مع كل علومهم وثقافتهم وفنونهم ، كانوا لايزالون غائصين في حمأة الرذيلة ، حتى يرى كيف ان الله وبخ الوثنية بواسطة خادمه كما وبخ ايضا خطاياالناس المتكبرين المكتفين بأنفسهم . إن أقوال الرسول ، ووصفه لتصرفه والبيئة التي كان فيها ،كما سطرها قل مالوحي ن كانت ستسلم إلى كل الأجيال المتعاقبة كشهادة على ثقته التي لاتتزعزع ، وشجاعته

في ايام الوحدة والمقاومة ، ونصرته التي احرزها للمسيحية في مركز الوثنية هذا .

ان اقوال بولس تحوي كنزا من المعرفة للكنيسة. لقد كان في مركز يستطيع فيه بكل سهولة ان يثير ويهيج سامعيه المتكبرين ، وبذلك يوقع نفسه في [214] الضيقات والمأزق . فلو أن خطباه كان تهجما مباشرا على آلهتهم وعلى عظماء المدينة ، لكان وقع في خطر ملاقاة حتفه كسقراط . ولكن بلباقته التي هي وليدة المحبة الالهية ، اجتذب أذهانهم بحرص بعيدا عن الالهة الوثنية إذ أعلن لهم الاله الحقيقي الذي كان مجهولا لديهم.

واليوم ينبغي تقديم حقائق الكتاب لعظماء الارض كي يختاروا لأنفسهم اما الطاعة لشرعة الله ، او الولاء لسلطان الشر . إن الله يضع أمامهم الحق الأبدي — الحق الذي يحكمهم للخلاص ، ولكنه لايرغمه على قبوله. فإن ارتدوا عنه تركهم لنفوسهم ليشبعوا من ثمار أعمالهم.

«فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، واما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله ، لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء ، وارفض فهم الفهماء» «بل اختار اللهجهارا عالم يخزي الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليخيزي الاقوياء. واختار الله أدنياء العالم ليخزي الاقوياء . واختار اله ادنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود» (1 كورنثوس 1 : 18 ، 19 ، 27 ، 28).كثيرون من أعظم الاساتذة ورجال السياسة الذين هم اشهر رجال العالم سيرتدون عن النور في هذه الايام الاخيرة ، لأن العالم لايعرفالله بالحكمة . ومع ذلك فعلى خدام الله ان يحسنوا استخدام كل فرصة ليوصلوا الحق ويبلغوه لهؤلاء الناس. فالبعضسيعترفونبجهلهم أمور الله ويتخذو مركزهم كتلاميذ متواضعين عند قدمييسوع ، معلم المعلمين .

في كل مسعى يبذله خادم الله للوصول إلى الطبقات الراقية يحتاج إلى ايمان قوي ، قد تبدوا الظواهر وعرة ، ولكن في أحلك الأوقات يأتي النور من العلاء . وستتجدد قوة أولئك الذين يحبون الله ويخدمونه يوما فيوما .وحكمة الاله السرمدي . غير المحدود ستوضع في خدمتهم ، حتى لايخطئوا في اتمام [215] مقاصده . ليتمسك هؤلاء الخدام ببداءة ثقتهم ثابتة الى النهاية ، ذاكرين أن نور حق اله سينير في وسط الظلمة التي تكتنفعالمنا . لايجب ان يكون هنالك يأس فيما يختص بخدمة الله . إن ايمان الخادم المكرس سيصمد لكل امتحانيتعرض له . فالله يستطيع بل ويتوق لان يمنح خدامه كل القوة التي يحتاجونها ، ويمنحهم الحكمة التي تتطلبها حاجاتهم المختلفة. وهو سيملأ ويشبع ويتمم أسمى انتظارات أولئك الذين يتكلون عليه . [217]

الفصل الرابع والعشرين .

كونثوس

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في أعمال18 : 1- 18).

في القرن المسيحي الأول كانت كورنثوس إحدى كبريات المدن ليس في بلاد اليونان وحسب ، بل في اعالم أجمع. كان اليونانيون واليهود والرومان مع المسافرين من كل بلد يحتشدون في شوارعها للعمل والتجارة وطلب المسرات . وحيث أنها كانت مركزا تجاريا عظيمافي موقع يسهل الوصول إليه من كافة أنحاء الامبراطورية الرومانية، فقد كانت مكانا هاما مؤهلا كي تقام فيه نصب تذكاريةلله ولحقه.

وكان بين من أقاموا في كورنثوس من اليهود أكيلا وبريسكلا اللذان اشتهرا فيما بعد كخادمين غيورين للمسيح. فإذ تعرفبولس بهذين الشخصين وعرف صفاتهما «اقام عندهما» (عدد3).

واجه بولس عند بدء خدماته فيهذه المدينة ، التي كانت طريقا للمسافرين عراقيل خطيرة منتشرة في كل مكان ، تقف حائلا يمنع تقدم عمله .كانت الوثنيةتعم المدينة بكاملها وكانت الزهرة هي الالهة المفضلة التي اقترنت بعبادتها [218] طقوس كثيرة وممارسات شريرة. وقد اشتهر اهل كورنثوس حتى بين الوثنيين ، بفجورهم ودعاتهم الفاضحة. وقد بدا كأنهم لايفكرون ولايكترثون لغير مسراتهم ومرحهم الحاضر .

سلك الرسول،وهو يكرز بالانجيل في كونثوس ، مسلكا يخالف ذاك الذي امتازت به كرازته في أثينا . فإذ كان في أثينا حاولأن يوفق بين أسلوبه وصفات سامعيه ، فقابل المنطق بالمنطق وقارع الحجة بالحجة والعلم بالعلم والفلسفة بالفلسفة . فإذ كان يفكر في الوقت الذي انقضى هكذا ، وتحقق من أن تعليمه في أثينا لم يثمر الا في حصاد قليل ، فقد قرر ان ينتهج طريقا آخر للعملفي كورنثوس في محاولتهلاسترعاء انتباه الناس المهملينوالعديمي المبالات. وقد عول على أن يتحاشى إيراد الحجج المحكمةوالمجادلات «وألا يعرف شيئا» بين أهل كونثوس «الا يسوع المسيح واياه مصلوبا» . لقد عزم ان يكرز لهم «لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة» (1 كورنثوس2 : 2 ، 4).

كان يسوع الذي أزمع بولس على تقديمه لليونانين في كورنثوس كالمسيا ، يهوديا وضيع الأصل نشأ في مدينة يضرب بها المثللشرها . لقد رفضته أمته وفي النهاية صلب كفاعل شر . كان اليونانيون يعتقدون أن الحاجة تدعوا إلى ترقية الجنس البشري ، ولكنهم كانوا يعتبرون أن دراسة الفلسفة والعلم هي الوسائل الوحيدة لبلوغ أعلى درجات الرقى والكرامة الحقيقيين . فهل كان بولس يستطيع أن يقودهمإلى الاقتناع بأن الايمان بقوة هذا اليهودي المغمور كفيل بأن يرفع ويشرف كل قوى الكيان البشري ؟

إن صليب الجلجثة يبدوا لأذهان جماهير ممكن يعيشون في عصرنا الحاضر محاطا بذكريات مقدسة. وتوجد علاقات مقدسة مرتبطة بمشاهد الصلب . ولكن [219] في ايام بولس كان الناس ينظرون الى الصليب بمشاعر النفور والرعب . فكون يرفع أمام الأنظار شخصا مات على الصليب على أنه مخلص البشرية ، إنما كان مدعاة تلقائية للسخرية والمقاومة .

ولقد عرف بولس جيدا كيف سيقابلاليهود واليونانيون رسالته . لقد اعترف قائلا : «ولكننا نحن نكرز

بالمسيح مصلوبا : لليهود عثرة ، ولليونانيين جهالة» (1 كورنثوس 1 : 23). لقد كان بينسامعيه من اليهود كثيرون ممكن كانوا لابد سيغضبون من رسالته التي كان مزمعا أن يعلنها . وفي تقدير اليوناني أيضا كانت أقواله جهلا وسخافة . وكان سينظر إليه باعتباره مختل العقل لمحاولته ان يبرهن كيف ان الصليب يمكن ان يكون له ارتباط برفع شأن الجنس البشري او خلاصه .

اما بالنسبة الى بولس فكان الصليب هو الهدف الاوحد الذي له اهمية عظمى . فمنذ ان جذبه المسيح اليه واوقفه عند حده عنالمضي في اضطهاد تلاميذ الناصري المصلوب ، لم يكف عن الفخر بالصليب. ففي ذلك الحين أغطى له إلان عن محبة الله غير المحدودة كما هي معلنة في موت المسيح، فحدث تغيير عجيب في حياته، جعل كل خططه ومقاصده على وفاق معالسماء . ومن تلك الساعة صار انسان جديدا في المسيح. وقد عرف بالاختبار الشخصيانه عندما يرى أي خاطئ محبة الآبكما هي متجليةفي ذبيحة ابنه ، ويخضع للتاثير الالهي ، فإن قلبه يتغيرومن ذلك الوقت يصير المسيح هو الكل في الكل بالنسبة له .

إن بولس عند اهتدائه وتجديده ألهم برغبة واشتياق حارين لأن يعين بني جنسه كي يروا يسوع النصارى باعتباره ابن الله الحي القادر على ان يغير ويخلص . ومنذ ذلك الوقت كرس حياته بالتمام لمسعى هام وهو ان يصور للآخرين محبة المصلوب وقدرته. وقد استوعب قلبه الكبير العطوف كل [220] الطبقات. فقد أعلن قائلا: «إني مديون لليونانيين والبرابرة ، للحكماء والجهلاء» (رومية1: 14) . إن محبته لرب المجد الذي كان قد اضطهده بكل قسوة في شخص قديسية ن كانت هي المبدأ المحركبالنسبة له في تصرفاته والقوة الباعثة له على العمل. فلو ضعفت غيرتهفي طريق الواجب مرة ، فإن نظرة واحدة الى الصليب والمحبة المدهشة المعلنة فيه ، كان ت كفيلة بأن تجعله يمطق أحقاء ذهنه ويسرع إلى الأمام في طريق إنكار الذات .

انظروا الرسول وهو يكرز في مجمع كورنثوس ، محاجا من أسفار موسى والانبياء ، وقائدا أفكار سامعيهحتى مجيئ المسيا الموعود به . أصغوا اليه وهو يوضح عمل الفادي بوصفه رئيس الكهنة الاعظم لبنيالانسان ذاك الذي بذبيحة نفسه كان مزمعا ان يصنع كفارة واحدة عن الخطية ومن ثم يباشر خدمتهفي القدس السماوي. وقد جعل بولس سامعيه يدركون أن المسيا الذي كانوا يتوقون إلى مجيئه قد أتى ، وأن موته كان هو الشيئ رمزت اليه كل الذبائح الكفارية ، وأن خدمته في القدس السماوي كانت هي الهدف العظيم الذي ألقى ظله إلى الخلف وأوضح خدمة الكهنوت اليهودي.

إن بولس كنا «يشهد لليهود بالمسيح يسوع» (عدد 5) . فمن كتب العقهد القديم برهن على انه طبقا للنبوات اونتظار اليهود العم ، سيكون المسيا من نسل ابراهيم وداود، ثم تتبع النسل الذي جاء منه يسوع من ابراهيم الى الملك المرنم. وقد تلا شهادة الانبياء الخاصة بصفات المساالموعود به وعمله واستقبال الناس له ونوع المعاملة التي سيعامل بها على الارض ، ثم أراهم أن كل هذه النبوات قد تمت في حياة يسوع الناصريوخدمته وموته.

وقد برهن بولس على أن المسيح قد اتى ليقدم الخلاص أولا للأمة التي كانت تنتظر مجيئ المسيا كذروة مجد وجودهم القومي . ولكن تلك الامة [221] رفضت ذاك الذي كان يريد ان يمنحهم الحياة ، واختارت قائد آخر كان ملكه سينتهي بموته . وقد حاول بولس ان يقنع سامعيه بحقيقة كون التوبة وحدها يمكنها ان تنقذ الامة اليهودية من الهلاك والخراب المحدقين بها . وقد كشف عن جهلهم لمعنى تلك الاقوال الكتابية التي وجب ان يكون فهمها الكامل موضع فخرهم ومجدهم . وقد وبخهم على حبهم للعالم وللمراكز والالقاب والمظاهر ، وعلى انانيتهم غير العادية.

قص بول بقوة الروح قصة اهتدائه المعجزي وثقته في الاقوال الواردة في كتب العهد القديم التي تمت بحذافيرهافي شخص يسوع الناصري . وقد نطق بتلك الاقوال بغيرة مقدسة، حتى لم يسع سامعيه الا ان

يلاحظوا بأنه كان يحب المخلص المصلوب والمقام بكل قلبه . كما رأوا ان عقله كان مركزا في المسيح وان كل حياته كانت مرتبطة بسيده. كان كلامه مؤثرا جدا بحيثلم يتجاوز تأثيرهاإلا أولئك الذين كانوا ممتلئين بالعداوة المرة ضد الدين المسيحي . إلا ان يهود كونثوس أغمضوا عيونهم كي لاروا البهران الذي قدمه الرسول بكل وضوح ، فرفضوا الاصغاء الى مرافعاته. إن الروح نفسها التي جعلتهم يرفضون المسيح ملأتهم غضبا واهتياجا ضد خادمه، ولو لم يحرسه الله حراسة خاصة كي يستأنف حمل رسالةالانجيل الى الامم ، لكانوا قضوا على حياته . .

«واذا كانوا يقاومون ويجدفون نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم ،انا بريء، من الان اذهب الى الامم ، افنتقل من هناك وجاء الى بيت رجال اسمه يوستس ، كان متعبدا لله ، وكان بيته ملاصقا للمجمع» (عدد6 ، 7).

كلا سيلا ويموثاوس قد انحدرا «من مكدونية» (عدد 5) لمساعدة بولس ، وقد خدموا معا بين الامم . فكرز بولس هو ورفيقاه للامم كما لليهود، بالمسيح كمخلص الجنس البشري الساقط. وإذ تجنب رسال الصليب المحاجات المعقدة [222] الخادعة تكلموا عن صفات خالق العالم ـــ حاكم الكون الأعلى . وإذ كانت قلوبهم ملتهبة بمحبة الله وابنه، توسلوا إلى الوثنيين كي ينظروا الى الذبيحة غير المحدودة المقدمة لأجل الانسان. وقد عرفوا انه لو امكن لأولئك الذين ظلوا طويلا يتلمسون طريقهم في ظلام الوثنية أن ينظروا النور المنبعث من صليب الجلجثة، لكانوا انجذبوا إلى الفادي. لقد أعلن المخلص قائلا : «وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب الى الجميع» (يوحنا12 : 32).

ان خدام الانجيل في كورنثوس تحققوا من المخاطر الرهيبة التي تتهدد نفوس الذين كانوا يخدمون ويتعبون لأجلهم، واذا كانوا يشعرون بالمسؤولية الملقاة عليهم ،قدموا الحق كما تجلى في يسوع. كانت رسالتهم واضحة وصريحة وقاطعة رائحة حياة لحياة أو راحة موت لموت . فالانجيلاعلن ليس فقط بكلامهم ، بل ايضا في حياتهم اليومية. وكان الملائكة يتعاونون معهم ، فظهرت نعمة الله وقدرته في اهتداء الكثيرين. «وكريسبس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته، وكثيرون من الكورنثيين اذا مسعوا امنوا واعتمدوا» (عدد8) .

ان العداء الذي كان اليهود يضمرونه للرسل دائما ، زاد عندئذ اشتدادا . ذلك ان اهتداء كريسبس ومعموديته ، عوض ان يقنع هؤلاء المقاومين العنيدين ، زاد من غيظهم. إنهم لم يستطيعوا الادلاء بحجج لتكذيب كرازة بولس او تفنيد اقواله . ولعدم وجود براهين لديهم ، لجأوا الى المخادعة والتهجم الخبيث. فجدفوا على الانجيلوعلى اسم يسوع. وفي غضبهم الاعمى نطقوا بألذع الالفاظ والنعوت المرة ولم يدخروا مكيدة من المكائد المنحطة الا واستخدموها انهم لم يستطيعوا انكار حقيقة كون المسيح قد صنع معجزات، ولكنهم اعلنوا انه صنعها بقوة الشيطان ، وبكل جرأة اصروا الآن على ان المعجزات العظيمة التي اجراها بولس إنما صنعها بالقوة ذاتها. [223]

ومع أن بولس كان قد احرز قدرا من النجاح في كورنثوس ، الا ان الشر الذي رآه وسمعهفي تلك المدينة الفاسدة كان يثبط عزمه . فالفساد الذي شاهده بين الامم ، والاحتقار ، والاهانات التي جاءته من اليهود سببت لروحه عذابا شديدا لقد شك في حكمة محاولة اقامة كنيسة من العنار التي وجدها هناك.

وإذ كان بعد خططه لمغادرة المدينة والذهاب الى حقل آخر يرجى منه الخير ، واذ كان يطلب بغيرة ان يفهم واجبه ، ظهر لهالرب في رؤيا وقال له «لاتخف ، بل تكلمولاتكست لأني أنا معك ، ولا يفع بك أحد ليؤذيك، لأن لي شعبا كثيرا في هذه المدينة» (عدد 9، 10). وقد قهم بولس ان هاذا امر له كي يبقى في كورنثوس، وانه تلقى ضمانا بأن الرب سيأتي بحصاد وفير من البذار الذي زرع . فإذ تقوى وتشجع ظل بولس يعمل هناك بغيرة ومثابرة.

لم تكن جهود الرسول مقتصرة على الخطابة امام الجماهير ، اذا كان يوجد كثيرون ممكن لم يكن ممكنا الوصولاليهم بهذه الطريقة . ولهاذا صرف وقتا طويلاوهو يخدم من بيت الى بيت ، وهكذا استفاد من المقابلات الاعتيادية المألوفة في محيط الجيرة. لقد زار المرضى والحزانى وعزى المتضايقين ورفع المظلومين. وقد عظم اسم يسوع في كل ماقال وفعل . وهكذا خدم : «في ضعف ، وخوف ، ورعدة كثيرة» (1 كورنثوس2: 3). كان يرتعد خشية ان يكشف تعليمة عن الطابعالبشري لا الروحي . «أي انه اراد ان يختفي هو ويظهر المسيح في تعليمه».

وقد اعلن بولس لعد ذلك قائلا : «لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة لسيت من هذا الدر ، ولامن عظماء هذا الدهر، الذين يبطلون . بل نتكلم بحمكة الله في سر الحكمةالمكتومة ، التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا ، التي لم يعلمها احد من عظماء هذا الدهر ، لأن لو عرفوا لما صلبوا [224] رب المجد . بل كما هو مكتوب مالم تر عين ، ولم تسع اذن ولم يخطرعلى بال انسان مااعده الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنانحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيئ حتى أعمال الله . لأن من من الناس يعرف امور الانسان الا روح الانسان الذي فيه ؟ هكذا ايضا امور الله لايعرفها احد الا روح الله»

«ونحن لم نأخذ روح العالم ، بل الروح الذي من الله ، لنعرف الاشياء الموهوبة لنا من الله التي نتكلم بها ايضا ، لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية ، بل بما يعلمه الروح القدس، قارنين الوحيات بالروحيات» (21 كورنثوي 2: 6-13).

لقد تحقق بولس من ان كفايته لسيت في نفسه ، بل في حضور الروح القدسالذي كان يملأ قلبه بقوتهالسماوية ، مخضعا كل فكرة للمسحي . وقد تكلم عن نفسه قائلا : «حاملين في الجسد كل حين اماتة الرب يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع ايضا في جسدنا» (2 كورنثوس4 : 10). وفي تعاليم الرسول ، كان المسيح هو الصورة المركزية. فقد اعلن قائلا: «فأحيا لا أنا ، بل المسحي يحيا في» (غلاطية2: 20) لقد اخفيت النفس اما المسيح فقد ظهروتمجد.

كان بولس خطيا فصيحا . فبل اهتدائه كثيرا ماحاول ان يؤثر على سامعيه بخطبه البليغة الخيالية. اما الان فقد القى كل هاذا جانبا. فبدلا من الانهماك في الاوصاف الشعرية والتشبيهات تلك التي يمكن ان تسر الحواس وتغذي الخيال دون ان تمس الاختبار اليومي ، فقد حاول بولس ، باستعمال اللغة البسيطة ، ان يدخل إلى اعماق القلب الحقائق ذات الاهمية الحيوية . ان تقديم الحق في صور وتشبيهات أخاذة قد ينتج عنه سرور وهيام في المشاعر ، ولكن في اغلب الاحيان نجد ان الحقائق المقدمة بهذه الطريقة لاتقدم المؤونة الكافية لتقوية المؤمن وتحصينه لخوص معارك الحياة. فالحاجات الملحة والتجارب الحاضرة [225] التي تمر فيها النفوس المجاهدة — هذه ينبغي ان تقابل بتعليم سليم وعملي في مبادئ المسيحية الاساسية.

ولم تكن جهود بولس في كورنثوس بلا ثمر ، فقد رجع كثيرون من عبادة الاوثان ليخدموا اله الحي ن وانضوت كنيسة تحت لواء المسيح. وبعض ممن انقذتهم رسالة المسيحية كانوا قبلا يعيشون في وسط اعظم الامم شهوانية ، ثم صاروا نصبا لرحمة الله وكفاية دم المسحي للتطهير من الخطية .

هذا وقد اثار النجاح المتزايد الذي أحرزه بولس في تقديم المسيح، ثائرة اليهود غير المؤمنين ليمنعوا في مقاومتهم العنيدة له . فجموعوا جموعهم «قام اليهود بنفس واحدة على بولس ، وأتوا به إلى كرسي الولاية» أمام الوالي غاليون الذي كان حاكما على أخائية حينئذ (عدد 12) . وكانوا ينتظرون ان تنحاز السلطات الى جانبهم كما في المرات السالفة ، وبأصوات عالية غاضبة نطقوابشكواهم ضد الرسول قائلين : «هذا يستميل الناس ان يعبدوا الله بخلاف الناموس» (عدد 13).

كان الدين اليهود تحت حماية السلطة الرومانية ، فظن المشتكون على بولس انه ماذا امكنهم ان يثبتوا

عليه تهمة انتهاك نواميس ديانتهم ، فمن المرجح انه قد يسلم اليهم ليحاكموه ويقضوا عليه . فكانوا يرجون بذلك ان يسوقوه الى الموت . ولكن غاليون كان رجلا نزيها فرفض ان يتشبه باليهود في حسدهم ومكيدتهم ، كما رفض ان ينصاع لهم ولدسائسهم. واذ كان مشمئزا من تعصبهموبرهم الذاتي ، لم يرد ان يلقيبالا الى تلك التهمة . وحين كان بولس مزمعا ان يتكلم دفاعا عن نفسه ، أخبره غاليون بأن لا لزوم لذلك . ثم اذا التفت الى المشتكين الغاضبين قال لهم : «لو كان ظلما او خبثا رديا ايها اليهود ، لكنت بالحق قد احتملتكم . ولكن اذا كان مسألة عن كلمة ، واسماء ، وناموسكم [226] فتبصورن انتم. لأني لست اشاء ان اكون قاضيا لهذه الامور . فطردهم الكرسي» (عدد 14- 16).

لقد كان اليهود واليونانيون ينتظرون حكم غاليون بشوق ولهفة فكان رفضه المباشر والسريع لهذه القضية على انلاعلاقة لها بمصالح الجمهور ن هو العلامة الليهود ليتراجعوا خائبين غاضبين. وقد فتح تصرف الوالي القاطع عيون الجمهور الصاخب الذين كانوا يحرضون اليهود. ولأول مرة ، في أثناء سني خدمة بولس في أوربا ، انحاز الرعاعإلى جانبه، فأمام عيني الوالي وبدون تدخله ، احدقوا بأولئكالرجال العظام المشتكين على الرسول . «فأخذ جيمع اليونانيين سوستانيس رئيس المجمع، وضربوه قدام الكرسي ، ولهم يهم غاليون شيئ من ذلك» (عدد 17). وهكذا احرزت المسيحية انتصارا فريدا.

«واما بولس فلبث ايضا ايام كثيرة» (عدد18). لو كان الرسول قد اكره في ذلك الوقت على مغادرة كورنثوس لكان المتدون الى ايمان يسوع قد وضعوا في موقف خطر ن اذ كان اليهود يحاولون الانتفاه بالميزة التي غنموها كي يستأصلواالمسيحية من ذلك الاقليم [227]

الفصل الخمس والعشرون

رسالتا تسالونيكي

(يعتمد هذا الفصل على رسالتي تسالونيكي)

ان وصول سيلا ونيموثاوس من مكدوينة ، اثناء اقامة بولس في كورنثوس ، ابهج قلب الرسول الى حد كبير . لقد اتيا «بأخبار مفرحة عن ايمان ومحبة» أولئكالذين قبلوا الحق اثناء زيارة رسل الانجيل الاولى الى تسالونييكيكان قلب بولس يختلج بالرقة والعطف على هؤلاء المؤمنين، الذي نفي وسط تجاربهم وضيقاتهم ، ظلوا امناء الله . كان يتوق لزيارتهم بنفسه، ولكن اذ كان ذلك متعذرا حينئذ ، فقد بعثاليهم برسالة .

يعبر الرسولفي الرساةل الى تساونيكي عن شكره لله لاجل الاخبار المفرحة عن ترسخ ايمانهم قال : «فمن اجل هذا تعزينا ايها الاخوة من جهتكم في ضيقتنا وضروتنا ، بإيمانكم لأننا الان نعيش ان ثبتم انتم في الرب. لأن أي شكر نستطيع ان نعوض الى الله من جهتكم عن كل الفرح الذي نفرح به من اجلكم قدام الهنا؟ طالبين ليلا ونهارا أوفر طلب ، أن نرى وجوهكم ، ونكمل نقائص ايمانكم» (1 تساونيكي3 : 7 — 19). [228]

«نشكر الله كل حين من جهة جميعكم، ذاكرين اياكم في صلواتنا ، متذكرين بلا انقطاع عمل ايمانكم ، وتعب محبتكم ، وصبر رجائكم، ربنا يسوع المسيح اما الله وابينا» (1 تساولينيك1 :2 ، 3).

ان كثيرين من المؤمنين في تسالونيكيكانوا قد «رجعوا الى الله من الاوثان، ليعبدوا الله الحي الحقيقي» انهم قد «قبلوا الكلمة في ضيق كثير» وقد امتلأ قلوبهم «بفرح الروح القدس» . وقد اعلن الرسول انهم في امانتهم في اتباع الرب «صاروا قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونيةوفي أخائية» هذا وان اقوال المديح هذه لم تكن عن غير استحقاق ، فقد كتب بولس اليهم يقول : «لانه من قبلكم قد اذيعت كلمة الرب ، ليس في مكدونية واخائيه فقط، بل في كل مكان ايضا قد ذاع ايمانكم» (1 تسالونيكي1:9 ، 6، 7 ، 8).

كان المؤمنون في تسالونيكي كارزين امناء ، فاضطرمت قلوبهم غيرة لأجل مخلصهم الذي انقذهم منخوف «الغضب الآتي» (1 تسالونيكي1: 10). وبواسطة نعمة المسيح حدث تغيير عجيب في حياتهم ، وكلمة الله التي أذاعوها كانت مصحوبة بقوة . فربحت القلوب بواسطة الحقائق المقدمة، وانضمت نفوس جديدة إلى أعداد المؤمنين.

في هذه الرسالة الاولى اشار بولس الى طريقته في العمل بين اهل تسالونيكي . فأعلن انه لم يعمد الى ربح مهتدين عن طريق الضلال او الخداع والمكر . «بل كما استحسنا من الله ان نؤتمن على الانجيل ، هكذا نتكلم ن لا كأننا نرضي الناس بالله الذي يختبر قلوبنا . فإننا لم نكن قط في كلام تملق كما تعلمون ، ولا في علة طمع. الله شاهد. ولاطلبنا مجدا من الناس ، لامنكم ولا من غيركم مع اننا قادرون ان نكون في وقار كرسل مسيح. بل كنا مترفقين [229] في وسطكم كما تربي المرضعة اولادها ، هكذا اذ كنا حانين اليكم كنا نرضى ان نعطيكم، لاانجيل الله فقط بل انفسنا ايضا ، لأنكم صرتم محبوبين الينا».

وقد استطرد الرسول يقول : «انتم شهود ، والله كيف بطهارة وببر وبلا لوم كنا بينكم انتم المؤمنين.

كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ، ونجشعكم ، ونشدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم الى ملكوته ومجده»

«من اجل ذلك نحن ايضا نشكر الله بلا انقطاع، لأنكم اذ تسلمتم منا كلمة خبر من الله ، قبلتموها لا ككلمة اناس ، بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله ، التي تعمل ايضا فيكم انتم المؤمنين» «لأن منهو رجاؤنا وفرحنا واكليل افتخارنا ؟ ام لستم انتم ايضا اما ربنا يسوع المسيح في مجيئه؟ لأنكم انتم مجدنا وفرحنا» (1 تسالونيكي2: 4 — 8 ، 10 — 13 ، 19 ، 20).

لقد حاول بولس في رسالته الاولى الى المؤمنين في تسالونيكي ان يعلمهم شيئا عن حالة الاموات الحقيقية . لقد تحدث عن الذين قد ماتوا على ان هم قد رقدوا في حالة من عدم الشعورفقال : «ثم لااريد ان تجهلوا ايها الاخوة من جهة الراقدين ، لكي لاتحزنوا كالباقين الذين لارجاء لهم . لأنه ان كنا نؤمن ان يسوع مات وقام ، فكذالك الراقدون بيسوع ، سيحضرهم الله ايضا معه ... لأن الرب نفسه بهتاف ، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ، سوف ينزلمن السماء والاموات في المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الاحياءالباقين سنخطف جميعا معه في السحب لملاقاة الرب في الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب» (1 تسالونيكي 4 : 13 — 17).

لقد تمسلك اهل تسالونيكيبفكرة كون المسيح سيأتي ليغير الامناء الاحياء ويأخذهم اليه. فبكل اهتمام حرصوا على حياة احبائهم لئلا يموتوا ويخسروا [230] البركة التي كانو يتوقعون الحصول عليها عند مجيئ سيدهم . ولكن الموت اختطف احبائهم من بينهم وحدا في اثر الاخر . فبحزن وانسحاقكان التسالونيكيون يلقون النظرة الاخيرة على وجوه موتاهم، ولم يكونوا يجرؤن ان يرجوا مقابلتهم في حياة اخرى — حياة الخلود .

فإذ فتحت رسالة بولس وقرئت ، شملت الكنيسة التعزية والفرح اللذين حملتهما اليهم اقوال الرسولالتي كشفت عن الحالة الحقيقية للاموات. وقد ابان لهم بولس ان الاحياة الباقين الى مجيئ الرب لن يسبقوا الذين رقدوا في يسوع لملاقاته عند عودته. فإن صوت رئيس الملائكة وبوق الله سيصل الى الراقدين والاموات في المسيح سيقومون اولا قبلما يلمس الاحياء بلمسة الخلود . «ثم نحن الاحياءالباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب. لذلك عزوا بعضكم بعضا بهذا الكلام» (1 تسالونيكي 4 : 17 ، 18).

ونحن لايمكننا تقدير الرجاء والفرح اللذين جلبهما هذا اليقين لكنيسة تسالونيكي الفتية. لقد آمنتوا بتلك الرسالة التي قد ارسلها اليهم ابوهم في الانجيلواحبوها ، كما امتلأت قلوبهم حبا له ايضا . كان قد سبق واخبرهم بهذه الامور من قبل ن ولكن في ذلك الحين كانوا يحاولون ان يفهموا بعقولهم تعاليم بدت جديدة وغريبة، فلا غرابة اذا كانت قوة بعض تلك النقاط لم تنطبعبوضوح على اذهانهم ، الا انهم كانوا جائعين الى الحق وقد اعطتهم رسالة بولس رجاء وقوة جديدين ، وايمانا اكثر ثباتا ومحبة اعمق لذلك الذي بموته قد انار الحياة والخلود .

وقد ابتهجوا الآن اذا علموا ان احبائهم المؤمنين سيقومون من قبورهم ليحيوا الى الابد في ملكوتالله . فالظلمة التي كانت تكتنف مقابر الموتى انقشعت. وهاهو اكليل بهاء ومجد جديد يتوج هامة الايمان المسيحي ، فرأوا مجدا جديد يتوج في حياة المسيح وموته وقيامته . [231]

وقد كتب بولس يقول : «فكذلك الراقدون بيسوع ، سيحضرهم الله ايضا معه» (1 تسالونيكي4 : 14) . كثيرون يفسرون هذا الفصل على انه يعني ان الراقدين سيحضرهم الله مع المسيح من السماء . ولكن بولس يعني انه كما اقيم المسيح من الاموات ، فكذلك الله سيدعوا القديسين الراقدين ليخرجوا من قبورهم ويأخذهم مع الى السماءفما اثمن هذا العزاء ومااأمجد هذا الرجاء ، ليس فقط للكنيسة في تساونيكي بل لكل

المسيحيين اينما كانوا .

ان بولس اذ كان يخدم في تسالونيكيكان قد تناول موضوع علامات الازمنة واسهب في شرحه ، مبينا أي الحوادث ستحدث قبل استعلان ابن الانسان في سحاب السماء ، بحيث ظن انه من غير اللازم ان يكتب بعد ذلك عن هذا الموضوع بتوسع. ومع ذلك فقد اشار بوضوح وصراحة الى تعاليمه السابقة فقال : «واما الازمنة والاوقات فلا حاجة لكم ايها الاخوة ان اكتب اليكم عنها ، لانكم انتم تعلمون بالتحقيق ان يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيئ. لأنه حينما يقولن «سلاموامان» حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة» (1 تسالونيكي5 : 1- 3).

يوجد كثيرون في هذا العالم ممن يغمضون عيونهم حتى لايروا الادلة التي قد قدمها المسيح لانذار الناس بمجيئه. انهم يحاولون تهدئة كل المخاوف بينما في نفس الوقتعلامة المنتهى سائرة بسرعة في طريقها الى الاتمام ، والعالم يسرع الى الوقت الذي فيه سيظهر ابن الانسان في سحاب السماء. ان بولس يعلمنا انها خطيئة عظيمة كوننا لانكترث للعلامات التي تسبق مجي االمسيح ثانية. والذين يهملون في هذا الامر يعتبرهم الرسول مذنبيين ويدعوهم ابناء الليل والظلمة. كما انه يشجع المستيقظين والساهرين بهذه الاقوال : «واما انتم ايها الاخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم ابناء نور وابناء نهار . لسنا منليل ولاظلمة . فلا ننم اذا كالباقين بل لنسهر ونصح» (1 تسالونيكي5 : 4- 6). [232]

ان تعاليم الرسول حول هذا الموضوع لها اهمية خاصة للكنيسة في ايامنا هذه . فالذين يعيشون قريبين جدا من النهاية العظيمة ينبغي ان تأتيهم اقول بولس مصحوبة بقوة فعالة حين يقول : «واما نحن الذين من نهار ، فلنصح لابسين درع الايمان والمحبة ، وخوذة هي رجاء الخلاص . لأن الله لم يجعلنا للغضب ، بل الاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح،الذين مات لأجلنا ، حتى اذا سهرنا او نمنا نحيا جميعا معه» (1 تساونيكي5: 8 ، 10).

ان المسيحي السهر هو مسيحي عامل ن يحاول بكرة غيرة ان يذل قصاراه لأجل تقدم الانجيل . وكما تزيدمحبته لفاديه، كذلك تزيد محبته لنبي جنسه. إن له تجاربه القاسية كام كان لسيده ، الا انه لايسمح للتجربة ان تمرر طبعه او تجعله شكسا او تعكر سلام نفسه . انه يعلم انه لو احتمل التجربة بصبر فهي ستنقيهوتطهره وتجعله في شركة اقرب مع المسيح . ان الذين يشاركون المسيح في آلامه سيشاركونه ايضا في تعزياته واخيرا يشاركونه في مجده .

ثم يستأنف الرسول كلامه في رسالته الى اهل تسالونيكيفيقول : «ثم نسألكم ايها الاخوة ان تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم ، وان تعتبروهم كثيرا جدا في المحبة من اجل عملهم . سالموا بعضكم بعضا» (1 تسالونيكي5 : 12 ،13).

كانوا مؤمنوا تسالونيكي منزعجين بسبب مضايقات كانت تأتيهم من قوم يندسون بينهم ويبذرون بذار التعصب في الآراء والعقائد . فكان يوجد قوم «يسلكون بينكم بلا ترتيب ، لايشتغلون شيئابل هو فضوليون» (2 تسالونيكي 3 : 11). كانت الكنيسة قد نظمت تنظيما جيدا محكما ، وقد عين بها بعض الموظين ليقوموا بعمل الخدام والشمامسة. ولكن وجد بعض الناس العنيدين المتهورين الذي رفضوا الخضوع لمن كان لهم مركز السيادة في الكنيسة . انهم [233] لم يدعوا فقط بأن لهم الحق في الحكم الخاص، بل قالوا ان لهم الحق ايضا في المجاهرة بالزام الكنيسة بالاخذ بوجهة نظرهم. فبالنظر االى هذا ، استرعى بولس انتباه اهل تسالونيكي الى وجوب تقديم الاحترام والاكرام للذين اختيروا ليشغلوا مراكز السيادة في الكنيسة .

واذ كان الرسول مهتما بان يسلك المؤمنون في تسالونيكي في خوف الله ، فقد ناشدهم ان يظهروا القداسة العملية في حياتهم . فكتب يقول : «فمن ثم ايها الاخوة نسألكم ونطلب اليكم في الرب يسوع، انكم

كما تسلمتم منا كيف يجب ان تسلكوا وترضوا الله ، تزدادون اكثر . لأنكم تعلمون اية وصايا اعطيناكم بالرب يسوع . لان هذه هي ارادة الله : قداستكم. ان تمتنعوا عن الزنا» «لان الله لم يدعنا للنجاسة بل في القداسة» (1 تسالونيبك4 : 1- 3 ، 7).

ولقد احس الرسول بأنه مسؤول الى حد كبير عن الذين اهتدوا بتأثير خدماته وعن خيرهم الروحي . كان يتوق الى ان يزدادوا رسوخا في معرفة الاله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذيالذي ارسله. وكثيرا ماكان يلتقي في ابان خدمته بجماعات صغيرة من الرجل والنساء الذين احبوا يسوع ، فكان يجثوا معهم في الصلاة طالبا من اله لان يعلمهم كيف يحتفظون بصلة حيوية وارتباط وثيق به . وكثيراماكان يتشاور معهم عن افضل الوسائل لتقديم نور حق الانجيل للآخرين. وعندما كان يترك الذين قام بينهم بمثلهذه الخدمات ، كثيرا ماكان يتوسل الى الله كي يحفظهم منالشر يعينهم ويعينهم كي يكونوا كارزين غيورين نشيطين.

من اقوى الادلة على الاهتداء او التجديد الحقيقي المحبة لله وللانسان . فالذين يقبلون يسوع فاديا لهم يكنون محبة عميقة مخلصة للذين لهم ايمان ثمين كإيمانهم. كذلك كانت الحال مع مؤمني تسالونيكي . فقد كتب الرسولاليهم [234] يقول : «واما المحبة الاخوية فلا حاجة لكم ان اكتب اليكم عنها ، لأنكم انفسكم متعلمون من الله ان يحب بعضكم بعضا . فإنكم تفعلون ذلك ايضا لجميع الاخوة الذين في مكدونية كلها . وانما اطلب اليكم ايهاالاخوة ان تزدادوا اكثر ، وأن تحرصوا على ان تكونو هادئين، وتمارسو اموركم الخاصة ، وتشتغلوا بأيديكمانتم كما اوصيناكم ، لكي تسلكوا بلياقة عند الذين هم من خارج ، ولاتكون لكم حاجة الى احد» (1 تسالونيكي 4 : 9 -12).

«والرب ينميكم ويزيدكم في المحبة بعضكم لبعض وللجميع، كما نحن ايضا لكم ، لكي يثبت قلوبكمبلا لوم في القداسة اما الله ابينا في مجيئ ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه» (1 تسالونيكي3 : 12 ، 12).

«ونطلباليكم ايها الاخوة : انذروا الذين بلا ترتيب . شجعوا اصغار النفوس . أسندوا الضعفاء . تأنواعلى الجميع . انظروا أن لايجازي حد احداعن شر بشر بل كل حين اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع. افرحوا كل حين . صلو بلا انقطاع. اشكروا في كل شيئ لأن هذه هي مشيئة الله فيالمسيح يسوع من جهتكم» (1 تسالونيكي5 : 14- 18).

وقد حذر التسالونيكيينبألا يحتقروا موهبة النبوة في كلامه الذي قاله : «لاتطفئوا الروح . لاتحتقروا النبوات . امتحنوا كل شيئ . تمسكوا بالحسن» (1 تسالونيكي 5 : 19 — 21). كما أوصاهم بالحصافة والدقة في التمييز بين الحقيقي والزائف . ثم أوصاهم قائلا : «امتنعوا عن كل شبه شر» (1 تسالونيكي5 : 22) . ثم ختم رسالته بالصلاة الى الله كي «يقدسكم بالتمام». وأن «لتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيئ ربنا يسوع المسيح». ثم [235] أضاف قائلا : «امين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل ايضا» (1 تسالونيكي 5 : 23،24).

ان التعليم الخاص بالمجيئ الثاني للمسيح الثاني للمسيح الذي بعث به الرسول الى اهل تسالونيكي في رسالتهالاولى ، كان على وفاق تام مع تعليمه السابق . ومع ذلك فإنبعض الاخوة في تسالونييك لم يفهموا كلامه. وقد فهموا أنه يعبر عن أمله في أن يعيش هو نفسه ليرى مجيئ المخلص. وهذا الاعتقاد زاد من حماسهم واهتياجهم . ثم ان الذين اهملوا تبعاتهم وواجباتهم قبلا ، صاروا الان اشد اصرارا في الدفاع عن آرائهم الخاطئة .

وفي رسالته الثانية حاول بولس ان يصلح سوء فهمهم لتعليمه ، وان يبسط لهم مركزه الحقيقي. ومرة اخرى عبر عن ثقته في نزاهتهم ، وشكره لأن ايمانهم قوي ولأن محبتهم بعضهم لبعض ولعمل سيدهم تزداد . وقد أخبرهم ان ه قد قدمهم للكنائس الاخرىعلى انهم مثال يحتذى في الصبر والايمان المثابر الذي يصمد بكل شجاعة امام الاضطهاد والضيق . ثم وجه افكارهم الى الامام الى وقت مجيئ المسيح ثانية

عندما يستريح شعب الله من كل هموم ومنغصاتهم .

فكتب يقول : «نحن انفسنا نفتخربكم في كنائس الله ، من اجل صبركم وايمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحتملونها .. واياكم الذين تتضايقون راحة معنا ، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته ، في نار لهيب ، معطيا نقمة للذين لايعرفون الله ، والذي لايطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاكابدي من وجه الرب ومن مجد قوته .. الامر الذي لأجله نصلي ايضا كلحين من جهتكم: ان يؤهلكم الهنا للدعوة ، ويكمل كل مسرة الصلاة وعمل الايمان بقوة، لكي يتمجداسم ربنا يسوع المسيح فيكم، وانتم فيه بنعمة الهنا والرب يسوع المسيح» (2 تسالونيكي1 :4 — 12). [236]

ولكن قبل مجيئ المسيح ستحدث تطوراتهامة في العالم الديني كما انبأت النبوة . فقد اعلن الرسول قائلا : «لاتتزعزعواسريعا عن ذهنكم ، ولاترتعوا، لابروح ولابكلمة ولا برسالة كأنها منا : أي أن يوم المسيح قد حضر. لايخدعنكماحد على طريقة ما ، لأنه لايأتي ان لم يأت الارتداد اولا ، ويستعلن انسان الخطية ، ابن الهلاك ، المقاوم والمرتفع على كل مايدعى الها او معبودا ، حتى انه يجلس في هيكلكإله ، مظهرا نفسه انهاله» (2 تسالونيكي 2: 2 — 4).

وماكان يجب ان تحرف اقوال بولس .وماكان يجب ان يفهم احد انه ، بموجب اعلان خاص ، قد انذر اهل تسالونيكيمجيئ المسيح السريع. فمثلهذا الموقف قد يربك الايمان، لأن الخيبة كثيرا ماتؤدي بالانسان الى عدم الايمان ولذلك حذر الرسول الاخوة حتى لايقبلوا هذه الاخبار كأنها آتيةمنه ، ثم واصل شرحه ليؤكد بان السلطان البابويالذي يصفه النبي دانيال بكل وضوح ، سيقوم اولا ويثير حربا على شعب الله . وسيكون من العبث على الكنيسة ان تنتظر مجيئ سيدها قبلان يتمم هذا السلطان عمله التجديفي المميت . ثم سألهم بولس قائلا: «اما تذكرون اني وانا بعد عندكم ، كنت اقول لكم هذا ؟.» (2 تسالونيكي2 :5).

وماكان ارهب التجارب التي كانت مزمعة ان تحل بالكنيسة الحقيقية . فحتى في الوقت الذي كان الرسول يكتب فيه كان «سر الاثم» قد بدأ يعمل . والتطورات التي ستحدث في المستقبل كانت مزمعة ان تكون «بعمل الشيطان، بكل قوة ، وبآيات وعجائب كاذبة ، وبكل خديعة الاثم ، في الهالكين» (2 تسالونيكي 2 :9، 10).

والبيان الذي يورده الرسول عن الذين يرفضون ان يقبلوا «محبة الحق» هو بيان خطير جدا . اذ يقول هذه الكلمات عن الذين يصرون على رفض رسالة الحق : «سيرسل اليهم الله عمل الضلال ، حتى يصدقوا الكذب ، لكي يدان جميع [237] الذين لم يصدقوا الحق ، بل سروا بالاثم» (2 تسالونيكي2 : 10 — 12). ان الناس لايمكن ان يفلتوا من العقاب حين يرفضون الانذارات التي يرسلها الله اليهم في رحمته فالله سيسحب روحه من الذين يصرون على رفض هذه الانذارات، تاركا اياهم للاكاذيب التي يحبونها .

وهكذا لخص بولسالعمل الوبيللتلك القوة الشريرة الذي كان سيستمر مدى اجيال طويلة في الظلام والاضطهاد ، قبل ان يأتوا المسيح ثانية . لقد كان مؤمنوا تسالونيكي يرجون النجاة السريعة ، ولكنهاهو الرسوليحثهم الآن أن يتشجعوا ويتمموا العمل الذي امامهم بخوف الله . وقد اوصاهم الرسول بألا يهملوا واجباتهم ا وان يعتكفوالانتظار العاطل . فبعد انتظاراتهم المتألقة للخلاص السريع ، فإن العودة الى الحياة اليوميةومقاومةالاشرار التي كان عليهم ان يواجهوها كانت ستبدو في نظرهم كريهة ومنفرة بدرجة مضاعفة . ولذلك أوصاهم بالثبات في الايمان :

«فاثبتوا اذاايها الاخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها ، سواء كان بالكلام ام برسالتنا . وربنا نفسه يسوع المسيح ، والله ابونا الذي احبنا واعطانا عزاء ابديا ورجاءا صالحا بالنعمة ، يعزي قلوبكم ويثبتكم في كل كلام وعمل صالح» (2 تسالونيكي2 : 15 —17), «امين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير . ونثق بالرب من جهتكم انكم تفعلون مانوصيكم به وستفعلون ايضا والرب يهدي قلوبكم الى محبة

الله ، والى صبر المسيح» (2 تسالونيكي3 : 3- 5).

لقد تسلم المؤمنون عملهم من الله . فبأمانتهم وثباتهم الى جانب الحق كانعليهم ان يعطوا الاخرين النور الذي قد حصلوا عليه . وقد حثهم الرسول الا يفشلوا في عمل الخير ، ووجه انتباههم الى مثاله هو في الاجتهاد في الامور [238] الزمنية بينما كان في الوقت نفسه يعمل عمل المسيحبغيرة لاتعرف الكلل . وقد وبخ الذين ركنوا الى الخمول والكسل والاثارة التي بلا هدف ، واوصاهم ان «يشتغلوا بهدء ، ويأكلوا خبز انفسهم» (2 تسالونيكي3 :12). وكذلك اوصى الكنيسة بأن يعزلوا من شركتهم كل من يصر على رفض التعاليم التي قدمها خدام الله . ثم أضاف قائلا: «ولكن لاتحسبوه كعدوا ، بل انذروهكأخ» (2 تسالونيكي 3 : 15).

وقد ختم بولس هذه الرسالة ايضا بصلاة طالبا من الله ان في وسط كفاح الحياة وتجاربها يكون سلام الله ونعمة الرب يسوع المسيح عزاءا وسندا لهم . [239]

الفصل السادس والعشرون

ابولس في كورنثوس

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في اعمال 18 : 18 - 28)

بعدما غادر بولس كورنثوس كان حقل عمله الجديد في مدينة افسس . كان في طريقه الى اورشليم للاحتفاء بعد قادم ، ولذلك كانت فترة بقائه في افسس قصيرة بالضرورة. واذ كان يحاج اليهود في المجمع ، كان وقع كلامه في نفوسهم محببا حتى انهم توسلوا اليه كي يواصلخدماته بينهم. الا ان خطته لزيارة اورشليم منعته من البقاء هناك حينئذ، ولكنه وعد بالعودة اليهم «ان شاء الله» (عدد 21). كان اكيلا وبريسكلا قد رافقاه الى افسس، فتركهما هناك ليواصلا العمل الذي كان قد بدأه.

في هذا الوقت حدث ان «اقبل الى افسس يهودي اسمه ابلوس ، اسكندري الجنس ، رجل فصيح مقتدر في الكتب» (عدد 24). كان قد سمع وعظ يوحنا المعمدان وقبل معمودية التوبة . وكان شاهداحيا على ان عمل النبي لم يكن عبثا . والكتاب يقول عن ابلوس انه كان «خبيرا في طريق الرب. وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق مايختص بالرب . عارفامعمودية يوحنا فقط» (عدد 25). [240]

وإذ كان أبولس يرغب في الذهاب الى اخائية ، فقد «كتب الاخوة» الذين فيافسس «الى التلاميذ يحضونهم ان يقبلوه» كمعلمعلى وفاق تام مع كنيسة المسيح . فذهب الى كورنثوس ، حيث في خدماته العامة ومن بيت الى بيت «كان باشتداد يفحم اليهود .. مبينا بالكتب ان يسوعهو المسيح» (عدد27 ، 28). لقد غرس بولس بذار الحق وهاهو ابلوس الان يسقي ان النجاح الذي لازم ابلوس في الكرازة بالانجيل حفز بعض المؤمنين الى ان يمجدوا خدماته اكثر من خدمات بولس . وهذه المقارنة بين انسان وآخر اقحمت على الكنيسة روح التحزب التي هددت بعرقلة تقدم الانجيل الى حد كبير .

في خلال السنة والنصف التي قضاهابولس في كورنثوس ، قصد ان يقدم الانجيل في بساطته . فهو لم يأت الى اهل كورنثوس «بسموا الكلام او الحكمة»، بل في خوف ورعدة ، ونادى لهم «بشهادة الله» «ببرهان الروح والقوة»، لكي «لكي لايكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله» (1 كورنثوس2 : 1، 4، 5).

ان بولس وفق بالضرورة بين طريقته في التعليم وبين حالة الكنيسة ، وقد اوضح لهم بعد ذلك : «وانا ايها الاخوة لم استطع ان اكلمكم كروحيين» «بل كجسديين كاطفال في المسيح ، ، سقيتكم لبنا لاطعاما ، لأنكم لم تكونو بعد تستطيعون ، بل الان ايضا لاتستطيعون» (1 كورنثوس 3 : 1، 2). كان كثيرون من مؤمني كرونثوس متباطئين في تفهم الدروس التي كان يحاول ان يعلمهم اياها . ولم يكن تقدمهم في المعرفة الروحية متناسبا مع امتيازاتهم والفرص [241] المقدمة لهم. ففي حين كان يجب ان يكونوا متقدمين في الاختبار المسيحي الى مدى بعيد ، وقادرين على ادراك حقائق كلمة الله العميقة وممارستها عمليا ، كانوا في موقف يشهد موقف التلاميذ حين قال لهم المسيح : «ان لي امورا كثيرة ايضا لأقول لكم،

ولكن لاتستطيعون ان تحتملوا الآن» (يوحنا16 : 12).

فالحسد والظنون الردية والاتهامات اغلقت قلوب كثيرين من مؤمني كونثوس ضد العمل الكامل للروح القدس، الذي «يفحص كل شيئ حتى اعماق الله» (1 كورنثوس 2: 10). فمهما كان مبلغ حكمتهم في علوم العالم ، فإنهم لم يكونوا اكثر من أطفال في معرفة المسيح .

لقد كان على بولس ان يعلم المهتدين في كورنثوس مبادئ ابجدية الايمان المسيحي . كان ملتزما ان يعلمهم باعتبارهم يجهلون عمل القوة الالهية في القلب . كانوا عاجزين حينئذ عن فهم اسرار الخلاص لأن «الانسان الطبيعي لا يقبل مالروح الله لأنه عنده جهالة ، ولايقدر ان يعرفه لأنه انما يحكم فيه روحيا» (1 كورنثوس 2 :14). لقد حاول بولس ان يزرع البذار ، الذي كان يجب ان يسقيه آخرون. وأولئك الذين جاؤوا من بعده كان عليهم ان يتقدموا العمل من حيث تركه هو ، معطين نورا ومعرفة روحيين في الوقت الملائم على قدر ماتحتمل الكنيسة .

عندما شرع الرسول في عمله في كورنثوس ، ايقن انه يجب عليه ان يقدم ، بكل حرص ، الحقائق العظيمة التي كان يرغب أن يعلمهم اياها . وعرف انه سيكون بين سامعيه مؤمنون متكبرون يتشبثون بالنظريات البشرية ويؤديون نظم عبادة كاذبة ويتلمسون بعيونهم العمياء عساهم ان يجدوا في سفر الطبيعة نظريات تناقض حقيقة وجودالحياة الروحية واالخالدة كما هي معلنة في الكتب المقدسة . [242] كما عرف ايضا ان جماعة النقاد سيسعون للمجادلة حول التفسير المسيحي لكلمة اللهالمعلنة ، وان الملحدين سيقابلون انجيل المسيح بالسخرية والتهكم .

واذا حاول بولس ان يقود النفوس الى حيث الصليب ، لم يجرؤ على توجيه الانتهار المباشر للفاسقين ا وان يصور لهم مقدار شناعة خطيتهم في نظر الله القدوس . ولكنه بالحري وضع امامهم غرض الحياة الحقيقي ، وحاول ان يطبع على اذهانهم تعاليم المعلم الالهي التي لو قبلوها لانشلتهم من حضيض محبة العالموالخطية الى ذرى الطهارة والبر . وقد أطال الشرح بوجه خاص عن التقوى العملية والقداسة التي ينبغي ان يبلغها أولئك الذين سيسحبون أهلا لنيل مكان في ملكوت الله . لقد تاق الرسوللأن يرى نور إنجيلالمسيح مخترقا ظلمات عقولهم كي يروا إلى أي حد كانت اعمالهم النجسة كريهة في نظر الله . ولذلك فقد كان عبء تعليمه بينهم هو المسيح وإياه مصلوبا . كما حاول ان يريهم ان دراستهم الجادة الغيورة وأعظم فرحهم ينبغي ان يكون هو الحق العجيب حق الخلاص بالتوبة الى الله والايمان بالرب يسوع المسيح .

ان الفيلسوف يتحول مبتعدا عن نور الخلاص لأن هذا النور يجلب العار على نظرياته المتكبرة ، اما المنهمك في العالم فيرفضه لأن يفصل بينه وبين اصنامه الارضية . وقد رأى بولس ان صفات المسيح ينبغي ان تفهم على حقيقيتها قبلما يستطيع الناس ان يحبوه او يروا الصليب بعين الايمان . هنا ينبغي ان تبدأ تلك الدراسة التي ستكون هي العلم والاغنية التي سيرددها المفديون مدى اجيال الابد.ففي نور الصليب وحده يمكن تقدير قيمة النفس البشرية التقدير الصائب الحقيقي .

ان قوة نعمة الله الممحصة تبدل ميل الانسان الطبيعي . فالسماء لايمكن ان تكون مكانا مرغوبا فيه في نظر الناسالمنصر في القلوب الى الامور الدنيوية والشهوانية . فقلوبهم البشرية غير المقدسة لاتشعربجاذبية الى ذلك المكان [243] الطاهر المقدس ، وحتى لو كان في امكانهم الدخول ، فإنهم لايجدون هناك مايتفق مع طبيعتهم . ينبغي ان تقهر نعمة المسيح الميول والاهواء المسيطرة على القلب غير المتجدد، قبلما يصير الانسان الساقط اهلا لدخول السماء والتمتع بعشرةالملائكة الاطهارالقديسين. فحين يموت الانسان عن الخطية وتدب فيه الحياة الجديدة في المسيح، فإن محبة الله تملأ قلبه، وادراكه يتقدس وهو يشرب ويرتوي من نبعالفرح والمعرفة الذي لاينضب فيشرق على طريقه نور نهار ابدي ،

لأن نور الحياة يكون معه الى الابد .

لقد حاول بولس ان يطبع على عقول اخوته في كورنثوس حقيقة كونه هو واخوته العاملين معه ان هم الا رجال مفوضون من قبل الله لتعليم الحق ، وأنهم جميعا مشغولون في ذلك العمل نفسه، وانهم يعتمدونبالقدر ذاته على الله لأجل نجاحهم في اعمالهم . ان المباحثة التي حدثت في الكنيسة عن نسبة جدارة الخدام المختلفين لم تكن ضمن نظام الله ، بل نتيجةتغذية واحياء وتعزيز صفات القلبالبشري . يقول الرسول : «لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلوس افلستم جسديين ؟ فمن هو بولس ؟ ومن هو ابلوس ؟ بل خادمان آمنتم بواسطتهما ، وكما اعطى الرب لكل واحد انا غرست وابلوس سقى ، لكن الله كان ينمي. اذا ليس الغارس شيئا ولا الساقي ، بل الله الذي ينمي» (1 كورنثوس3 : 4 — 7).

ان بولس هو الذي كرز بالانجيلاولا في كورنثوس ، وهو الذي نظم الكنيسة هناك. وقد كان هذا هو العمل الذي عينه له الله . وبعد ذلك وبناء على تعليمات الله جيئ بخدام آخرين ليقفوا في نصيبهم ويأخذوا مكانهم. فالبذار الذي زرع كان ينبغي ان يسقى ، وهذا ماكان على ابلوسان يفعله ،. لقد جاء بعد بولس علمه ليقدم مزيدا من التعليم ولساعد على نمور البذار الذي زرع . لقد كسب قلوب الشعبولكن الله هو الذي اعطى المحصول . ان القوة التي تغير الخلق [244] ليست بشرية بل الهية . فالغارسونوالساقون لايجعلون البذار ينموا ، انما هم يعملون تحت اشراف االله كوسائله المعينة ، متعاونين معه في عمله فالكرامة والمجد المصاحبان للنجاح يخصان الله وحده الذي هو العامل الأعظم.

ان خدام الله ليست لهم جميعا نفس المواهب ، انما هم جميعهم خدامه.وعلى كل واحد ان يتعلم من المعلم العظيم اولا ثم بعد ذلك يشارك الاخرين ماقد تعلمه. لقد اعطى اللهكلام من رسلهعملا فرديا. توجد انواع مواهب ولكن عد كل الخدام ان يندمجوا معا في حالة توافق تسيطر عليهم قوة الروح القدس المقدسة. واذ يخبرون الناس بانجيل الخلاص فكثيرون سيتبكتون ويتجددون بقوة الله .ان الوسيلة البشرية تستتر مع المسيح في الله ، والمسيح وحده يظهر كالمعلم بين ربوة والذي كله مشتهيات.

«والغارس والساقي هما واحد ، ولكن كل واحد سيأخذ اجرته بحسب تعبه . فإنا نحن عاملان مع الله ، وانتم فلاحه الله ، بناء الله» (1 كورنثوس 3: 8 ، 9).في هذه الآيات يشبه الرسول الكنيسة مشبهة ايضا ببناء يعلو ويكبر حتى يصير هيكلا مقدسا للرب. ف الله هو العامل الأعظم وقد عين لكل انسان عمله . والجميع عليهم ان يعملوا تحت اشرافه ويعطوه المجال لأن يعمل لأجل خدامه وبواسطتهم. انه هو الذي يمنحهم اللباقة والمهارة ، واذا انتبهوا الى تعليماته فهو سيكلل جهودهم بالنجاح.

وعلى خدام الله ان يعملوا متكاتفين ومندمجين معا في نظام رقيق لطيف : «مقدمين بعضكم بعضا في الكرامة» (رومية 12: 10). ينبغيألا يكون هناك انتقاد جارح ، والا يهدم احد عمل اخيه ، ولا ان تكون هناك احزاب منفصلة. فكل من اول اليه الرب رسالة ، له عمله الخاص . لكل واحد شخصيته المستقلة [245] التي لاينبغي ان تبتلغ في شخصيته انسان آخر ، ومع ذلك فعلى كل واحد ان يعمل في وافق مع اخوته . على خدام الله ان يكونو متحدين ومهم يقومون بخدمتهم ، فهذا امر جوهري . وينبغي الا يقيم أي واجد منهم نفسه امتثالا لغيره فيتكلم عن اخوته وزملائه في العمل بغير احترام،او يعاملهم باعتبارهم ادنى منه. فتحت رئاسة الله ، على كل واحد ان يقوم بالعمل المعين له ، وعلى الخدام الآخرين ان يحترموه ويحبوه ويشجعوه. فعليهم ان يتكاتفوا معا وينهضوا بالعمل ويتقدموا به الى الكمال.

إن هذه المبادئمذكورة باسهاب في رسالة بولس الأولى الى كنيسة كورنثوس. فالرسول يشير الى «خدام المسيح»على انهم «وكلاء سرائر الله».وهو يعلن عن عملهم قائلا : «ثم يسأل في الوكلاء لكي يوجد الانسان أمنيا. واما انا فأقل شيئ عندي ان يحكم في منكم ، او من يوم بشر . بل لست احكم في نفسي ايضا . فإني لست اشعر بشيئ في ذاتي . لكنني لست بذلك مبررا . ولكن الذي يحكم في هو الرب.

اذالاتحكموا في شيئ قبل الوقت ، حتى يأـي الرب الذي سينير خفاف الظلامويظهر آراء القلوب . وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله» (1 كورنثوس 4 :1- 5).

لاحق لأي كائن بشري ان يقضي بين خدام الله المختلفين. فالرب وحده هو الذي يحكم على عمل الانسان، وهو الذي سيعطي لكل واحد جزاءه ، العادل . إن الرسول اذ استطرد في كلامه أشار إشارة مباشرة الى المقارنات التي عملت بين خدماته وخدمات أبلوس . فقال : «فهذا أيها الاخوة حولته تشبيها الى نفسي والى ابلوس من اجلكم، لكي تتعلموا فينا ان لاتفتكروا فوق ماهو مكتوب ، كي لاينتفخ احد لأجل الواحد على الآخر . لأنه من يميزك ؟ وأيشيئ [246] لك لم تأخذه؟ وإن كنت قد أخذت ، فلماذاتفتخر كأنك لم تأخذ ؟» (1 كورنثوس 4 : 6 ، 7).

وقد بسط بولس اما الكنيسة بكل وضوح المخاطر والمشقات التي تحملها هو زملاؤه بصبر في خدمة المسيح. فأعلن قائلا : «الى هذه الساعة نجوع ونعطس ونعرى ونلكم وليس لنا اقامة، ونتعب عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك . نضطهد فنتحمل . يفترى علينا فنعظ . صرنا كاقذار العالم ووسخ كل شيئ إلى الآن . ليس لك أخجلكم أكتب بهذا ، بل كأولادي الأحباء أنذركم. لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون . لأني أناولدتكم في المسحي يسوع بالانجيل» (1 كورنثوس 4 : 11 — 1).

إن ذاك الذي يرسل خدام الانجيلكسفرائه يلحقبه الهوان والعار عندما يبدي بعض السامعين تعقلهم بخادم محبوب لدرجة ان تتولد فيهم عدم الرغبة لقبول خدمات معلم آخر . إن الرب يرسل المعونة الى شعبه ، ليس دائما حسبما يختارون بل بحسب ما يحتاجون. لأن الناس قصيروا البصر ، لايمكنهم أن يميزوا ماهو لصالحهم الأعظم. ويندر أن يكون لخادم واحد كل المؤهلات اللازمة لتكملة كنيسة في كل المطالب المسيحية. ولذلك فكثيرا مايرسل الله إليهم خداما آخرين ، ولكل منهم مؤهلات لاتوجد في الآخرين.

يينغيي للكنيسة ان تقبل بشكر خدام المسيح هؤلاء ، كما لو كانوا يقبلون السيد نفسه . وعليهم ان يستخرجوا كل الفائدة الممكنة من التعاليم التي يمكن لكل خادم ان يقدمها لهم من كل الله . وينبغي قبول الحقائق التي يقدمها خدام الله ، كما يجب تقديرها في وداعة ورقة . ولكن ينبغي الا يتعلق احد بأي خادم الى درجة التطرف أو الى حد جعله صنم حياته . [247]

وبنعمة المسيح يصير خدام الله رسل النور والبركة . فإذ يحصلون بواسطة المواظبة على الصلاة على عطية الروح القدس ويخرجون مثقلين بحمل خلاص النفوس وقلوبهم مفعمة غيرة على نشر نصرات الصليب وتوسع مداها، فهم سيرون ثمرا مفرحا لخدماتهم. وإذ يرفضون بكل إباء ان يظهروا الحكمة البشرية ا وان يمجدوا الذات ، فإنهم سينجزون عملا يصمد أمام هجمات الشيطان . وستترك نفوس كثيرة الظلمة وتقبل الى النور ، وستقام كناش كثيرة . وسيهتدي الناس، لا إلى الوسائل البشرية ، بل الى المسيح . والذات ستحتجب وسيظهر رجل الجلجثة، يسوع وحده.

يمكن لمن يخدمون المسيح اليوم ان يعلنوا نفس الكمالات الممتازة التي قد أظهرها أولئك الذين كرزوا بالانجيل في عصر الرسل . فالله مستعد لأن يمنح القوة لخدامه اليوم كما كان مستعدا لأن يمنحها بالأمس لبولس وأبلوس وسيلا وتموثاوس وبطرس ويعقوب ويوحنا. كان يوجد في أيام الرسلأنس مضلون ادعوا بأنهم يؤمنون بالمسيح، ومع ذلك رفضوا تقديم الاكرام اللائقلسفرائه. لقد أعلنوا أنهم لايتبعون أي معلم بشري، ولكنهم كانوا ، كما زعموا ، يتلقون التعليم من المسيح مباشرة، بدون معونة خدام الانجيل . كانوا مستقلين في روحهم، ورفضوا الخضوع لصوت الكنيسة . مثل هؤلاء كانوا في خطر عظيم من الوقوع في شرك الخداع.

لقد أقام الله في الكنيسة رجالا مختلفي المواهبوعينهم كمساعدين له ، حتى عن طريق الحكمة الموحدة للكثيرين يمكن معرفة فكر الروح والعمل بتوجيهاته . إن الذين يعملوا ويتحركون وفقا لميزات اخلاقهم القوية ، ويرفضون حمل النير من غيرهم ممن لهم خبرة طويلة في عمل الله ، ستعميهم ثقتهم في ذواتهم، وسيعجزون عن التمييز ماهوا زائف وماهو حقيقي. انه من غير المأمون [248] اختيار أمثال هؤلاء كقادة في الكنيسة، لأنهم سيتبعون حكمهم وينفذون خططهم بصرف النظر عن حكم اخوتهم. وإنه ليسهل على العدو ان يعمل عن طريق الذين مع كونهم بحاجة الى النصح والمشورة في كل خطوة ، يجعلون انفسهم اوصياء على النفوس بقوتهم دون ان يكونوا قد تعلموا وداعة المسيح .

ان الانطباعات وحدها ليست مرشدا امنيا االى الواجب . فكثيرا مايقنع العدو الناس ليعتقدوا ان الله هو الذي يقودهم ، بينما هم في الحقيقة يتبعون الوازع البشري وحده. اما إذا كان نسهر ونتحذر ونستشير اخوتنا ، فسيعطى لنا تمييز لمعرفة ارادة الرب، الذي وعد ان «يدرب الودعاء في الحق ، ويعلم الودعاء طرقه» (مزمور25 : 9).

كان يوجد في الكنيسة المسيحية الأولى بعض الناس الذين رفضوا الاعتراف ببولس او ابولس ، واعتبروا بأن بطرس هو قائدهم . هؤلاء أكدوا بأن بطرس كانت بينه وبين المسيح اوثق صلات المحبة والالفة حين كان المسيح على الارض ، بينما بولس كان مضطهدا للمؤمنين. لقد كان التعصب هو الذي يجمعبين آرائهم ومشاعرهم تلك . ولم يظهروا السخاء والكرم والرقة التي تعلن ان المسيح يسكن في القلب .

وكان يخشى من أن روح التحزب هذه ينتج عنا شر عظيم على الكنيسة المسيحية. ولهذا أوصى الرب بولس ان ينطق الانذارات الحارة والاحتجاجات المهيبة. فسأل الرسول الذين كانوا يقولون «انا لبولس ، وانا لأبولس، وانا لصفا ، وانا للمسيح»قائلا : «هل انقسم المسيح ؟ العل بولس صلب لأجلكم، ام باسم بولس اعتمدتم ؟» ثم توسل اليهم قائلا : «اذا لايفتخرن احد بالناس ، فإن كل شيئ لكم . واما انتم فللمسيح ، والمسيح لله» (1 كورنثوس 1 : 12، 13،3 : 21 -23). [249]

كان بولس وأبلوس كلاهما على وفاق تام. وقد خاب أمل أبلوس وحزن بسبب الانقسام الذي حدث في كنسة كورنثوس. وهم لم يرد ان يستفيد من التفضيل الذي أعطي له، ولا شجع احدا عليه ، بل بادر الى ترك ذلك الحقلالذي كثرت فيه المنازعات والخصومات. وعندما الح عليه بولس بعد ذلك كي يعود لزيارة كورنثوس تمنع واعتذر ، ولم يرجعليخدم هناك مرة اخرى الا بعد وقت طويل عندما نضجت الكنيسة ووصلت الى حالة روحية أفضل . [250] [251]

الفصل السابع والعشرون

أفسس

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال19 : 1 — 20).

عندما كان أبلوكس يكرز في كونثوس ، تمم بولس وعده بالعودة الى أفسس كان قد قام بزيارة قصيرة لأورشليم، وقضى بعض الوقت في أنطاكية، مسرح خدماته الأولى . ومن هناك اجتاز في آسيا الصغرى: «في كورة غلاطية وفريجية» (أعمال 18 : 23) ليزور الكنائس التي أسسها هو بنفسه ، وليشدد ايمان المؤمنين.

في عصر الرسل كان القسم الغربي من آسيا الصغرى معروفا باسم «المقاطعة الرومانية الآسيوية». وكانت افسس العاصمة ، مركزا تجاريا عظيما . وكان ميناؤها مزدحما بالسفن ، وكان الناس يتقاطرون اليها من كل الاقطار ويحتشدون في شوارعها . وقد كانت حقلا يرجى منه الخير للخدمات الكرازية كما كانت كورنثوس .

ان اليهود الذين كانوا مشتتين حينئذ في كل البلدان المتمدنة ، كانوا عادة ينتظرون مجيئ المسيا. وعندما كان يوحنا المعمدان يكرز ، كان كثيرون ، عندما يذهبون لزيارة اورشليم في الاعياد السنوية، يخرجون الى ضفاف الاردن [252] ليسمعوه. وهناك كانوا يسمعون عن يسوع يكرز به ويعلن عنه بوصفه السيد الموعود به ،وكانوا يحملون تلك الاخبار الى جميع انحاء العالم . وهكذا اعدت العناية الالهية الطريق لخدمات الرسل.

وعندما وصل بولس الى افسس وجد اثني عشر اخا ، وهؤلاء كانوا تلاميذ ليوحنا المعمدان كما كان ابلوس، ومثله حصلوا على بعض المعلومات عن مرسلية المسيح . لم يكونوا في مثل اقتدار ابلوس ، ولكنهم باخلاص كإخلاص ابلوس ، وبإيمان كإيمانه كانوا يسعون لينشروا خارجا المعرفةالتي حصلوا عليها .

ولم يكن هؤلاء الاخوة يعرفون شيئا عن عمل الروح القدس . فعندما سألهم بولس عما إذا كانو قد قبلوا الروح القدس أجابوه قائلين: «ولاسمعنا انه يوجدالروح القدس» (عدد 2).فسألهم بولس قائلا «فبماذا اعتمتدتم؟ فقالو بمعمودية يوحنا» (عدد 3).

حينئذ بسط الرسول أمامهم الحقائق العظيمة التي هي اساس الرجاء المسيحي . فأخبرهم عن حياة المسيح على هذه الارض وعن ميتة القسوة والعار التي واجهها . ثم سرد لهم كيف ان رب الحياة قد نقض سياجات القبر وقام منتصرا على الموت . وردد لهم تفويض المخلص لتلاميذه حين قال لهم : «دفع الى كل سلطان في السماء وعلى الارض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس» (متى 28: 18 ، 19). واخبرهم ايضا عن وعد المسيح بإرسال المعزي الذي بقوته ستصنع الآيات والعجائب ، ثم وصف لهم كيف تم هذا الوعد بطريقة مجيدة في يوم الخمسين.

وقد أصغى أولئك الاخوة الى ماكان يقوله بولس باهتمام عميق وفرح وذهول وشكر. وبالايمان فهموا الحق العجيب عن ذبيحة المسيح الكفارية ، وقبلوه فاديا لهم. حينئذ اعتمدوا باسم يسوع . «ولما وضع

بولس يديه عليهم» قبلوا هم أيضا [253] معمودية الروح القدس التي بواسطتها أمكنهم التكلم بالسنة الأمم الاخرى والتنبؤ . وهكذا صاروا مؤهلين لأن يخدموا ككارزين في افسس وماجاورها ، وان يخرجوا ايضا ليذيعوا الانجيل في آسيا الصغرى.

فإذ كانت فيهم روح متواضعة قابلة للتعليم ، حصل هؤلاء الرجال على الاختبار الذي أعانهم على الخروج كخدام في حقل الحصاد . ان مثالهم يقدم للمسيحيين درسا ثمينا جدا . يوجد كثيرون يتقدمون تقدما بطيئا في الحياة الالهية لأنهم مكتفون جدا بنفسوهم بحيث لايريدون ان يشغلوا مركز المتعلمين . انهم قانعون بمعرفة سطحية لكلمة الله . ولايرغبون في تغيير عقيدتهم او عملهم ولذلك لايبذلون مجهودا للحصول على نور أعظم.

فلو ان اتباع المسيح يبحثون بجد عن الحكمة لكانوا يقادون الى حقول الحق الغنية التي لاتزال مجهولة لديهم. ان الذي يسلم نفسه لله بالتمام، سترشده يدالله . قد يكون متواضعاوحسب الظاهر غير موهوب ، ومع ذلك فأنه اذا كان يطيع كل انذارات ارادة الله بقلب محب واثق، فإن قواة تطهر وتصير نبيلة وكريمة ونشطة وكفاءاته تزداد. وإذ يختزم تعاليم الحكمة الالهية فستسند اليه رسالة مقدسة ، وسيكون قادرا على ان يجعلحياته سبب مجد الله وبركة للعالم «فتح كلامك ينير ، يعقل الجهار» (مزمور 119 : 130).

يوجد كثيرون اليوم ممن يجهلون عمل الروح القدس في القلب تماما كما كان أولئك المؤمنون في افسس ، ومع ذلك فلا يوجد حق آخر مبين بكل وضوح في كملة الله كهذا الحق . لقد تحدثالانبياء والرسل طويلا حول هذ الموضوع. والمسيح نفسه يوجهه انتباهنا الى النمو الذي يشاهد في دنيا النبات كمثال لعمل روحه في دعم الحياة الروحية واسنادها وتعضيدها . ان عصارة الكرمة التي ترتفع من جذرها تتساب في الاغصان لكي تزيدها نموا [254] فتورق وتزهر وتثمر . كذلك قوة الروح القدس المانحةالحياة والمنبثقة من المخلص تتخلل مكامن النفس وتجدد البواعث والعواطف وتجعل حتى الافكار نفسها مطيعة لارادة الله ، وتجعل من يقبله قادرا على حمل الثمر الثمين ، ثمرا الاعمال المقدسة.

إن منشأ هذه الحياة الروحية غير منظور ن والوسيلة المضبوطة التي بواسطتها تعطي تلك الحياة وتسند ، يقصر باع فلاسفة الأرض عن ايضاحها. ومع ذلك فإن أعمال الروح وتأثيره هي دائما في وفاق مع الكلمة المكتوبة . وما ينطبق على العالم الماديينطبق على العالم الروحي. ان الحياة المادية تحفظ لحظة بعد اخرى بقوة الله ، ومع ذلك فهيلاتتغذى وتسند بمعجزة مباشرة ، بل باستعمال البركات التي جعلها الله في متناول ايدينا . فكذلك الحياة الروحية تتغذى باستخدام الوسائل التي اعدتها العناية الالهية. فاذا كان لتابع المسيح ان ينمو «الى انسان كامل ، الى قياس ملء المسيح» (افسس 4: 13)، فعليه ان يأكل من خبز الحياة ويشرب من كأس الخلاص .. عليه ان يسهر مصليا وعاملا ، وفي كل شيئ ينتبه الى مايعمله الله في كلمته. وهنالك درس آخر لنا نتعلمه من اختبار المهتدين اليهود . فعندما قبلوا المعمودية. على يدي يوحنا ، لم يكونوا يدركون إدراكا كاملا رسالة يسوع كحامل للخطايا . كانوا متمسكين بأخطاء خطيرة . ولكن اذا اشرق عليهم نور أوضح ، فبكلسرور قبلوا المسيح فاديا لهم ، ومع هذه الخطوةالتقدمية حدث تغيير في التزاماتهم . فإذ قبلوا إيمانا انقى حدث في حياتهم تغيير مماثل، ودليلا على هذا التغيير واعترافا بإيمانهم بالمسيح اعتمدوا ثانية باسم يسوع.

وكما كانت عادة بولس دائما ، فقد بدأ عمله في افسس بالكرازة في مجمع اليهود . وظل يخدم هناك ثلاثة اشهر «محاجا ومقنعا في ما يختص بملكوت الله» [255] (عدد 8). في بادئ الامر قبله الناس قبولا حسنا ، ولكن سرعان ماقابلمقاومة عنيفة، كما حدث في حقول اخرى : «كان قوم يتقسون ولايقنعون، شاتمين الطريق» (عدد 9). فاذا اصروا على رفض الانجيل كف الرسول عن الكرازة في المجمع.

لقد عمل روح الله مع بولس وعن طريقه وهو يخدم بني جنسه ومواطنيه . وقد قدم البرهان الكافي

لإقناع كل من رغبوا في معرفة الحق بإخلاص وامانة ولكن كثيرين سمحوا للتعصب وعدم الايمان ان يسيطر عليهم ورفضوا التسليم لأعظم برهان قاطع . فإذاكان بولي يخشى ان يتعرض ايمان المؤمنين للخطر بسبب احتكاكهم الدائمة بمقاومي الحق والاختلاط بهم ، اعتزل عنهم وافرز التلاميذ مكونا منهم جماعة خاصة ،وواصل تعاليمه التي كان يجاهر بها في مدرسة تيرانس الذي كان معلما يتمتع ببعض الشهرة .

وقد رأى بولس «لأن قد انفتح لي باب عظيم فعال» مع انه كان «ويوجد معاندون كثيرون» (1 كورنثوس 16 : 9). إن أفسس لم تكن افخم مدن آسيا وحسب ، ولكنها كانت اكثرها فسادا . لقد سادت الخرافات وطغت الملذات الشهوانية على سكانها الكثيرين. وكان المجرمون من كل الانواع يحتمون تحت اجنحة هياكلها وقد تشفطت احط الرذائل هناك.

كانت مدينة افسس مركزا شهيرا لعبادة ارطاميس . وقد ذاعت شهرة هيكل «أرطاميس الأفسيين» وفخامته في كل انحاء آسيا والعالم. وإنبهاءه وجلاله الفائق جعله ليس مفخرة للمدينة وحدها ، بل والأمة كلها . وقد قال التقليد إن التمثالالذي كان في داخل الهيكل قد هبط من السماء . وكان منقوشا عليه كتابة رمزية كان الناس يعتقدون ان لها قوة عظيمة. وقد كتب اهل افسس كتبا لإيضاح معاني تلك الرموز وكيفية استعمالها. [256]

وكان بين من درسوا تلك الكتبالثمينة بكل إمعان، كثيرون من السحرة الذين لهم تأثير قوي على عقولالناس الذين تمسكوا بالخرافات وتعبدوا للتمثال الذي في داخل الهيكل .

إن بولس وهو يخدم في أفسس اعطيت له براهين خاصة عن رضى الله عنه . لقد رافقت قوة الله جهوده، وكثيرون شفوا من أمراض . جسدية. «و كان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة ، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل او مازر الى المرضى ، فتزول عنهم الامراض ، وتخرج الارواح الشريرة منهم» (عدد 11، 12). هذه المظاهر للقوة الفائقة الطبيعة كانت اقوى من كل ما شهود في افسس ، وكانت من نوع خاص بحيث لم يمكن للمشعوذين المحتالين بمهارتهم ، ولا للسحرة بسحرهم ان يقلدوها . واذا اجريت هذه المعجزات باسم يسوع الناصري ، كانت للناس فرصة فيها يرون ان اله السماء اقوة م نكل السحرة الذين كانوا يعبدون الالهة ارطاميس . وهكذا رفع الرب شأن خادمه حتى اما عبادي الاوثان انفسهم ،اكثر بما لايقاسمن اقوى السحرة .

ولكن ذالك الذي كانت كل الارواح خاضعة له ، والذي اعطى لخدماه السلطان عليها كان مزعا ان يجلب عارا واندحارا اعظم على من احتقروا اسمه القدوس ونجسوه . كانت الشريعة الموسوية تحرم استعمال السحر تحت طائلة الموت ، ومع ذلك فبين حين وآخر كانبعض اليهود المرتدين يستخدمونه سرا . وفي الوقت الذي زار فيه بولس افسس كان يوجد في المدينة «قوم من اليهود الطوافين المعزمين» الذين لما رأو الآيات التي أجراها شرعوا في ان «يسموا على الذين بهم الارواح الشريرة باسم الرب يسوع» . والذين اقدموا على هذه المحاولة كانوا «سبعة بنين لسكاوا ، رجل يهودي رئيس كهنة».وإذ وجدوا [257] رجلا به روح شريرة خاطبوه بالقوة : «نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس» ولكن «فأجاب الروح الشرير وقال اما يسوع فأنا اعرفه، وبولس انا اعلمه ، واما انتم فمن انتم ؟ فوثب عليهم الانسان الذي كان فيه الروح الشرير، وغلبهم وقوي عليهم ، حتى هبروا من ذلك البيت عراة وجرحين» (عدد 13 — 16).

وهكذا قدم برهان لايخطئ على قدسية اسم المسيح ، والخطر الذي يتجشمه أولئك الذين يستشهدون به بدون ايمان برسالة المخلص الالهية : «فوقع خوف على جميعهم ، وكان اسم الرب يسوع يتعظك» (عدد 17).

الحقائق التي كانت مستورة من قبل انكشفت الآن للنور . إن بعضا من المؤمنين إذ قبلوا المسيحية، لم ينبذوا خرافاتهم تماما. وإلى حد ماظلوا يستعلمون السحر . أما الآن وقد اقتنعوا بخطئهم ف «كثيرونمن الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبريين بأفعالهم» (عدد 18). وقد امتد العمل الصالح حتى الى بعض السحرة انفسهم. «وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها اما الجميع. وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين الف من الفضة «حوالي 5 الاف دولار» هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة» (عدد 19 - 20).

إن أولئك المهتدين في افسس اذ احرقوا كتبهم السحرية برهنوا انهم صاروا يكرهون ويمقتون ماكانوا يسرون به قبلا . انهم بواسطة السحر قد اسخطوا اللهجدا وعرضوا أرواحهم للخطر ، اما الان فقد ثار غضبهم على السحر . وهكذا قدموا البرهان على الاهتداء الحقيقي.

إن هذه المؤلفات عن العرافة اشتملت على قوانني للاتصال بالارواح الشريرة. لقد كانت قوانين ولوائح لعبادة الشيطان ، وتعليمات للتوسل اليه في في طلب المعونة والحصول على معلومات منه. فلو أبقى أولئك التلاميذ هذه الكتب في حوزتهم لكانوا يعرضون انفسهم للتجربة، ولو باعوهنا لكانوا يعرضون حياة [258] المشترين للتجربة. لقد نبذوا ملكوت الظلمة وهجروه ولذلك لم يترددوا في هدم وملاشاة قوته مهما ضحوا في سبيل ذلك . وهكذا انتصر الحق على تعصب الناس وعلى حبهم للمال.

وإذ ظهرت قوة المسيح هكذا ، أحرزت المسيحية نصرة عظيمة في معقلالخرافات نفسه. إن تأثير ماحدث انتشر وامتد إلى مدى بعيد أكثر مما كان يتصوره بولس نفسه. وقد انتشرت الاخبار من أفسسإلى أماكن بعيدة جدا ، وهكذا اكتسب ملكوت المسحي قوة دافعة عظيمة. وبعدما اكمل الرسولسعيه بوقت طويل ، عشات هذه المشاهد في أذهان الناس وكانت من ضمن الوسائل لربح مهتدين الى الانجيل . وإنه ليحلوا للناس ان يفترضوا انالخرافات الوثنية قد اختفت قبل حلولمدنية القرن العشرين. إلا أنكلمة الله وشهادة الحقائق الواضحة تعلن بأن السحر يستعمل في هذا العصر تماما كما كان في عهد السحرة الاقدمين . إن نظام السحر القديم هوفي الحقيقة نفس مايعرف الآن بعلمتحضير الارواح الحديث . إن الشيطان لايزال يجد نفسه طريقا الى آلاف من العقول بتقديم نفسه في زي الاصدقاء الراحلين . والكتاب المقدس يعلن قائلا : «الموتى ..لايعلمون شيئا» (جامعة 9 : 5). وأفكارهم ومحبتهم وبغضتهم هلكت . والموتى لايتحدثون مع الاحياء او يتصلون بهم .ولكن الشيطان الذي لايتنكر لدهائه يستخدم مكايده للسيطرة على العقول.

وعن طريق مناجاة الارواح يتصل كثيرون من المرضى والثكالى والفضوليون بالارواح الشريرة. وكل من يتجرأون على عمل هذا هم في ارض خطرة. وكلمة الحق تعلن كيف يعتبر الله هؤلاء الناس . وفي العصور القديمة نطق الله بدينونة رهيبة على ملك ارسل يستشير عرافا وثنيا إذ قال : «اليس لأنه لايوجد في اسرائيل إله ، تذهبون لتسألوا بعل زبوب إله عفرون؟ فذلك هكذا [259] قال الرب : إن السرير الذي صعدت عليه لاتنزل عنه بل موتا تموت» (2 ملوك 1 : 3 : 4).

ان السحرة في العصور الوثنية لهم من يشبهونهم في شخص وسطاءالارواح ، والمستبصرين «الادعاء برؤية غير المنظور» ، والعرافين في هذه الايام. إن الاصوات الغامضة التي تكلمت في عين دور وفي افسس لا تزال تضلل بني الانسان بواسطة اكاذيبها . ولو رفع الحجاب من أيام عيوننا لرأينا الملائكة الاشراريستخدمون كل مكرهم للتضليل والاهلاك . فأينما يبذل جهدا لجعل الناس ينسون الله ، فهناك الشيطان يستخدم قوته الساحرة. عندما يخضع الناس لتأثيره ، فقبلما يدركون ترتبك عقولهم وتتجنس نفوسهم . إن الانذار الذي قدمه الرسوللكنيسة افسس ينبغي ان يلتفت اليه شعب الله في هذه الايام حيث يقول : «ولاتشتركوا في اعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحري وبخوها» (افسس 5 :11). [260] [261]

الفصل الثامن والعشرون

أيام عناء وتجارب

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال 19 : 21- 41 ، 20 : 1).

كانت مدينة افسس مركز خدمة بولسثلاث سنين. وقد اقيمت فيها كنيسة مزدهرة ناجحة، ومن هذه المدينة انتشر الانجيل الى كل اقليم آسيابين اليهود والامم على السواء .

كان الرسول الان يفكر لبعض الوقت في القيام برحلةكرازية جديدة. «وضع بولس في نفسه انه بعدما يجتاز في مكدونية وأخائيه يذهب الى اورشليم ، قائلا اني بعد ماصير هناك ينبغي ان أرى رومية أيضا» (أعمال 19: 21). ووفقا لهذه الحطة ، «ارسل مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس وارسطوس» (عدد 22). الا انه اذ احس بأن العمل في افسس يتطلب وجوده قرر البقاء هناك الى مابعد يوم الخمسين. ومع ذلك فقد حدث حالا بعد ذلك حادث جعله يسرع في الرحيل .

فكانت تقام في افسس حفلات خاصة تكريما للالهة ارطاميس . هذه الحفلات كانت تجتذب جماهير غفيرة من الناس من كل انحاء الاقليم . ومدة هذه الفترة كانت تقام الولائم والاعياد بأعظم مظاهر الأبهة والبهاء . [262]

وكان موسم هذا العيد وقتا شاقا وقاسيا على الذين اعتنقوا الايمان منذ عهد قريب . كانت جماعة المؤمنين الذين كانوا يجتمعون في مدرسة تيرانس ، نغمة شاذة في لحن العيد المرح. وقد انصبت عليهم شتى الفاظ السخرية والتعيير والاهانات . ولقد اوقعت خدمات بولس ضربات قوية على العبادة الوثنية وكان من نتائج ذلك نفص ملموس في عدد المحتفلين بذلك العيد القومى وفي حماس العابدين. وقد امتد تأثير تعاليم بولس إلى أبعد منفي دائرة المهتدي إلى الايمان. وكثيرون ممن لم يجاهروا بقبول التعاليم الجديدة،استنارت عقولهم بحث ضاعت كل ثقتهم في آلتهتهم الوثنية.

كان يوجد سبب آخر للتذمر . ذلك ان تجارة واسعة مربحة ازدهرت في افسس من صنع تماثيل صغيرة مصنوعة على مثال هيكل الالهة ارطاميس وتمثالها وبيعها للناس. وقد وجد أولئك الذين كان يعنيهم أمر نجاح هذه الصناعة ان ارباحهم بدأت تتناقص ، وقد أجمعت كلمتهم على ان ينسبوا ذلك التبدل الكريه الى خدمات بولس.

ان ديمتريوس الذي كان صانع هياكل فصة اذ دعا الصناع الذين من حرفته قال لهم : «ايها الرجال انتم تعلمون ان سعتنا انما هي من هذه الصناعة . وانتم تنظرون وتسمعون انه ليس من افسس فقط، بل من جميع اسيا تقريبا ، استمال وازاغ بولس هذا جمعا كثيرا قائلا : ان التي تصنع بالايادي ليست آلهة. فليس نصيبنا هذا وجده في خطر من أن يحصل في إهانة، بل ايضا هيكل ارطاميس الالهة العظيمة، ان يحسب لاشيئ، وان سوف تهدم عظمتها ، هي التي يعبدها جميع اسيا والمسكونة». هذه الاقوال اثارت غضب الشعب ، فكانت بمثابة عود الثقاب الذي اضرم النار . «فلما سمعوا امتلأو غضبا ، وطفقوا يصرخون قائلين: «عظيمة هي ارطاميس الافسسيين». وقد انتشر خبر [263] هذا الخطاب بسرعة . «فامتلأت المدينة كلها اضطرابا» (عد 25 — 29). وقد بحثوا عن بولس ولكنهم لم يجدوه. فإذ علم اخوته بالخطر ،

اسرعوا باخراجه من المكان . وقد ارسل ملائكة الله لحراسة الرسول ، لأن الساعة التي فيها سيموت شهيدا لم تكن قد حانت بعد .

فإذا اخفقوا في العثور على هدف غضبهم خطف الرعاع «غايوس وارسترخس المكدونيين ، رفيقي بولس في السفر» واذ اخذوا هذين «واندفعوا بنفس واحدة الى المشهد» (عدد 29).

ولم يكن المكان الذي اختبأ فيه بولس بعيدا . وسرعان ماعلم بالخطر الذي يتهدد إخويه المحبوبين . فإذ نسى سلامته كان يريد ان يذهب في الحال إلى المشهد ليخاطب أولئك المشاغبين. ولكن : «لم يدعه التلاميذ».إن غايوس وارستخرس لم يكون الفريسة التي كان الشعب يطلبونها . ولذلك فلم يكن ثمة خطر جسيم يتهددهما . ولكن لو انهم رأوا وجه الروسل الشاحب المجهد لكانذلك كفيلا بأن يثير اعنف احاسيس الغضب في صدور الرعاع ، وماكان يمكن لبشر ان ينقذ حياته .

ومع ذلك فقد كان بولس لايزال مشتاقا للدفاع عن الحق امام الجمع . ولكن من قلب المشهد نفسه جاءته رساة انذار ذلك ان «أناس من وجه أسياكانوا اصدقاءه ، ارسلوا يطلبون اليه ان لايسلم نفسه الى المشهد» (عدد 31).

وقد كان الشغب في المشهد يتفاقم ويزداد : «وكان العض يصرخون بشيئ والبعض بشيئ آخر ، لان المحفل كان مضطربا ، واكثر هم لايدرون لأي شيئكانو قد اجتمعوا» (عدد 32). هذا وان حقيقة كون بولس ورفاقه من اصل عبراني ، جعل اليهود مشتقاين لأن يبرهنوا بكل وضوح على أنهم لم يكونوا يتعاطفون معه أو يوافقون على عمه . وذلك ابرزوا وحدا من بينهم ليبسط [264] المسألة امام الشعب . كان ذلك الخطيب المختار يدعى اسكندر وكان واحد من الصناع اذ كان نحاسا ، وقداشاة اليه بولس بعد ذلك على انه اظهر له شرورا كثيرة (2 تيموثاوس4 : 14). وكان اسكندر هذا رجلا ذا مقدرة عظيمة وقد استخدم كل قوه ليوجه غضب الشعب ضد بولس ورفاقه بوجه خاص . ولكن الجمهور إذ رأو ان اسكندر هذا يهودي ازاحوه جانبا «صار صوت واحد من الجميع صارخين نحو مدة ساعتين عظيمة هي ارطاميس الافسسديين» (عدد 34).

اخيرا كفوا بعدما اعياهم الصياح وحدث سكوت مؤقت . فقد اسرعى كاتب المدينة انتباه الجمع ونظرا لمركظه اصغى الناس لأقواله . وقد وقف مع الشعب على أرضهم وأبان لهم انه لم يكن هناك مايدعو لذلك الشغب. ثم استنجد بعقلهم ومنطقهم فقال : «ايها الرجال الافسسيون ، من هو الانسان الذي لايعلم ان مدينة الافسسيين متعبدة لأرطاميس الاهلة العظيمةوالتمثال الذي هبط من زفس؟ فإذ كانت هذه الاشياء لاتقاوم ، ينبغي ان تكونوا هادئين ولاتفعول شيئا اقتحاما . لأنكم أتيتم بهذيه الرجلين ، وهما ليسا سارقي هياكل ، ولامجدفين على إلهتكم . فإن كان ديمتريوس والصناع الذين معه لهم دعوة على احد ، فإنه تقام ايام للقضاء ، ويوجد ولاة، فليرافعوا بعضهم بعضا . وإن كنتم تطلبون شيئا من جهة امور اخرى ، فإنه يقضى في محفل شرعي . لأننا في خطر ان نحاكم مناجل فتنة هذا اليوم. وليس علة يمكننا من اجلها ان نقدم حسابا عن هذا التجمع.ولما قال هذا صرف المحفل» «عدد 35 — 41).

كان ديمترويوس قد قال في خطابه : «نصيبا هذا ..في خطر» «أي حرفتنا في خطر» (عدد 28). هذه الكلمات تكشف عن السبب الحقيقي لذلك الشغبالذي حدث في افسس ، وعن السبب في كثير من الاضطهاد الذي تعرض له الرسل في عملهم .إن ديمترويوس وزملاءه في الصناعة رأوا انه بسبب التعليم [265] بالانجيل ونشر رسالته فان عمل صنع التماثيل كان في خطر . ودخل كهنة الاوثان والصناع كان معرضا للخطير كذلك، ولهذا السصبب أثاروا ضد بولس أعنف مقاومة .

هذا وإن حكم الكاتب وغيره ممكن كانوا يشغلون مراكز محترمة في المدينة اوقف بولس أمام الشعب كرجل بريء من كل عمل غير مشروع.وكان هذا انتصرا جديدا للمسيحية على الضلالات والخرافات .

لقد أقام الله واليا عظيما ليبرئ ساحة رسوله ويقف الرعاع الصاخبين عند حدهم . وقد املأ قلب بولس بالشكر لله لأن حياته قد حفظت ولأن المسيحية لم يلحقها عار من الشغب الذي حدث في افسس .

«وبعدما انتهى الشغب ،دعا بولس التلاميذ وودعهم ، وخرج ليذهب الى مكذونية» (أعمال 20 : 1). وقد رافقه في رحلته هذه اثنان من الاخوة الأمناء في افسس وهما تيخيكس وتروفيمس .

لقد انتهت خدمات بولس في افسس. كانت خدمته هناك فرصة عمل متواصل وتجارب كثيرة وغم شديد . لقد علم الشعب جهارا وفي كل بيت وهو يعلمهم وينذرهم بدموع غزيرة. وقد كان دائما يصطدم بمقاومة اليهود الذين كانوا ينتهزون كل فرصة لاثارة الرأي العام ضده .

واذ كان بولس هذا يصارع المقاومة ويسير متقدما بعلم الانجيل بغيرة لاتعرف الكلل ن ويحري مصالح كنيسة لاتزال حديثة في الايمان ، وفقد كان يحمل على قلبه عبئا ثقيلا نحو كل الكنائس.

ثم ان اخبار الاتاددا الذي حدث في بعض الكنائيس التي كان قد غرسها ، سبتت له حزبا عميقا. وقد بات يخشى ان تظهر كل جهوده التي بذلها لأجلها [266] أنها باطلة . وطالما قضى الليالي ساهراوهو يصلي ويفكر تفكيرا جديا اذ علم بالوسائل المستخدمة لتعطل عمله وابطال مفعوله . وكلما كانت لديه فرصة وكلما كانت حالة الكنائس تستدعي ، كان يكتب اليها موبخا وناصحا ومنذرا ومشجعا . وفي هذه الرسائل لايسهب الرسول في الكلام عن تجاربه، وإنما فيها بعض التلميحاتالى خدماته وآلامه في عمل المسيح. فالجلد والسجن والبرد والجوع والعطش ، والأخطار على اليابسة وفي عرض البحر وفي البرية، ومن مواطنيه ومن الوثنيين ومن اخوة كذبة ـــ كل هذا احتمله لأجل الانجيل . لقد افترى عليه و«شتم» وصار «وسخ كل شيئ» و «تحير» و«اضطهد» و«تضايقمن كل جانب»وكان «يخطار في كل ساعة» وكان «دائما يسلم للموت من اجل يسوع»

وفي وسط عواصف المقاومة التي لم تنقطع وصخب الاعداء ، وهجر الاصدقاء ، كاد يضعف قلب ذلك الرسول الشجاع . ولكنه نظر الى الوراء الى الجلجثة ، وبغيرة جديدة تقدم لينشر معرفة المخلص المصلوب. لقد كان يسير في الطريق المخضببالدامالذي سار فيه المسيحمن قبل . ولم يطلب ان يعفي من هذه الرحب الى ان يلقى بسلاحه عندي قدمي فاديه. [267]

الفصل التاسع والعشرون

رسالة إنذار واستعطاف

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس)

كتب بولس الرسول رسالته الاولى الى كورنثوس في اثناء مدة اقامته الاخيرة في افسس . انه لم يكن يحس نحو أي اناس آخرين اهتمام اعمق مما كان يحس به نحو المؤمنين في كورنثوس ، ولابذل جهودا نحو آلآخرين أكثر مما بذل لأجلهم. لقد خدم ببينهم مدة عام ونصف موجها أنظاهم نحو المخلص المصلوب والمقام كوسيلة الخلاصالوحيدة ، وكان يحثهم على الاعتماد التام على قوة نعمته المجددة. فقبل قبول المعترفين بالمسيحيةضمن شركة الكنيسة وعضويتها كان حريضا ن يقدم لهم تعاليم خاصة فيما يختص بامتيازات المؤمن المسحيي وواجباته ، وقد حاول بكرة غيرة واهتمام ان يساعدهم كي يكونوا أمناء نحو عهودهم التي قد اخذوها على انفسهم عندما تعمدوا .

كان عند بولس الرسول احساس حادب بالحرب التي كان على كل نفس ان تصيرها ضد قوات الشر التي هدي دائبة ابدا عاى خداع النفوس واصطيادها ، وكل يشتغل بقوة لاتكل لتقوية وتثبيت حديثي الايمان. فتوسل اليهم كل يسلموا نفوسهم لله تسليما كاملا ، لأنه كان يعلم انه متى اخفق الانسان في التسليم [262] فالخطية تظل موجودة والشهوات والاهواء تكافح في سبيل السيادة على النفس ، والتجارب تربك الضمير . ينبغي ان يكون التسليم كاملا . فكل نفس ضعيفة متشككة مجاهدة تسلم للربالتمام تصير على اتصال بالقوى التي تساعدها على الانتصار , والسماء تكون قريبة من ذلك الانسان ويحصل على تعضيد ملائكة الرحمة ومعونتهم في وقت التجربة والحاجة .

لقد كان اعضاء الكنيسة في كونثوس محاطين بالوثنية والشهوات في اشد حالات فتنتها واغرائها . وعندما كان الرسول معهم لم يكن لتلك المغريات تأثير كبير عليهم. وذلكلأن ايمان بولس الثابت وصلوات الحارة وتعاليمه الجادة ،وفوق اكل ، حياته المقدسة ، اعانتهم على انكار الذات لأجل المسيح بدلا منالتمتع بمسرات الخطية .

ومع ذلك فبعدما رحل بولس عنهم ظهرت احوال غير مؤاتية . فالزوان الذي كان العدو قد زرعه ظهر في وسط الحنطة وبعد ذلك بقليل بدأ هذا الزرع يعطي ثماره الشريرة. فكان ذلك الوقت وقت محنة قاسية على الكنيسة في كورنثوس . فالرسول ماعدا معهم يلنعش غيرتهم ويعينهم في جهودهم ليعيشوا في حالة وفاق مع الله ، وشيئا فشيئا صار كثيرون مهملين وعديمي الاكتراث وسمحوا لبعض الاذواق والميولالطبيعية ان تتحكم فيهم . فذالك الذي طالما حفزهم على التسمك بالمثل العليا للطهارة والاستقامة ماعاد موحودا بينهم ، وكانت هناك جماعة غير قليلة ممن كانوافي وقت اهتدائهم وتجديدهم قد طرحوا عنهم عاداتهم الشريرة، هؤلاء عادوا الى خطايا الوثنية المفسدة.

كان بولس قد كتب رسالة مختصرة الى الكنيسة كي «لاتخالط» الاعضاء الذين يصرون على السير في طريق الفجور والخلاعة ، ولكن كثيرين من [269] المؤمنين حرفوا المعنى الذي قصده الرسول وغالطوا وماحكوا في اقواله وحاولوا يجاد الاعذار لإغفال تعاليمه.

وقد ارسلت الكنيسة رسالة الى بولس تسأل مشورته في امور مختلفة، الا انها لم تخبره بشيئ عن الخطايا الشنيعة التي كانت متفشية بينهم. ومع ذلك اقنع الروح القدس الرسول بقوة بأن حالة الكنيسة الحقيقية قد اخفيت عنه ، وأن هذه الرسالة كانت محاولة للوصول منه على حقائق يمكن ان يؤولها كاتبوها بحث تخدم اغراضهم.

وفي ذلك الوقت تقريبا جاء الى افسس اعضاء من بيت (خلوى) وهي اسرى مسيحية كانت تتمتع بسمعة حسنة ولها مكانة رفيعة في كورنثوس . وقد سألهم بولس عن الحالة فأخبروه ان الكنيسة قد مزقتها الانقسامات . كما ان الخصوات التي تفشت في وقت زيارة بولس زادت وتفاقمت جدا . وقد جعل المعلمون الكذبة اعضاء الكنيسة يحتقرون تعاليم بولس. وقد فسدت تعاليم الانجيل وفرائضه وحرفت . كما ا الكبرياء وعبادة الاوثان والشهونايتزادتواستشرت بين الذين كانوا قبلا غيورين في الحياة المسيحية

فإذ عرضت هذه الصورة أمام بولس رأى ان اشد مخاوفه قد تحققت. ولكنه لم يفسح المجال للفكر بأن عمله قد آل الى الفشل بسبب ذلك . ولكنه «بحزن قلبي» و«بدموع غزيرة» طلب المشورة من اللله. لقد كان بكل سرور مستعدا لزيارة كورنثوس في الحال ، لو كان ذلك افضل مسلك يسلكه . ولكنه علم ان المؤمنين هناك ماكانوا لينتفعوا من خدماته بينهم في حالتهم الراهنة ، ولذلك ارسل اليهم تيطس ليعد الطريق لزيارته لهم فيما بعد. وحينئذ وبعدما القى عنه جانبا كل الانفعالات الشخصية بسبب أولئك الذين كشف تصرفهم عن مثل ذلك الانحراف الغريب، واذ ثبت قلبه في الله كتب الرسول رسالة الى كنيسة كورنثوس ، وهي من اغنى واقوى الرسائل المليئة بالتعاليم بين كل رسائله الاخرى . [270]

وبوضوح عظيم تقدم بولس ليجيب على الاسئلة المختلفة التي بعثت بها الكنيسة اليه،ويضع المبادئالعامة التي لو انتبهوا اليها فستمسوا بمستواهم الروحي . لقد كانوا في خطر ، ولم يستطع ان يحتمل فكرة الاخفاق في الوصول الى قلوبهم في ذلك الظرف الحرج. فبكل امانة حذرهم من المخاطرة المحدقة بهم ووبخهم على خطاياهم . ثم وجه انظارهم الى المسيح مرة اخرى واحو لان يضرم في قلوبهم من جديد نار الغيرة التي كانت لهم عندبدء تكريسهم لله . وقد ظهرت محبة الرسول العظيمة لمؤمني كورنثوس في تحيته الرقيقة للكنيسة. لقد اشار الى اختبارهم في الرجوع من عبادة الاوثان ليعبدوا الاله الحقيقي ويخدموه. ثم ذكرهم بمواهب الروح القدس التي قد حصلوا عليها ، ثم اراهم كيف انه كان امتيازا عظيما لهم ان يتقدموا دئما في الحياة المسيحية الى ان يبلغوا الى طهارة المسيح وقداسته . فكتب يقول لهم : «انكم في كشيئ استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم ، كما ثبتت فيكم شهادة المسيح، حتى انكم لستم ناقضين في موهبة ما ، وانتم متوقعون اتعلان ربنا يسوع المسيح ، الذي سيثبتكم ايضا الى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسحي» (1 كورنثوس 1 : 5 — 8).

وقد تكلم بولس بكل صراحة عن الانقسامات التي نشبت في كنيسة كورنثوس وأوصى الاعضاء ان يكفوا عن الخصومات . فكتب يقول : «اطلب اليكم ايها الاخوة ، باسم ربنا يسوع المسيح ، ان تقولوا جميعكم قولا واحدا ، ولايكون بينكم انشقاقات ، بل كونو كاملين في فكر واحد ورأي واحد» (عدد10). [271]

وقد احس الرسول بأن له الحرية كي يذكر لهم كيف اخبر عن الانقسام الحادث في الكنيسة ومن هم الاشخاص الذي اخبروه فقال : «لأني اخبرت عنكم ياخوتي من اهل خلوي ان بينكم خصومات» (عدد11).

كان بولس رسولا ملهما . فالحقائق التي علمها للآخرين قبلها «بإعلان» ومع ذلك فالرب لم يعلن له مباشرة في كل الاوقات عن حالة شعبه. ففي هذا الظرف نجد ان الذين كانوا مهتمين بنجاح الكنيسة في كورنثوس والذين رأوا الشرور تزحف وتتسلل الى داخلها يبسطون حقيقة الحالة أمام الرسول ، وعن

طريق الاعلانات الالهية التي كان قد تلقاهامن قبل كان مستعدا لأن يحكم على طبيعة هذه التطورات . بالرغم من ان الرب لم يعطه اعلانا جديدا في ذلك الوقت الخاص، فإن الذين كانوا يطلبون النور بإخلاصقبلوا رسالته على أنها تعبير عن فكر المسحي . كان الرب قد أراه الصعوبات والمخاطر المزمعة ان تظهر في الكنائس ، واذ نمت تلك الشرور وتطورت تحقق الرسول من خطورتها . لقد أقيم للدفاع عن الكنيسة. واكن عليه ان يسهر على النفوس باعتباره مزمعا ان يعطي حسابا لله، اولم يكن من المناسب له ان يلاحظ التقارير الخاصة بالفوضى والانقسامات التي بينهم؟ نعم بكل تأكيد ، والتوبيخ الذي بعث به اليهم كتب بكل تأكيد بإلهام روح الله كما كانت كل رسائله الاخرى .

ولم يذكر الرسول شيئا عن المعلمين الكذبة الذين الكنوا دائيبين على اتلاف ثمار خدماته. فبسبب الظلمة والانقسامات التي كانت في الكنيسة ابى الرسول عن حكمة ان يهيجهم ان يضايقهم بهذه التلمحيات خشية ان يرتد بعض منهم عن الحق نهائيا . وقد وجه انتباههم الى عمله بينهم «كبناء حكيم». وضع اساس وبنى عليه آخرون . ولكنه لم يمجد نفسه بذلك فقد اعلن قائلا : «نحن عاملان [272] مع الله» (1 كورنثوس 3 : 9). انه لم يدع لنفسه حكمة بل اعترف بأن قوة الله وحدها هي التي أعانته على تقديم الحق بطريقة ترضي الله . إن بولس اذ كان مرتبطا بالمسيح أعظم المعلمين، استطاع ان يقدم للناس تعاليم الحكمة الالهية التي لبت احتياجات الناس منكافة الطبقات ، والتي كانت توافق كل العصور كل مكان وتحت كل الظروف .

وكان من بين الشرور الاشد خطرا التي تفشت بين المؤمنين في كورنثوس العود الى العديد من عادات الوثنية الفاسدة . فإن واحدا من المهتدين ارتد بحيث ان سلوكه الخليع كان انتهاكاحتى لمقياس الاخلاق المتدني الذي كان يتمسك به العالم الأممي . وقد توسل الرسول الى الكنيسة قائلا : «فاعزلوا الخبيث من بينكم» (1 كورنثوس 5 : 13). ثم أنذرهم قائلا: «ألستم تعلمون ان خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟ إذ نقوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجينا جديدا كما انتم فطير» (1 كورنثوس 5 :6 ، 7).

ثم كان هنالك شر خطير ظهر في الكنيسة وهو مقاضاة الاخوة بعضهم لبعضامام محاكم العالم. لقد اعدت الترتيبات وعملت احتياطات كثيرة لفض المشاكل التي بين المؤمنين . وقد أعطى المسيح نفسه تعليمات صريحة عن كيفية معالجة مثل هذه الامور . فقد نصح المخلص تابعيه قائلا: «وإن اخطأ اليك اخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما .ان سمع منك فقد ربحت اخاك . وان لم يسمع، فخذ معاك ايضا واحدا او اثنين، لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين او ثلاثة . وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة. وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار . الحق اقول لكم : كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء ، وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا في السماء» (متى 18 : 15 — 18). [273]

وقد انتهر بولس المؤمنين في كورنثوس الذين غابت عن اذهانهم هذه النصيحة الصريحة، وكتب اليهم محذرا اذ تساءل قائلا : «أيتجاسر منكم احد له دعوى على آخر ان يحاكم عن الظالمين، وليس عند القديسين ؟ الستم تعلمون ان القديسيين سيديونون العالم ؟ فإن كان العالم يدان بكم ، افأنتم غير مستاهلين للمحاكم الصغرى؟ الستم تعلمون اننا سندين ملائكة؟ فبالأولى أمور هذه الحياة. فإن كان لكم محاكم في أمور هذه الحياة، فأجلسوا المحتقرين في الكنيسة قضاة. لتخجيلكم أقول . أهكذا ليس بينكم حكيم ، ولاواحد يقدر ان يقضي بين اخوته ؟ لكن الاخ يحاكم الاخ ،وذلك عند غير المؤمنين. فالآن فيكم عيب مطلقا ، لأن عندكم محاكمات بعضكم مع بعض. لماذا لاتظلمون بالحري ؟ لكن انتم تظلمون وتسلبون ، وذلك للاخوة . ام لستم تعلمون ان الظالمين لايرثون ملكوت الله ؟» (1 كورنثوس 6 : 1- 9).

ان الشيطان يحاول دائما ان يبذر بذار عدم الثقة والنفور والخبث والمكر في قلوب شعب الله. وكثيرا مانجرب ان نحس بأن حقوقنا قد اعتدي عليها ، حتى عندما لايكون هنالك سبب حقيقي لتلك الظنون . إن

أولئك الذين يجعلون محبتهم للذات تتعالى على محبتهم لله ولعلمه يجعلون مصالحهم أولا ويلجأون الى كل ذريعة لحراستها وحفظها . وحتى كثيرون ممكن يبدو عليهم انهم مسيحيون مخلصون سيلمواالنية تمنعهم الكبرياء والاعداء بالنفس من الذهاب وحدهم الى من يظنون انهم مخطئون في حقهم ليتحقدوا معهم بروح المسيح ويصلوا معا الواحد لأجل اخيه. وعندما يظنون ان اخوتهم قد أساءوا اليهم فالبعض يذهبون ليشتكوهم أمام المحاكم بدلا من اتباع قانون المسيح .

لايجوز للمسيحين ان يلجأو إلى المحاكم المدنية لفض الخصوات التي قد تنشأ بين أعضاء الكينسة. بل يجب عليهم ان يبثتوا في هذه الخلافات فيما [274] بينهم ، او عن طريق الكنيسة تمشيئا مع وصية المسيح . ان تابع يسوع الوديع المتواضع حتى ولو حاق به ظلم ، يفضل ان «يسلب» على ان يكشف للعالم عن خطايا اخوته في الكنيسة .

ان القضايا التي بين الاخوة هي وصمة عار في جبين قضية الحق . فالمسيحيون الذي يذهبون الى المحاكم في قضايا بينهم انما يعرضون الكنيسة لسخرية أعدائها ويجعلون قوات الظلمة تنتصر .إنهم يطعنون المسيح من جديد ويستهزئون به ساخرين. انهم اذ يتجاهلون سلطة الكنيسة يحتقرون الله الذي أعطى للكنيسة سلطانها .

في هذه الرسالة الى اهل كورنثوس حاول بولس ان يبرهن لهم على قدرة المسيح على حفظهم من الشر . لقد علم انهم لو امتثلوا للشروط المرسومة فسيتقوون بقدرة الاله القدير. وقد الح عليهم بولس بوجوب العمل بمطاليب ذالك الذي قد كرسوا حياتهم له في وقت اهتدائهم، كوسيلة تساعدهم على التخلص من عبودية الخطية ، وان يكملوا القداسة في خوف الرب . فقد أعلن لهم قائلا : «وانكم لستم لأنفسكم ؟ لأنكم قد اشتريت بثمن. فمجدوا الله في اجسادكم وفي ارواحكم التي هي لله» (1 كورنثوس 6 : 19 ، 20).

وقد حدد الرسول بوضوح نتيجة الارتداد عن حياة الطهارة والقداسة الى اعمال الوثنية الفاسدة فكتب يقول : «لاتضلووا: لازناة ولاعبدة أوثان ولافاسقون .. ولاسارقون ولاطامعون ولاسكسرون ولاشتامون ولاخاطفون يرثون ملوك الله» (1: كورنثوس6: 9 ، 10) . وقد الح عليهم ان يتحكموا في الاهواء والشهوات الدنيا . فسألهم قائلا: «ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم ، الذي لكم من الله» (عدد 19). [275]

إن بولس اذ كان مزودا بمواهب عقلية سامية فقد كشفت حياته عن قوة حكمة نادرة جعلته حاد البصيرة وعطوف القلب وجعلته على صلة وثيقة بالآخرين واعانته على ايقاظ طبيتعتهم الفضلى وجعلته يلهمهم ان يجاهدوا للوصول الى حياة اسمى وأنبل . كان قلبه ممتلئا بالمحبة الحارة للمؤمنين في كورنثوس لقد تاق لأن يراه متحلينبالتقوى القلبية التي تحصنهم ضد التجربة ، وقد عرف انهم في كل خطوة يخطونها في الطريق المسيحي سيقاومهم مجيع الشطيان ، وانهم سيشتبكون كل يوم في محارابات . فعليهم بالتيقظ والاحتراس من تسلل العدو في الخفاء، وان يطرحوا عنهمالعادات القديمة والميول الطبيعية ويسهروا دائما مصلين . وقد عرف بولس ان الآمال المسيحية السامية يمكن تحقيقها بواسطة الاكثار من الصلاة والمداومة على السهر الروحي وهذا ماحاول ان يبثه في اذهانهم. ولكنه علم ايضا انه في المسيح المصلوب قد اعطيت لهم قوة كافية لتجديد النفس ، واذ تطبيق تطبيقاالهيافإنها ستعينهم على مقاومة كل التجارب لعمل الشر . وإذ يأخذون الايمان بالله ترسا لهم وكلمته سلاح حربهم فسيزودون بقوة داخلية تعينهمخ على ضد هجمات العدو.

لقد كان المؤمنون في كورنثوس بحاجة الى اختبار اعمق في امور الله . انهم لم يعرفو تماما معنى كونهم يرون مجده والتغير من سجيةة الى اخرى . انهم لم يشاهدوا الا بكوراشعة فجر ذلك المجد . وقد كان بولس يتمنى ان يمتلأوا الى كل ملء الله متقدمين في معرفة ذاك الذي خروجه يقين كالفجر ومواظبين

على التعلم منه الى ان يصلوا الى نور الظهيرة الوضاح لإيمان الإنجيل الكامل. [276] [277]

الفصل الثلاثون

مدعوون لبلوغ مقياس اسمى

(يعتمد هذاالفصل على ماورد في الرسالة الاولى الة اهل كورنثوس)

ان بولس لكي يطبع اذهان مؤمني كورنثوس بكل وضوح اهمية ضبط النفس والاعتدال او التعفف التام والغيرة التي لاتضعف في خدمة المسيحن أورد مقارنة مدهشة في رسالته اليهم بين الحرب المسيحية والمباريات المشهورة التي كانت تقام في فترات مقررة بالقرب من كورنثوس . فمن بين كل المباريات التي كان يحتفل بها اليونانيون والرومان كانت مسابقات الجري التي هي اقدم المباريات وأعظمها اعتبارا . وكان يحضرها الملوك والنبلاء والساسة . وكاناالشباب من ذوي المقامات الرفيعة والثروات الضخمة يشتركون فيها ولا يتراجعون امام أي مسعى او تدريب في سبيل الظفر بالجعالة (الجائزة) .

كانت المباريات تخضع لقوانين مشددة لامفرة منها . والذين كانوا يرغبون ان تدرج اسماؤهم في قائمة المتسابقين للحصول على الجعالة ، كان عليهم أولا ان يتحملوا تدريبا تمهيديا صارما . فالافراط في النهم المضر بالصحة او أي نوع اخر من انواع الملذات من شأنه ان يقلل من النشاط العقلي او البدنيكان ممنوعا منعا باتا . فإذا رغب أي انسان في النجاح في اختباراته القوة والسرعة هذه [278] ينبغي ان تكون عضلاته قوية ولينة وان تكون اعصابه تحت سيطرته. فكل حركة يجب ان تكون ثابتة وكل خطور سريعة في غير تردد، والقوى الجسمانية يجب ان تكون في افضل حالاتها.

وعندما كان المتسابقون يقفون في عرض اما الجمهور المنتظر كان المنادي ينادي بأسمائهم وكانت قوانين السباق تشرح ليعرفها الجميع. وحينئذ كانوا جميعهم ينطلقون معا وكانت نظرات المتفرجين المثبتة فيهم تلهمهم بالعزم على الفوز . وكان القضاة يجلوس بالقرب من نهاية السباق او الهدف كي يراقبوا السابق من بدئه الى نهايته ويقدموا الجعالة للفائز الحقيقي . واذا وصل احدهم الى الهدف قبل غيره عن طريق الانتفاع بميزة غير مشروعة ، لم يكن يحكم له بالجعالة .

كان البعض في هذه المباريات يقدمو على مخاطرات عظيمة .وبعض منهم لم يشفوا قط من الاجهاد الجسماني .ولم يكن من غير المألوف ان يسقط احد العدائين على ارض الملعب والدم يسيل من فمه وانفه.، واحيانا كان احد المتسابقين يسقط متيا وهو على وشط الظفر بالجعالة , الا ان امكانية موت المتنافس يسقط ميتا وهو على وشط الظفر بالجعالة . الا ان امكانية موت المتنافس او اصابته بعطل او بعاهة تلازمه مدى الحياة، لم تكن تعتبر مخاطرة اعظم من ان يقدم الانسان عليها سعيا وراء الكرامة التي تمنح للمتسابق الفائز.وعندما كان الفائز يصل الى الهدف كان تصفيق جماهير المتفرجين يشق عنان السماء فتردد صداه التلال والجبارة المجاورة . وامام جماهيرالمتفرجين يقدم الحكم شارات الفوز والانتصار للفائز — وهي اكليل من الغار وغضن من سعف النحل ليحمله في يمناه . وكان الناس يتغنون بمدحه في انحاء البلاد، وكان ابواه يظفران بنصيبيهما من الاحترام والكرامة، وحتى المدينة التي يعيش فيها كانت تكرم لأنها قد اخرجت للعالم مثل ذلك الرياضي العظيم. [279]

إن بولس وهو يشير الى هذه المباريات على انها رمز اللحرب المسيحة، اكد وجوب ا‌الاستعداد ا‌الازم

لنجاح المتسابقين في الميدان ، كالتدريبات التمهيدية والاعتدال في الاكل وضرورة ضبط النفس . فقد اعلن قائلا : «وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيئ .» (1 كورنثوس9 : 25). كان الراكضون يطرحون عنهم كل مامن شأنه ان يضعف قواهم البدنية، وكانوا بالتدريبات الصارمة الطويلة يمرنون عضلاتهم على القوة والاحتمال حتى اذا ماجاء يوم المباراة امكنهم ان يجهدوا قواهم الى اقصى حد. فكم وكم يجدر بالمسيحي الذي تتعرض مصالحه الابدية للخطر ان يخضع النهم والشهوات للعقل وارادة الله . لايجوز له مطلقا ان يحول انتباهه ليلتهي بالتسليات او الترفف او الراحة . ينبغيان تخضع كل عاداتهوشهواته للتدريب الصارم . فالعقل المستنير بتعاليم كلمة الله والمسترشد بروحه ، ينبغي له ان يمسك بعنان النفس.

وبعدما يتم هذا فعلى المسيحي ان يبذل قصاراه لكي يحرز النصرة . في المباريات التي كانت تقام في كورنثوس كان يبذل مجهود مضن في آخر جزء من الشوط الـأخيرالى حد العذاب ، فكان المتبارون يستجمعون أطراف قوتهم المجهدة كي لايخففوا من سرعتهم فيخسروا المباراة. وكذلك المسيحي وهو يقترب من الهدف ، يسرع بكل قوته الى الامام بغيرة وعزم اكثر مما كان له في بدء السباق .

بن بولس يورد هنا الفرق بين اكليل الغار(الفخر) الذي يذبلويفنى الذي يحصل عليه المنتصر في مباراة السابق ، وبين اكليل المجد الذي لايفنى والذي يعطى لمن ينتصر في السباق المسحي . فهو يعلن قائلا : «اما أولئك فلكي يأخذوا اكليلايفنى ، واما نحن فاكليلا لايفنى» (1 كورنثوس 9 : 25).فلكي يحصل العداؤون اليونانيون على اكليل يفنى ، لم يعفوا انفسهم من أي تعب او تدريب مهما [280] كان قاسيا ، اما نحن فنجاهد للحصول على اكليل اثمن من ذلك بكثير ، أي اكليل الحياة الأبدية . فكم وكم يجبعلينا ان نجاهد بكل اهتمام وحرص ، وكم وكم يجب علينا ان نقدم على التضحية وانكار الذات بكل رضى وقبول .

في الرساللة الى العبرانيين توجد اشارة الى غرض القللب الموحد الذي ينبغي ان يمتاز به سباق المسيحي الى الحياة الابدية . فيقول الرسول : «لنطرح كل ثقل ، والخطية المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع امامنا ناظرين الى رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عبرانيين 12 : 1 ، 2). ان الحسد والخبث والافكار الشريرة والكلام البطال والطمع — هذه كلها اثقاليجب على المسيحيان يطرحها عنه إذا أراد الفوز في سباقه نحو الخلود . فكل عادة او عمل يوقعنا في الخطية ويجلب العار على اسم المسيح ينبغي لنا ان نطرحه عنا مهما بلغت التضحية. ان بركة السماء لايمكن ان تحل على إنسان ينتهك مبادئ الحق الأبدية. إن خطية واحدة نحتضنها كافية لأن تسبب انحطاطا في الخلق وتضل الآخرين.

قال المخلص : «وان اعثرتك يدك فاقطعها ، خير ل كان تدخل الحياة اقطع من ان تكون لك يدان وتمضي الى جهنم، الى النار التي لاتطفأ . وإن اعثرتك رجلها فاقطعها . خير ل كان تدخل الحياة اعرج من ان تكون لك رجلان وتطرح في جهنم» (مرقس9 : 43 ، 45).

فإذا كان لابد من بتر الرجال او اليد لكي ينجو الجسم من الموت ، او حتى تقلع العين، فكم وكم يجب ان يكون المسيحي غيورا في طرح الخطية بعيدا عنه لأنهاتهلك النفس.

ان المتبارين في حفلات الالعاب قديما لم يكونوا واثقين من الانتصار حتى بعدما يتحملون آلام إنكار الذات والتدريب القاسي . فلقد سأل بولس قائلا ك «الستم تعلمون ان الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن [281] واحديأخذ الجعالة ؟» (1 كورنثوس 9 : 24). فمهما كان مقدار شوق المتبارين وغيرتهم في سبيل الانتصار عظيما فالجعالة التعطى الا لواحد فقط . يد واحدة فقط هي التي تنال اكيلي الفحر الذي يشتهيه الجميع . قد يبذل العض اقصى جهودهم للحصول على الجعالة ، ولكن اذ يمدون أيديهم يأخذوها ، يأتي آخر قبلهم بلحظة واحدة ويأخذ الجعالة المبتغاة.

ولكن هذا لاينطبق على الحرب المسيحية . فإنه ولا واحد ممن يمتثلون للشروط يمكن ان يخيب في

نهاية السابق. ولايمكن لمن هو غيور ومثابر ان يخيب او ينهزم . فالسعيليس للخفيف ولا الحرب للأقوياء. فأضعف قديس كأقوى قديس يمكنه ان يلبس اكليل المجد. فكل أولئك الذين بواسطة قوة النعمة الالهية يجعلون جياتهم على وفاق مع ارادة المسيح يمكنهم ان يفوزا . ففي كل تفاصيل الحياة نجد ان العمل بالمبادئ المدونة في كلمة الله ، غالبا مانيظر اليه على انه عديم الاهمية ـــ ومسألة اتفه من ان تسترعي الالتفات. ولكن بالنظر الى المسألة المستهدفة للخطر ، لايعتبر شيئ صغيرا سواء اكان للمساعدة او للتعطيل . فكل عمل يضع ثقلا في الكفة يقرر نصرة الحياة او هزيمتها . والجعالة التي تعطى للفائزين ستكون بنسبة النشاط والغيرة اللذين جاهدوا بهما .

وقد شبه الرسول نفسه بإنسان يركض في سباق وهو يجهد كل قواه في سبيل الظفر بالجعالة فقال : «اذا انا اركض هكذا كأنه ليس عن غير يقين . هكذا اضارب كاني لأضرب الهواء . بل اقمع جسدي واستعبده ، حتى بعد ما كرزت للآخرين لأصير انا نفسي مرفوضا» (1 كورنثوس 9 : 26 ، 27). فحتى لايركض عن غير يقين او بالصدفة في السباق المسيحي استعبد بولس نفسه [282] لتدريب صارم . ان القول: «اقمع جسدي» يعني حرفيا «يضرب بالتدريب القاسي الرغائب والنوازع والشهوات».

كان بولس يخشى ان يصير هو نفسه مرفوضا بعدما كرز للآخرين. لقد تحقق من انه اذا لم ينقذ في حياته المبادئ التي اعتنقها وكرز بها فإنخدماته لأجل الاخرين لن تفيده بشيئ. فسيرته وتأثيره ورفضه ان يخضع لإرضاء الذات ، لابد ان تبرهن على ان ديانته ليست مجرد اعتراف امسي ولكنها اتصال حي بالله في كل يوم . لقد وضع نصب عيينيه دائما هداف واحدا وجاهد بكل غيرة في الوصل . اليه «البر الذي من الله بالايمان» (فيلبي 3 : 9).

وقد عرف بولس ان حربه ضد الشر لن تنتهي طالما بقيت الحياة . كان متحققا دائمامن حاجته الى السهر الدقيق على النفسه حتى لاتطغى رغائبه الدنيوية على غيرته الروحية. فظل بكل قوته مجاهدا ضد ميوله الطبيعية . وقد وضع امامه دائما المثل الاعلىالذي اراد الوصول اليه ، وحاول بلوغ هذا المثالبالطاعة الاختيارية لشريعة الله . فأقواله وأعماله وعواطفه ، اخضعت كلها لروح الله .

إن غرض القلب الاوحد هذا لربح الجنس البشري لليحاة الابدية ، هو الذي كانو يصبوا بولس ان يراه ظاهرا في حياة مؤمني كورنثوس . لقد عرف انه لكي يصلوا الى مقياس المسيح، كانت امامهم حياة صراع لاهوادة فيها .فتوسل اليهم ان يجاهدوا جهادا صحيحا وان يطلوا في كل يوم التقوى والتفوق الاخلاقي . وتوسل اليهم ايضا ان يطرحوا كل ثقل ويتقدموا الى الامام هدف الكمال في المسيح .

ثم وجه بولس انتباه اهل كورنثوس الى اختبارات اسرائيلقديما ،والى البركات التي كوفئت بها طاعتهم، والاحكام الرادعة التي تبعث عصيانهم. ثم ذكرهم بالطريقة العجيبة التي بها خرج العبرانيون من ارض مصر تحت حماية عمود [283] السحاب في النهار وعمود النار في الليل . وهكذا عبروا في البحر الاحمر بسلام، بينمالما شرع المصريون في العبور مثلهم غرضوا جميعا . وبهذه الاعمال اعترف الله ان بنى اسرائيلهم كنيسته : «وجميعهم أكلوا طعاما واحدا روحيا ، وجميعهم شربوا شرابا واحدا روحيا ، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تباعتهم ، والصخرة كانت المسيح» (1 كورنثوس 10 : 3 ،4) في كل رحلات العبرانيين كان المسيح قائدا ومرشدا لهم . كان الصخرة المضروبة ترمز الى المسحي الذي كان مزمعا ان يجرح لأجل معاصي الناس حتى يفيض ينبوع الخلاص للجميع .

ولكن برغم الاحسانات التي أجزلهاالله على العبرانيين فإنهم بسبب اشتهائهم للترف الذي تركوه في مصر وبسبب خطيتهم وتمردهم انصبت عليهم احكام الله . وقد اوصى الرسول مؤمني كورنثوس ان يتلفتواالى الدرس المتضمن في اختبار اسرائيل، اذ اعلن قائلا : «وهذه الامورحدثت مثالا لنا، حتى لانكون نحن مشتهين شرورا كما اشتهى أولئك» (1 كورنثوس 10 : 6). وقد أبان لهم كيف ان محبة الراحة

والملذات افسحت المجال للخطاياالتي استطمرت انتقام الله الرهب عليهم. فعندما جلس بنو اسرائيلللاكل والشرب ثم قاموا للعب ، طرخوا عنهم مخافة الله التي كانوا يسحون بها وهم يضغون الى الشريعة حين بلغت لهم ن واذ صنوعوا عجلا من ذهب كي يمثلوا به الله ، خروا له وعبدوه . وبعد ان انعمسو في ترف العيد المرتبط بعبادة بعل فعور ، سقط كثيرون من بني اسرائيل بسبب الخلاعة. وقد ثا رغضب الله فبأمره مات بالوبأ من الشعب «ثلاثة وعشرون الف» في يوم واحد (1 كورنثونس 10 : 8).

وقد ناشد الرسول اهل كورنثوس بقوله : «من يظن انه قائم، فلينظر ان لايسقط» (عدد 12). فلو انهم صاروا متفاخرين وواثقين في انفسهم واهلموا السهر والصلاة فسيسقطون في خطايا شنيعة ويستمطرون على انفسهم غضب [284] الله . ومع ذلك فن بولس لم يكن يريدهم ان يستسلموا لليأس او الخوف . فلقد قدم لهم هذا التأكيد : «ولكن الله امين الذي لايدعكم تجربون فوق ما تستطيعو ن، بل سيجعل مع التجربة ايضاالمنفذ ، لتستيطعوا ان تحتملوا» (1 كورنثوس 10 : 13).

وقد ألح بولس على اخوته ان يسألوا انفسهم عن تأثير اقوالهم وأفعالهم على الآخرين وألا يفعلوا شيئا ، مهما كان بريئا في خد ذاته ، يبدوا انه يجيز عبادة الاوثان ، او يعثر شكوك اولئك الذين يمكن ان يكونوا ضعفاء في الايمان . فيقول «فإذاكنتم تاكلون او تشربون او تفعلون شيئا ، فافعلوا كل شيئ لمجد الله . كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله» (1 كورنثوس 10 : 31 ، 32).

إن إنذارات الرسول الموجهة الى اهل كورنثوس تنطبق على كل عصر ، وتنطق على عصرنا الحاضر بوجه خاص . وهم لميقصد بالوثنية مجرد السجود للاوثان بل ايضا خدمة الذات وحب الراحة واشباع النهم والشهوات . ان مجرد الاعتراف بالمسيح، والتفاخر بمعرفة الحق لايجعل الانسان مسيحيا . ان الدين الذي يحاول فقط ان يشبع ويبهج العين والاذن والذوق او يجيز الانغماس في الملذات ليس هو دين المسيح .

وبمقارنة الكنيسة بجد بشري صور الرسول بمهارة ، الصلة الوثيقة التي ينبغي ان يتوجد بين كل اعضاء كنيسة االمسيح . فكتب يقول : «لأننا جميعا بروح واحد ايضا اعتمدنا الى جسد واحد ، يهودا كنا ام يونانيين ، عبيدا ام احرار ، وجميعنا سقينا روحا واحدا. فإن الجسد ايضاليس عضوا واحدا بل اعضاء كثيرة . ان قالت الرجل لأني لست يدا ، لست من الجسد . أفلم تكن لذلك من الجسد ؟» وان قالت الاذن : «لأني لست عينا ، لست من الجسد». افلم تكن لذلك من الجسد ؟ لو كان كل الجسد عينا ، فأين السمع؟ لو كان لكل سمعا ، [285] فأين الشم ؟ وأما الآن فقد وضع اللهالأعضاء ، كل واحد منها في الجسد ، كما اراد . ولكن لو كان جميعها عضوا واحدا ، اين الجسد ؟ فالآن اعضاء كثيرة ولكن جسد واحد . لاتقدر العين ان تقول لليد لاحاجة لي اليك . او الرأسايضا للرجلين : «لاحاجة لي اليكما ... لكن الله مزج الجسد ، معطيا الناقص كرامة افضل ، لكي لايكون انشقاق في الجسد ، بل تهتم الاعضاء واحدا بعضها لبعض .فإن كان عضو واحد يتألم، فجميع الاعضاء تتألم معه . وان كان عضو واحد يكرم . فجميع الاعضاء تفرح معه. وأما أنتم فجسد المسيح ، وأعضاؤه أفرادا» (1 كورنثوس 12 :13 — 21 ، 24 — 27).

ثم بكلمات كانت ولاتزال منذذلك اليوم إلى يومنا هذا نبعا . للإلهام والتشجيع للرجال والنساء ، أظهر بولس أهمية تلك المحبة التي ينبغي ان يحتضنها اتباع المسيح ، فقال : «ان كنت اتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة ، فقد صرت نحاسا يظن او صنجا يرن. وإن كانت لي نبوة، واعلم جميع الاسرار وكل علم ، وان كان لي كل الايمان حتى انقل الجبال ، ولكن ليس لي محبة ، فلست شيئا . وإن اطعمت كل أموالي ، وان سلمت جسدي حتى احترق ، ولكن ليس في محبة ، فلا أنتفع شيئا» (1 كورنثوس 13 : 1- 3).

مهما كان مقدار سمو الاعتراف فمن لم يكن قلبه مفعما بالمحبة لله ولبني جسنه ليس تلميذا حقيقيا

للمسيح . فحتى لو كان عنده إيمان عظيم وقوة حتى على صنع المعجزات فبدون المحبة يمسي ايمانه عديم القيمة . وقد يظهر سخاء عظيما ، ولكن لو انه قدم كل أمواله ليطعم الفقراء وهو مدفوع إلى ذلك بدافع آخلا غير دافع المحبة الخالصة، فإن عمله هذا لايجعل له حظوة في نظر الله . وفي غيره قد يموت شهيدا ومع هذا فإذا لم يكن مدفوعا الى ذلك بدافع المحبة فقد يعتبره الله متعصبامخدوعا او مرائيا طموحا . [286]

«المحبة تتأنى وترفق . المحبة لاتحسد . المحبة لاتتفاخر ، ولاتفنتفخ» إن أعظم فرح ينبع من أعمق اتضاع وتواضع وتذلل . واقوى الصفات وانبل الاخلاق تبنى على اساس الصبر والمحبة والخضوع لإرادة الله .

«المحبة . .. لاتقبح، ولاتطلب مالنفسها ، ولاتحدد ، ولاتظن السوء» (عدد 5) نا المحبة الشبيهة بمحبة المسيحتأول بواعث الناس وأفعالهم اجمل تأويل . انها لاتفضح اخطائهم بغير داع ، ولاتصغي بلهفة الى الاخبار غير المستحبة بل تطلب بالاحرى ان تفكر في صفات الآخرينالصالحة .

والمحبة : «لاتفرح بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيئ ، وتصدق كل شيئ ، وترجوا كل شيئ ، وتصبر على كل شيئ»هذه المحبة (لاتسقط ابدا» (عدد 6- 8).، ولايمكن ان تفقد قيمتها فهي صفة سماوية . وككنز ثمين سيحملها مالكها الى داخل ابواب مدينة الله .

«أما الان فيثب : الايمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة ولكن اعظمهن المحبة» (عدد 13) ومع انخفاض المقياس الاخلاقي بين مؤمني كورنثوس ، وجد جماعة نفضوا ايديهم من بعض الصفات الاساسية لايمانهم. فالبعض وصل بهم الامر الى انكار عقيدة القيامة . قود واجه بولس هذه الضلالة بشهادة صريحة خاصة بالبراهينالتي لاتخطئ عن قيامة المسيح. فقد اعلن ان المسيح بعد موته «قام في اليوم الثالث حسب الكتب» ، وبعد ذلك «ظهر لصفا ثم للاثني عشر . وبعد ذلك ظهر دفعلة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ ، اكثرهم باق الى الآن . ولكن بعضهم قد رقدوا . وبعد ذلك ظهر ليعقوب، ثمللرسل اجمعين . وآخر الكل .. ظهر لي أنا» (1 كورنثوس 15 : 4 — 8). [287]

ان الرسول قد اثبت حقيقة القيامة العظيمة بوقة اقناع كبيرة. فتحاج معهم قائلا : «فإن لن تكن قيامة اموات فلا يكون المسيح قد قام . وان لم يكن المسيح قد قام ، فباطلة كرازتنا وباطل ايضا ايمانكم ، ونوجد نحن ايضا شهود زور لله ، لأننا شهدنا من جهة الله ان اقام المسيح وهو لم يقمه ، ان كان الموتى لايقومون . لأنه ان كان الموتى لايقومون، فلايكون المسيح قد قام . وان لم يكن المسيح قد قام ، فباطل ايمانهكم . انتم بعد في خطاياكم اذا الذين رقدوا في المسيح ايضا هلكوا . ان كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح.، فإننا اشقى جميع الناس. ولكن الآن قد قام المسيح من الاموات وصار باكورة الراقدين» (عدد 13 — 20).

وقد حمل الرسول عقول الاخوة في كورنثوس الى الامام الى نصرات صباح القيامة عندما يقوم القديسيين الاموات ليكونوا الى الابد مع الرب. وقد اعلن الرسول قائلا : «هوذا سرا أقوله لكم : لانرقد كلنا ، ولكننا كلنا نتغير ، في لحظة في طرفة عين ، عند البوق الأخير . فإنه سيبوق ، فيقام الاموات عديمي فساد ، ونحن نتغير . لأن هذا الفاسدلابد ان يلبس عدم فساد ، ولبس هذا المائت عدم موت ، فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة. اين شوكتك ياموت ، أين غلبتك ياهاوية؟ ولكن شكرا لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح» (عدد 51 — 57).

مجيدة هي النصرة التي تنتظر الامناء . ان الرسول وهو متحقق من الامكانيات التي أمام مؤمني كورنثوس ، حاول ان يضع أمامهم الاشياءالتي تسموا بهم عن الانانية والشهوانية وتمجد الحياة برجاء الخلود. وبكل غيرة وعظهم كي يكونوا امناء لدعوتهم العيا في المسيح . فناشدهم قائلا : «إذا يا [288] اخواتي الاحباء ، كونو راسخين ، غير متزعزعين، مكثيرين في عمل الرب كل حين ، عالمين ان تعبكم

ليس باطلا في الرب» (عدد 58).

وهكذا حاول ارسول جاهد بطريقة صريحة مؤثرة جدا ، اصلاح الاراء والممارسات الخطرة المغلوطة التي كانت متفشية في كنيسة كورنثوس . لقد خاطبهم بكل صراحة وفي نفس الوقت بمحبة لنفوسهم. ففي انذاراته وتوبيخاته كان نور يضيئ عليهم من عرش الله ليكشف عن الخطايا المستترة التي كانت تنجس حياتهم . فكيف ياترى سيتقبلون تلك النصائح والانذارات ؟

بعدما ارسل اليهم بولس هذه الرسالة خشي انتسبب نصائحه وتوخاته تلك جرحا عميقا للذين قصد ان يفيدهم . وكان يخاف خويا هعظيما ن تسبب رسالته لهم نفورا واحيانا كان يتوق الى سحب كلامه . ان الذين يشبهون الرسول في الشعور بالمسؤولية تجاه الكنائس او المؤسسات المحبوبة، يمكنهم ان يقدروا افضل تقديرحزن روحه وتأنيه لنفسه . ان خدام الله يحملون عبء عمله الان يعرفون شيئا من اختبار التعب والحرب والمهم المضني نفسه الذي كان من نصيب الرسو لالعظيم. فإذا كان مثقلا بعبء الانقسامات في اكلنيسة ومواجهة نكران الجميل ن وخيانة بعض من كان ينتظر منهم العطف والعون .، واذ كان متحققا من المخاطر المحدقة بالكنائس التي كنات تتستر على الاثم ، ولمتزما بأن يقدم شهادة امينة وفاخصة في توبيخ الخطية ، كان في نفس الوقت منحني النفسبسبب خوفه من ان يكون قد افرص في قسوته وفي معاملته لهم . فبجزع وارتعاد كان ينتظر ان تصله اخبار عن كيفي ةتقبلهم لرسالته . [289] [290] [291

الفصل الحادي والثلاثون

قبول الرسالة

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في الرسالة الثانية الى اهل كورنثوس)

ومن افسس شرع بولس في القيام بجولة كرازية اخرى وكان يرجو ان يزور في خلالها اماكن خدماته السابقة في اوروبا . فإذ بقي بعض الوقت في ترواس لكيرز ب «انجيل المسيح» ، وجد بعضا ممكن كانوامستعدين للاستماع لرسالته. وقد اعلن بعد ذلك عن خدماته في هذا المكان قائلا: «انفتح لي باب في الرب» . ولكن مع ان خدماته في ترواس كانت ناجحة فأنه لم يستطع البقاء طويلاهناك لقد ثقل عليه حمل «الاهتمام بجميع الكنائس» وبالاخص كنيسة كورنثوس . وكان يرجو ان يقابل تيطس في ترواسويعرف منه كيف قبل الاخوة في كورنثوس كلمات النصح والتوبيخ التي ارسلها اليهم ولكن امله خاب في هذا . وقد كتب عن هذا الخاتبار يقول : «لم تكن لي راحة في رحوي ، لاني اجد تيطس اخي» (2 كورنثوس 2 : 12 ، 13) . ولذلك ترك ترواس وعبر البحر الى مكدونية حيث التقى بتيمواثاوس في فيلبي .

وفي غضون ذلك الوقت وقت الجزع على الكنيسة في كورنثوس كان بولس يرجو خيرا ،ومع ذلك ففي بعض الاوقات كان يستولى على نفسه حزن عميق [292] خوفا من ان يساء فهم نصائحه وانذاراته . وقد كتب بعد ذلك يقول : «لم يكن لجسدنا شيئ من الراحة بل كنا مكتئبين في كل شيئ: من خارج خصوات ، من داخل مخاوف . لكن الله الذي يعزي المتضعين عزانا بمجيئ تيطس» (2 كورنثوس 7 : 5 ، 6|).

هذا الرسول الامين اتى باخبار مفرحة تقول انتغييرا عجيبا حدث بين مؤمني كورنثوس . فقد قبل كثيرون التاعليم التي وردت في رسالة بولس وتابواعن خطاياهم . وماعادت حياتهم عارا على المسيحية كما كانت ولكنهم بذلوا جهدا قويا في صالح التقوى العملية .

فإذا امتلأ قلب الرسول فرحاارسل رسالة ثانية الى مؤمني كورنثوس عبر لهم فيها عن فرح قلبه بسبب العمل الصالح الذي عمل في قلوبهم : (لأني وان كنت قد احزنتكم بالرسالة الست اندم ، مع اني ندمت)كان الرسول ينتابه الحزن لئلا ترفض نصائحه او تحتقر فكان يندم احيانا انه كتب اليهم بهذه الصراحة والشدة. ثم استطردالرسول يقول : «الان انا افرح ،لا لأنكم حزنتم ، بل لأنكم حزنتم للتوبة . لأنكم حزنتم بحسب مشيئة اله لكي لاتتخسروا منا في شيئ . لأن الحزن الذي بحسب مشيئةتوبة لخلاص بلا ندامة» (2 كورنثوس7 : 8 — 10).

فتلك التوبة التي ينشئها تأثير النعمة الالهية قلب القلب تقود الى الاعتراف بالخطية وتركها . هذه هي الثمار التي اعلن الرسول انها شوهدت في حياة مؤمني كورنثوس. ثم قال : «كم انسا فيكم ، من الاجتهاد ، بل من الاحتجاج، بل من الغيط بل من الخوف ، بل من الشوف ، بل من الغيرة» (2 كورنثوس 7 : 11).

ظل بولس مثقلا بأحمال الكنائيس — وكان الحمل ثقيلا بحيث كان ينوء به . فقثد حاول المعلمون الكذبة ان يلاشوا تأثيره بين المؤمنين وان يفرضوا على الناس تعاليمهم الخاصة بدل حق الانجيل . وقد افصح الرسول بولس عن الارتبكات [293] والمفشلات التي كان مكتنفا بها ، بهذا القول : «انا تثقلنا جدا

فوق الطاقة ، حتى أيسنا من الحياة أيضا» (2 كورنثوس 1 : 8).

أما الآن فقد زال سبب من أسباب القلق والجزع . فإذ وصلته أخبار قبولالكورنثيين لرسالته قبولا حسنا ، تتابعت كلمات الفرح على لسانه فأخذ يقول : «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ، ابو الرأفة ,وإله كل تعزية، الذي يعزينا في كل ضيقنا ، حتى نستطيع ان نعزي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي نتعزى نحن بها من الله . لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا ، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا ايضا . فإن كنا نتضايق فلأجل تعزيتكم وخلاصكم ، العاملفي احتمال نفس الآلام التي نتألم بها نحن أيضا . او نتعزى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم . فرجاؤنا من اجلكم ثابت . عالمين انكم كما انتم شركاء في الالام ، كذلك في التعزية ايضا» (2 كورنثوس 1 : 3 — 7).

وفي التعبير عن فرحه بسبب رجوعهم الى الله من جديد ونموهم فيث النعمة نسب بولس كل المجد لله لأجل هذا التغيير الذي حدث في قلوبهم وحياتهم، فقال : «شكرا لله الذي يقودنا في مكوب نصرته في المسيح كل حين ، ويظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان .لأننا رائحة المسيح الذكيةلله ، في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون» (2 كورنثوس 2 : 14، 15). واكنت العادة في ذلك العصر ان يحضر القائد المنتصر في الحرب معه اثناء عوده حاشية من الاسرى . وفي مثل تلك المناسبات كان يعين بعض الاشخاص لحمل المباخر ، واذ يسير الجيش منتصرا نحو الوظن كانت رائحة البخور العظرة بالنسبة للاسرى المحكوم عليهم بالموت، راحة موت. وكانت تدل على ان وقت اعدامهم قريب . اما اولئك الاسرى الذين كانوا يجدون نعمة في عوين آسريهم ن والذين كانوا سيبقون أحياء ، كان البخور بالنسبة لهم رائحة حياة لكونه يدل على قرب الافراج عنهم. [294]

كان بولس الان ممتلئا ايماناورجاء وقد احس ان الشيطان لن ينتصر على عمل الله في كورنثوس ، وبألفاظ التسبيح ، سكب شكر قلبهامام الله . فأراد هو وزملاؤه ان يحتفلو بانتصارهم على أعداء المسيح والحق بخروجهم بغيرة جديدة لينشروا معرفة المخلص . وكالبخور كان عظر الانجيلسينتشر عبيره في كل العالمفالذين يقبلون المسيح ستكون الرسالة لهم رائحة حياة لحياة، اما من يصرون على عدم الايمان فستكون راحة موت لموت .

فإذ تحقق بولس من العظمة الشاملة للعمل صاح قائلا: «من هو كفوء لهذه الامور ؟» (2 كورنثوس 2 : 16). من يستطيع ان يكرز بالمسيح بطريقة تجعل اعداءه لايجدون سببا لاحتقار الرسول او الرسالة التي يحملها ؟ ان بولس تاق لأن يطبع على عقول المؤمنين تلك المسؤولية المقدسة مسؤولية خدمة الانجيل . ان الامانة في الكرازة بالكلمة متى ارتبطت بالحياة الطاهرة الثابتة، يمكنها وحدها ان تجعل جهود الخدام مقبولة لدى الله ونافعة للنفوس . ان الخدام في ايامنا هذه وهم مثقلون بالشعور بعظمة العمل يحسن بهم ان يهتفوامع الرسول قائلين : (من هو كفوء لهذه الامور ؟)

كان يوجد اتهموا بولس بإدانته لنفسه في كتابة رسالته السابقة . وهاهو الرسول يشير الى هذا بسؤاله أعضاء الكنيسة ماإذاكانوا يحكمون على بواعثه هكذا . فسألهم الرسول قائلا : «افنبتدئ نمدح انفسنا ؟ ام لعلنا نحتاج كقوم رسائل توصية اليكم ،او رسائل توصية منكم ؟» (2 كورنثوس 3 : 1).. ان المؤمنين اذ كانوا ينتقلون الى مكان جديد غالبا ماكانوا يحملون معهم رسائل توصية من الكنيسة التي كانوا ينتمون اليها قبلا ، اما الخدامالمشهورون مؤسسو هذه الكنائس فلم تكن بهم حاجة الىمثل تلك التوصيات . فالمؤمنون المسيحيون الذين رجعوا من عبادة الاوثان الى [295] الايمانبالانجيل كاناو هم كل التوصية التي احتاجها بولس . ان قبولهم للحق والاصلاح الذي في حياتهم كان شهادة لاتقاوم على امانة الرسول في خدمته وان له السلطان لأن ينصح ويوبخ ويعظ كخادم للمسيح .

لقد اعتبر بولس الاخوة في كورنثوس كتاب شهادته . فقال : «أنتم رسالتنا ، مكتوبة في قلوبنا ،

معروفة ومقروءة من جميع الناس . ظاهرين أنكم رسالة المسيح ، مخدومة منا ، مكتوبة لابحبر بل بروح الله الحي ، لافي ألواح حجرية بل في الواح قلب لحمية» (2 كورنثوس 3: 2 ، 3).

ان اهتداء الخطاة وتقديسهم بالحق هو أقوى برهان يمكن ان يحصل عليه ان خادم على ان الله قد دعاه للخدمة . ان شهادة مرسليته مكتوبة على قلوبك أولئك المهتدين ومشهود لهم بحياتهم المتجددة . ان المسيح فيهم رجاء المجد . ان الخادم يتقوى جدا بواسطة هذه الختوم الشاهدة على خدمته . وعلى خدام المسيح في هذه الايام ان يحصلوا على مثل هذه الشهادة الشبيهة بتلك التي شهدت بها كنيسة كورنثوس لخدمات بولس. ولكن مع وجود كارزين كثيرين في هذا العصر فإن الخدام المقتدرين القديسيين يندر وجودهم — الرجال الممتلئون محبة كالتي امتلأ بها قلب المسيح . ان الكبرياء والثقة في الذات ومحبة العالم والانتقاد والمرارة والحسد هي الثمار التي توجد في حياة كثيرين من المعترفين بديانة المسيح. فحياتهمالتي هي على نقيض حياة المخلص ، كثيرا ما ، تشهد شهادة محزنة على نوع الخدمة الكهنوتية التي قد اهتدوا بتأثيرها .

لايمكن لإنسان ان يحصل على كرامة أعظم من ان يكون مقبولا لدى الله كخادم مقتدر للانجيل . ولكن أولئك الذين يباركهم الله بالقوة والنجاح لا يفتخرون . انهم يعترفون باعتمادهم الكامل عليه متحققين انهم بدونه لاقوة [296] فيهم. بل هم يقولون مع بولس : «ليس أننا كفاة من انفسنا ان نفتكر شيئا كأنه من أنفسنا ، بل كفياتنا من الله ، الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد» (2 كورنثوس 3 : 5، 6).

ان الخادم الامين هو الذي يعمل عمل السيد . وهو يحس بأهمية عمله ، متحققا من انه يحتفظ للكنيسة والعالم بصلة شبيهة بتلك التي كان يحتفظ بها المسيح . انه يخدم بلاكلل ليقود الخطة الى حياة انبل واسمى لكي ينلوا جزاء المنتصرين الغالين . ان شفتيه قد مستهما جمرة جية من على المذبح، وهو يرفع يسوع كرجاء الخاطئ الوحيد. والذين يسمعونه يعلمون انهكان قريبا جدا من الله في صلاة حارة فعالة مقتدرة . لقد حل عليه الروح القدس وقد اعتمدت نفسه بالنار السماوية المحيية وهو قادر على ان يقارن الروحيات بالروحيات. وتعطى له القوة على هدم معاقل الشيطان . وعندما يقدم محبة الله تنسحق القولب وكثيرون يسألون قائلين : «ماذا يبنغي ان افعل لكي اخلص ؟»

ثم يقول الرسل : «من اجل ذلك ، اذ لنا هذه الخدمة — كما رحمنا — لانفشل ، لل قد رفضنا خفايا الخزي ، غير سالكين في مكر ، ولا غاشين كلمةالله ، بل بإظهار الحق مادحين انفسنالدى ضمييركل انسان قدام الله . ولكن ان كان انجيلنا مكتوما ، فإنما هو مكتوم في الهالكين ، الذين فيهم اله هذا الدهر قد اعمى اذهان غير المؤمنين، لئلا تضيئ لهم انارة انجيل مجد المسيح . الذي هو صورة الله ,فإننا لسنا نكرز بأنفسنا ، بل بالمسيح يسوع ربا ، ولكن بأنفسنا عبيدا لكم من اجل يسوع . لأن الله الذي قال ان يشرق نور من ظلمة ، هو الذي اشرق في قلوبنا ،. لانارة معرقف مجد الله في وجه يسوع المسيح» (2 كورنثوس 4 : 1- 6). وهكذا عظم الرسول نعمة الله ورحمته اللتين ظهرتا في الوديعة المقدسة المسلمة له كخادم للمسيح . انه بفضل رحمة الله الغنية عليه وعلى اخوته اسندوا [297] في مشقاتهم وتجاربهم ومخاطرهم . إنهم لم يشكلوا ايمانهم وتعليمهم ليكون مناسبا لرغبات سامعيهم ، ولا اخفوا الحق الذي هو جوهري للخلاص ليكون وعظهم اكثر جاذبية . ولكنهم قدموا الحق في بساطة ووضح مصلين حتى يتبكت الخطاة ويتجدووا . وقد اجتهدوا كي يجعلوا تصرفهم متوافقا معتعليمهم حتى يكون الحق المقدم للناسمقبولا لدى ضمير كل انسان.

ثم يتباع الرسول كلامه قائلا : «ولكن لنا هذ الكنز في اوان خزفية ، ليكون فضل القوة لله لامنا» (2 كورنثوس 4 : 7). كان يمكن لله ان يذيع حقه على افواه الملاءكة الاطهار ، ولكن هذه ليست خطته . انه يختار الخلائق البشرية ، الناس المحاطين بالضعف كوسائل لتنفيذه مقاصده. فالكنز الذي لايقدر يوضع في أوان خزفية . ان بركاته تصل الى العالم عن طريق اناس من البشر . وعنطريقهم يضيئ المجد مبددا ظلمات الخطية . ففي خدمات المحبة يقابلون الخطاة والمحتاجين ويقودونهم الى الصليب . وفي كل عملهم

يجب عليهم ان ينسبوا المجد والكرامة والشكر لذاك الذي هو فوق الكل وعلى الكل.

ان بولس وهو يشير الى اختباره أرنا انه اذ اختار خدمة المسيح لم يكن مدفوعا الى ذلك بدوافع اناسية لأن طريقه كان مكتنفا بالمحن والتجارب . فكتب يقول : «مكتئبين في كل شيئ ، لكن غير متضايفيين،متحييرين .، كلن غير يائيسين مضطهين ، لكنغير متروكين . مطروحين ، لكن غير هالكين ، حمالين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع ايضا في جسدنا .» (2 كورنثوس 4 : 8 — 10).

وقد ذكر بولس اخوته انه وزملاؤه رسل المسيح، كانوا في خطر دائم. فالمشقات التي احتلموها انهكت قواهم . فكتب يقول : «لأننا نحن الاحياة نسلم دائما للموت من اجل يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع ايضا في جسدنا [298] المائت. اذ الموت يعلم فينا ، ولكن الحياة فيكم» (2 كورنثوس4 : 11، 12).إن خدام المسيح هؤلاءاذ كانوا يقاسون آلاما جسدية من جراء الفاقة والتعب كانوا متشبهين بموته. ولكن ماكان يعم فيهم للموت كان يأى بالحياة والصحة الروحية لاهل كورنثوس الذين بإيمانهم بالحق صاروا شركاء في الحياة الابدية . وبالنظر الى هذا كان على اتباع يسوع ان يحترسوا لئلا يتسبب اهمالهم وفتور مجبتهم في زيادة اثقال الخدام وتجاربهم.

ثم يستطرد بولس فيقول : «إذ لنا روح الاميان عينه، حسب المكتوب آمنت لذلك تكلمت، حن ايضا نؤمن ولذلك نتكلم ايضا» (2 كورنثوس 4 : 13). ان بولس اذ كان مقتنعا اقتناعا كاملا بصحة الحق المسلم له لم يمكن لشيئ ان يغويه عن تقديم حق الله او استعماله بغش او اخفاء اقتناعات نفسه . انه لم يرد شراء الغنى او الكرامة او المسرات بالامتثال لآراء العالم او التشبه به . ومع انهكان خطر دائم من الاستشهاد في سبيل الايمان الذي كرز به لأهل كورنثوس ،فإنه لم يجبن لأنه كان عالما أن ذاك الذي مات وقام سيقيمه من القبر ويقدمه إلى الآب.

ثم قال: «لأن جميع الاشياء هي من اجلكم ، لكي تكون النعمة وهي قد كثرت بالاكثرين ، تزيد الشكر لمجد الله» (2 كورنثوس 4 : 15). إن الرسل لم يكرزوا بالانجيل لأجل تعظيم ذواتهم. إن رجاءهم في خلاص النفوس هو الذي دعاهم لتكريس حياتهم لهذا العمل . واكن هذا الرجاء الذي حفظهم من الامتناع عن بذل جهودهم خوفا من خطر يتهددهم أو آلام فعلية يقاسونها .

ثم أعلن الرسول قائلا : «لذلك لانفسل، بل وإن كان انساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوما فيوما» (عدد 16) . كان بولس يحس بقوة العود ، ولكن مع انه قوته الجسدية كان تضعف فإنه بكل أمانه وبلا خوف او [299] نكوص أعلن إنجيل المسحي . فإذ كان لاسا سلاح الله الكامل، تقدم بطل الصليبل هذا الى الامام في القتال . ان صوت هتافه أغلن ان منتصر في الحرب. وإذ ثبت نظره في الجعالة المعدة للأمناء هتف هتاف الظفر قائلا: «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشيئ لنا اكثر أفكر ثقل مجدأبديا . وحن غير ناظرين الى الاشياء التي ترى، بل إلى التي لاترى. لان التى ترى وقتية ، واما التي لاترى فادبية» (عدد 17 ، 18).

ان الالتماس الذي قدمه الرسول الى اخوته في كونثوس ليتأملوا من جديد في محبة فاديهم التي لاتبارى ، هو التماس حار وغيور ومؤثر جدا . فقد كتب يقول: «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، انه من اجلكم افتقر وهو غني ، لكي تستغنو انتم بفقره» (2 كورنثوس 8 : 9). انتم تعرفون العلو العظيم الذي نزل منه وعمق الاتضاع الذي انحدر اليه . وإذ بدأ يسير في طريق انكار الذات والتضحية فإنه لم يمل عنه حتى اسلم الروح ومات . لم تكون له راحة بين العرش والصليب .

وقد كان بولس يتمهل وهو ينتقلمن فكرة الى اخرى حتى يمكن لمن يقرأون رسالته ان يدركوا ادراكا كاملا تنازل المخلص العجيب في سبيليهم. فاذ قدم الرسول المسيح كما كان وهو مساو للهومعه يتقبل ولاء

الملائكة وسجودهم، تتبع طريق تنازله الى ان وصل الى عمق اعماق الاتضاع . واكن بولس مقتنعا انه اذا امكنهم ادراك التضحية المدهشة التي اقدم عليها جلال المساء ، فلا بد ان تتلاشيئ كل انانية من حياتهم . وقد أرهم كيف ان ابن الله القى مجده جانبا وبمحض اختياره اخضع نفسه لحالات الطبيعة البشرية ثم وضع نفسه كعبد واطاع حتى الموت «موت الصليب» (فيلبي 2 : 8). لكي يرفع الانسان الساقط من حضيض الانحطاط الى الرجاء الفرح والسماء . [300]

اننا حين نتأمل في الصفات الالهية في نور الصليب، فإننا نرى الرحمة والحنان والغفران ممتزجة بالانصاف والعدل . إننا نرى في وسط العريق شخصا حاملا في ديه ورجليه وجنبه آثار الآلام التي تحملها كي يصالح الانسان معالله . نرى الآب السرمدي الساكن في نور لايدنى منه ، ومع ذلك يقبلنالنفسه باستحقاقات ابنه . ان سحابة النقمة التي كانت تتوعدنا بالشقاء واليأس نجد انه في نور الصليب المنعكس عليها ، تكشف عن الكتابة التي كتبها الله والقائلة. عش ايها الخاطئ ، عيشوا ايها التائبون المؤمنون عيشوا ، لقد دفعت القدية .

وفي تأملنا في المسيح فإننا نتوانى على شاطئ المحبة التي لايسبر غورها . واذ ناحول التحدث عن هذه المحبة نجد ان الكلمات تفشل في التعبير عنها . نتأمل في حياته على الارض وذبيحته التي قدمها لأجلنا وعمله في السماء كشفيع لألجنا والمنازل التي يعدها لمن يحبونه ، فلا يسعنا الا ان نهتف قائلين : ما اعظم علو وعمق محبة المسيح «في عذا هي المحبة ليس اننا نحن احببنا الله ، بل انه هو احبان ، وارسل ابنه كفارة لخطايا» ، «انظرو اية محبة اعطانا الآب حتى ندعى أولا د الله» (1 يوحنا 4 : 10 ،3 : 1).

إن هذه المحبة كالنار المقدسة تشتعل على مذبح قلب كل تلميذ أمين . لقد ظهرت محبة الله في المسيح على هذه الارض ، وعلى اولاده ان يعكسوا انوار هذه المحبة في حياتهم التي بلا لو وهم على الارض . وهكذا ينقاد الخطاة الى الصليب . ليروا حمل الله. [301]

الفصل الثاني والثلاثون

كنيسة سخية

في الرسالة الاولى الى كنيسة كورنثوس، قدم بولس للمؤمنين التعليمات الخاصة بالمبادئ العامة اللازمة لتعضيد عمل الله في الارض . فاذ كتب عن خدماته الرسولية لأجلهم سأل قائلا: «من تجند قط بنفقة نفسه؟ ومن يغرس كرما ومن ثمره لا يأكل ؟ او من يرعى رعية ومن لبن الرعية لايأكل ؟ ألعلي اتكلم بهذا كإنسان؟ ام ليس الناموس ايضا يقول هذا ؟ فإنه مكتوب في ناموس موسى: «لاتكم ثورا دارسا». ألعل الله تهمه الثيران ؟ ام يقول مطلقا من أجلنا ؟ انه من اجلنا مكتوب . لأنه ينبغي للحراث ان يحربعلى رجاء ، وللدارس على الرجاء ان يكون شريكا في رجائه.

«إن كنا نحن قد زرعنا لكم الروحيات ،أفعظيم ان حصدنا منكم الجسديات ؟» وواصل الرسولتساؤله قائلا : «ان كان آخرون شركاء في السلطان عليكم ، افسلنا نحن بالاولى ؟ لكننا لم نستعمل هذا السلطان ، بل نتحمل كل شيئ لئلا نجعل عائقا لانجيل المسيح. الستم تعلمون ان الذين يعملون في الاشياء المقدسة ، من الهيكليأكلون ؟ الذين يلازمون المذبح يشاركون المبذح ؟ هكذا ايضا امر الرب: ان الذين ينادون بالانجيل ، من الانجيل يعيشون» (1 كورنثوس 9 : 7 — 14). [302]

لقد أشار الرسول هنا الى تدبير الرب لأجل اعالة الكهنة الذين كانوا يخدمون في الهيكل . فالذين افرزوا لهذه الوظيفة المقدسة كانوا يخدمون اخواتهم بالبركات الروحية كان اخوتهم بالتالي يعولونهم : «واما الذين هم م ن بني لاوي ، الذين يأخذون الكهنوت ، فلهم وصية ان يعشروا الشعب بمقتضى الناموس» (عبرانيين 7 : 5). لقد اختار الرب سبط لاوي للوظائف المقدسةالمتعقلة بالهيكل والكهنوت . وقد قيل عن الكاهن : «لأن الرب إلهك قد اختاره .. لكي يقفويخدم باسم الرب» (تثنية17 : 5). وقد طالب الرب ان يكون عشر كل المحصول نصيبا له ، والذي كان يمتنع عن دفع العشور كان الرب يعتبره سارقا .

كان بولس يشير الى هذا التدبير لإعالى الخدام عندما قال : «هكذا ايضا أمر الرب ان الذين ينادون بالانجيل ، من الانجيل يعيشون» وبعد ذلك عندما كتب الرسول الى التيموثاوس قال : «الفاعل مستحق أجرته» (1 تيموثاوس 5 : 18).

كان دفع العشور هو تدبير الله لإعالة خدمته. لقد خصص الله كثيرا من العطايا والتقدمات . وفي النظام اليهودي تعلم الشعبان يكون عندهم روح السخاء في اعالة عمل الله وتدبير احتياجات الفقراء. وفي مناسبات خاصة كانت تقدم تقدمات اختيارية . وفي ايام الحصاد وفي موسم قطاف الكروم كانت تكرس باكورات الحنطة والخمر والزيت- كتقدمه الله .وكانت فضلات الحصاد وزواياالحقل تترك للفقراء . وباكورات الصوف عند جز الغنم وباكورات الحنطة بعد دراسها كانت تحصص لله . وكذلك كانت أبكار كل البهائم، كما دفعت فدية عن ابكار البنين . او كانت الباكورات تقدم اما الرب في القدس ومن ثم تكرس ليستعملها الكهنة .

وبهذا النظام الخيري اراد الرب ان يعلم ايرائيل انه ينبغي ان يكون هو الاول في كل شيئ. وهكذا

كانوا يذكرون دائما ان لله هو المالك الاول لحقولهم [303] وقطعانهم ومواشيهم ، وانههو الذي ارسل اليهم الشمس والمطر لتنمية محصولاتهم وانضاجها . فكل ماكاناو يملكونه كان ملكا له وماكانوا هو سوى مجرد وكلاء له على تلك الاملاك.

والله لايقصد ان المسيحيين الذي امتاياز اتهم اعظيم بكثيرمن امتيازات الامة اليهودية قديما يعطون بسخاء اقل مما اعطى أولئك . وقد اعلن المخلص قائلا: «ومن يودعونه كثيرا يطالبونه بأكثر» (لوقا 12 : 47). ان السخاء الذي كان مطلوبا من العبرانيين كان في الغالب لنفع امتهم ، اما الآن فإن عمل الله يمتد الى كل الارض . وقد اودع المسيح بين أيدي تابعيه كنوز الانجيلوقد حملهم مسؤولية تقديم بشرى الخلاصالمفرحة للعالم . وبالتأكيد ان التزاماتنا هي أعظم بكثير من التزامات اسرائيل قديما .

واذا يتقدم عمل الله وينتشر فان الاستغاثات في طلب المعونة ستأتي متكاثرة ومتوافرة . وحتى تجاب هذه الطلبات على المسيحيين ان يلتفتوا الى امر الرب القائل : «هاتوا جميع العشور الى الخزنة ليكون في بيتي طعام» (ملاخي 3 :10). فإذا كانو المعترفون بالمسيحية يقدمون لله عشورهم وتقدماتهم بكل أمانة فإن خزانته تمتلئ..وحينئذ لن يكون هناك مجال للأسواق الخيرية او اليانصيب او حفلات الطرب والسرور للحصول على نفقات لإعالة خدام الانجيل .

ان الناس يجربون لأن يستخدموا اموالهم في الانغماس في الملذات واشباع النهم والتزين او في زخرفة بيتوهم . ففي سبيل هذه الاغراض لايتردد كثيرون من اعضاء الكنائس في الانفاق بسخاء واسراف . ولكن عندما يطلب اليهم ان يقدموا عطاياهم لخزانة الرب ، وللتقدم بعمله في الارض يترددون. وربما ان يشعرون انهم لايمكنهم ان يفعلو غير ذلك ، يتقدمون [304] وهم مكرهون مبلغا اقل بكثيرمما ينفقونه غالبا في الوان الترف التي لالزم لها . اهم لايظهرون محبة حقيقية لخدمة المسيح ولا اهتماما جدانحو خلاص النفوس أي عجب اذناذا كانت الحياة المسيحية لامثال هؤلاء الناي تبدو كحياة الاقزام السقيمة العليلة . اما الشخص المضطرم القلب بمحبة المسيح فإنه يعتبره ليس فقط واجبا بل بالحري امتيازا وسرورا ان يساهم في تقدم ونجاح اسمى عمل واقدس عمل سلم للانسان ـــ عمل تقديم غنى الجود والرحمة والحق الى العالم.

ان روح الجشع هي التي تسوق الناس الى الاحتفاظ بها هو من حق الله لارضاء ذواتهم، هذه الروح مكروهة لديه الان كما كانت قديما عندما وبخ الله شعبه على لسان النبي قائلا: «ايسلب الانسان الله ؟ فانكم سلبتموني . فقلتم : بمسلبناك ؟ في العشور والتقدمة . قد لعنتم لعنا واياي انتم سالبون ، هذه الامة كلها» (ملاخئ 3 : 9 ، 8).,

ان روح السخاء هو روح السماء . وهذه الروح تجد اسمى اعلان لنفسها في ذبيحة المسيح على الصليب. فلأجلنا بذل الآب ابنه الويحد ، والمسيح اذ تخلى عن كل مايملك ، فقد بذل نفسه ليخلص الانسان. ينبغي ان يستنجد صليب الجلجثة بأريحية كل تابع للمخلص. إن المبدأ الممثلهناك هو مبدأ البذل «من قال انه ثاتب فيه ينبغي انه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو ايضا» (1 يوحنا 3 : 6).

ومن الناحية الاخرى فان روح الاثرة هي روح الشطيان . فالمبدأ الممثل في حياة اهل اعالم هو مبدأ التملك والحيازة. وهكذا هم يرجون احراز السعادة والراحة ، ولكن ثمار ما قد زرعوه هي الشقاء والموت. [305]

فما لم يكف الله عن ان يبارك أولاده فهم ملزمون بأن يردوا له القسم الذي يطلبه . وينبغي الا يكتفوابأن يقدمو للرب مايخصه بل عليهم ان يقدموا لخزانته تقدهه سخية كذبيحة شكر. فبقلوب شاكرة عليهم ان يكرسوا للخالق . باكورات خيراتهم- واثمن مايملكون، وافضل واقدس خدماتهم. وهكذا يحصلون على بركات غنية. والله نفسه يجعل حياتهم كجنة ريا لاتنقطع مياهها . وعندما يجمع الحصاد الاخير

فالحزم التي يستطيعون ان يأتو بها الى السيد ستكون تعويضا عن استخدامهم لوزناهم المسلمة لهم استخداما صائبا في غير انانية .

ان رسل الله المختارين الذي يشتغلون في الاعمال الكرازية الجبارة لاينبغي ارغامهم على الخروج في حرب على نفقة انفسهم دون اح يحصلوا على تعضيد عضوف مخلص من اخوتهم . فعلى أعضاء الكنيسة ان يكونو أسخياء نحور الذين يتركون اعمالهم الدنيوية ليتفرغوا للخدمة . فعندما يحصل خدام الله على تشجيع فإن عمله يتقدم كثيرا, ولكن عندما يحبس الناس عنهم المعونة التي هي من احقهم، بسبب انانيتهم في إن أيديالخدام تضعف وترتخي وكثيرا مايعجز نفسهم عجزا كبيرا وتتحني نفوسهم.

ان غضب الله يشتعل ضد الذين يدعون بأنهم اتباعه وفي نفس الوقت يتركون الخدام المكرسين المشتعلين في خدمهنشطة يقاسون آلام الحرمان والاحتياج الى ضروريات الحياة. هؤلاءالقوم الانانيون لابد ان يعطوا حسبا لا عن سوء استعمالهم لأموال سيدهم وحسب ، بل عن انقباض النفس والحزنم الذي جلبوه على خدام الرب الامناء بسوء تصرفهم . فالذين يدعون لعمل الخدمة ، وعند نداء الواجب يتركون كل شيئ ليعملوا في خدمة الله .ينبغي ان يحصلوا على اجر كاف يكفل اعالتهم واعالة لقاء جهودهم وتضحياتهم. [306]

في مصالح العمل الدنيوية المختلفة يحصل العمال الامناء على اجور مجزية مقابل جهودهم العقلية والبدنية . افليس عمل نشر الحقوارشاد النفوس إلى المسيح عملا اهم واجدى من أي عمل عادي ؟ او ليس أولئك الذين يقومون بهذا العمل بأمانة مستحقين بموجب العدالة لمكافأة سخية ؟ اننا بتقدرينا لقيمة العمل النسبة للخير الادبي والجسماني انما نبرهن على تقديرنا للأمور السماويةبالمقارنة مع الامور الارضية.

ينبغي لشعب الله ان يقدموا عطاياهم بسرور وسخاء كي يكون في الخزانة رصيد كاف للانفاق على الخدمة وتلبية الدعوات التي تستصرخنا في طلب المساعدة للمشاريع الكرازية. وعلى الخدام تقع مسؤولية مقدسة وهي ان يضعوا امام انظار الكنائس احتياجات عمل الله ويدبروا الاعضاء كي يكونوا أسخياء. فمتى أهمل هذا الواجبوكفت الكنائس عن تقديم العطاء لتلبية حاجات الآخرين، فإنه علاوة على الضرر الذي يلحق بعمل الرب فإن البركات التي يجب أن تحل على المؤمنين تمتنع.

فحتى الفقراء جدا عليهم ان يقدموا عطاياهم لله. عليهم ان يكونو شركاء في نعمة المسيح بانكارهم لذواتهم لمساعدة الذين هم احوج الىالمساعدة منهم . ان عطية الرجل الفقير التي هي ثمرة انكار الذات تصعد امام الله كرائحة طيبة وبخور عطر . وكل عمل من أعمال التضحية يقوي روح حب الخير والاحسان في قلب المعطي ويقربه من ذاك الذيكان غنيا ولكنه من اجلنا افتقر لكي نستغني نحن بفقره .

ان عمل الارملةالتي القت فلسين — وهو كل مامكلت — في الخزانة ـ ، مسجل في الكتاب لأجل تشجيع الذينوهم يصارعون الفقر ، يشتاقون الى مساعدة عمل الله بعطاياهم. وقد استرعى المسيح انتباه التلاميذ الى هذه المرأة التي أعطت [307]

«كل معيشتها» وقد قرن ان عطيتها قيمة من المبالغ الضخمة التي كان يقدمها الذين لم تتطلب عطاياهم انكارا للذات. لقد قدموا مبلغا قليلا من فضالتهم. ان تلك الازلمة ، لكي تقدمعطتها ن حرمت نفسها حتى من ضروريات الحياة ، متكلة على الله ليلبيأعوازها في الغد . وقد اعلن المخلص عنها قائلا : «الحق اقول لكم ان هذه الازلمة الفقيرة قد القت اكثر من جميع الذين القوا في الخزانة» (مرقس12 : 44 ، 43). وهكذا علمنا المسيح ان قيمه العطية تقدر ليس بكميتها بل بنسبة مانعطي والباعث الذي يحفز المعطى على العطاء.

إن الرسول بولس وهو يخدم في الكنائس كان لايكل في هجودهلكي يلهم قلوب المهتدين حديثا بالرغبة في القيام بأشياء كثيرة لعمل الله . وكثيررا ماكان يحثهم ليتبدروا على السخاء . فاذ كان يخطاب شيوخ

كنيسة افسس عن خدماته السابقة بينهم قال : «في كل شيئ اريتكم انه هكذا يبنغي انكم تتعبونوتعضدون الضعفاء ، متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال : مغبوط هو العطاء اكثر منالاخذ» وقد كتب الى اهل كورنثوس يقول : «من يزرع بالشح فبالشح ايضا يحصد ، ومن يزرع بالبركات فبالبركات ايضا يحصد . كل واحد كما ينوي بقلب، ليس عن حزن او اضطرار . لأن المعطي المسرور يحبه الله» (أعمال20:35 ، 2 كورنثوس9 : 6 ، 7).

كانت الغالبية العظمة بين مؤمني مكدونيةفقراء في حطام هذه الدنيا ولكن قلوبهم كانت تفيض بالحب لله ولحقه، ولذلك أعطوابسرور لتعضيد عمل الانجيل . وعندماجمعت عطايا عامة من كنائس الامم لاسعاف مؤمني اليهود ، كان سخاد المهتدين في مكدونية مثلاًأعلى للكنائس الأخرى. واذ كتب الرسول الىمؤمني كورنثوس وجه التفاتهم الى «نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية ، انه في اختبار ضيقة شديدة فاض وفور فرحهم وفقرهم [308] العميق لغنى سخائهم ،) لأنهم اعطوا حسب الطاقة وفوق الطاقة من تلقاء انفسهم» ملتمسين منا ، بطلبة كثيرة ، ان نقبل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين» (2 كورنثوس8 : 1- 4).

إن الرغبة في التضحية من جانب مؤمني مكدونية جاءت نتيجة لتكريسهم القلبي . فإذ حركهم روح الله : «أعطوا انفسهمأولا للرب» (2 كورنثوس8 : 5).

وحينئذ كانوا راغبين ان يعطوا بسخاء مما عندهم لمساعدة عمل الانجيل . لم يكن مايدعو الى جثهم على العطاء ، لأنهم فرحوا بامتياز انكار انفسهم حتى من الضروريا لتلبية عوز الاخرين. وعندما اراد الرسولان يمنعهم من ذلك توسلوااليه كي يقبل عطيتهم . ففي بساطتهم واستقامتهم ومحبتهم للاخوة انكروا انفسهم بكل سرور وهكذا اثمروا ثمار الاحسان وحب الخير الوفيرة .

وعندما ارسل بولس تيطس الى كورنثوس ليشدد عزائم المؤمنين هناك أوصاه ان يبنيتلك الكنيسة في نعمة العطاء . وفي رسالة شخصية ارسلها الى المؤمنين أضاف هذا الالتماس فقال لهم: «كما تزدادون في كل شيئ : في الايمان والكلام والعلم وكل اجتهاد ومحبتكم لنا ، ليتكم تزدادون في هذه النعمة ايضا» «ولكن الان تمموا العمل ايضا ن حتى انه كما ان النشاط لارادة ، كذلك يكون التتميم ايضا حسب مالكم . لأنه ان كان النشاط موجودا فهو مقبول على حسب مللانسان ، لا على حسب ماليس له» «والله قادر ان يزيدكم كل نعمة ، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء، تزدادون في كل عمل صالح ... متسغنين في كل شيئ كل سخاء ينشأ شكرا لله» (2 كورنثوس 8 : 7 ، 11، 12 ، 9 : 8 ، 11).

إن السخاء غير الاناني ملأ قلوب أفراد الكنيسة الأولى فرحا عظيما طاغيا لأن المؤمنين علموا نا جهودهم اعانت على ايصال رسالة الانجيل الى ماكانوا عليه [309] في الظلمة . لقد شهد احسانهم على انهم لم يقبلو نعمةالله باطلا . أي شيئيمكن ان ثمر مثل ذلك السخاء غير تقديس الروح؟ لقد كان هذا السخاء معجزة من معجزات النعمة في نظر المؤمنين وغير المؤمنين.

ان النجاح الروحي مرتبط ارتباطا وثيقا بالسخاء المسيحي . فعلى أتباعالمسيح ان يفرحوا بامتياز اعلان احسان فاديهم في حياتهم. فاذ يعطونللرب فلهم اليقين بأن كنزهم يسبقهم الى المواطن السماوية. هل يريد الناس ان يجعلوا اموالهم في أمان ؟ ليضعوها في اليدين اللتين تحملان سمات الصليب . هل يريدون التمتع بأموالهم ؟ ليستخدموها في جلب البركة للفقراءوالمتألمين . ألعلهم يرريدون ان يزيدوا تلك الاموال ويضاعفوها ؟ اذن فليتفتوا الى وصية الرب القائلة : «أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك ، فتمتلئ خزائنك شبعا ، وتفيض معاصرك مسطارا» (أمثال3 :9 ، 10). فإذا أبقوا أموالهم لأجل أغراضهم الأنانية ، إن خسارتهم ستكون أبدية .أما اذا اعطوا كنوزهم لله، فمن تلك الحظة تختم بخاتمه ، خاتم الخلود وعدم الزوال .

إن الله يعلن قائلا: «طوباكم ايها الزارعون على كل المياه» (أشعياء32 : 20(ز إننا اذ نوزع هبات الله بلا انقطاع كلما كان عمل الله او حاجات البشرية تتطلب مساعدتنا ، فلا يمكن ان ينتهي لنا ذلك الى الفقر . «يوجد من يفرق فيزداد ايضا ، ومن يمسك اكثر من اللائق وانما الفقر» (امثال 11 : 24). ان الزارع يكثير غلته ويضاعفها عندما يلقي بها في الارض .، وكذلك الحال معمن هم امناء في توزريع هبات الله . فبتوزيعها تتكاثر بركاتها . وقد وعد الله قائلا : «اعطوا تعطوا ، كيلا جيدا ملبدا مهزوزا فائضا يعطون في احضانكم» (لوقا6 : 38). [310] [311]

الفصل الثالث والثلاثون

العمل وسط الصعوبات

كان بولس حريصا على ان يقدم للمهتدين على يديه تعاليم الكتاب الصريحة الخاصة بتقديم المعونة للائقة لعمل الله ، ومعانه ادعى لنفسه كخادم للانجيل ان يكون له «سلطان انلانشتغل» (1 كورنثوس 9 : 6) . شغلا دنيويا كوسيلة للاعالة نفسه ، الا انهفي اوقات مختلفة اثناء خدمته في مراكز المدينة العظيمة كان يزاول حرفة يدوية ليعول نفسه .

لم يكن الكفاح والعمل الجسماني في نظر اليهود امرا مستغربا او انه يحط من قدر صاحبه. لقد علم موسى العبرانيين ان يعلموا أولادهم عادات الكد والعمل . وان ترك الشباب يكبرون وهم لايعرفون شيئا عن العمل الجسماني كان يعتبر خطية . وبالرغم من ان الوالدكان يتربى ويتهذب ليشتغلوظيفة مقدسة ، فان معرفته بالحياة العملية كانت معتبرة امرا جوهريا . فكان على كل شاب ان يتعلم حرفه ماسواء أكان أوباه غنيين او فقيرين . وان الآباء الذين كانوا يهملون توفير مثل ذلك التدريب لأولادهم كان ينظر اليهم على انهم منحرفون عن تعاليمالرب . فاتباعا لهذه العادة تعلم بولس في صباه حرفة صنع الخيام. [312] ان بولس قبلما صار تلميذا للمسحي كان يشغل مركزر عاليا ولم يكن يعتمد على العمل اليدويليعول نفسه . ولكن بعد ذلك عندما استخدم كل موارده في نجاح عمل المسيح وتقدمه كان يزاول حرفته احيانا لكي يكفل لنفسه عيشا كريما . واكن هذا هو الواقع خصوصا في الاماكن التي كان الناس فيها يسيئون فهم بواعثه.

ا ناول مانقرأه عن بولس هو انه كان يشتغل بيديه لإعالة نفسه وهو يكرز بالكلمة في تسالوينكي . فإذ كتب الى مؤمني الكنيسة هناك ذكرهم بأنه كان يمكن ان «يثقل عليهم) ثم اضاف قائلا: «فإنكم تذكرون ايها الاخوة تعبنا وكدنا، إذ كنا نكرز لكم بانجيل الله ، ونحن عاملون ليلا ونهارا كي لانثقل على احد منكم» (1 تسالونيكي2: 9). ثم في رسالته الثانية اليهم اعلن عن نفسه وعن زملائه قائلا : «ولا أكلنا خبزامجانا من احد»ثم كتب يقولانه هو وزملاؤه اشتغلوا : «لكي لانثقل على احد منكم . ليس ان لاسلطان لنا ، بل لكي نعطيكم انفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا» (2 تالونيكي3 :8 ، 9). وفي تسالونيكي التقى بولس بأولئك الذين رفضوا ان يشتغلوابأيديهم . وقد كتب عن هذه الفئة بعذ ذلك يقول : «ان قوما يسلكون بينكم بلا ترتيب ، لايشتغلون شيئا بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيحان يشتغلوا بهدوء ، ويأكلوا خبز انفسهم» فبينم كان الرسول في تسالونيكي حرص على ان يجعل نفسه قدوة صالحة لأمثال أولئك الناس . فكتب يقول : «فإننا أيضا حين كنا عندكم ، أوصيناكم بهذا انه ان كان احد لايريد ان يشتغل فلا يأكل ايضا» (2 تسالونيكي3 : 10).

لقد حاول الشيطانفي كل عصر ان يضعف جهود خدام الله بإدخال روح التعصب الى الكنيسة . كذللك كانت الحال في عهد بولس، وكذلك كانت في العصور التي جاءت بعد ذلك في عهد الاصلاح . فويكلف ولوثر وآخرون . [313] كثيرون ممن باركوا العالم بتأثيرهم وايمانهم واجهوا المكايد التي بواسطتها يحاول العدو ان يوقع العقول الشديدة التحمس وغير المتزنة وغير المقدسة ، في التعصب . ان النفوس الضالة قد علمت ان بلوغ القداسة الحقيقية تسموا بالعقل فوق كل الافكار الارضية وتقود الناس الى ان يكفوا عن العمل كلية . وآخرون اذ كانوا يتمسكون بآراء متطرفة عن بعض الآيات الكتابية علموا الناس ان

الشغل خطية — وان على المسيحيين الا يفكروا في خيرهم وخير عائلاتهم الزمني وسعادتهم الارضية، بل عليهم يكرسوا حياتهم كلهاللروحيات . ولكن تعليم بولس الرسول ومثاله هما توبيخ لمثل تلك الآراء المتطرفة.

الا ان بولس لم يكن يعتمد اعتمادا كاملا على عمل يديه لاعالة نفسه وهو في تسالونيكي. فلقد كتب الى مؤمني فيلبي بعد ذلك مشيرا الى اختباراته في مدينة تسالونيكي اعترافا منه بالعطايا التي قبلها منهم وهو هناك قائلا : «فإنكم في تسالونيكي ايضاارسلتم الى مرة ومرتين لحاجتي» (فيلبي 4 : 16). وبالرغم من حقيقة كونه قد اخذ تلك العطية وقبل تلك المعونة فقد كان حريصا على ان يضع امام التسالونيكيين مثالا في الاجتهاد حتى لايمكن لأحد ان يتهمه بالطمع وهو صادق وحتى يقدم توبيخا عمليالأولئك الذين يعتنقون آراء تعصبية عن العمل اليدوي .

إن بولس عندما زار مدينة كورنثوس لأول مرة وجد نفسه بين قوم يتوجسون خيفة من نوايا الغرباء . كان اليونانيون القاضون عند شاطئ البحر تجارا اذكياء . وقد ظلواطويلايتدربون على اعمال التجارة حتى تكون عندهم الاعتقاد بأن الكسب هو التقوى ، وان جمع المال سواء بالطرق الحلال اوالحرام هو امر يستحق المديح . وكان بولس عليما بصفاتهم هذه فلم يرد ان يعطيهم مجالا لأن يقولو انه كان يكرز بالانجيل ليصير غنيا . كان له الحق ان يطلب العون من [314] سامعيه في كورنثوس ولكنه كان راغبا في التنازل عن هذا الحق لئلايتعطل نفعه او نجاحه كخادم بواسطة الشكوك الظالمة القائلة بأنه إنما كان يكرز طمعا في الربح. فكان يريد ان يزيل ويبعد كل مجال للتمويه حتى لاتذهب قوة رسالته هباء .

حالماوصل بولس الى كورنثوس وجد «يهوديا اسمه اكيلا ، بنطي الجنس ، كان قد جاء حديثا من ايطالية ، وبريسكلاامرأته»هذان كانا «من صناعته» فاذ كان اكيلا وبريسكلا قد نفيا بموجب امر من لوديوس يقضي بأن يمضي اليهود في رومية ، أتيا الى كورنثوس حيث أسسا عملا كصانعي خيام. وقد استخبر بولس عنهما إذ علم أنهما يخافان الله ويحاولانتجنب عدوى المؤثرات الوبيلة المحيطة بهما «أقام عندهما وكان يعمل .. وكان يحاج في المجمع كل سبت ويقنع يهودا ويونانيين»-(أعمال 19 : 2- 4).

وبعد ذلك انضم سيلا وتيموثاوس الى بولس في كورنثوس . وهذا الاخوان احضرا معهما بعض المال من كنائس مكدونية لأجلتعضيد العمل .

وفي رسالة بولس الثانية الى مؤمني كورنثوس التي كتبها بعدما اقام كنيسة قوية هناك استعرض طريقة معيسته بينهم فسألهم قائلا : «ام اخطأت خطية اذاذللت نفسي لك ترتفعوا انتم ، لأني بشرتكم مجانا بانجيل الله ؟ سلبت كنائس اخرى آخذا اجرى لأجل خدمتكم ، واذ كنت حاضرا عندكم واحتجت ، لم اثقل على احد . لأن احتياجي سده الاخوة الذين اتوا من مكدونية . وفي كل شيئ حفظت نفسي غير ثقيل عليكم ، وسأحفظها . حق المسيح في . ان هذا الافتخار لاسيد عني في اقاليم اخائية» (2 كورنثوس 11: 7 — 10).

وقد اخبرنا بولس عن السبب الذي لأجله تصرف هكذا في كورنثوس . والسبب هو ان لايعطي سببا للتعيير «للذين يريدون فرصة» (2 كورنثوس 11: 12) . واذ [315] كان يشتغل في صنع الخيام كان يخدم بأمانة في نشر الانجيل . وهو نفسه يقول مشيرا الى خدماته : «إن علامات الرسول صنعت بينكم في كل صبر ، بآيات وعجائب وقوات» ثم يضيف قائلا : «لأنه ماهو الذي نقصتم عن سائر الكنائس، الا اني انا لم اثقل عليكم ؟ سامحوني بهذا الظلم . هوذا المرة الثالثة انا مستعد ان آتي اليكم ولا أثقل عليكم. لأني لست اطلب ماهوا لكم بل اياكم ..واما انا فبكل سرور انفق وأنفق لأجل انفسكم» (2 كورنثوس12 : 12 — 15).

وفي غضون خدمته في افسس حيث قام بجهود كرازية جبارة لمدى ثلاث سنين في ذلك الاقليم ، ظل

بولس يزاول مهنته . وفي افسس كما في كورنثوس ابتهج قلب الرسول بوجود اكيلا وبريسكلا اللذين كانا قد رافقاه في طريق عودته الى آسيا في ختام سفرته الكرازية الثانية .

وكان يوجد بعض من كانوا يعترضون على اشتغال بولس وتعبه هو يعمل بيديه قائلين ان ذلك يناقض عمل خادم الانجيل . لماذا يربط بولس ، وهو خادم عظيم وومتاز ، العمل اليدوي بالكرازة بالكلمة ؟ افلم يكن الفاعل مستحقا أجرته ؟ فلماذا ينفق في صنع الخيام وقتا كان من الافضل ان يقضى في اعمال افضل ؟

ولكن بولس لم يكن يعتبر الوقت الذي يقضى في ذلك العمل وقتا ضائعا . فإذ كان يشتغل مع اكيلا كان على اتصال بالمعلم العظيم ،فلم يضيع فرصة للشهادة للمخلص ومساعدة المحتاجين الى المساعدة . كان عقله يصبوا الى المعرفة الروحية وقد علم شركاءه في العمل تعاليم في الامور الروحيةكما وضع مثالا في اتقان العمل والاجتهاد فيه . كان عاملا سريعا ماهرا ومجتهدا في عمله «حارا في الروح ، عابدا الرب» (رومية12 : 11). واذ كان الرسول يزاول [316] حرفته كان على اتصالبطبقة من الشعبلم يكن يمكنه الوصول اليها بغير هذه الوسيلة . وقد ابان لشركائه ان المهارة في الحرف العادية هي عظية من الله الذي يمنح العطية والحكمة لاستخدامها الاستخدام الصائب. وقد علم ايضا انه حتى في العمل اليومي يجب ان يكرم الله . إن يديه اللتين تصلبتا من العمل لم تنتقصا شيئامن قوة توسلاته المؤثرة كخادم للمسيح .

وكان بولس أحيانا يشتغل ليلا ونهارا لا لإعالة نفسه بل ايضا لمساعدة زملائه في العمل . كان يقتسم ارباحه مع لوقا وكان يساعد تيموثاوس . بل كان يقاسي الام الجوع احيانا ليلبي احتياجات الاخرين . كانت حياته حياة انكار الذات . وقرب نهاية خدمته عندما كان يخاطب شيوخ افسس خطابه الوداعي في ميليس استطاع ان يرفع امامهم يديه اللتين تشوهتا من كثرة العمل ويقول : «فضة او ذهب او لباساحد لم اشته . انتم تعلمون ان حاجاتي وحاجات الذينمعي خدمتها هاتان اليدان . في كل شيئ اريتكم انه هكذا ينبغي انكم تتعبون وتعضدون الضعفاء ، متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء اكثر من الأخذ» (أعمال 20: 33 — 35).

اذا كان الخدام يحسون انهم يقاسون المتاعب والمشقات والفقر في خدمة المسيح فليذهبوا بالخيال لزيارة المشغل الذي كان بولس يعمل فيه . وليذكروا انه اذا كان هذا الرجال المختار من الله يصنع الخيام فإنه كان يكسب رزقه الذي كان يستحقه لقاء خدمته كرسول . ان العمل بركةلالعنة. ان روح الكسل يقضي على التقوى ويلاشيهاويحزن روحالله .فالبركة الراكدة كريهة ، ولكن نبع الماء الجارييننشر الصحة والخصب في الارض . لقد عرف بولس ان من يهملون العمل البدي سرعان مايضعفون. وقد رغب ان يعلم الخدام الشبان انهم اذ يعلمون بأيديهم ، وذا يشغلون عضلاتهم [317] واعضاء جسمهم فسيصيرون أقوياء على احتمال اعباء الكد والعناء والفقر التي تنتظرهم في حقل الكرازة بالانجيل. وكان موقنا ان تعاليمه ستنقضظها الحيوية والقوة ان لم يبق كل اجزاء جسمه عاملة ونشطة .

ان الكسالى يضيعون على انفسهم الاختبار الثمين الذي يكسبه الانسان من مزاولة واجبات الحياة العادية بأمانة , آلاف من بني الانسان يعيشون فقط لكي يستهلكوا ويستنفدوا البركات التي منحهم الله اياها في رحمته . وينشون انيقدموا للرب عطايا شكرهم على الغنى الذي استودعهم اياه. وينسون انهم اذ يترجون بحكمة في الوزناتالمعطاة لهم ، يجب ان يكونوا منتجين كما هم مستهلكون . واذا ادركوا العمل الذي يريدهم الرب ان يعملوه كمساعدين له فإنهم لاينفرون من المسؤولية ولايتهربون.

ان نفع الشباب الذين يحسون بانهم مدعوون من الله للكرازة يتوقف الى حد كبير على الكيفية التي بها يشرعون في خدماتهم . وان الذين قد اختارهم الله لعمل الخدمة سيقدمون البرهان على دعوتهم العيا وبكل وسيلة ممكنةسيحاولون ان يصيروا عمالا مقتدرين ، وسيجتهدون للحصول على اختبار يؤهلهملأن

يرسموا الخطط وينظموها وينفذوها . واذ يقدرون قدسية دعوتهم فبتدريبهم لأنفسهم يصيرون اقرب شبها لسيدهم فيظهرون جودة ومحبته وحقه .واذ يظهرون الغيرة في استخدام الوزنات المسلمة لهم استخداما حسناوصائبافعلىالكنيسة ان تساعدهم بفطنة.

ولكن ليس كل من يحسون بأنهم مدعوون للكرازة يجب تشجيعهم على ان يقحموا انفسهم وعائتلاتهم في الحال على الكنيسة لإعالتهم بالمال اعالة دائمة . وهنالك خطر من ان بعض ذوي الاختبار المحدود يفسدهم التزلف والمداهنة وعن طريق التشجيع غير الحكيم ينتظرون الاعالةالكاملة بغض النظر عن أي [318] مجهود جدي من جانبهم. إن الأموال المكرسة لنشر عمل الله ينبغي الا ينفقها الراغبون في الكرازة لمجرد حصولهم على الاعالة، وبذلك يشبعون طموحعم الانني لتوفير حياة هنية ناعمة لأنفسهم.

فالشبان الذين يرغبون في تدريب مواهبهم على عمل الخدمة سيجدون درسا نافعا في مثال بولس حين كان في تسالونيكي كورنثوس وافسس واماكن اخرى . فمع انه كان خطيبا فصيحا ومختارامن الله للقيام بعمل خاص ، فهو لم يترفع قط عن الشغللم يكل عن التضحية في سبيل عمل الكرازة الذي احبه وقد كتب الى اهل كورنثوس يقول : «الى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرىونلكم وليس لنا اقامة ، ونتعب عاملين بأيدينا . نشتم فنبارك . نضطهد فنتحمل» (1 كورنثوس 4 : 11، 12).

مع ان بولس كان من اقدر المعلمين فقد زاول احقر الواجبات بكل سرور كما ازاول اشرفهاواكرمها . فعندما كان في خدمة السيد واضطرته الظروف عكف بكل سرور على مزاولةمهنته. ومع ذلك فقد كان مستعدا ابدا لأني يلقي بعمله الدنيوي جانبا لكي يواجه مقاومة اعداء الانجيل ، او ليستفيد من فرصة خاصة ليربح نفوسا ليسوع . ان غيرته وتعبه هما توبيخ للكسل وحب الراحة .

وقد دحض بولس بمثاله الرأي الذي شاع ووجد قبولا من الكنيسة حينذاك ، ومؤداه ان الانجيل لايمكن اذاعته بنجاح الا بواسطة أولئك الذين يتحررون تماما من لزوم القيام بعمل جسماني . وقد قدم نفسه مثالا عمليالما كان يمكن للرجال العلمانيين المكرسين ان يعملوه في اماكن كثيرة حيث لم يكن الناس يعرفون شيئا عن حقائق الانجيل . وقد الهم مثاله كثيرين من العمال الوضعاء برغبة صادقة كي يعملوا مايستطيعون عمله لتقدم عمل الله، بينما هم في نفس الوقت يعولون انفسهم في عملهم اليومي . انا اكيلا [319] وبريسكلا لم يدعيا الاعطاء كل وقتهما لخدمة الانجيلومع ذلك فإن هذين العاملينالمتواضعين استخدمهماالله في ارشاد بولس الى طريق الحق بكيفية اكمل . ان الرب يستخدم وسائل متنوعة لاتمام مقاصده، وفي حين ان البعض من ذوي المواهب الخاصة يختارون لتكريس كل قوى نشاطهم لعملالتعليم واالكرازةبالانجيل ، فان كثيرين ممن لم توضع عليهم ايد بشرية لرسامتهم ، يدعون لتمثيل دور كبير في ربح النفوس .

يوجد حقل واسعمفتوح امام خدام الانجيلالذين يعولون انفسهم . ويمكن للكثيرين ان يحصول على اختبارات ثمينة في الخدمة عندما يقضون شطرا من وقتهموهم يكدون في عمل يديوي ، وبهذه الوسيلة يمكن تنشئة عمال اقوياء لخدمة هامة في بعض الحقول المحتاجة.

ان خادم الله المضحي بنفسه الذي يتعب ويخدم بلا كلل في الكلمة والتعليم ، يحمل على قلبه عبئا ثقيلا . انه لايقيس عمله بالساعات . واجره لايؤثر عليه وهم يقوم بعمله ، كلا ولايتخلى عن واجبه بسبب الظروفغير المواتية . لقد حصل على تفويض بالخدمة من السماء . والى السماء هو ينظر في انتظار الجزاء متى انجز العمل الموكل اليه ,

هذا وان غرض الله ان مثل هؤلاء الخدام يتحررون من كل جزع لا لزوم له لكي يتكون لديهم الفرصة الكافية لاطاعة وصية بولس لتيموثاوس القائلة : «لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك» (1 تيموثاوس 4 : 16). ففي حين يجب عليهم ان يحرصوا على التدريب الكافي لحفظ عقولهم واجسامهم في حالة النشاط،

ولكن كونهم يلتزمون بأن يقضوا جانبا كبيرا من وقتهم في مزاولة عمل دنيوي ، فهذه لست خطة الله . [320]

هؤلاء الخدام الامناء مع انهم مستعدون لأن ينفقوا وينفقوا لأجل الانجيل فإنهم لايعفون من التجربة . فإذ تظهر في طريقهم العراقيلويضغط عليهم الجزع بسبب عجز الكنيسةعن اعالتهم الاعالة المالية الكافية ، فإن البعض يهاجمهم المجربهجوما عنيفا . فعندما لايجدون من الناس تقديرا لخدماتهم يكتئبون . نعم انهم يتطلعون الى الامام، الى وقت الدينونة كي يناولو جزائهم العادل ، وهنذا يبهجهم ويسند قلوبهم. ولكن في الوقت الراهن تحتاج عائلاتهم الى الطعام والكساء . ولو احسوا بأنهم قد اعتقوا من خدمتهم الالهية لكانوابكل سرور يعملون بأيديهم لإعالة انفسهم وذويهم. ولكنهم متحققون من ان وقتهم هو لله وبالرغم من قصر نظر أولئك الذين ينبغي ان يقدموا لهم النفقات الكافية. انهم يرتفعون فوق التجربة التي تغويهم على مزاولة صناعة او مهنة تنجيهم من العوز والاحتياج ، ويواصلون العمل لتقدم ملكوت الله الذي هو أغلى في نظرهم من الحياة نفسها . فلكي يفعلوا هذا قد يضطرون مع ذلك لاتباع مثال بولس فيشتغلون في عمل يدوي بعض الوقت وهم في نفس الوقت يسيرون بخدمة الكرازة الى الامام. وهم يفعلون هذالا لإنجاح مصالحهم بل مصالح ملكوت الله على الارض.

قد تأتي على خادم الله ظروف يبدو فيها من المستحيل عليه القيام بالعمل المسند اليه بسبب نقصالموارد لانجاز عمل قوي ثابت. والبعض يخشون منان الموارد والتسهيلات التي بين ايديهم لن تمكنهم من عمل كل مايحسون انه واجب عليهم.

ولكنهم اذا تقدموابإيمان فإن خلاص الله يعلن وستكلل جهودهم بالنجاح والرخاء . فذاك الذي امر تابعيه بأن يذهبوا الى اقصى الارض، لابد سيعول كل خادم يحاول ان يكرز بالانجيل امتثالا لهذا الامر . [321]

ان الرب وهو يبني عمله ،لايجعل كل شيئ واضحا دائماامام خدامه. فهو احيانا يمتحن ثقة شعبه بكونه يدخلهم في ظروف ترغمهم علىالتقدم الى الامام بإيمان . واحيانا كثيرة يأتي بهم الى مواضع شاقة وعسيرة ويأمرهم بالتقدم ، في حين يبدو كأن ارجلهم ستلامس مياه الاردن . وفي مثل تلك الظروف ، عندماتصعد صلوات خدام الله اليه في ايمان حار ، يشق الطريق امامهم ويخرجهم الى الرحب .

وعندما يتحقق رسل الله من مسؤليتهم نحو الاماكن المحتاجة من كرم الرب . وبروح الخادم الاعظم يخدمون بلا كلل لأجل هداية النفوس ، فإن ملائكة السماء يمهدو الطريق امامهم وتتوفر الوسائل اللازمة للتقدم بالعمل . والذين قد استنيروا سيقدمون من أموالهم بسخاءلتعضيد العمل الذي يعمل لأجلهم. وسيستجيبون بسخاء لكل نداءفي طلب العون، وسيرف روح الله على قلوبهم ليعضدوا عمل الرب ليس فقط في الوطن بل في الاقاليم البعيدة . وهكذا تتشدد القوات العاملة في الاماكن الاخرى ، ويتقدم عمل الله بطريقته المرسومة . [322] [323]

الفصل الرابع والثلاثون

خدمة مكرسة

ان المسيح بحياته وتعاليمه قدم مثالا كاملا رائعا للخدمة المنكرة لذاتها التي تستمد كيانها من الله. ان الله لايعيش لذاته . فبخلقه للعالم وعنايته بكل مافيه يخدم سواه بلا انقطاع : «يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين» (متى 5:45) . فهذا المثل الاعلى للخدمة سلمه الآب لابنه لقد اعطي يسوع ان يقف رأسا للبشرية ، معلما الناس بمثاله معنى الخدمة. فقد خدم الجميع وساعد الكل .

حاول المسيح مرارا وتكرارا ان يقرر ويثتبهذا المبدأ في اذهان تلاميذه فعندما تقدم يعقوب ويوحنا اليه بطلبهما ان تكون--------------------------------------text missing--------------------
------------------------------ خادما ، ومن اراد ان يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا ، كما ان ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم، وليبذل نفسه فدية عن الكثيرين» (متى 20 : 26 — 28).

ومنذ صعب المسيح وهو يواصل عمله على الارض بواسطة سفراء مختارين يخاطبعن طريقهم بني الانسان ويخدم حاجاتهم . ان رأس الكنيسة الاعظميدير عمله ويوجهه بواسطة رجال اقامهم الله ليكونوانوابا عنه . [324]

ان مركز أولئك الذي قد دعاهم الله ليخدموا في الكلمة والتعليم لأجل بناء كنيسته هو مركز ذو مسؤولية خطيرة . انهم يطلبونالى الناسعن المسيح ، الرجال منهم والنساء ،كي يتصالحو مع الله . وهم يستطيعون اتمام عملهم ورسالتهم فقط على قدر ماتعطى لهم حكمة وقوة منالعلاء.

ان خدام المسيح هم الحراس الاوصياء الروحيون على الشعبالمسلمين الى رعاتيهم. وعملهم مشبه بعمل الرقباءففي العصور القديمة كان الحراس كثيرا مايقفونعلى اسوار المدن حيث كانوا من اماكنهم العالية يشرفون على الاماكن الهامة المحتاجة الى حراسة ويقدمون الانذار عن قدوم العدو . فكانت سلامة كل سكان المدينة متوقفة على امانةأولئك الحراس.وكان مطلوبا اليهم في فترات مقررة ان ينادي احدهم الآخر للتحقق من انهم جميعا مستيقظن وان احدا منهم لم يلحقه ضرر. وقد كانت صيحة التحية الفرحة او الانذار تنتقل من حارس الى اخر وكل منهم يكرر النداءالى ان يرن صداه في كل انحاء المدينة.

والرب يعلن لكل خادم قائلا: «يابن آدم ، فقد جعلتك رقيبا لبيت اسرائيل فتسمع الكلام من فمي ، وتحذرهم من قبلي . اذا قلت للشرير : ياشرير موتا تموت . فان لم تتكلم لتحذر الشرير من طريقه، فذلك الشرير يموت بذنبه ، اما دمه فمن يدك أطلبه، وان حذرت الشرير من طريقه ليرجع عنه .. فقد خصلت نفسك» (حزقيال33: 7 — 9).

ان كلام النبي يعلن عن المسؤولية الخطرة التي في اعناق أولئك المعينين حراسا لكنيسة الله ووكلاءه سرائره . عليهم ان يقفوا حراسا على اسوار صهيون وان يطلقوا صيحة الانذارعند اقتراب العدو . ان النفوس هي في خطر الوقوع في التجربة وهي ستهلك مالم يكن خدام الله أمناء لودائعهم. فإذا كانت حواسهم [325] الروحية تتخدر لأي سبب بحيث تمسي عاجزة عن تمييز الخطر وبسبب هذا الاخفاق في تقديم الانذار تهلك النفوس فالله سيطلب من ايديهم دم أولئك الهالكين .

انه من امتيازات الحراس على اسوار صهيونكونهم يعيشون بالقرب من الله وكونهم يصيرون حساسين لتأثيرات روحه الى حد انه يمكنه ان يعمل بواسطتهم يخبروا الرجال والنساء بخطرهم ويرشدون الى مكان النجاة. عليهم بكل امانة ان ينذروهم بنتائج عصيانهم الاكيدة. وعليهم بكل امانة ان يسهروا على مصالح الكنيسة . وينبغي الا يتراخوا عن السهر في أية ساعة. ان عملهم يتطلبتدريب كل قوى كيانهم. عليهم ان يرفعوا اصواتهم بالانذار كصوت البوق الواضح النغمات ، وينبغي الا ينفخوا في البوق نغمة التردد وعدم الوضوح . عليهم ان يعملوا لا لأجل الاجر بل لأنه لايمكنهم ان يفعلوا غيرهذا ولانهم متحققون من ان الويليستقرعليهم اذا لم يكرزوا بالانجيل . وحيث انهم مختارونمن الله وقد ختموا بدم التكريس فعليهم ان ينقذوا الرجال والنساء من الهلاكالذي يتهددهم.

ان الخادم العامل مع المسيح لابد ان يكون عنده احساس عميق بقدسية عمله ، والتعب والتضحية المطلوبين منه لانجازه بنجاح. انه لايهتم براحته او استقراره . انه ينسى نفسه . وفي بحثه عن الخروف الضال لايتحقق من انه قد تعب او يحس بالبرد او الجوع . ان امامه هدفا واحدا ــ الا وهو انقاذ الهالكين.

ان من يخدم تحت رسالة عمانوئيل المعموسة بالدم سيلتزم بأن يعمل مايتطلب جهودا بطولية وصبرا واحتمالا. ولكن جندي الصليبيقف غير خائف ولا وجل في جبهة القتال. واذ يشدد العدو عليه الهجوم فهو يتجه الى الحص في طلب العون واذ يقدم للرب مواعيد الكلمةيتقوى لأداء واجبات الساعة . انه متحقق من [326] الذات بل تجعله يستند بكل قوته على القدير . فإذ يصمد على تلك القوة فذلك يعينه على تقديم رسالة الخلاص بكل قوة بحيث تهتز أمامها كل العقول .

ان من يعلم بالكلمة عليه ان يعيش هو نفسه في شركة يقظة مع الله في كل ساعة بالصلاة ودرس كلمته لأن في ذلك نبع قوته. ان الشركة مع الله تضفي على جهود الخادم قوة أعظم من تأثير كرازته وعليه الا يسمح لنفسه بالحرمان من هذه القوة. فبغيرة تأبى الرفض عليه ان يتوسل الى الله ليقويه ويحصنه لأداء الواجب واحتمال التجربة ويلمس شفتيه بجمرة حية . ان تمسلك سفراء المسحي بالحقائق الابدية ضعيف جدا في الغالب . فإذا سارالناس مع الله فهو سيخفيهم في شق من الصخرة . وإذ يستترون هكذا يمكنهم ان يروا الله كما قد رآه موسى. وبالقوة الونور اللذين يمنحهما يمكنهم ان يدركوا وينجزوا اكثر مما كانت حكمتهم المحدودة تظنه ممكنا .

ان دهاء الشيطان يستخدم بنجاح اكبر ضد المتضايفين المحزنين . فعندما يحدق الفشل وتثبيط الهمة بالخادم فليبسط امام الرب احتياجاته . ان بولس عندما ابتدأفي عمله كانت السماء من فوقه نحاسا ومع ذلك فقد اتكل على الله اتكالا كاملا . لقد عرف اكثر من جميع الناس معنى ابمحن والتجاربوالمقاومة ورجلاه تسيران في طريق السماء : «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشيئ لنا اكثر فأكثر ثقل مجد أبديا . وحن غير ناظين الى الاشياء التي ترى، بلالى التي لاترى» (2 كورنثوس4 : 17 ، 18). كانت عينا بولس مثبتتين دائما في الاشياءغير المنظورة والابدية. واذ كان عالمانه انما يحارب قواتفوق طاقة الشر ، استند على الله، وفي هذا كانت قوته. فإذ تنظر النفس الى الرب غير المنظور تنال قوة ونشاطا وتنسحق قوة الارض ولايعود لها سلطان على العقل او الخلق . [327]

وعلى الخادم ان يندمج بحرية بين افراد الشعب الذين يخدمهم، حتى اذ يتعرف بهم يمكنه تطبيق تعاليمه على حاجاتهم. فبعدما يقدم الخادم عظمة، يكون قد استهل عمله فقط. فهنالك عمل فردي يجب ان يقوم به . عليه ان يزور الناس في بيتوتهم ويتحدث ويصلي معهم بغيرة ووداعة. توجد عائلات لايمكن الوصول اليهاعن طريق حقائق كلمة الله مالم يدخل بيتوتهم وكلاء نعمته ويرشدوهم الى طريق اسمى. ولكن قلوب أولئك القائمين بهذا العمل ينبغي ان تكون متحدة بقلب المسيح وتخفق بحبه.

يوجد كثير من المعاني السامية مشتملا في الامر القائل : «اخرج الى الطرقوالسياجات وألزمهم

بالدخول حتى يمتلأ بيتي» (لوقا14 : 23). ليعلم الخدام الحق في العائلات اذ يقتبرون ممن يخدمونهم ، واذا يتعاونون هكذا مع الله فسيلبسهم قوةروحية . والمسيح سيرشدهم في عملهم معطيا اياهم كلاما ينطقون به فيتغلغل في اعماق قلوب السامعين. انه من اعظم امتيازات كل خادم ان يكون قادرا ان يقولمع بولس : «لم أؤخر ان اخبركم بكل مشورة الله»، «لم أؤخر شيئا من الفوائد الا واخبرتكم وعلمتكم به جهرا وفي كل بيت ... بالتوبة الى الله والايمان الذي بربنايسوع المسيح» (أعمال 20 : 27 ، 20 ، 21).

كان المخلص يذهب من بيت الى بيت شافيا المرضى معزياالنائحين مخففا آلام المتألمين المتضايقيين ، متكلما بالسلام للمحزونين . لقد احتضن الأولادوباركهم ، وكلم الأمهات المتعبات بكلام الرجاء والعزاء . وبرقة ولطف لا يكلان واجه كل اشكال الشقاء وآلام البشرية . انه لم يخدم نفسه بل خدم الآخرين . كان خادما للجميع . وطعامه وارتواؤه كانا في جلب الرجاءوالقوة لكل من اتصل بهم واذ كان الرجال والنساء يصغون الى الحقائق التي كانت تنطبق بها شفتاه والتي كانت تختلف اختلافا بينا عن التقاليد والعقائد التي كانت [328] يعلم بهامعلموااليهود ، انبثق الرجاء في قلوبهم . كانت أقواله مصحوبة بغيرة كبيرة جعلت كلامه يصل الى القلوب بقوةاقناع وتبكيت عظيمة .

وعلى خدام الله ان يتعلموا من المسيح طريقة الخدمة لكي يمكنهم ا يستخرجوا منكنوز كلمته مايلبيالحاجة الروحية لمن يخدمونهم. وبهذه الكيفية وحدها يمكنهم ان يتمموا عهودهم. فنفس الروح الذي كان ساكنا في المسيح وهو يقدم للناس التعاليم التي كان يتلقاها على الداوم ، ينبغي ان يكون نبغ معرفتهم وسرقوتههم في الاضطلاع بعمل المخلص في العالم.

ان بعض من تعبوافي الخدمة أخفقوا في الظفر بالنجاح لأنهم له يهتموا بعمل الرب اهتماما كاملا. على الخدام الا يسمحوا لأي اهتمامات ان تحتل تفكيرهم او تشغل قواهم غير عملهم العظيم ، وهو ارشاد النفوس الى المخلص . ان الصياديناالذين دعاهم المسيح ، للوقت تركوا شباكهم وتبعوه . ان الخدام لا يمكنهم ان يقوموا بعمل مقبول لدى الله وفي نفس الوقت يحملون عبئ مشاريع تجارية عظيمة خاصة بهم . مثل هذا الانقسام في الاهتمام يعمي بصيرتهم الروحية . فالعقل والقلب ينشغلان بالارضيات، اما خدمة المسيح فيبقى مركزها ثانويا . انهم يحاولون ان يكيفوا خدمتهم لله حسب مقتضيات ظروفهم ،بدلا ان يكيفواخدمتهم لله حسبمقتضيات ظروفهم ، بدلا من ان يكيفوا الظروفلاتمام مطليب الله .

ان كل قوى الخادم مطلوبة للقيام بدعوته العليا . فأفضيل قوه هي الله ، عليه الا يشتغل في المنافساتالتجارية او في أي عمل آخريجعله يحيد عن عمله العظيم. وقد اعلن بولس قائلا: «ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي ييرضي من جنده «(2 تموثاوس 2 : 4).وهكذا أكد الرسولحاجة الخادم الى تكريس غير مجزأ وفي غير تحفظ في خدمة السيد . فالخادم المكرس لله بالتمام يرفض الاشتغال في عمله يعطله عن تكريس نفسه بالتمام لدعوته المقدسة . انه لايسعى [329] في طلب الكرامة او الغنى الدنيوي ولكن غرضه الأوحد هو ان يخبر الآخرين عن المخلص الذي بذل نفسه ليقدم لبني الانسان غنى الحياة الابدية . وان اسمى غاياته ليست ان يكنز لنفسه كنوزافي هذا العالم بل ان يوجه انتباه العديمي الاكتراث والعديمي الاخلاص الى الحقائق الابدية . قد يطلب منه ان يشتغل ويشترك في مشاريع تضمن ارباحا عظيمة ،ولكنه يجيب على هذه المغريات بقوله: «ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟» (مرقس :8 : 36),

لقد عرض الشيطان هذا الاغراء اما المسيح عالما انه لو قبله فلن يفتدى العالم. وهو يقدم هذه التجربة نفسها لخدام الله تحت اشكال مختلفة في هذه الايام عالما ان من ينخدعون بها لن يكونوا امناءعلى الامانة التي بين أيديهم.

اناالله لايريد ان يطلب من خدامه الغنى. وقد كتب بولس الى تيموثاوسبهاذا الصدد يقول : «لأن محبة

المال اصل لكل الشرور ،الذي اذ ابتغاه قوم ضلوا عن الايمان، وطعنوا انفسهم بأوجاع كثيرة. واما انت يانسان الله فاهرب من هذا ، واتبع البر والتقوى والايمان والمحبة والصبر والوداعة». وعلى سفير المسيح بمثاله وتعاليمه ان «يوصي الاغنياء في الدهر الحاضر ان لايستكبروا ، ولايلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى ، بل على الله الحيالذي يمنحنا كل شيئ بغنى للتمتع , وان يصنعوا صلاحا ، وان يكونوا اغنياء في اعمال صالحة، وان يكونو أسخياء في العظاء ، كرماء في التوزيع ، مدخرين لأنفسهم اساسا حسنالمستقبل ، لكي يمسكوا بالحياة الابدية» (1 تيموثاوس6 : 10 ، 11 ، 17 — 19).

ان اختبار بولس الرسول وتعليمه بخصوص قدسية عمل الخادم هما نبع عون والهام للعاملين في خدمة الانجيل . كان قلب بولس يضطرم بالمحبة للخطاة ولذلك بذلكل قواه وجهد في عمل ربح النفوس . لم يوجد خادم اكثرانكارا [330] للذات ومواظبة على عمله من بولس. والبركات التي حصل عليها قدرها على انها امتيازات يمكن استخدامات في اسعاد الاخرين . ولم يضيع فرصة للتحدث عن مخلصه او مساعدة المتضايقين. كان يذهب من مكان الى مكان كارزا بانجيل المسيح ومؤسسا للكنائس. واينما وجد مستمعين اجتهد في صد الشر وايقافه عند حده وتوجيه اقدام الرجال والنساء في طريق البر .

ولم ينس بولس الكنائس التي اقامها . فبعد القيام بجولة كرازية عاد هو وبرنابا يزوران الكنائس التي قد اسساها ، ويختاران من بين أعضائها رجالا يستطيعان تدريبهم للاشتراك معهما في الكرازة بالانجيل . هذه الصفة المميزة لعمل بولس تشتمل على درس هام يحتاج خدام اليوم ان يتعلموه. فلقد جعل الرسول تهذيب الشباب جزءا من خدمته . كان يصطحبهم معه في سفراته الكرازية وهكذا حصلوا على اختبار اعانهم افيما بعد كي يشغلوا مراكز ذات مسؤولية . وبعدما كان يفترق عنهم كان يظل على اتصال بعملهم، وكانت رسائله الى تيموثاوس وتيطس برهانا على مقدار شوقه لنجاحهما .

ان الخدام المحنكين اليوم يقومون بعمل نبيل عندما يدربون خداما من الشباب ويضعون المسؤولية على كوهلهم بدلا من ان يحملوا كل الاعباء على انفسهم.

ولم ينس بولس قط المسؤولية الموضوعة عليهكخادم للمسيح ، كما لم ينس انه لو هلكت النفوس بسبب عدم أمانته فالله سيعتبره مسؤلا . فقد اعلن عن الكنيسةيقول : «التي صرت انا خادما لها ، حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم ، لتتميم كلمة الله . السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الاجيال ،لكنه الان قد أظهر لقديسية ، الذين اراد الله ان يعرفهم ماهوا غنى مجدا هذا السر [331] الامم ، الذي هو المسيحفيكم رجاء المجد ، الذي ننادي به منذرين كل انسان، ومعلمين كل انسان، بكل حكمة ، لكي نحضر كل انسان كاملا في المسيح يسوع ، الامر الذي لأجله اتعب ايضا مجاهدا ، بحسب عمله الذي يعمل فيبقوته» (كولوسى 1:25 -29).

هذه الاقوال تضع امام من يخدم المسيح هدفا عاليا ، ومعذلك فكل من يضعون انفسهم تحت سيادة المعلم العظيم ويتعلمون في مدرسة المسيح سيصلون الى هذا الهدف , ان القوة التي تحت تصرف الله غير محدودة ، والخادم الذي في حاجته العظمى يختلي بالرب يمكنه ان يتحقق من انه سيحصل منه على ماسيكون رائحة حياة لحياة بالنسبة للسامعين .

ثم ان رسائل بولس ترينا ان خادم الانجيل ينبغي ان يقدم نفسه مثالا للتعاليم والحقائق التي يعلم بها . فها هو يقول : «ولسنا نجعل عثرة في شيئ لئلا تلام الخدمة». اما عن عمله فقد قدم لناصورة في رسالته الى مؤمني كونثوس يقول : «في كل شيئ نظهر انفسناكخدام لله في صبر كثير ، في شدائد ، في ضرورات،في ضيقات في ضربات في سجون ، في اضطرابات ، في اتعاب ، في اسهار ، في اصوام ، في طهارة ، في علم ، في اناة ، لطف في الروح القدس، في محبة بلا رياء ، في كلام الحق ، في قوة اللهبسلاح البر لليمين ولليسار. بمجد وهوان ، بصيت ردئي وصيت حسن . كمضلين ونحن صادقون ،

كمجهولين ونحن معروفين ، كمائتين وها نحن نحيا ، كمؤدبين وحن غير مقتولين ، كحزانى ونحن دائما فرحون ، كفقراء وحن نغني كثيرين» (2 كورنثوس 6 : 3 ، 4 — 10).

وقد كتب الى تيطسيقول : «كذلك عظ الاحداث ان يكونو متعلقين ، مقدما نفسك في كل شيئ قدوة للأعمال الحسنة ، ومقدما في التعليم نقاوة ، ووقارا [332] واخلاصا وكلاما صحيحا غير ملوم ، لكي يخزي المضاد ، اذ ليس له شيئ رديئ يقوله عنكم» (تيطس 2 : 6 -8).

ليس اثمن في نظر الله من خدامه الذين يخرجون الى قفار الارض ليبذروابذار الحق منتظرين وقت الحصاد . وليس غيرالمسيحان يقدر مقدار جزع خدامه وهم يطلبون الهالكين.انه يمنحهم روحه وبفضلجهودهم ترجع النفوس من الخطية الى البر.

ان الله يطلب رجالا يكونون مستعدين لترك مزراعه وتجارتهم وحتى عائلاتهم اذا اقتضت الضرورة ، ليصيروا رسلا له . وستجاب الدعوة ، في الماضي وجد رجال ،اذا حركتهم محبة المسحي واحات الهالكين ، تركوا تنعمات الوطن وعشرة الاصدقاء وحتى الزوجة والاولاد ليذهبوا الى بلدان بعيدة بين عابدي الاوثان والمتوحشين ليعلنوا رسالة الرحمة. وكثيرون منهم وهم يقومون بهذه المحاولة فقدو حياتهم ، ولكن اقيم آخرون ليتمموا العمل . وهكذا تقدم عمل المسيح خطوة فخطوة . والبذار الذي زرع في حزن انتج حصادا وفيرا . فقد انتشرت معرفة الله ورفعت راية الصليب في البلدان الوثنية.

ان الخادم عليه ان يبذل اقصى جهده ويستخدم كل موارده في سبيل هداية خاطئ واحد . فالنفس التي خلقهاالله وافتداها المسيح غالية القيمة بسبب الامكانيات التي امامها ، والميزات الروحية الممنوحة لها ، والقدرة التي يمكنها امتلاكها لو احيتها كلمة الله ، والخلود الذي يمكنها امتلاكه بالرجاء المقدم الانجيل . فإذا كان المسيح قد ترك التسعة والتسعين لكي يطلب ويخلص خروفاواحدا ضالا ، فهل نتبرر لو عملنا اقل من ذلك ؟او ليس اهمالنا للخدمة كما كان المسيح يخدم ، والاقدام على التضحية كما كان هو يضحي ، خيانة للودائع المقدسة واهانة الله . [333]

ان قلب كل خادم امين مملتئ بشوق عظيم لتخليص النفوس . فهو ينفق وقته وقوته ولايستعفى من بذل الجهود المضنية كي يسمع الاخرون الحقائق التي جلبت لنفسه مثل تلك الغبطة وذلك السلام والفرح . فروح المسيح مستقر عليه . انه يسهر على النفوس كأنه مزمع ان يقدم عنها حسابا . فإذ يثبت عينيه على صليب الجلجثة، ويرى المخلص المرفوع. ويعتمد على نعمته واثقامن انه سيكون معه الى النهاية باعتبارهترسه وقوته وكفايته ، فإنه عندئد يخدم الله . فبدعواته وتوسلاته الممتزجة بتأكيدات محبة الله، يحاول ان يربح نفوسا ليسوع وفي السماء يحصى بين أولئك الذين هم «مدعوون ومختارون ومؤمنون» [334] [335]

الفصل الخامس والثلاثون

الخلاص لليهود

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في الرسالة الى اهل رومية)

بعد تأخير لم يكن ممكنا تجنبه وصل بولس أخيرا الى كورنثوس ، تلك المدينة التي كانت مسرحا لعمل كثير نشط في الماضي كما كانت موضوع جزع عميق لبعض الوقت . وقد وجد ان كثيرين من المؤمنين الاولين يكنون له عواطف المحبة باعتباره اول من حمل اليهم نور الانجيل ، فاذا سلم على هؤلاء التلاميذ ورأى براهين ولائهم وغيرتهم فرح لأن عمله في كورنثوس لم يكن عبثا .

ان مؤممني كورنثوس، الذين كانوا قبلامعرضين لأن يتناسوا دعوتهم العليا في المسيح ، نموا في قوة الخلق المسيحي . وقد اظهرت اقوالهم وأعمالهم قوة نعمة الله المغيرة فصاروا الآن قوة عظيمة للخير في وسط معقل الوثنيةوالخرافات ذاك , لقد وجدت روح هذا الرسول المتعبة والمنزعجة راحة في صحبة رفاقه المحبوبين وهؤلاء المهتيدن الامناء .

وجد بولس في اثناء اقامته في كورنثوس متسعا من الوقت ليتطلع الامام الى حقول خدمة جديدة اكثر اتساعا. ثم ان سفرته التي كان مزمعا ان يقوم بها الى روما شغلت افكاراه بطريقة خاصة . فقد كان من اعز امانيه واحب خططه [336] ان يرى الايمان المسيحي ثابتا وموطد الاركان في ذلك المركز العظيم مركزالعالم المعروف . وكانت قد اقيمت في روما كنيسة وكان الرسوليتوق الى الظفر بمعاونة المؤمنين هناك في العمل الذي اراد انجازه في ايطاليا وفي بلاد اخرى . ولكي يعد الطريقلخدماته بين أولئك القوم الذين كانو كثيرون منهم غير معروفين له ، ارسل اليهم رسالة معلنة عن عزمه على زيارة روما وأمله في ان يرفع الصليب في اسبانيا .

وفي رسالته الى اهل رومية بسط بولس حقائق الانجيلالعظيمة. وقدد حد موقفه بالنسبة الى المشاكل التي كانت مثيرة لكنائس اليهود وكنائس الامم ، واراهم ان الآمال والمواعيد التي كانت قبلا وقفا على اليهود وحدهم قدمت الان الى الامميضا .

وبوضوح وقوة عظيمين قد الرسول تعليم التبرير بالايمان بالمسيح . وكان يرجوا ان تستفيد الكنائس الاخرى من التعاليم التي ارسلها الى مسيحي روما . ولكن ماكان اقصر باعه عنان يرى مقدما تأثيراقوالهالبعيدة المدى ، فعلى مدى العصور وقفذلك الحق العظيم حق التبرير بالايمانكمنارةعظيمة لارشاد الخطة التائبين في طريق الحياة . هذا هو النور الذي بدد الظلمة التي اكتنفت عقل لوثر وكشفت له عن قوة دم المسيح للتطهيرمن الخطية . ونفس هذا النور ارشد آلافا من النفوس المثقلة بأحمال الخطايا الى النبع الحقيقي للغفران والسلام . ان كل مسيحي يجد سببا يشكر لأجله الله على الرسالة المرسلة الى كنيسة رومية . وفي هذه الرسالى عبر بولس تعبيرا صريحاعن شعوره بالمسؤولية نحو اليهود . فمنذ يوم اهتدائهكان يتوق لمساعدة اخوات ه اليهود للحصول على ادراك صحيح واضح لرسالة الانجيل . فقد اعلن قائلا : «إن مسرة قلبي وطلبتي الى اللهلأجل اسرائيل هي للخلاص» (رومية 10: 1). [337]

ولم تكن تلك رغبة طارئة ولا كان ذلك الشوق الذي احس به شوقا عاديا . فكان على الدوام يتوسل الى

الله كي يعمللاجل الاسرائليين الذين قد اخفقوافي معرفة شخصية يسوع الناصري باعتباره المسيا الموعود به . فقد اكد لمؤمني رومية قائلا : «اقول الصدق في المسيح ، لااكذب ، وضميري شاهد لي بالروح القدسان لي حزنا عظيما ووجعا في قلبي لاينقطع. فإني كنت أود لو اكون انا نفسي محروما من المسيح لأجل اخوتي انسبائي حسب الجسد ، الذين هم اسرائليون ، ولهم التبني والمجد والعهودوالاشتراع والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء ، ومنهم المسيح حسب الجسد ، الكائن على الكل الها مباركاالى الابد. آمين» (رومية9 : 19 — 5).

كان اليهودشعب الله المختار الذين كان يقصد ان يبارك بهم الجنس البشري كله . واقام الله من بينهم انبياء كثيرين أنبوأوا عن مجيئ الفادي الذي كان مزمعا ان يرفض ويقتل بأيدي أولئك الذينوجب ان يكونوا أول من يتعرفون به بوصفه السيد الموعود به .

واذ تطلع النبي إشعياء عبر الصعور وشاهدبني امتهيرفضون نبيا بعد نبي وأخيرا يرفضون ابن الله ، ألهم بأن يكتب عن قبول الفادي من قبل أولئك الذين لم يسبق لهم قط ان حسبواضمنبني اسرائيل. واذا يشير بولس الى هذه النبوة يعلن قائلا : «ثم اشعياء يتجاسر ويقول وجدت من الذين لم يطلبوني ، وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عنى اما من جهة اسرائيل فيقول : طول النهار بسطت يدي الى شعب معاند ومقاوم» (رومية 10 : 20 ، 21).

وحتى مع ان اسرائيل قد رفضوا الابن فالله لم يرفضهم. اصغوا الىمايقوله بولس وهو يستطرد في تقديم حجته فيقول : «فأقول ألعل الله رفض شعبه ؟ حاشا لأني انا ايضا اسرائيلي من نسل ابراهيم من سبط بنيامين . لم يرفض الله شعبه [338] الذي سبق فعرفه . ام لسم تعلمون ماذا يقول الكتاب في ايليا ؟ كيف يتوسل الى الله ضد اسرائيلقائلا : : يارب ، قتلوا انبيائك وهدوا مذابحك، وبقيت انا وحدي ، وهم يطلبون نفسي . لكن ماذا يقول له الوحي ؟ ابقيت لنفي سبعة الاف رجال لم يحنوا ركبة لبعل . فكذلك في الزمان الحاضر ايضا قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة» (رومية 11 : 1- 5).

لقد عثر اسرائيل وسقطوا ولكن ذلك ليس معناه استحالة قيامهم ونهوضهم من جديد. فجوابا على السؤالالقائل : «العلهم عثروا لكي يسقطوا ؟ يجيب الرسول قائلا : «حاشا ؟بل بزلتهم صار الخلاص للامم لاغارتهم . فان كانت زلتهم غنى للعالم، ونقصانهم غنى للامم. فكم بالحري ملؤهم ؟ فاني اقول لكم ايها الامم : بما اني انا رسول للامم امجد خدمتي ، لعلي اغير انسبائي واخلص اناسا منهم. لأنه ان كان رفضهم هو مصالحة العالم. فماذا يكون اقتبالهم الا حياة من الاموات ؟» (رومية 11 :11 — 15).

كان قصد الله ان تعلن نعمته بين الامم كما بين الاسرائليين. وقد اجمل هذا بوضوح في نبواتهم العهدالقديم . والرسول يستعمل بعضا من هذه البنوات في حته . فهو يسأل قائلا: «ام ليس للخزافسلطان على الطين ، ان يصنغ من كتلة واحدة اناءا للكرامة وآخر للهوان ؟ فماذا ؟ إن كان الله ، وهو يريد ان يظهر غضبه ويبين قوته، احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك. ولكي يبين غنى مجده علىآنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد ، التي ايضا دعانا نحن اياها ، ليس من اليهود فقط بل من الامم ايضا . كما يقول في هوشع ايضا : «سأدعوا الذي ليس شعبي شعبي ، والتي ليست محبوبة محبوبة . ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي ، انه هناك يدعون ابناء الله الحي» (رومية9 :21- 26) انظر ايضا (هوشع 1 : 10). [339]

وبالرغم من اخفاق اسرائيلكأمة فقد بقيت بينهم بقية صالحةممكن كان لابد ان يخلصوا . وفي وقت مجيئ المخلص كان يوجد بعض الرجال والنساء الامناء الذين قبلوا بفرح رسالة يوحنا المعمدان وهكذا بدأو يدرسون من جيدد النبوات الخاصة بالمسيا. وعندما تاسست الكنيسة المسيحة الاولى ، كانت مكونة من هؤلاء اليهود الامناء الذي عرفوا يسوع الناصري باعتباره الشخص الذي كانوا ينتظرون مجيئه بشوق

. فالرسول بولس يشير الى هذه البقية حين كتب يقول «وان كانت الباكورة مقدسة فكذلك العجين ، وان كان الاصل مقدسا فكذلك الاغصان» (رومية11 : 16).

ان بولسيشبه البقية الباقية في اسرائيل بزيتونة جميلة قطعت منها بعض الاغصان . وهو يشبهالامم بأغصان من زيتونه برية طعمت في جذع الزيتونة الامفكتب الى المؤمنين من الامم يقول : «فإن كان قد قطع بعض الاغصان ، وانت زيتنة برية طعمت فيها ، فصرت شريكا في اصل الزيتونة ودسمها ، فلا تفتحر على الاغصان . وان افتخرت، فأنت لست تحمل الاصل ، بل الاصل اياك يحمل . فستقول قطعت الاغصان لأطعم انا . حسنا ، من اجل عدم الايمان قطعت وانت بالايمان ثبت. لاتستكبر بل خف لأنه ان كان الله لم يشفق على الاغصان الطبيعية فلعله لايشفق عليك ايضا ، فهوذا لطف الله وصرامته اما الصرامة فعلى الذين سقطوا ، واما الطلف فلك ، ان ثبت في اللطف ، والا فأنت ايضا ستقطع» (رومية 11 : 17 — 22).

ان اسرائيل بسبب عدم ايمانهم ورفضهم لمقاصد السماء نحوهم قد اضاعوا اصلتهم بالله كاملة . ولكن الاغصان التي كانت قد فصلت من الجذع الاصلي كان الله قادرا ان يطعمها مرة اخرى في جذعي اسرائيلي الحقيقي — البقية التي ظلت امينة لله إله آبائهم . وقد اعلن الرسول عن هذه الاغصان المقطوعة قائلا: [340] «وهم ان لم يثبتوا في عدم الايمان سيطعمون . لأن الله قادر ان يطعمهم ايضا». ثم يكتب الى الامم قائلا : «لأنه ان كنتانت قد قطعت من الزيتونة البرية حسب الطبيعة ، وطعمت بخلاف الطبيعة في زيتونة جيدة ، فكم بالحري يطعم هؤلاء الذين هم حسبالطبيعة ، في زيتونتهم الخاصة ؟ فإني لست أريد ان الاخوة ان تجهلوا هذا السر ، لئلا تكونوا عند انفسكم حكماء . ان القساوة قد حصلت جزئيا لاسرائيل الى ان يدخل ملؤ الامم ، وهكذا سيخلص جميع اسرائيل . كما هو مكتوب سيخرج من صهيون المنقذ ويرد الفجور عن يعقوب. وهذا هو العهد من قبلي لهم متى نزعت خطاياهم . من جبة الانجيل هم اعداء من اجلكم، واما من جهة الاختيار فهم احباء من اجل الاباء ، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة . فإنه كما كنتم انتم مرة لاتطيعون الله ، ولكن الان رحمتم بعصيان هؤلاء هكذا ايضا الآن ، لم يطيعوا لكي يرحموا هم ايضا برحمتكم . لأن الله اغلق على الجميع معا في العصيان ، لكي يرحم الجميع .

«يالعمق غنى الله وحكمته وعلمهماأبعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ، لأن من عرف فكرة الرب ؟ او من صار له مشيرا ؟ او من سبق فأعطاه فيكافأ ؟ لأن منه وبه وله كل الاشياء . له المجد الى الابد . آمين» (رومية 11: 23 -36).

وهكذا يرينا بولس ان الله كي القدرة لتغيير قلوب اليهود والام على السواء ، ولمنح كل مؤمن بالمسيح البركاتالموعود بهالاسرائيل . وهو يردد اعلان اشعياء عن شعب الله فيقول: «وإن كان عدد بني اسرائيل كرمل البحر ، فالبقية ستخلص. لأنه متمم امر وفاض بالبر . لأن الرب يصنع امرا مقضيا به على الارض . وكما سبق اشعياء فقال لولا ان رب الجنود ابقى لنا نسلا ، لصرنا مثلسدوموشابهنا عمورة» (رومية9 :27 — 29). [341]

وفي الوقت الذي فيه دمرت أورشليم وهدم الهيكل وصار خربا ، بيع عدة آلاف من اليهود ليكونوا أرقاء في بلاد وثنية. وكحطام سفن على شاطئ صخري ، تشتتوا بين الامم. ولمدى ثمانية عشر قرنا ظل اليهود يهيمون على وجوههم من بلد الى بلدفي كل انحاء العالم . ولم يعط لهم في أي بلد امتياز استعادة هيبتهم كأمة . فإذ كانوا مطرودين ومهانين ومبغضين ومضطهدين من قرن الى قرن كان ميراثهم هو الآلام .

وبرغم الدينونة الهائلة التي قضى بها على اليهود كأمة عند رفضهم ليسوع الناصري ، فقد كان يعيش من جيل الى جيل كثيرونمن الرجال والنساء اليهودالنبلاء خائفوالله الذين كانوا يتألمون في صمت . لقد

عزىالله قلوبهم في كربهم وحزنهم ، ونظر بعطف الى موقفهم المخيف فسمع الصلوات الحارة الصادرة من قلوب أولئك الذين في الامهم المبرحة ابتهلوا بكل القلب سعيافي طلب الادراك الصحيح لكلمته . وقد رأى بعضمنهم في الناصري المتواضع الذي قد رفضه اجدادهم وصلبوه ، مسيح اسرائيلالحقيقي . واذ ادركت اذهانهمفحوى النبوات المألوفة التي ظلت طويلا محجوبة بالتقاليد والتحريف وسوء التفسير ، امتلأت قلوبهم شكرا لله على العطية التي لايعبر عنها التي قيدمها لكل مخلوق بشري يختارقبولالمسيح كمخلصة الشخصي .

وكان اشعياء يشير الى هذه الجماعة عندما تنبأ قائلا : «البقية ستخلص»ومنذ عهد بولس الى عصرنا هذا ، كان الله ولايزال يدعو اليهود والامم بروحه القدوس . وقد اعلن بولس قائلا : «لأن ليس عند الله محاباة» (رومية 2 : 11). وقد اعتبر الرسول نفسه انه مديون لليونانيين والبرابرة» كما لليهود(رومية 1 : 14). الا انه لم تغب عن نظره قط الامتيازات الثابتة الصريحة التي كان يتمتع بها اليهود دون غيرهم، «اما أولافلأنهم استؤمنوا على اقوال الله» . وقد اعلن [342] الرسول عن الانجيل«انه قوة الله لخلاصلكل من يؤمن لليهودي أأولا ثم لليوناني . لان فيه معلن بر الله بايمان . لايمان ، كما هو مكتوب اما البار فبالايمان يحيا» (رومية 3 :2 ، 1 : 16 17). ان بولس في رسالته هذه الى اهل رومية اعلن انهلايستحي بانجيلالمسيح هذا الذي هو قوي وفعال في قلوب اليهود والامم سواء بسواء .

وعندما يقدم هذا الانجيل في ملئهالى اليهود ، فكثيرون منهم سيقبلون المسيح كالمسيا. لايوجد غير القليل من الخدام المسيحيين الذين يشعرون انهم مدعوون لخدمة الشعب اليهودي . ولكن اولئك الذين طالما اغفلوا وآخرين غيرهم ستأتيهم رسالة الرحمةوالرجاء في المسيح . وعند ختام فرصة الكرازة بالانجيل . عندما يعمل عمل خاص لبعض هيئات الناس الذين قد اهمل شأنهممن قبل. فالله ينتظر من خدامه ان يهتموا اهتماما خاصا بالشعباليهوديالذي يجدونه في كل انحاء الارض. وحيث ان اسفار العهد القديم مندمجة في العهد الجديد في شرح قصد الله الازلي ، فسيكون هذا في نظر كثيرين من اليهود بمثابة فجر لخلق جديد وقيامة للنفس . واذ يرون مسيح عهد الانجيل كما هو مصور وموصوففي صفحات اسفار العهد القديم ، ويدركون مقدار الوضوح الذي به يشرح العهد الجديد اسفار العهد القديم ، فإن قواهم العقلية الهاجعة ستسيقظومن ثم يعترفون بالمسيح كمخلص العالم . وكثيرون سيقبلون المسيح بالايمان فاديا لهم . وسيتحقق لهم هذا القول : «واما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا ان يصيروا اولا د الله ، أي المؤمنون باسمه» (يوحنا 1: 12).

يوجد بين اليهود جماعة يشبهون شاول الطرسوسياذ هم مقتدرون في الكتب وهؤلاء سيعلنون بقوة عجيبة ثبات شريعة الله . ان الله سيجعل هذا يحدث في [343] ايامنا هذه . فيد لم تقصر عن ان تخلص . فإذ يعمل خدامه بإيمان في خدمة من قد أهملوا واحتقروا طويلا ، فسيعلن الله خلاصه .

«هكذا يقول لبيت يعقوب الرب الذي فدى ابراهيم ليس الآن يخجل يعقوب، وليس الآن يصفار وجهه. بل عند رؤية أولاده عمل يديفي وسطه يقدسون امسي، ويقدسون قدوس يعقوب ن ويرهبون اله اسرائيل .ويعرف الضالو الاراوح فهما ، ويتعلم المتمردون تعليما» (اشعياء 29 : 22 — 24). [344] [345]

الفصل السادس والثلاثون

ارتداد في غلاطية

(يعتمد هذا الفصل على ماجاء في الرسالة الى اهل غلاطية)

في اثناء وجود بولس كورنثوس كان هنالك مايدعوا الى الخوف الشديد من نحو بعض بعض الكنائس التي قد انشئت. فعن طريقتأثير المعلمين الكذبة الذين ظهروا بين مؤمني اورشليم ، بدأت الانقسامات والهرطقات والشهونية ترسخ أقدامها بسرعة بين مؤمني غلاطية . هؤلاء المعلمون الكذبة مزجوا التقاليداليهودية بحقائق الانجيل . فإذ تجاهلو حكم المجمع العام الذي انعقد في اورشليم ، الحوا على المهتدين من الامم بأن يحفظوا الناموس الطقسي وقد صار الموقف حرجا ومتأزما . والشرور التي ادخلت الى الكنائس في غلاطية هددت بالقضاء عليها سريعا .

وقد نفذ الى قلب بولس جرح عميق فثارت نفسه بسبب هذا الارتداد العلني الذي حدث من الذين كان قد علمهم بكل امانة مبادئ الانجيل . فللوفت كتب الى أولئك المؤمنين المخدوعين رسالة شهر فيها بالنظريات الكاذبة التي قبلوها ، وبصرامة عظيمة وبخ الذين ارتدوا عن الايمان . فبعدما حيا الغلاطيين قائلا: (نعمة لكموسلام من الله الآب ، ومن ربنا يسوع المسيح) جعل يخاطبهم بكلمات التوبيخ الصارمة قائلا لهم: [346]

«اني اتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعاعن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل اخر . ليس هو اخر ، غير انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولواانجيل المسيح . ولكن ان بشرناكم نحن او ملاك من السماء بغير مابشرناكم، فليكن اناثميا» (غلاطية 1 : 3 6 -7). لقد كانت تعاليم بولس متوافقة مع الكتب المقدسة ، وقد شهد الروح القدس لخدماته . ولذلك فقد حذر اخوته أولئك من الاصغاء الى أي شيئ يناقض الحقائق التي علمهم اياها.

وقد امر الرسول مؤمني غلاطية ان يفكروا ويتأملوابكل اهتمام في اختبارهم الاول في الحياة المسيحية فهتف يقول لهم : «أيها الغلاطيون الاغبياء ، من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق ؟ انتم الذين امام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوبا ؟ اريد ان اتعلم منكم هذا فقط : ابأعمال الناموس اخذتم الروح ام بخير الايمان ؟ أهكذاانتم اغبياء ؟ ابعدما ابتدأتم بالروحتكملون الان بالجسد ؟ اهذا المقدار احتملتم عبثا ؟ ان كان عبثا فالذيمنحكم الروح ، ويعمل قوات فيكم اباعمال الناموس ام بخير الايمان» (غلاطية 3 : 1 — 5).

وهكذا اوقف بولس مؤمني غلاطية كمتهمين امام محكمة ضمائرهم ، وقام يستجوبهم وحاول ان يوقفهم عن السير في طريقهم . فإذ كان الرسول معتمداعلى قدرة اللهعلى ان يخلص ، واذ رفض الاعتراف بتعاليم المعلمين المرتدين ، فقد حاول ان يرى أولئك المهتدين انه قد غرر بهم وخدعوا خداعا مشينا ، وانهم برجوعهم الى ايمانهم الاول بالانجيليمكنهم ان يحبطوا مقاصد الشيطان. وقد ثبت في موقفه الى جانب الحق والبر . كما اعان ايمانه العظيم وثقته في الرسالة التي كان يحملها كثيرون ممكن خذلهم ايمانهم في الرجوع الى ولائهم للمخلص .

ماكان ابعد الفرق بين ما كتبه بولس الى كنيسة كورنثوس ، وبين هذاالمسلك الذي سلكه حيال اهل غلاطية ؟ لقد كان توبيخه لأهل كورنثوس ممتزجا [347] بالحيطة والرقة، اما توبيخه لأهل غلاطية فكان قاسيا لايعرف الرحمة . ان الكورنثيين كانوا قد انهزموا اما التجربة . فإذ انخدعوا بالمغالطة البارعة التي أبداها المعلمون في تقديم الضلالات في زي الحق ، فقد تحيروا وارتبكوا وذهلوا . فلكي يعلمهم التمييز بين الزائف والحقيقي فقد كان محتاجا الى الحذر والصبر . فلو أبدى بولس فظاظة او تسرعا غير حكيم لكان قد اضاع تأثيره على كثيرين ممن تاق لمساعدتهم.

اما في كنائس غلاطية فقد احتل الضلال العلني السافر مكان رسالة الانجيلفالمسيح الذي هو الاساس الحقيقي للايمان نبذ في الواقع واستبدل بالطقوس اليهودية العقيمة الميتة. وقد رأى الرسولانه لكي ينجو المؤمنون في غلاطية من المؤثرات الخطرة المحدقة بهم كان لابد له من ان يتخذ اقوى الاجراءات االحاسمة ويقدم اليهم اقسى الانذارات.

ثمة درس هام ينبغي لكل خادم للمسيح ان يتعلمهالا وهو ان يوفق بين خدماته وبين حالة الذين يقصد ان يفيدهم. فالرقة والصبر والتصميم والثباتكلها لازمة ولكن هذهيجب التدربعليها بالتمييز والحصافةاللائقة .فالتصرف الحكيم مع الناس ذوي العقليات المختلفة وفي ظروف وأحوال مختلفة هو عمل يتطلب حكمة وتمييزا مستنيرين ومقدسين بروح الله.

وفي رسالته الى مؤمني غلاطية استعرض الرسول باختصار الحوادث الهامةالمتصلة باهتدائه واختباره المسيحي الاول. وبهذه الوسيلة حاول ان يبرهن انه امكنه ان يرى ويفهم حقائق الانجيل العظيمة عن طريق اعلان خاص لقدرة الله . وعن طريقالتعليمالذي تلقاه من اله رأسا جعل بولس ينذرويوصي اهل غلاطية بمثل تلك الكيفية الخطيرة الايجابية الجازمة. وقد كتب لابتردد او [348] شك ، بل بيقين واقتناع ثابت ومعرفة تامة . فبكل وضوح لخص الفرق بين ان يكون الانسان متعلما من الناس وبين ان يكون قد تلقى تعليمه من المسيح مباشرة .

وقد الح الرسول على الغلاطيين ا ن يتركواالمرشدين الكذبة الذين اضولهم ويعدود الى الايمان الذي كان مصحوبا ببراهين لاتخطئ على مصادقة الله عليه .فالذين حاولوا ان يبعدومهم عن اعتقادهم في الانجيل كانوا مرائين وقلوبهم نحسة وحياتهم فاسدة . وكان ديانتهم تنحصر في طقوس لاتنتهي حلقاتها واكنوا ينتظرون بواسطة ممارستها ان يظفروا برضى الله . لم يكونوا يحبون الانجيل الذي كان يتطلب الطاعة للكلمة الالهية القائلة : «ان كان احد لايولد منفوق لايقدر ان يرى ملكوت الله» (يوحنا 3:3). وقد احسوا ان ديانة مبنية على مثل هذه القعيدة تتطلب تضحية عظيمة جدا . فكانوا وهم متشبثون بضلالاتهميخدعون انفسهم والآخرين .

ان استبدال قداسة القلب والحياة بطقوس الديانة الخارجية لايزال الان مهبجا للطبيعة غير المتجددة كما كان في ايام معلمي اليهود .وفي هذه الايام ، كما في العصور القديمة ، يوجد مشردون روحيون كذبة يستمع لتعاليمهم كثيرون من الناس بكل شوق وشغف . انه مسعى الشيطانالمدروس ان يحول عقول الناس عن رجاء الخلاصبالايمان بالمسيح والطاعة لشريعة الله . وفي كل عصر يوفق العدو الاعظم تجاربه لتكون منطبقة على شكوك او تعصب او ميول الذين يحاول تضليلهم ففي العصر الرسولي جعل اليهود يمجدون الشريعة الطقسية ويرفضون المسيح . وفي الوقت الراهن يخدع كثيرين من المعترفين بالمسيحية بحجة اكرام المسيح ليحتقروا الناموس الادبي ويعلموا الناس انه يمكن التعدي على وصاياه دون [349] ان يلحق الانسان أي قصاص . انه من واجب كل خادم لله ان يصمد بكل ثبات واصرار اما مفسدي الايمان أولئك ، وبكلمة الحق يشهر بضلالاتهم بلاخوفان بولسفي محاولته ان يستعيد ثقة اخوته في غلاطية زكى ، بكل براعة ، مركزه كرسول للمسيح . وقد اعلن عن نفسه بانه رسول : «لامن الناس ولا بانسان ، بل بيسوع المسيح والله الآبالذي اقامهمن الاموت» (غلاطية 1 : 1). فقد اخذ توفوضيه لا من الناس بل من

قبل اسمى سلطة في السماء . وقد اعترف المجمع العام في اورشليم بمركزه ، بما في ذلك القرارات التي اطاعها بولس كل خدماته بين الامم.

لقد قدم بولس البرهان على انه «لم ينقص شيئا عن فائقي الرسل» (2 كورنثوس 11: 5). ردا على أولئك الذين كانوا ينكرون عليه مرسليته ، وقد فعل ذلك لاليمجد ذاته بل ليمجد نعمة الله . فالذين حاولوا تحقير دعوته وعمله انما كانو يشنون الحرب ضد المسيح الذي ظهرت نعمته وقدرته من خلال بولس . وقد اطر الرسول ، بسبب مقاومة اعدائه ، ان يقف موقفا حاسما لتثبيت مركزه وسلطانه .

وقد توسل بولس الى الذين عرفوافي حياتهم قبلا قوة الله ، ان يعودوا الىمحبتهم الاولى لحق الانجيل . فبحجج لاتقبل جدا وضع امامهم امتياز كونهم قد صارو رجالا ونساؤا احرارا في المسحي الذي عن طريق نعمته المكفرة يتسربل كل من يخضعون له خضوعا تاما بثوب بره .لقد اتخذ المركز الذي مؤداه انكل نفس تريد الخلاص ينبغي ان يكون لها اختبار حقيقي شخصي في امور الله . ولم تكن اقوال الرسولوتوسلاته الحارة بلا ثمر . فلقد عمل الروح بقوة عظيمة ، وكثيرون ممكن ضلت اقدامهم في طرق وشعاب غريبة عادوا الى [350] ايمانهم الاول بالانجيل . ومنذ ذلك الحين ظلوا ثابتين في الحرية التي قد حررهم المسيح بها . وقد ظهرت في حياتهم ثمار الروح —«محبة فرح سلام ،طول اناة لطف صلاح ، ايمان وداعة تعفف» (غلاطية 5 : 22 ، 23). وقد تمجد اسم الله وكثيرون انضموا الىجماعات المؤمنين في كل ذلك الاقليم . [351]

الفصل السابع والثلاثون

سفر بولس الى اورشليم لآخر مرة

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في اعمال20 : 4- 21 : 16)

كان بولس مشتاقا جدا للوصول الى اورشليم قبل عيد الفصح ، اذ كان يمكنه حينئذ ان يجد فرصة فيها يلتقى بمن كانوا يفدون من جميع انحاء لحضور العيد . وكانوا يرجوا دائما ان يتمكن بطريقة ما ان يستخدمه الله في ازالة تعصب مواطنيه غير المؤمنين على الامر ينتهي بهم الى قبول نور الانجيلالثمين . كما كان يرغب ايضا ان يجتمع بأعضاء الكنيسة في اورشليم ويحمل اليهم العطاياالمرسلة من قبل كنائس الامم الى الاخوة الفقراءفي اليهودية . وكان يرجوا ان يوجد بهذه الزيارة وحدة وثيقة بين المهتدين الى الايمان من اليهودوالامم.

فبعدما اكمل عمه في كورنثوس قرر ان يبحر مباشرة الى احدى الموانئ الواقعة على ساحل فلسطين . فعملت كل الترتيبات ، وكان هو مزمعا ان يدخل السفينة واذا به يسمع نبأ مؤامرة دبرها اليهود لاغتياله. لقد اخفق مقاومو الايمان هؤلاء فيما مضى في كل محاولاتهم لأن يضعوا نهاية لعمل الرسول .

ان النجاح الذي رافق الكرازة بالانجيل أثار غضب اليهود من جديد. ومنكل الاقطار وصلتهم تقارير عن انتشار التعليم الجديد الذي بموجبه تحرر اليهود [352] من حفظ فرائض الناموس الطقسي وسمح للأمم بالتمتع بامتيازات مساويةاليهود باعتبارهم اولا ابراهيم. ان بولساذ كان يكرز في كورنثوس قدم الحجج نفسها التي شدد عليها بكل قوة في رسائله . وان بيانه القاطع ا لقائل: «ليس يوناني ويهودي خيان وغرلة» (كولوسي 3 :11). كان معتبرا في نظر اعدائه تجديفا جرئيا ، فصمموا على اسكات صوته.

فاذا بلغ بولس نبأ الانذار بالمؤامرة، عزم ان يسلك طريقا يدور حول مكدونية . وكان عليه ان يتخلى ان خطته في الوصول الى اورشليم في وقت اقامة خدمات الفصح ، الا انه كان يرجوا ان يكون هناك في يوم الخمسين .

كان رفقاء بولس ولوقا ، «سوباترس البيري ، ومن اهل تسالونيكي : ارستخرخس وسكوندس وغايوس الدربي وتيموثاوس . ومن اهل اسيا .: تيخيكس وتروفيمس» (أعمال وكان بولس يحمل معه مبلغاطائلا من المال من كنائس الامم وقصد ان يسلمه للاخوة المسؤوليين عن العمل في اليهودية، وهذا السببرتب ان يرافقه الى اورشليم هؤلاء الاخوة كنواب او ممثلين .

وقد تأخر بولس في فيلبي لإحياءالفصح . ولم يبق معه غير لوقا ، اما مرافقوه الباقون عبروا الى تراوس لينتظروه هناك. كان الفيلبيون أعظيم المهتدين على يدي الرسول من حيث أمانتهم وخلوص قلبهم. وفي مدة ثمانية ايام العيد استمتع معهمبفرصة شركة سلمية سعيدة.

وبعدما اقلع بولس ولوقا منفيلبي وصلا الى رفقائهما في تراوس بعد ذلك بحمسة ايام. وقد لبثوا مع المؤمنين في تلك المدينة سبعة ايام.

وفي آخر ليلة قضاها الرسول هناك «كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزا». وان حقيقة كون معلمهم الحبيبكان مزمعا ان يرحل عنهم ، جذبت [353] الى ذلك المكان جمعا كبيرا من الاخوة اكثر من المعتاد.

وكانوا مجتمعين في (العلية) في الطبقة الثالثة . وهناك كرز الرسول الى نصف الليل بمحبته الغيورة وجزعه عليهم.

وقد جلس في احدى طاعات تلك العلية شاب يدعى افتيخوس . واذ كان في ذلك الوضع الخطر غلبه النوم فسقط الى اسفل . فساد الذعر والارتباك على الجميع في الحال . وقد حمل ذلك الشاب ميتا واجتمع حاوله كثيرون صارخين ونائحين.ولكن بولس اذ شق لنفسه طريقا بين تلك الجماعة المرتعبة اعتنقهوقدم صلاة حارة حتى يعيدالله الحياة لذلك الميت. وقد اجيبت طلبته. وفوق اصوات النوح والعويل سمع صوت بولس الرسوليقول : «لاتضطربوا لأن نفسه فيه» (أعمال 20 : 7 8 10). فعاد المؤمنون بفرح للاجتماع في العلية . وقد اشتركوا في المائدة . ثم «تكلم (بولس)كثيرا الى الفرج» (عدد 11).

اما السفينة التي كان بولس ورفاقه مزمعين ان يواصلو السفر فيها فكانت مزمعة ان تقلع ، فاسرع الاخوة بالنزول فيها . ومع ذلك فإن الرسول نفسه اختار السير في الطريق البري الأقرب مابين تراوس وأسوس ، على ان يجتمع برفاقه في مدينة أسوس . وهذا أتاح له وقتا قصيرا للتأمل والصلاة . كانت المشقات والمخاطر المتصلة بزيارته القادمة لأورشليم ، وموقف الكنيسة هناك حياله وحيال عمله وكذلك حالة الكنائس ومصالح عمل الانجيل في الحقول الاخرى هي الموضوعات التي كان يفكر فيها تفكيرا جادا وجزعا .وقد استفاد من هذه الفرصة الخاصة ليطلبمن الله القوة والارشاد .

واذا ابحر المسابفرون جنوبا من اسوس تجاوزوا مدينة افسس التي ظلت مسرحا لخدمات الرسول امدا طويلا .إ وكانالرسول يتوق جدا لزيارة الكنيسة هناك لانه كان لديه تعاليم وتوجهيات ونصائح قيدمها لهم . ولكن بعد التأمل [354] والتفكير عول على مواصلة سفر «لانه كان يسرع حتى اذا امكنه يكون في اورشليم في يوم الخمسين» (عدد 16). ومع ذلك فعند وصوله الى ميليتس التي تبعد عن افسس بحوالي ثلاثين ميلا ،علم انه قد يمكنه الاتصالبالكنيسة قبل اقلاع السفينة. ففي الحال بعث برسالة الى الشيوخ يشدد عليهم في الاسراع الى ميليتس لعله يراهم قبل استئناف سفرته .

وقد أتوا استجابة لدعوته فخطابهم بكلام الانذار والوداع القوي المؤثرفقال : «انتم تعلمون من اول يوم دخلت اسيا ، كيف كنت معكم كل الزمان، اخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة ، وبتجارب اصابتني بمكايد اليهود . كيف لم أوخر شيئا من الفوائدالا واخبرتكم وعلمتكم به جهرا وفي كل بيت شاهدا لليهود واليونانيين بالتوبة الى الله والايمان الذي بربنا يسوع المسيح» (اعمال 20 : 18- 21)ز

كان بولس دائمايعظم شريعة الله ويمجهدا . وقد برهنانه لاتوجد في الناموس قوة لتخليص الناس من قصاص العصيان . فعلى فاعلي الشر ان يتوبوا عن خطاياهم ويتذللوا امام الله اذ جلبوا على انفسهم غضبه العادل بكسرهم شريعته ، وعليهم ايضا ان يمارسو بدم المسيح باعتباره وسيلتهم الوحيدة للغفران . لقد مات ابن الله ذبيحةلأجلهم وصعد الى السماء ليمثل اما الآب كشفيع لهم . فبالتوبة والايمان يمكنهم ان يتحرروا من دينونة الخطية ، ومن ثمفبنعمة المسيح يستطيعون ان يقدموا طاعتهم لشريعة الله .

ثم استطرد بولس يقول : «والان ها أنا اذهب الى اورشليم مقيدا بالروح ، لاأعلم ماذايصادفني هناك. غير ان الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلا : ان وثقا وشدائد تنتظرني . ولكنني لست احتسب لشيئ، ولانفسي ثمينة [355] عندي ، حتى اتمم بفرح سعيي والخدمة التي اخذتها من الرب يسوع ، لأشد ببشارة نعمة الله . والان ها انا اعلم انكم لاترون وجهي ايضا ، انتم جميعا الذين مررت بينكم كارزا بملكوت الله» (أعمال 20 :22 — 25).

لم يكن بولس يقصد ان يقدم هذه الشهادة ولكن فيما كان يتكلم حل عليه روح الالهام مثبتا مخاوفه من ان هذا آخر لقاء له مع الاخوة في افسس.

ثم ثال : «لذلك اشهدكم اليوم هذا اني بريئمن دم الجميع ، لأني لم أخر ان اخبركم بكل مشورة الله» (

أعمال20 : 26 ، 27). لم يكن ممكنا ان يمنع الخوف بولس من استيائهم ، او الرغبة في التحبب اليهم او الظفر باستحسانهم ، لو يمتنع عن النطقبالكلام الذي أعطاه الله لتعليمهم وانذارهم او تقويمهم . والله يطلب من خدامه في هذه الايام ان يكرزوا بالانجيل بكل شجاعه وبلا خوف ويعملوا بوصاياه وفرائضه . ينبغي لخادم المسيح الا يقدم للناس حقائق المستساغة لهم والمسرة فقط ثم يحجز عنهم الحقائقالاخرى التي قد تؤلم مشاعرهم. عليه ان يراقب تطور الخلق بجزع عميق . فإذ رأى بعضا من قطيعة يحتضونون الخطية فعليه كراع امين ان يقدم لهم من كلمة الله التعليم الذي يناسب حالتهم . فاذا سمح لهم ان يسيروا بدون انذار وهمواثقون في انفسهم فسيكون مسؤولا عن نفوسهم. فالراعي الذي يتمم مأموريته السامية ينبغي له ان يقدم لشعبه تعليما امينا بالنسبة لكل مواد الايمان المسيحيمبينالهم مايجب ان يكونوا ويفعلوا لكي يقفوا كاملين وبلا لوم في يوم الله . لايمكن لغير معلم الحق ان يقول في ختام خدمته مع بولس : «أني بريئ من دم الجميع» .

ثم جعل الرسول يحذر اخوته قائلا : «احترزوا اذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها اساقفة ،لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (اعمال 20 : 28). لو كان خدام الانجيل يذكرون دائما انهم انما يتعاملون مع [356] مقتني دم المسيح لكان يوجد عندهم احساس اعمق بأهمية عملهم . عليهم ان يحترزوا لأنفسهم ولرعيتهم . ان مثالهم يشرح تعليمهم ويكسبه قوة . وعلى اعتبار انهم ملعموا طريق الحياة. فينبغي الا يعطوا الفرصة لأحد كي يفتري على الحق او يتحدث عنه بالسوء . وكنواب عن المسيح عليهم ان يحتفظوا بكرامة اسم هز وبتكريسهم وطهارة حياتهم وسيرتهم المقدسة عليهم ان يبرهنوا انهم اهل لدعوتهم العليا .

ان المخاطر التي كانت مزمعة ان تنقض على كنيسة افسس كشفت للرسول فقال: «لاني اعلم هذا انه بعد ذاهبي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لاتشفق على الرعية . ومنكم انتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ ورائهم» (أعمال 20 : 29 ، 30). لقد ارتعب الرسول خواف على الكنيسة ، حيث ان وهو يحدق في المستقبل رأى الهجمات التي لابد ستلاقاها من الاعداء في الخارج وفي الداخل. فبغيرة مقدسة امر اخوته ان يحرصوا على الوديعة المقدسة المسلمة اليهم بكل يقضة . وقد ضرب مثلا لذلك موجها انظارهم الى خدماته بينهم بلا كلل فقال : «‘لذلك اسهروا ، متذكرين اني ثلاث سنين لسلا ونهارا ، لم افتر عن ان انذر بمدوع كل واحد» (اعمال 20 : 31).

ثم استطرد يقول : «والان استودعكم ياخوتي لله ولكلمة نعمته ، القادرة ان تبنيكم وتعطيكم ميراثا مع جميع المقدسين . فضة او ذهب او لباس احد لم اشته» كان بعض الاخوة في افسس قوما اغنياء ولكن الرسول بولس لم يسع ابدا للحصول على فائدة شخصية منهم . فلم يكن ضمن برنامجرسالته ان يوجه الانظار الى احتياجاته . فقد اعلن قائلا : «ان حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان». ففي غمرة اعماله الشاقة وسفراته الطويلة لاجل عمل المسيح كان قادرالاعلى خدمة وتلبية احتياجاته وحدها ولكنه استطاع ان يوفر [357] شيئا لاعالة زملائه في العمل وتلبية اعواز الفقراء الذين يستحقون المساعدة . زلم يستطع ان يتمم كل هذا الا باجتهاده المتواصل واقتصاده الحريص . فحق له ان يشير الى مثاله فيقول : «في كل شيئ أريتكم انه هكذا ينبغي انكم تتعبون وتعضدون الضعفاء ، متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط العطاء اكثر من الاخذ»

«ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى . وكان بكاء عظيم من الجميع ، ووقعوا على عنق بولس يقبولنه. موتجعين ، ولاسيما من الكلمة التي قالها : انهم لن يروا وجهه ايضا ، ثم شيعوه الى السفينة» (اعمال 20 : 32-38).

ومن ميليتس اقلع المسافرون «بالاستقامة الى كوس ن وفي اليوم التالي الى رودس ، ومن هناك الى باترا» على الشاطئ الجنوبي الغربي من اسيا الصغرى ، وهناك : «فإذا وجدنا سفينة عبارة فينيقية صعدنا

اليها واقلعنا» (أعمال 21: 1، 2). وفي صور حيث كان لابد ان تضع السفينة وسقها ، وجدوا تلاميذ قليلين وسمح لهم بالبقاء معهم سبعة ايام. وبواسطة الروح القدس انذر هؤلاء التلاميذ بالمخاطر التي تنتظر بولس في أورشليم : «وكانوا يقولون لبولسبالروح ان لايصعد الى اورشليم» ولكن الرسول لم يسمح للخوف من التجارب والبلايا والسجن ان يحوله عن غرضه (عدد 4).

وفي نهاية الاسبوع الذي قضوه في صور توجه ، مع بولس ، كل الاخوة مع نسائهم واطفالهم الى السفينة ، وقبل صعوده الى السفينة ، جثوا على الشاطئ حيث صلى بولس لأجلهم وصلو هم لأجله .

واذ تابعوا سيرهم الى الجنوب وصل المسافرون الى قيصرية «ودخلوا بيت فيلبس المبشر ، اذ كان واحدا من السبعة واقامو عنده» (عدد 8). وهنا قضى [358] بولس اياما قليلة كانت ايام هدوء وسعادة — آخر ايام الحرية التامة التي تمتع بها قبل انقضاء فترة اخرى طويلة.

واذ كان بولس ماكثا في قيصرية ، «انتحدر من اليهودية نبي اسمه اغابوس» ثم يقول لوقا ايضا : «فجاء الينا ، واخذ منطقة بولس ، وربط يدي نفسه ورجليه وقال هذا يقوله الروح القدس. الرجال الذي له هذه المنطقة ، هكذا سيربطه اليهود في اورشليم ويسلمونه الى ايدي الامم».

ثم يستطرد لوقا فيقول : «فلما سمعنا هذا طلبنا اليه نحن والذين من المكان ان لايصعد الى اورشليم» (عدد 10 - 12) ولكن بولس لم يرد ان ينحرف عن طريق الواجب . فكان يريد ان يتبع المسيح حتى الى السجن والموت اذ لزم الامر . فصاح فيهم قائلا: «ماذا تفعلون ؟ تبكون وتكسرون قلبي ن لأني مستعد ليس ان اربط فقط، بل ان اموت ايضا في اورشليم لأجل اسم الرب يسوع» (عدد 13). فإذ رأوا انهم يسببون له الما دون ان يغيروا ماعزم عليه ، كف الاخوة عن الالحاح عليه قائلين فقط: «لتكن مشيئة الرب» (عدد14).

وقد انتهى وقت مكوثهم القصير في قيصرية سريعا . فبدأ بولس والذين معه في السفر الى اورشليم وقد صحبهم بعض الاخوة. وكانت قلوبهم مكتنفة بشعور داخلي بخطر وشر قادمين .

لم يسبق لبوس الرسول ان اقترب من قبل من اورشليم لقلب حزين كما كانت الحال في تلك المرة . لقد عرف انه سيجد اصدقاء قليلين واعداء كثيرين . كان يقترب من المدينة التيقد رفضت ابن الله وقتلته ، والتي بدأت تنعقد الان في سمائها تهديدات الغضب الالهى. واذ ذكر الروسل كم كان تعصبهم مرا ضد اتباع المسيح ، احس بعمق عطف على مواطنيه المخدوعين. ومع ذلك فماكان اقل أمله في ان يكون قادرا على مساعدتهم، [359] فنفس الغضب الاعمى الذي كان قبلا يضطرم في قلبه كان يضطرم ضده في قلوب امة بجملتها بقوة لايمكن وصفها .

ولم يكن يعول على عطف وتعضيد يأتيه حتى من اخوته في الايمان . واليهود غير المهتدين الذي كانوا يتعقبونه عن قرب لم يكونوا متباطئين في اذاعة أردأ الشائعات عنه في اورشليم بالكلام وبالرسائل، فيشوشون افكار الناس عنه وعن عمله ، وحتى بعض من الرسل والمشايخ استقبلوا تلك الشائعات على انه حقيقية ، ولم يحاولوا ان ينقضوها ولا أظهروا رغبة في التوفيق بينهم وبينه .

ومع ذلك ففي وسط كل هذه المفشلات لم يكن الرسول يائسا . فقد كان واثقا من ان الصوت الذي خاطب قلبه سيخاطب ايضا قلوب بني امته ، وان السيد الذي كان اخوته التلاميذ يحبونه ويخدمونه سيوحد بين قلوبهم وقلبه في عمل الانجيل . [360] [361]

الفصل الثامن والثلاثون

بولس يؤخذ اسيرا

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال21 : 17 -23: 35)

«ولما وصلنا الى اورشليم قبلنا الاخوة بفرح . وفي الغد دخل بولس معنا الى يعقوب ، وحضر جميع المشايخ» (أعمال21 : 17 ، 18).

في هذه المرة قدم بولس ورفاقه رسميا الى المشايخ المناظرين على العمل في اورشليم العطايا التي ارسلتها كنائس الامم لإعالة الفقراء بين الاخوة في اليهودية . ان جمع هذه التبرعات قد كلفالرسول وزملاءه وقتا طويلا وتفكيرا جزعا وجهدا وتعبا جسمانيا . ان هذا المبلغمن المالالذي فاق كل انتظارات المشايخ في اورشليم كان رمزا لتضحيات كثيرة وحتى لحرمان شديد وقاس من جانب المؤمنين من الامم .

فهذه العطايا التطوعية انبأت عن ولاء المهتدين من الامم لعمل الله المنظم في ارجاء العالم. وكان ينبغي ان يقبله الجميع معبرن عن شكرهم وامتنانهم. ومع ذلك فقد ظهر لبولس ورفاقه أنه حتى بين هؤلاء الذين كانواواقفين امامهم وجد قوما كانو عاجزين عن تقدير روح المحبة الاخوية التي دفعت أولئك الناس لتقديم تلك العطايا . [362]

في اثناء السنوات الاولى لعمل الانجيل بين الامم وجد بين الاخوة المتقديم في اورشليم جماعة كانوا متعلقين بالتعصب القديم والعدات الموروثة، هؤلاء لم يتعاونو تعاونا قلبيا مع بولس ورفاقه. ففي اهتمامهم الدقيق بحفظ فرائض وطقوس لامعنى لها غابت عن أنظارهم البركة التي كان يمكن ان تأتيهم وتأتي الى عمل الانجيل الذي قد احبوه وذلك عن طريق توحيد كل اجزاء عمل الرب معا . ومع رغبتهم في حراسة افضل لصالح الكنيسة المسيحة فقد اخفقوا في مسيارة عناية الله التقدمية . وفي حكمتهم البشرية حاولوا ان يفرضوا على الخدام كثيرا من الفيود التي لالزوم لها . وهكذا قامت جماعة من الناس الذين لم يكونوا يعرفون ، معرفة شخصية ، شيئاعن تطورات الظروف والحاجات الخاصة التي كان يواجهها الخدام في الحقول البعيد ة، ومع ذلك اصروا على ان لهم السلطان لتوجيه اخوتهم في هذه القحول ليتبعوا وسائلمحددة للعمل . فقد احسوا كما لو انه عمل الكرازة بالانجيل ينبغي القيام به بحيث يكون متفقا مع ارائهم .

كانت قد مرت بضعسنوات منذ تأمل الاخوة في اورشليم مع ممثليهم من الكنائيس الرئيسة الاخرى ، تأملا جديافي المشكلة المحيرة التي ظهرت عن الوسائل التي كان يتبعها من كانوا يخدمون بين الامم . كان من نتائج ذلك المجمع ان الاخوة اتحدوا معا في وضع توصيات محددة للكنائس عن بعض الطقوس والعادات بما فيها الختان. وفي ذل المجمع العام اتحد الاخوة ايضا في مدح برنابا وبلوس لدى الكنائس المسيحية على انهما خادمات يستحقان ثقة كل مؤمن كاملة .

وكان بين الحاضرين في ذلك الاجتماع قوم كانوا ينتقدون بكل مرارة وسائل العمل التي كان يتبعها الرسل الذين اضطلعو بالعبء الاكبر للكرازة بالانجيل في العالم الاممي . ولكن في اثناءالمجمع اتعتب افاق تفكيرهم عن مقاصد الله واتحدوا مع اخوتهم في وضع قرارات حكيمة كفلت امكانية توحيد هيئة المؤمنين جميعا . [363]

وبعد ذلك ، عندما ظهر جليا ان المهتدين من الامم قد تكاثر عددهم بسرعة ، كان يوجد قليلون من اكابر الاخوة في اورشليم الذين عادو من جديد يتشبثون بتعصبهم السابق ضد وسائل بولس ورفاقه . وقد ازدادت شدة هذه التعصبات بمرور السنين الى ان قرر بعض القادة ان عمل الكرازة بالانجيل يجب ان يسير منذ الان بما يتفق مع آرائهم. فذ جعل بولس وسائله تتفق مع بعض الخطط التي كانوا يدافعون عنها فسيعترفون بعمله ويعضدونه ، والا فإنهم لن يعودوا ينظرون الى ذلك العمل نظرة الرضى او يعضدونه.

لقد غابت عن انظار هؤلاء الناس حقيقة كون اللههو معلم شعبه ،وان على كل خدام في عمله ان يحصل على اختبار فردي في اتباع القائد الالهي ، والا ينظر الى البشر للحصول على التوجيه المباشر ، اون خدامه يجب ان يصاغوا ويشكلوا الا في قالب آراء الانسان بل في القالب الالهي.

ان الرسول بولس في خدمته علم الناس لا «بكلام الحكمة الانسانية المقنع ، بل ببرهان الروح والقوة» ان الحقائق التي كرز بها اعلنت له بالروح القدس : «لأن الروح يفحص كل شيئ حتى اعماق الله . لأن من من الناس يعرف امور الانسان الا روح اللانسان الي فيه ؟هكذا ايضا امور الله لايعرفها احد الا روح الله» ثم يعلن الرسول قائلا : «التي نتكلم بها ايضا ، لا بأقوال تعلمها حكمة انسانية ، بل بما يعلمه الروح القدس ، قارنين الروحيات بالروحيات » (1 كورنثوس 2 : 4 ، 10 — 13).

ان بولس في مدى سنيى خدمته كان يتطلع الى الله في انتظار الارشاد المباشر . وفي الوقت نفسه كان حريضا جدا على ان يخدم في وفاقمع قرارات مجمعوارشليم العام . وكان من نتائج ذلك ان الكنائس كانت «تتشدد في الايمان وتزداد في العدد كل يوم» (اعمال 16 : 5). والان فبرغم كون البعض لم [364] يظهروا له عطفا ، فقد وجد عزاء في الشعور بأنه قد ادرى واجبه في كونه قد عزز في نفوس المهتدين على يديه روح الولاء والكرام والمحبة الاخوية ، كما تجلت هذه الفرصة في العطايا السخية التي استطاع ان يضعها اما مشايخ اليهود .

وبعد تقديم العطايا : «طفق(بولس) يحدثهم شيئا فشيئا بكل مافعله الله بين كل الامم بواسطةخدمته» (اعمال 21 : 19). فهذا السرد للحقائق ادخل الى اقلوب الجميع حتى من كانو متشككين ومرتابين ، الاقتاع بأن بركة السماء رافقت خدماته : «فلما سمعوا كانو يمجدون الرب» (أعمال 21: 20). لقد احسوا بأن النظم التي استخدمها الرسول في العمل كانت تحمل ختم السماء . فالعطايا الخسية الموضوعة أمامهم زادت من قوة شهادة الرسول على امانة الكنائس الجديدة المقامة بين الامم. فالرجال الذين اذ كانوا محسوبين ضمن المسؤولين عن العمل في اورشليم وألحوابوجوب اتخاذ اجراءات تعسفية للسيطرة، رأوا خدمة بولس في نورجديد ، واقتنعوا بخطأ تصرفهم وعلموا انهم كانوا مستعبدين للعادات والتقاليد اليهودية ، وان عمل الانجيل قدتعطل كثيرا لاخفاقهم في الاعتراف بأن حائط السياج بين اليهود والامم قد نقض بموت المسيح .

كان هذه هي الفرصة الذهبية لكل الاخوةالمتقديم ليعترفوا صراحة بأن قد عمل بواسطة بولس وأنهم هم في بعض الاوقات قد أخطأوا في السماح للأخبار التي أذاعها أعداءه ان تثير حسهم وتعصبهم ولكن بدلا من ان يبذلوامجهودا جماعيا لانصاف ذلك الذي قد تضرر ، قدموا له مشورة برهنت على انهم لايزالون يضمرون لبولس شعوربأنه يجب ان يكون هو المسئولاكثر من غيره عن التعصب السائد حينئذ . انهم لم يقفوا منه موقفانبيلا دفاعا عنه [365] محاولين ان يبينوا لجماعة الساخطين عليه اوجه خطئهم ، بل حاولوا ان يعقدوا صلحا بأن اشارو عليه باتباع خطة كانوا يرون انها كفيلة بازالة كل اسباب سوء التفاهم .

وجابا على شهادته قالو له : «انت ترى ايها الاخ كم يوجد ربوة من اليهود الذي آمنوا ، وهم جميعا غيرويون للناموس . وقد اخبرو عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الامم الارتداد ع موسى ، قائلام ان لايختتنوا اولادهم لا يسلكوا حسب العوائد. فذاماذا يكو ن؟ لابد على كل حال ان يجتمع الجمهور ، لأنهم

يسيمعون انك قد جئت. فافعل هذا الذي نقول لك عندنا اربعة رجال عليهم نذر ز خذ هؤلاء تظهر معهم وانفق عليهم يحلقوا رؤسهم ، فيعلم الجميع ان ليس شيئ مما اخبروا عنك ، بل تسلك انت ايضا حافظا للناموس . واما من جهة الذين آمنوا من الامم ، فأرسلنا نحن اليهم وحكمنا ان لايحفظوا شيئا مثل ذلك ، سوى ان يحافظوا على انفسهم مما ذبح للاصنام ، ومن الدم والمخنوق، والزا» (اعمال21"20 -25)

كان الاخوة يرجون ان يولس اذ يعمل بموجب تلك الخطة المقترحة يقدم تكذيبا حاسما للاخبار الكاذبةالتي أشيعت عنه . وقد أكدوا له بأن حكم المجمع الاول بخصوص المهتدين من الامم ، والناموس الطقسي لايزال ساريال . ولكن هذه المشورة التي قدموها له لم تكن متفقة مع ذلك القرار . ان روح الله لم يلهمهم بتقيدم تلك النصيحة لبولسولكنها كانت من ثمار الجبن . لقد علم قادة الكنيسة في وارشليم ان عدم امتثال المسيحيين للناموس الطقسييعرضهم لعداء اليهود الذين قد يوقعون عليهم الاضطهاد . لقد كان مجمع السنهدريم يبذل قصاراه لتعطيل تقدم الانجيل وانتشاره . وقد اختار هذا المجمع رجالا ليتعقبوا الرسل ن سيما بولس ، وبكل وسيلة ممكنة يقاومون عملهم . فلو حكم على [366] المؤمنين بالمسيح امام السنهدريم على انهم كاسروا الناموس ، فلا بد من ان يحلبهم قصاص سريع وصارم كمرتدين عن الايمانااليهودي .

ان كثيرين من اليهود الذين كانوا قد قبلوا الانجيلظلوا يوقرون الناموس الطقسي كانوا يرغبون اشد الرغبة في الادلاءبتصرحيات طائشة محاولينبهذه الوسيلة ان يكسبوا ثقة مواطنيهم ويلاشوا تعصبهم ويبحوهم للايمان بالمسيح كفادي العالم. وقد تحقق بولس من انه طالما ظل المتقدمون بين اعضاء كنية ورشليم يضمرون التعصب ضده فسيعملون دائما لاطال تأثيره . وقد احس انه لو امكنه بأي اذعان مقعول ان يربحهم الى جانب الحق لكان يستطيع ازاحة عقبة عظية من طريق تقدم الانجيل ونجاحه في اماكن اخرى . ولكن الله لم يخول له ان يذعن بقدر ما أرادوا .

اننا عندما نفكر في رغبة بولس العظيمة في ان يكون في حالة وفاق مع اخوته ، فان عطفة تحو الضعفاء في الايمان ، واحترامه للسل الذين كانو مع المسيح ، وليعقوب اخي الرب، وغرضه في ان يكون كل شيئ لجميع الناس على قدراستطاعته دون ان يضحي بمبادئه- عندما نفكر في هذا كله ، فإنه لم يكن امرا مستغربا جدا ان امكن الزامه بالانحراف عن الطريق الثابت الحاسم الذي ابتعه الى ذلك الحي ن. ولكن بدلا من تحقيق الغرض المشتهى ، فان محاولاته لأجل التوفيق عجلت بالكارثة ، وبوقع الآلام التي قد أنبئ بها والتي عملت بالنتيجة على التفريق بنيه وبين اخوته ،وحرمت الكنيسة من احد اقوى اعمتدها ، وملأت قلوبكثيرين من المسيحينن بالحزن في كل البلدان.

وفي اليوم التالي بدأ بولس في العمل بمشورة الشيوخ . فالرجال اربعة كان عليهم نذر كانت قد انهت مدته تقريبا ، اخذهم بولس ودخل فيهم الهكيل [367]

«مخبرا بكمال ايام التطهير ن الى ان يقرب عن كل واحد منهم القربان» (اعمال 21: 26). وكان لابدمن تقديم ذبائح غالية عنهم (انظر سفر العدد 6).

ان الذين نصحوا لبولس باتخاذ هذه الخطوة لم يقدروا تماما الخطر العظيم الطي سيعترض له نتيجة لذلك. ففي ذلك العيد امتلأت اورشليم بالعابدين من بلدان كثيرة . فإذ حمل بولس الانجيل الى الامم اتماما للتفويض المعطى لهم الله فقد زار كثيرا من اعظم مدن العالم وكان معروفا لدى آلاف ممكن قد أتوا من بلاد اجنية لاحياء العيد في اورشليم . وبين هؤلاء وجد رجال امتلأت قلوبهم بالعداوة المرة ضد بولس. فكونه يدخل الهيكل في ذلك العيد العالم يعني انه كان يخاطر بحياته . ولمدى عدة ايام جعل يدخل ويخرج بين العابدين ، وكان يبدوا كأن احدا لم يلاحظه. ولكن قبل انتهاء فترة النذر المحددة ، اذ كان يتحدث مع الكاهن عن الذبائح المطلوب تقديمها ، عرفه بعض اليهود القادمين من آسيا .

فباهتياج كاهتياج الشياطين هجوا عليه صارخين : «أيها الرجال الاسرائيليون ، اعينوا هذا هو الرجال الذي يعلم الجميع في كل مكان ضدا للشعب والناموس وهذا الموضع» (أغمال28:21). واذ استجاب الشعب للدعوة في طلب المعونة اضيفت تهمة اخرى مؤداها : «حتى ادخليونانييون ايضا الى الهيكل ودنس هذاالموضع المقدس» (عدد28).

وكان الشريعة اليهودية تعتبر دخول أي شخص اغلف الى اروقة الهيكل الداخلية المقدسة، جريمة قصاصها الموت. واكن بولس قد رئي من قبل اورشليم في حصبة تروفيمس الافسسي فظنوا ان قد ادخله الى الهيكل . ولكنه لم يفعل هذا ، واذا كان هو نفسه يهوديا فان دخوله الهيكل لم يكن معتبرا انتهاكا للشريعة . ولكن مع ان التهمة كلها كانت كاذبة فقد كانت كفية بإثارة تصعب الشعب . واذا انتشرت تلك الصرحة وتناقلتها الافواه في اروقة الهيكل ثارت [368] ثائرةتلك الجماهير . المجتمعة هناك. وبسرعة عظيمة انتشر البخر في كل اورشليم: «فهاجت المدينة كلها ، وتراكض الشعب» (اعمال21: 30)

ان الاشاعة القائلة بأن انسان مرتدا عن اسرائيل تجرأ على تتجيس الهيكل في الوقت نفسه الذي فيه احتشدت هناك آلاف من كل انحاف العالم لتسجد ، اثارت اعنف احاسيسالغضب في قلوبالرعاع : «وامسكوا بولس وجروه خارجالهيكل. وللوقت اغلقت الابواب»

«وبينما هم يطلبون ان يقتلوه ، نما خبر الى امير الكتيبة ان اورشليم كلها قد اضطربت». لقد عرف كلوديوس ليسياس جديا عناصر الاضطراب و الاهتياج التي كان عليه ان يتعامل معها : «فللوقت اخذ عسكرا وقواد مئاي وركض اليهم . فملا رأوا الاميروالعسكركفوا عن ضرب بولس» (اعمال 21 : 30 — 32). فإذ كانالقائد الروماني يجهل اسباب ذلك الشغب ،واذ رأى غضب الشعب موجها كله ضد بولس ، استنتج انه لابد ان يكون ثائرامصريا كان قد سمع بخبره ولم يتمكناد من القبض عليه بعد. ولذلك : «امر ان يقيد بسلسلتين ، وطفق يستخبر : ترى من يكون ؟ وماذا فعل ؟» ففي الحال ارتفعت اصوات الاتهام العالية الغاضبية : «وكان البعض يصرخونبشيئ والبعض بشيئ آخر في الجمع .ولما لم يقدر ان يعلم اليقين لسبب الشغب ، امر ان يذهب به الى المعسكر . ولما صار على الدرج اتفق انالعسكر حملة بسبب عنق الجمع ، لأنجمهور الشعب كانوا يتبعونه صارخين خذه» (أعمال21 : 33 -36).

ففي وسط ذلك الشغب كان الرسول هادئا وضابطا لنفسه . كان عقله مثبتافي الله وعرفان ملائكة السماء يعسكرون حوله . وقد احس ان ه لاريد ان يترك الهيكل دون ان يبذل مجهودااليكرز بالحق امام مواطنيه . واذ كان موشكا ان [369] يؤخذ الى المعسكر قال للأمير : «ايجوز لي ان اقول لك شيئا ؟» فأجابه ليسياس : «اتعرف اليونانية ؟ افلست انت المصري الذي صنع قبل هذه الايام فتنة ، واخرج الى البرية اربعة الالاف الرجل من القتلة ؟» فأجابة بولس بقوله ك«انا رجل يهودي طرسوسي ، من اهل مدينة غير دنية من كيليليكة ، والتمس منك ان تأذي لي ان اكلم الشعب» (عدد 37 -39).

وقد اجيب الى طلبه حيئنذ : «وقف بولس على الدرج واشار بيده الى الشعب» ان اشارهيده استرعت انتباههم بينما هيئته أوجبت علليهم الاحترام : «فصار سكو تعظيم . فنادى باللغة العبرانية قائلا اهيا الرجال الاخوة والاباء ، اسمعوا احتجاي الان لديكم»فإذ سمعوه يخاطبهم لبغتهم العربانية المألوفة : «اعطوا سكوتا أحرى» ففي وسط طلك السكون الشامل راح يقول : «انا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموي الابوي . وكنت غيورا لله كما انتم جميعكم اليوم» (أعمال 21 : 40 ، 22 ،: 1 -3). ولم يكن لأحد ان ينكر بيانات الرسول حيث ان الحقائق التي اشار اليها كانت معرفوة لدىكثيرين ممن كانوا لايزالون احياء في اورشليم . ثم تحدث عن غيرته الاولىفي اضطهاد تلاميذ المسيح حتى الموت وقص عليهم ظروف اهتدائه مخبرا اياهم كيف خضع قلبه المتكبر للناصري المصلوب . فلو انه حاول الاشتباك في جدال مع خصومع ارفضوا بكل عناد الاصغاءالى اقواله ولكن القصة أوردهامن واقع اختباره كانت مصحوبة بوقة اقناع بدا انها قد ألانت

وأخضعت قلوبهم في ذلك الحين .

وقد حاول بعد ذلك ان يبرهن ان خدمته بين الامم لم يسرع فيها باختياره. فقد كان يرغب ان يخدم بين امته ولكن في نفس اذلك الهيكل كلمه الله بصوته في رؤيا مقدمسة موجها ومحدددا الطريق الذي يسكله : «الى الامم بعيدا». [370]

إلى هنا اصغى الشعب بانتباه عظيم، ولكن عندما وصل بولس الى ذلك الحد من تاريخه خيث اقيم سفيراللمسيح بين الامم ، ثار ثائرهم من جديد. فإذ كان اليهود قد اصطلحوا على ان ينظروا الى انفسهم بوصفهم الشعب الوحيد المنعم عليه من الله ، لم يرغبوا في السماح للأمم المحتقرين بمقاسمتهم في الامتسازات التي كانت الى ذلك الحين تعتبر مقتصرة عليهم . فإذ رفعوا اصوالتهم فوق صوت ذلك الحطيب صاحول قائلين: «خذ مثل هذ من الارض ، لأنه كان لايجوز ان يعيش».

«واذ كانوا يصيحون ويطرخون ثيباهم ويرمون غبارا الى الو ، امر الامير ان يذهب بهالى المعسكر ، قائلا ان يفحص بضربات ليعلم لأي سببكانوا يصرخون عليه هكذا».

«فلما مدوه للسياط ، قال بولس للقياد المئة الواقف ايجوز لكم ان تجلدوا انسان رومانيا غير مقضي عليه ؟ فاذا سمع قائد المئة ذهب الى الامر ، واخبره قائلا انظر ماذا انت مزمع ان تفعل لأن هذا الرجال رومانيي فجاء الامر وقال له قل لي أنت روماني ؟ فقال نعم. فأجاب الأميرأما انا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعية . فقال بولس اما انا فقد ولدت فيها . وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين ان يفحصوه. واختشى الامير لما علم انه روماني ولأنه قد قيده».

«وفي الغد اذ كان يريد ان يعلم اليقين : لماذا يشتكي اليهود عليه ؟ حله من الرباط ، وامر ان يحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم . فأحضر بولس وأقامه لديهم» (أعمال22 : 21 -30).

كان الرسول مزمعا ان يحاكم الآن أمام المحكمة نفسها التي كان هو أحد أعضائها قبل اهتدائه . فإذ وقف أمام رؤساء اليهود كانت هيئته هيئة الهدوء [371] وتجلى على وجهه سلام المسيح : «فتفرس .. في المجمع وقال ايها الرجال الاخوى، انيبكل مضير صالح قد عشب لله الى هذا اليوم) . فذا سمعوا هذا القول اشتعلت في قلوبهم نار العداوة من جديد : «فأمر حنانيا رئيس الكهنة ، الواقفين عنده ان يضربوه علىفمه). فأمام هذا الامر القاسي صاح بولس قائلا: «يضربك الله أهيا الحائط المبيض أفأنت جالس تحكم على حسب الناموس، وانت تامر بضربي مخالف للناموس ؟ فقال والقفون : (اتشتم رئيس كهنة الله ؟) فببشاسته المعتادة اجاب بولس قائلا: «لم اكن اعرف ايها لاخوة انه رئيس كهنة ، لانه مكتوب : رئيس شعبك لاتقبل فيه سوءا à .

«ولما علم بولس ان قسما منهم صدوقيون والاخر فريسيون ، صرخ في المجمع ايها الرجال الاخوة ، انا فريسي ابن فريسي ، على رجاء قيامة الاموت انا احاكم»

«ولما قال هذا حديث منازعة بين الفريسيين والصدويقيي، وانشقت الجماعة لأن الصدوقيين يقولون انه ليس قيامةولا ملاك ولا روح ، اما الفريسون فيقرون بكل ذلك» . فبتدأ الحزبان يخاصم اخدهما الآخر وهكذا خفت حدة مقاومتهم لبولس «ونهص كتبة قسم الفريسيين وطفقوا يخاصمون قائلين : «لسنانجد شيئا رديا في هذا الانسان ، وان كان روح او ملاك قد كلمهفلانحاربنالله» (اعمال23 :1 — 9).

ففي التشويش الذي حدث عقب ذلك ، حاول الصدوقيون بكل شوق وهلفة ان يقبضوا على الرسول حتى يقتلون ن اما الفريسيون فتاقوا بهلفة مماثلة الى حمياته . فإذ «اختشى الامير ان يفسخو بولس ، فأمر العسكر ان ينزلواويختطفوامن وسطهم ويأتو به الى المعسكر» (أعمال23 : 10). وبعد ذلك اذ كان يتأمل في تلك الاختبارات القاسية التي وقعت له في ذلك اليوم ، ابتدا بولس [372] يخشى لئلا يكون تصرفه غير مرضي امام الله . ايمكن ان يكون قد أخطا أخيرا اذ زار أورشليم ؟ فهل رغبته الحارة في الانضمام الى

اخوته هي التي ادت الى هذه النتيجة المشؤومة ؟

ان ذلك الدور الذي لعبه اليهود المدعين انهم شعب الله المختار امام العالم العديم الايمان ، سبب لنفس الرسول حزناوالما شديدين . فكيف ينظر اليهم اولئك الضباط الوثنيون ؟اذ يدعون بأنهم يعبدو الله ويشغلون وظيفة مقدسة ومع ذليسمولن انهم لتحكم الغضب الاعمى غير المعقول فيهم وفي تصرفاتهم ويحاولن اهلاك حتى اخوتهم الذي نيتجرأون على مخالفتهمفي العقيدة الدينية ، ويحولون مجلسهم المقدس الوقور الةى مشهد من مشاهد النزاع والتشويش الجنوي . لقد احس بولس ان اسم الهه قد لحقه العار في نظر أولئك الوثنيين .

اما الآن فقد القى به في السجن وقد عرف نا أعداءه في خبثهم وحقدهم المتهور سيلجأونالى أية وسيلة ليقضوا عليه . فهل حقا انهت خدمته للكنائس، وهل يتدخلها الآن الذئاب الخطافة ؟ كان عمل المسيح محبوبوا جدا لقلب بولس، وكان يفكرفي المخاطر المحدقة بالكنائس المبغثرة هنا وهناك بجزع عميق ، تلك الكنائس التي كانت محرضة لاضطهاد انس كالذين اصطدم بهم في مجمع السنهدريم . ففي ضيقه وخوفه بكى وصلى .

ولكن في ساعة الظلمة تلك لم يكن الرب غافلا عن خادمه. لقد حرسه من ذلك الجمع سفاك الدماء في اروقة الهيكل ، واكن معه وهو ماثل أمام جمع السنهدريم ، واكن معه في القلعة ، وقد اعلن نفسه لشهاده الأمين اجابة لصوات الرسول الجادة في طلب الارشاد: «وفي اللية التالية وقف به الرب وقال : ثق [373] يابولس لأنك كما شهدت بما يلي في اورشليم ، هكذا ينبغي ان تشهد فيرومية ايضا» (أعمال23 ، 11).

كان بولس يتطلع طويلاالى الامام مشتاقا لزيارة روما . وكان يرغب جدا في ان يشهد للمسيح هناك ، ولكنه احس بأن مقاصده احبطا عداوة اليهود. ولم يكن يتوقع حتى ذلك الحين بأنه سيذهب الى هناك اسيرا .

وفيما كان الرب يشجع خادمه ، فإن أعداء بولس كانوا يتأمرون عليه متلهفين على اهلاكه . «ولما صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقا ، وحرموا انفسهم قائلين : انهم لايألكون ولاشربون حتى يقتلوا بولس . وكان الذين صنعوا هذا التحالف اكثر من اربعين» (أعمال23 : 12 ،13). هنا نجد صوما شبيها بذالك الذي قد دانه الله بفم اشعياء — صوما «للخصومة والنزاع تصومون ، ولتضربوا بلكمة الشر» (أشعياء57 : 4).

فأولئك المتآمرون : «فتقدموا الى رؤساء الكهنة والشيوخ وقالو قد حرمنا انفسنا حرما ان لانذوق شيئا حتى نقبل بولس . والآن اعلماو الامر انتم مع المجمع لكي ينزله اليكم غدا ، كأنكم مزمعون ان تفحصوابأكثر تدقيق عما له ونحن ، قبل ان يقترب ، مستعدون لقتله» (أعمال23 : 14 ، 15).

ان الكهنة والشيوخ بدلامن ان يوبخوا اولئك الرجال على هذ ه المكيدة القاسية وافقوا عليها بلهفة. انبولس قال الصدق عندما شبه حنانيا بالقبر المبيض .

الا ان الله تدخل لانقاذ حياة خادمه . ذلكا ابن اخت بولس اذ سمع «بالكمين» الذي نصبه أولئك السفاحون«جاء ودخل المعسكر وأخبر بولس فاستعدى بولس واحدامن قواد المئاب وقال اذهب بهذا الشابالى الامير ، لأن عنده شيئا يخبره به . فـأخذه وأحضره الى الامير وقال استدعاني الاسير [374] بولس وطلب ان احضر هذا الشاب اليك ، وهو عنده شيئ ليقوله لك» (اعمال23 : 16 — 18).

وقد استقبلكلوديون ليسياس الشاببكل رفق ، واذ تنحى به سأله : «ماهو الذي عندك لتخبرني به ؟» فأجابه الشاب قائلا : «ان اليهود تعاهدو ان يطلبو منك ان تنزل بولس غدا الى المجمع ، كأنهم مزمعون ان يستخبرونا عنه بأكثر تدقيق . فلا تنقد اليهم ، لان اكثر من اربعين رجلا منهم كامنون له ، قد حرموا انفسهم ان لايألكوا ولا يشربوا حتى يقتلوه .وهم الآن مستعدون منتظرون الوعد منك». «فأطلق الامير

الشاب موصيا اياه ان لاتقل لأحد انك اعلمتني بهذا» (أعمال23 : 19 -22).

ففي احال قرر ليسياس ان ينقل بولسمن دائرة اختصاصه الى دائرة اختصاص فيكلس الوالي . كان اليهود كشعب في حالةاهتياج وانفعال وكانوا كثيرا ميحدثون الشغب .ووجود الرسول في اورشليم بشكل دائما قد يؤدي الى نتائج خطرة على المدين ةروبما للوالينفسه ولذلك: «دعا اثنين من قواد المئاب وقال أعدا مئتي عسكري ليذهبوا الى قيثرية ، وسبعين فارسا ومئتي رامح ، من الساعة الثالةث من الليل . ان يقدما دواب ليركبا بولس ويوصلاه سالما الى فيكلس الوالي» (أعمال23 : 23 ، 24).

لم يكن هنالك وقت يضيعونه في ترحيل بولس : «فالعسكر أخذوا بولس كم امروا ، وذهبوا به ليلا الى انتيباتريس» (عدد31). ومن هناك سار الفرسان بالاسير الى قيصيرية ، بينما عاد الاربعمائة عسكري الى اورشليم .

وقد سلم قائد الكتيبة المسؤال أسيرة الى فيكلس كما سلمه ايضا رسالةاعطاه اياها الامير وفيها يقول : «كلوديوس ليسياس ، يهدى سلاما الى [375] العزيز فيكلس الوالي. هذا الرجللما امسكه اليهود وكانوا مزمعين ان يقتلوه ، اقلبت مع العسكر وأنقذته ، اذ اخبرت انه روماني . زكنت اريد ان اعلم العلة التي لأجلها كانو يشتكون عليه ، فأنزلته الى مجمعهم، فوجدته مشكوا عليه من جهة مسائل ناموسهم. ولكن شكوى تستحق الموت او القيود لم تكن عليه. ثم لما اعلمت بمكيدة عتيدة ان تصير على الرجال من اليهود ، ارسلته للوقت اليك ، آمرا المشتكين ايضا نا يقولون لديك ماعليه . كن معافى» (أعمال23: 26 -30).

ولما قرأ فيلكس الرسالة سألالى اية ولاية ينتهمي الاسير وعندما قبل له ان ه من كيكلية قال : «ساسمعك متى حضر المشتكون عليك ايضا . وأمر ان يحرس في قصر هيرودس» (عدد35).

ان قضية بولس لم تكن هي الاولى التي وجد فيها خادمالله ملجأ وملاذا عند الوثنيين يحميه من خبث من يقولونانهم شعب الله المختار . ان اليهود اهتاجهم ضد بولساضاوفا جريمة جديدةالى تلك القائمة السوداء التي اشتهت ربها تاريخ ذلك الشعب . لقد ظلوا يقسون قلوبهم ضد الحق وبذلك صارت دينوتهم أكيدة وهلاكهم محتوما .

قليلون هم الذين يتحققون من المعنى الكامل اللكلام الذي نطق به المسيحالذي اذا كانفي مجمع الناصرة اعلن عن نفسه ان المسيا. وقد اعلن ان ارسل ليعزي ويبارك الويخلص المحزونين والخطاة ، وحينئذ اذ رأى الكبرياء وعدم الايمان قد سيطرا على قلوب سامعيه ، ذكرهم ان الله في العصور القديمة تحول عن شعبه المختار بسبب عدم ايمانهم وتمردهم ، واعلن نفسه لبعضمن كانوا من البلدان الوثنية ممن لم يكونواقد رفضوا نور السماء . افارملة صرفة ونعمان السرياني [376] عاشا بموجب كل النور المعطى لهماولهذا فقد حسبا اكثر برا من شعب الله المختار الذين قد ارتدوا عنه وضحوا بالمبادئ طلبا للراحة والكرامة الدنيوية .

وقد نطق المسيحفي مسامع اليهود في الناصرة بحق مخيفعندما اعلن لهم ان رسول الله الامين لايجد لنفسه امانا في ربع اسرائيل المرتد . لم يريدوا ن يعرفوا قدره ا وان يقدرو خدماته . وفي حين كا رؤساء اليهود يتشدقون بغيرتهم العظيمة على كرامة الله وخيراسرائيل ، كانوا اعداء لكليهما . فأبقواالهم ومثالهم كاناو يبعدون الشعب عن الطاعة الله شيئا فشيئا- كانوا يبعدونهم الى المكان الذي لم يكن لله ان يكون ملجأ لهم في يوم الضيق .

إن كلامالتوبيخ الذي وجهه المخلص الى شعب الناصرة كان ، في قضية بولس ، منطبقا لا على اليهود غير المؤمنين وحدهم ،بل على اخوته في الايمان انفسهم. فلو ان قادة الكنيسة تنازلو كليا عن احساسهم بالمرارة نحو الرسول ، وقبلوه باعتباره قد دعي دعوة خاصة من ليحمل الانجيل الى الامم ، لكن الرب قد ابقاه لهم. ولم يكن الله قد قرر ان تنتهي خدمات بولس هكذا سريعا ، ولكنه لم يجر معجزة ليبطل

ويوقف تتابع الاحداث والظروف التي أوجدها مسلك قادة كنيسة أورشليم

ونفس هذه الروح لاتزال تؤدي الى نفس انتائج . فاعمال تقدير معونة النعمة الالهية واهما ل استخدما حسنا ، جرد الكنيسة ورحمها من بركات كثيرة. كم من المرات كان الله يريد ان يطيل خدمات احد الخدام الامنياء لو ان الناس قدروها حق قدرها . ولكناذا كانت الكنيسة تسيمح لأعداء النفوسبأن يفسدوا الاذهان بحيث يشوهون ويحرفون اقوال خادم المسيح وافعاله، واذا سمحوا لأنفهسم بأن يعرتضوا طريقه ويعطلوا نفعه، فالرب أحيانايحرمهم من البركة التي منحهم اياها . [377]

ان الشيطان دائب على العمل بواسطة اعوانه في تثبيط عزائهم أولئك قد اصطفاهم الله لانجاز عمل عظيم صالح ، واهلاكهم ان امكن . قد يكونون مستعيدن للتحضية حتى بالحياة نفسها في سبيل نجاح وتقدم ملكوت الله وعمل المسيح، ومع ذلك فإن المحتال الاعظم يقترح على اخوتهم ان يشكوا فيهم،تلك الشكوك التي لو ابقوا عيها فستقوض الثقة في نزاهتهم واستقامة اخلاقهم، وهكذا يعرقلون نفسهم. وكثيرا ماينجح في ان يجلب عليهم ، عن طريق اخوتهم ، احزانا قلبية عظيمة بحيث يتدخل الله في رحمته ليعطي راحة لخدامه المضطهدين . وعندما تطةى يدا خادم الله المحتضر على صدره العديم الحياة ، ويصمت صوت الانذار والتشجيع حينئذ يستيقظ المتجرو القولب ليروا ويقدرو البكرات التي طرحوها بعيدا عنهم . فدق يكون موت خدما الله أولئك متمما لما عجزت حياتهم عن تحقيقه. [378] [379]

الفصل التاسع والثلاثون

المحاكمة في قيصرية

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في الاصحاح الرابع والعشرين من سفر الاعمال).

بعد وصول بولس الى قيصرية بخمسة ايام ، جاء المشتكون عليه من اورشليم وكان يصحبهم خطيب استخدموه ليكون مشيرا لهم واسمه ترتلس. وقد سمح بسماع القضية حالا . وأتى ببولس ليمثل امام ذلك الجمع. ثم «ابتدأ ترتلس في الشكاية» . واذ حسب ذلك الخطيب المحتالان الاطراء والتملق يكون لهما تأثير افعل في الحاكم الروماني من ايراد بيانات الحق والعدالة بدأ خطابه بامتداخ فيكلس فقال : «اننا حاصلون بواسطة على سلام جزيل ، وقد صارت لهذه الامة مصالح بتدبيرك . فنقبل ذلك ايها العزيز فيلكس بكل شكر في كل زمان وكل مكان» (عدد 2، 3).

نرى ترتلس هنا ينحدر الى الكذب الوقح لأن اخلاق فيكلس كانت منحطة وحقيرة . لقد قيل عنه انه : «في ممارسة كل انواع الشهوات والقوسة كانت له قوة ملك وطبع عبد» «تاريخ تاسيتوس ، الفصل الخامس والفقرة التاسعة». والذين استمعوا لخطاب ترتلس عرفوا ان كلمات المداهنة التي نطق بها كانت كاذبة ن ولكن رغبتهم في ادانة بولس كانت اقوى من حبهم للحق . [380]

وقد اتهم ترتلس بولس في خطابة بجرائم لو ثبت صدقها لنتج عن ذلك ادانته بالخيانةالعظمى ضد الحكومة . فقد اعلن الخطيب قائلا: «وجدنا هذا الرجال مفسدا ومهيج فتنة جميع اليهود الذين في المسكونة ، ومقدام شيعةالناصين ، وقد شرع ان ينجس الهيكل ايضا» (عدد 5، 6). وحينئذ ابان ترتل سان ليسياس ، امير الكتيبة التي في اورشليم ، اخذ بولسبعنف شديد من أيدياليهود عندما كانوا مزمعين ان يحكموا عليه بموجب شريعتهم الروحية ، وبذلك ارغمهم على رفع القضية لفيكلس. وقد ادلى بهذه البينات لحمل الواليعلى تسلمي بولس الى المحكمة اليهودية. وقد وافق اليهود الحاضروون في دار القضاء على هذه التهم كلها بحماس شديد، وبذلوا جهدا كبيرا لاخفاء عداوتهم للاسير .

كان فيكلس يتمتع بقدر كبير من الذكاء لمعرفة ميول المشتكين على بولس واخلاقهم. لقد عرف الباعث الذي جعلهم يتزلفون اليه ويتملقونه ، كما رأىايضا انهم اعجواز عن اظهار صدق التهمالتي قدموها ضد بولس . واذ التفت في المتهم أومأ اليه ان يجاوب عن نفسه . ولم يضيع بولس وقته في كلام الميد ، انما ابنافقط بأنه يمكنه ان يحتج ويدافع عن نفسه بسرور اشد اما فيكلس مادام انه كان لسنين كثيرة قاض للامة ، وصار يدرك ادراكاصحيحا كنه قوانين اليهود وعاداتهم. واذ اشارو بولس الى التهم الموجهةضده، برهن بكل جلاء على انه ولا واحدة منها صادقة . وقد صرح بأنه لم يحدث أي اضطراب ولا صنع تجمعا في أي قسم من اورشليم ولا نجس الهيكل : «ولم يجدوني في الهيكل احاج احداالو اصنع تجمعا من الشعب ، ولا في المجامعولا في المدينة. ولايستطيعون ان يثبتوا مايشتكون به الان علي» (عدد 12، 13).

وفي حين انه اعترف انه حسب الطريق الذي يقولو له شيعة) هكذا عبد اله آبائه ، فقد اكد انه كان دائمايؤمن :- «بكل ماهو مكتوب في الناموس والانبياء» [381] وانه وفقا ملا جاء في تعليم الكتب

المقدسة الواضحة ، كان يؤمن بقيامة الاموات . وبعد ذلك اعلن ان القصد الاوحد في حياته هو ان «يكون لي دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله و الناس» (عدد 1416)

وبطريقة صريحة صادقة مستقيمة اعلن الغرض من زيارته لأورشليم ، وظروف القبض عليه ومحاكمته فقال : «وبعد سنين كثيرة جئت اصنع صدقات لأمتي وقرابين . وفي ذلك وجدني متطهرا في الهيكل ، ليس مع جمع و لا مع شغب ، ثوم هم يهود من أسيا ، كان ينبغي ان يحضروا لديك ويشتكوا ، ان كان لهم على شي. او ليقل هؤلاء انفسهم ماذا وجدو في من الذنب وانا قائم اما المجمع ، الا امن جهة هذا القول الواحد الذي صرخت به واقفا بينهم : اني من اجل قيامة الاموت احاكم منكم اليوم»(عدد 17 — 21).

كان الرسول يتكلم بغيرة واخلاص ظاهرين وكان لكلامه قوة اقناع عظيمة. هذا وان كلوديوس ليسياس قدم في رسالته الى فيكلس شهادة مشابهة لهذه عن تصرفات بولس . فضلا عن هذا فإن فيلكسنفسه كانت له دراية بالديانة اليهودية اكثر مما ظن كثيرونز ثم ان طريقة بولس الواضحة في تبيانه لحقائق القضية اعانت فيكلي لكي يدرك بوضوح اشد البواعث التي كانت مسيطرة على اليهود في محاولتهم اثبات التهمةعلى الرسول بأنه مثير فتنة وخائن للوطن. ولم ينصع الوالي اليهم او ياحول ارضائهم بالحكم ظلما على مواطن روماني ، ولاسلمه الى ايدهم لينفذوا فيه حكم الموت بدون محاكمة عادلة. ومع ذلك فان فيلكس لم يعرف باعثاث امسى من مصلحته الشخصية ، واكن يسيطر عليه حب المديح ورغبته في الترقي . ثم ان خوفهمن اغضاب اليهود منه من انصاف انسان ، علم انه بريئ ، انصافا [382] كاملا ولذلك . قرر ارجاء المحاكمة حتى يأتي ليسياس : «متى انحدر ليسياس الامر افحص عن اموركم» (عدد 22).

وقد ظل الرسول سجينا ، الا ان فيلك سامر قائد المئة المكلف بحراسة بولس : «وتكون له رخصة (حرية) وان لايمنع احدا من اصحابه ان يخدمه او يأتي اليه» (عدد 23).

وبعد ذلك بقليلارسل فيكلس ودروسلا امرأته يستدعيان بولس، حتى يسمعان مه في مقابلة خاصة «عن الايمان بالمسيح» كانا يرغبان ويتوقان لسماع هذه الحقائق الجديدة- الحقائق التي قد لايسمعانها مرة اخرى ، والتي رفضاها ستكون شاهدا عليهما في يوم الله.

وقد اعتبر بولس هذه المناسبةفرصة مقدمة له من الله ، فأحسن استخدامها بكل أمانة. لقد عرف انه ماثل في حضرة انسان له السلطان كي يقضي عليه بالموت او طلقه حرا . ومع ذلك فهو لم يخاطب فيلكسودروسلا بألفاظ الميح او التملق . فقد علم ان كلامه يكون بالنسبة لهما اما راحئة حياة او موت ، فاذ نسى كل الاعتبارات الذاتية ـ حاول ايقاظهما للشعور بخطرهما .

ايقن الرسول ان الانجيل واجب عل ىكل من يصغي الى اقواله . وان الناس سيقفون يوما اما حول العرش العظيم الابيض مع القديسينالاطهار ، او مع أولئك الذين سيقول المسيح لهم : «اذهوبا عني يافاعلي الاثم» (ممتى 7 : 23). وقد عرف انه لابد انيلتقي مع كل واحد من سامعيه امام محكمة السماء ، وان عليه ان يقدم هناك حسابا ، ليس فقط عن كل ماقال وفعل ، بل ايضا عن الدافع والروح الذي كان وراء اقوالهوافعاله . [383]

كان مسلك فيكلس عنيفا وقاسياجدا لحي ثان قليلين جدا تجرأوا من قبل حتى على الاعياز له بأن أخلاقه وتصرفاته لم تكن معصومة من الخطأ . ولكن بولس لم يكن يخئى بأس انسان. فبكل صراحة جاهر بايمانه بالمسيح، واسباب ذلك الايمان، وهكذا ارشده الله لأن يتحدثبنوع خاص عن تلك الفضائل الجوهرية في الخلق المسيحي ، والتي كان ذانك الزوجان المتغطرسان اللذان وقف أمامهما ، مجردين منها ومحرومين من امتلاكها الى حد مخجل جدا .

وقد أوضح بولس لفيلكس ودروسلا صفات الله — البر والعدل والانصافوطبيعة شريعته. وقد أبان

بكل جلاء انه يجب على الانسان ان يحيا حياة الصحو و التعقلوالتعفف ضابطا شهواته بضابط العقل امتثالا لشريعة الله وحاظفا قوى جسمه وعقل ه في حالة الصحة. ثم اعلن انه لابد من مجئ يوم الدينونة ، مافي ذلك شك، وفيه يدان الناس بحسب ماصنعو في الجسد ،وحيث سيعلن بكل وضوح ان الثروة والمركز او الالقاب القوة لها لتكسب الانسان رضى الله ، ا وان تنقذ من قصاص خطيته وعواقبها الوخيمة. وقال ايضا ان هذه الحياةان هي الا الفرصة المقدمة للانسان ليتأهب للحياة العتيدة . لو اهمل الفرص والامتيازات الحاضرة، فسيخسر خسارة ابدية ولن تعطى له فرصى امهال جديدة

وقد اسهب بولسفي كاللام بوجه خاص عن مطاليب شريعة الله البعيدة المدى , ثقد ابان كيف انها تمتد الى اغوار خفاياطبيعة الانسان الادبية وتلقى فيضا من النور على ماقد اخلفي عن عيون الناس وعلمهم. فما تفعله اليدان او ينطق به اللسان- وماتكشف عنه الحياة الخارجية- انما يكشف بكيفية ناقصة صفات الانسان الادبية. ان الشريعة تفحص افكاره وبواعثه ومقاصده. [384] فالانفعالات المظلمة التي يتكم في الداخل بعيدا عن عيون الناس ، والحسد والغيرة والبغضة والشهوة والطمع والطموح الدنيوي والاعامل الشريرة التي يفكر فيها الانسان في مخادع النفس الخقية المظلمة والتي لت تخرج الى حيز التنفيذ لعدم وجود فرصة ـــ كل هذا تدينه شريعة الله.

وقد حاول بولس ان يوجه تكفير ذينك السامعين الى الذبيحة الوحيدة العظيمة المقدمة عن الخطية. لقد اشار الى الذبائح التي كانت رمزا لاشياء عتيدة افضل ، وحينئذ قدم لهام المسيح بوصفه الشخص الذي كانت ترمزاليخ طل تلك الطقوس / الهدف الذي كانت تشير اليه بوصفهه نبع الحياة والرجاء الوحيد للانسان الساقط. لقد خلص القديسون قديما بالايمان بدم المسيح . فإذ كانوا يشاهدون آلام النزع التي كانت تقاسيها تلك الذبائح الكفارية ، تطلعوا عبرة هوة الاجيال الىححمل الله الذي كان مزعا ان يرفع خطية العالم.

ان لله الحق ان يطلب من خلائقه ان يحبوه ويطيعون . لقد قدم لهم في شريعته مثالا كاملا للحق والصواب. ولكن كثيرين ينسون صانعهم ويفضلون اتباعطريقتهم في مقاومة مشيئته. انه ميقابولن بالعداء محبته التي هي عالية علو السماء ومتسعة كااتساع المسكونة . ان اللهلايمكن ان يخفضمن مطاليب شريعته لكي تتساوى مع مقياس الناس الاشرار ، ولايستطيع االانسان بقوته ان يتمم مطاليب الشريعة. انما فقط بالايمان بالمسيح يستطيع الخاطئ ان يتطهر من اثمه ويستطيع ان يقدم الطاعة لشريعة خالقه .

وهكذا قدم بولس ، السجين ، مطاليب شريعة الله لليهود والام، وقدم يسوع الناصري المحتقر كابن الله وفادي العالم.

لقد فهمت تلك الاميرة اليهودية جيدا الصفة المقدسة لتلك الشريعة التي قد تعدت عليها بغير استحياء ، ولكن تعصبها ضد رجال الجلجلثة قسى قلبها حتى لا [385]

يتأثر بكلمة الحياة. اما فيلكس فلم يكن قد سمع الحق من قبل ، فإذ صوب روح الله سهام التبكيت الى قلبه، تاثر تأثرا عميقا واهتاجت نفسه.. فإذ استيقظ الضمير عنئد ، احس فيلك سان كلام بولس صادق. وقد عادت به الذكرىالى ماضيه وجرائمه التي ارتكبها فيه . وبوضوح مرعب اصطفت امامه خافايا حياته الماضية حياة الخلاقعة وسفك الدماء، وسجل حياته الاسود الذي دونته حياته في نسه اللاحقة . وقد رأى نفسه ان امتلأت بمثل ذلك الرعب . ان الفكر بأنكل خفايا حياته ، حياة الشر والاجرام كانت مكشوفة اما عيني الله ، وانه لادبان يدان بحسب أعماله ، كل ذلك جعله يرتجف من هول الرعب.

ولكن بدلا من ان يسمح لقناعاته ان تسوقه الى التوبة ، حاولة ان يطرد عنه هذه الافكار المزعجة. لقد انهى تلك المقابلة مع بولس بقولهله : «أما الان فاذهب ، ومتى حصلت على وقت استدعيك» (عدد 25).

مابعد الفرق بين تصرف فيكلس هذا وبين تصرف سجان فيلبي ، لقد اتي بخادمي الرب مقيدين الى

السجان كما أتي ببولس الى فيكلس . ان البرهان الذي قدامه على أنهما كانا مسنودين بقوة الهية، وتهليلهما وتسبيحهما وهما يقاسيان الآلام والعار، وشجاعتهما عندما كانت الارض تترنح بتأثيرهزة الزلزلة ، وروح الغفرن الشبيه بروح المسيح الذي أظهراه ، كل ذلك ادخلالتبكيت الى قلب السجان ، وفيما كان مرتعبا اعترف بخطاياه فوجد غفرانا . اما فيكلسفمع كونه ارتعب فإنه لم يتب . لقد رحبالسجان بروح الله بفرح ليدخل الى قلبه وبيته ،اما فيكلس بأمر الرسول الالهي بالانصراف .واحد منهما اختار يصير ابنا لله ووارثا للسماء ، واما الاخر فـألقى نصيبه مع فعلة الاثم. [386]

ولمدة سنتين لم يتخذ أي اجراء ضد بولس ومع ذلك فقد ظل سجينا . وقد زاره فيكلس مرار واصغى الى اقواله بكل انتباه ولكن الدافع الحقيقي لتودده الظاهر للأسير كان حبه للمال ، وقد قال انه لو دفع بولس مبلغا كبيرا من المال فيمكن ان يطلق سراحه . ومع ذلك فإن طبيعة الرسول كان ت من النبل بحيث رفض ان يطلق سراحه في مقابل رشوة. ان لم يركتب أي جرم ولم يرد ان ينحدر ليرتكب اثما حتى يخرج حرا . وفضلا عن ذلكفقد كان هو نفسه فقيرا لا يمكل الفدية المطلوبة لو انه اراد دفع الفدي ة، ولم يرد ان يلجأ الىعطف اخوتهالمهتدين وسخائهم لاجل نفسه . ثم انه كان يحس بأنه بين يدي الله ولذلك لم يرد ان يتدخل في مقاصد الله لأجله.

اخيرا استدعي فيلكس الى روما بسبب مظالم كثيرة ارتكبها ضد اليهود. فقبلما ترك قيصرية ليجيب على امر استدعائه كمتهم ، فكر في «ان يودع اليهود منة» (عدد27). بأن يترك بولس سجينا . ولكن فيلكس لم يفلح في محاولته ان يستعيد ثقة اليهود . وقد عزل من وظيفته مجللا بالعار وعين بورك كيوس فستسو ليخلفه واكن مركز ادارته في قيصرية .

لقد نزلت شعاع من نور السماء لتنير طريق فيلكسعندما كان بولس يحاجه عن البر والتعفف والدينونة العتيدة. تلك كانت الفرصة المقدمة له من السماء ليرى خطاياه ويتركها . ولكننه قال لرسول الله : (انا الان فاذهب ، ومتى حصلت على وقت استدعيتك). لقد استهان بآخر هبة رحمة قدمت له. ولم تقدم له دعوة أخرى من الله بعد ذلك . [387]

الفصل الاربعون

بولس يرفع دعواه الى قيصر

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال25 : 1 — 12)

«فلما قدم فستوس الى الولاية صعد بعد ثلاثة ايام من قيصرية الى اورشليم فعرض له رئيس الكهنة ووجوه اليهود ضد بولس ، والتمسو منه طالبين عليه منه،ان يستحضره اورشليم» (عدد 1 — 3). فهم اذ قدموا هذا الالتماس قصدوا ان يترصدوا بولس في الطريق الى اورشليم ويقتلوه . ولكن فستوس كان يقدر تبعات مركزه تقديرا عظيما ، وبكل لطف رفض طلبهم . وقد اعلن قائلا: «ليس للرومانيين عادة ان يسلموا احدا للموت قل ان يكون المشكو عليه مواجهة مع المشتكين ، فيحصل على فرصة للاحتجاج عاجلا» الى قيصرية . ثم قال: «فلينزلمعي الذين هم بينكم مقتدرون . واك كان في هذا الرجال شيئ فليشتكوا عليه» (عدد4 ، 5).

ولكن مالم يريده اليهود. انهم لم ينسوا هزيمتهم السابقة في قيصرية . فعلى نقيض سلوك الرسول الهادئ وحججه القوية ، فإن روحهم الخبيثة واتهاماتهم التي لاتستند على اساس من الصحة بدت في أسوأ حالاتها . [388] وقد ألحوا مرة أخرى طالبين ان يؤتي ببولس الى اورشليم ليحاكم ، ولكن فستوس اصر على تنفيذ غرضه في محاكمة بولس محاكمة عادلة في قيصرية. ان الله في عنايته سيطر على حكم فستوسلكي تطول حياة الرسول .

فلما فشلت مكايدهم تأهب رؤساء اليهود فورا ليشهدوا ضد بولس في محكمة الوالي . فإذ عاد فستوس الى قيصرية بعدما اقام في ارشليمايام قليلة : «وفي الغد جلس على كرسي الولاية وامر ان يؤتى ببولس» «وقف حوله اليهود الذين كانوا قد انحدروا من اورشليم ، وقدمو على بولس دعاوي كثيرة وثقيلة لم يقدروا ان يبرهنوها». فإذ لم يكن معهم ماحم هذه المرة فضلوا ان يقدموا شكواهم بـأنفسهم . فلما تقدمت المحكمة في عملها برهن المتهمفي هدوء وصدق وبكل جلاء بطلان كل اتهاماتهم,.

وقد فهم فستسوس ان موضوع النزاع يتصل بجملته بالعقائد اليهودية، وان لو فهم الامر على حقيقت ه ،فإنه لاشيئ من التهم المجوهة الى بولس، حتى لم امكن اثباتها ، يمكن ان تجعله مستحقالحكم الموت او السجنزومع ذلك فقد رأى بوضوح عاصفة الضغب التي يمكن ان تثور اذا لم يحكم على بولس او يسلم الى ايديهم.: «ولكن فستوس اذ كان يريد ان يودع اليهود منة»، التفت الى بولس وسأله عما اذا كان يرغبفي الذهاب الى اورشليم تحت حمايته ليحاكم امام السنهدريم.

وقد علم الرسول انه لايمكنه ان ينتظر عدلا من أولئك الناس الذين كاناو بجرائمهم يستنزلون على انفسهم غضب الله . ولعم انه نكالنبي ايليا ، يمكنه ان يجد اما اكثر بين الوثنيين منه بين أولئك الذي قد رفضوا النور الآتي من السماء وقسوا قلوبهم ضد الانجيل . واذ كان قد تعب وضجر من المنازعات ، فإن روحه النشطة لم تعد تستطع احتمال التأخيرات المتكررة والتوقف المتعاقب المحاكمته وسجنه. ولذلك قرر ان يستخدم امتيازه كمواطن روماني لرفع دعواه الى قيصر. [389]

قال بولسجواباعلىسؤال الوالي : «انا واقف لدى كرسي ولاية قصير حيث ينبغي ان احاكم .انا لم

اظلم اليهود بشي ، كما تعلم انت ايضا جديا ، لأني ان كنت آثما او صنعت شيئا يستحق الموت ، فلست استعفي من الموت. ولكن ان لم يكن شيئ مما يشتكي على به هؤلاء ، فليس احد يستطيع ان يسلمني لهم، الى قيصر انا رافع دعواني» (عدد 10 ،11).

ولم يكن فستوسيعلم شيئا عن المؤامرات التي دبرها اليهود ضد بولسلاغتياله ، فاستغربمن انه رفع دعواه الى قيصر , ومع ذلك فان كلام الرسول وضع جدا الاجراءات المحكمة. حيئنذ تكلم فستوس مع أرباب المشورة فأجاب: «الى قيصر رفعت دعواك . الى قيصر تذهب»(عدد 12).

وهكذاحدث مرة اخرى ان خادما لله سبب الكراهية التي هي وليدة التعصب والبر الذاتي ، يظهر للالتجاءالى الوثنيين لاجل الحماية. ان هذا العداء نفسه هو الذي اجبر ايليا على الهروب الى أرملة صرفة لإعالته ، والذي ايضا أرغم الكارزين بالانجيلعلى الانصراف عن اليهود ليذيعوا بشرى الانجيل بين الأمم . وشعب الله في هذا لعصر سيواجهون هذه العداوة ذاتها ، اذ يوجد بين كثيرين من المعترفين بأنهم أتباع المسيح نفس الكبرياء والتمسك بالرسميات والطقوس والأنانية ونفس روح الاضطهاد والظلم التي كانت تحتل قلب اليهودي . وفي الازمة العظيمة التي سيجتازون فيها قريبا ، سيصطدم خدام الله بنفس قساوة اللبق ونفس الاصرار ونفس العداء الذي لايخمد ولايستكين.

فكل من يخدمون الله بلا خوف حسب املاء ضمائهم في ذلك اليوم الشرير سيكونون بحاجة الى الشجاعة والثبات ومعرفة الله ولكمته لأن من هم أمناء لله [390] سيضطهدون وسيطعن في بواعثهم ، وجهودهم ستحرف واسمهمسيخرج كشرير , والشيطان سيعمل بكل قوته الخادعة ليؤثر على القلب ويظلم الادارك ليجعلالشر يبدو خيرا والخير شرا . فكلما كان ايمان شعب الله قويا ونقيا ، ولكما كان تصميمهم على اطاعته ثابتا، كلما زاد عنف الشطيان في محاولته ان يثير ضدهم غضب أولئك الذين نفي حن أنهم يدعون بأنهم ابرار، يدوسون شريعة الله، ان الثبات على الايمان المسلم مرة للقديسينسيتطلب أثبت اتكال وأعظم بطوله في السير نحو الهدف .

ان الله يريد ان يتأهب سعبه للأزمة القادمة سريعا . ولابد ان يواجهاا الجميع سواء أكانوا متأهبين او غير متأهبين. وأولئك الذين حياتهم على وفاق مع مقاس الله هم وحدهم الذين سيثبوت في ذلك الوقت وقت الامتحان والتجربة. وعندما يتحد الحكام الدمتيويون مع خدام الدين في املاء ارادتهمفيما هو من اختصاص الضمير ، فسرى حيئنذ من همالذي يخافون الله ويخدمونه حقا . فعندما تصل الظلمة الى اشد حالا حلوكتها ، فإن نورالصفات الشبهية بصفات الله ستضيئفي ابهى لمعانها . وعندما يخذلالانسان من كل سند بشري ، فسيرى من هم الذين لهم ثقة ثابتة في الله . عندما ينتشر اعداء الحقعلى كل جانب ، ويحيططون بعبيد الرب منظرين الفرصة ليقوعوا بهم الشر ، فإن الله يحرسهم ويرعاهم بالخير . وسيكون لهم كظل صخرة عظيمة في ارض معيية. [391]

الفصل الحادي والاربعون

«بقليل تقنعني»

(يعتمد هذا الفصلعلى ماورد في أعمال25 : 13 — 27 وإصحاح 26).

كان بولس قد رفع دعواه الى قيصر فلم يسع فستوس إلا ان يرسله إلى روما . ولكن مرة بعض الوقت قبل العثور على سفينة ملائمة، وحيث ان أسرى آخرين كانوا مزمعين ان يرسلوا إلىروما مع بولس ، فإن النظر في قضاياهم أعاقتهم أيضا عن السفر . وهذا أتاح لبولس فرصة عرض فيها أمام كبار القوم في قيصرية اسباب ايمانه ، كما عرضها أيضا أمام الملك أغريباس الثاني آخر سلالة هيرودس.

«وبعدما مضت أيام أقبل أغريباس الملك وبرنيكي إلى قيصرية ليسلما على فستوس . ولما كانا يصرفان هناك أياما كثيرة، عرض فستوسعلى الملك أمر بولس ، قائلا يوجد رجل تركه فيلكسأسيرا ، وعرض لي عنه رؤساء الكهنة ومشايخ اليهود لما كنت في أورشليمطالبين حكما عليه» (أعمال25 : 13 — 15). وقد حدد الظروف التي جعلت الاسير يرفع دعواه الى قيصروتحدث عن محاكمة بولس أمامه منذ عهد قريب وقال ان اليهود لم يقدموا ضد بولس اية شكوى مما كان يظن ، بل : «مسائل من جهة ديانتهم ، وعندواحد اسمهيسوع قد مات ، وكان بولس يقول انه حي» (أعمال25 : 19). [392]

فإذا اخبر فستوس عن قصته أبدى أغريباس اهتماما وقال : «كنت أريد انا ايضا ان اسمع الرجال» فوفقا لرغبته اعد ترتيب بأن يعقد اجتماع في اليوم التالي : «ففي الغد جاء اغريباس وبرنيكي في احتفال عظيم، ودخلا الى دار الاستماع مع الامراء ورجال المدينةالمقدمين ، امر فستوس فأتي ببولس» (أعمال 25 : 23).

حاول فستوس ان يجعل من تلك الفرصة عرضا مهيبا لكي يبالغ في اكرام ضيوفه . فالحلل الغالية الثمنالتي كان يلبسها الوالي وضيوفه ، وسيوف الجند، واسلحة قادتهم اللامعة اضفت على ذلك المشهد بهاء وهيبة .

والان فها هو بولس الذي كان لايزال مقيدا ، يقف امام ذلك الجمع . فما كان أعظم الفارق بينه وبين أولئك العظماء . كان أغريباس وبرنيكييتمتعان بسلطان ومكانة عظيمين ولهذا نالا رضى العالم. ولكنهما كانا مجردين من مسحة الخق الذي يقدر الله . كانا متعديين على شريعته وفاسدين في قلبهما وحياتهما وكان تصرفهمافي نر السماء .

لم يكن في منظر ذلك الأسير الشيخ الذي قيدت يده بيد حارسه، مايسوق الناس لاكرامهاو تقديم الولاء له . ومع ذلك فإن كل السماء كانت مهتمة بهذا الرجال الذي كان يبدو أنهبلا صديق او ثروة او مركز ، وكان سجينا لأنه كان يؤمن بابن الله . كانت حاشيته من الملائكة . فلو ان احد أولئك الملائكة ظهرببهاء مجده المتألق لكان يكسف أبهة الملك وكبرياءه، ولكن الملك وندماؤه يسقطون على الأرض مصعوقين كما حدث للحراس الذين كانوا يحرسون قبر المسيح .

وقد قدم فستوس بنفسه بولس الى ذلك الجمع قائلا: «ايها الملك اغريباس والرجال الحاضرون معنا أجمعون ، انتم تنظرون هذا الذي توسل الى من [393] جهته كل جمهور اليهود في اورشليم وهنا ،

صارخين أنه لاينبغ ان يعيش بعد. واما انا فلما وجدت انه لم يفعل شيئا يستحقالموت ، وهو قد رفع دعواه الى أوغسطس ، عزت ان ارسله وليس لي شيئ يقين من جهته لأكت الى الشيد . لذلك اتيت به لديكم ، ولا سيماالديك ايها الملكاغريباس ، حتى اذا صار الفحص يكون لي شيئ لأكتب . لأني أرى حماقة ان ارسل اسيرا ولا أشير الى الدعاوي التي عليه»(أعمال25 : 24 -27).

والآن فها هو الملك أغريباس يأذن لبولس ان يتكلم عن نفسه . ولم يرتبك الرسول ولا بهرته الأبهة والمناظر المتلألئة التي كاننت أمماه او المراكز الرفيعة التي كانت لأولئك السامعين ، لأنه عرف تفاهة قيمة غنى العالم والمراكز الدنيوية السامية. لم يكن ممكنا للأبهة والسلطان الأرضيين ان يرعبا شجاعته او يسلباه قوة ضبط النفس ولو للحظة واحدة .

فهتف قائلا: «إني احسب نفسي سعيدا ايها الملك أغريباس ، اذ انا مزمع ان احتاج اليوم لديك عن كل مايحاكمني به اليهود . لاسيما وانت عالم بجميع العوائد والمسائل التي بين اليهود . لذلك التمس منك ان تسمعني بطول الأناة» (أعمال 26 : 2 ، 3).

وقد أخبرهم بولس بقصة اهتدائه من عناده وتشدده في عدم الايمان ، الى الايمان بيسوع الناصري كفادي العالم . وقد وصف لهم الرؤيا السماوية التي ملأت قلبه رعبا لايعبرعنه في بادئ الامر ، ولكنها برهنت بعد ذلك على انها نبع لأعظم عزاء ، إعلان مجد الله الذي رأى في وسطه عرشا يجلس عليه ذاك الذي كان قبللا يحتقره ويبغضه ، والذي كان يقصد ان يهلك تلاميذه وتابعيه . ومن تلك الساعة صار بولس انسانا جيددا ومؤمنا مخلصا وغيورا بيسوع وقد صار كذلك بفضل الرحمةالمغيرة المجددة . [394]

فبوضوح وقوة لخص بولس أمام اغريباس الحوادث الهامة المتعلقة بحياة المسيح على الارض . وقد شهد بأنمسيح النبوة قد ظهر في شخصيسوع الناصري . وابان كيف اعلنت اسفار العهد القديم ان المسيا مزمع ان يظهر كانسان بين الناس ، وكيف تمت في حياة يسوع كل الشروط التي اشار اليها موسى والانبياء . فلأجل فداء العالم الهالك ، احتمل ابن الله الصليب مستهينا بالخزي وصعد الى السماء ظافرا على الموت والهاوية .

وقد جعل يحتج قائلالماذا يعتبر أمرا لايصدق ان يقوم المسيح من الاموات ؟ لقد كان ذلك يبدو له امرا مستحيلا فيما مضى ، ولكن كيف له ان يشك الآن فيما قد رآه وسمعه ؟ انه رأى عند باب دمشقبكل يقين المسيح المصلوب والمقام، نفس الشخص الذي كان يذرع شوارع أورشليم ومات على صليب الجلجثة وحطم ربط الموت وصعد الى السماء . لقد رآه وتحدث معه باليقين نفسه الذي رآه وتحدث معه صفا ويعقوب ويوحنا أو أي واحد من التلاميذ الآخرين . لقد أمره ذلك الصوت ان يذيع انجيل المخلص المقام فكيف يمكنه ان يعصي ذلك الأمر ؟ وقد أذاع في دمشق وفي اورشليم وكل اليهودية وفي الاقاليم البعيدة الشهادة عن يسوع المصلوب مبرهنا لكل الطبقات «ان يتوبوا ويرجعوا الى الله عاملين اعمالاتليق بالتوبة».

ثم اعلن الرسولقائلا : «من اجل ذلك امسكني اليهود في الهيكل وشرعوا في قتلي . فإذ حصلت على معونة من الله ، بقيت الى هذا اليوم ، شاهدا للصغير والكبير . وانا لااقول شيئا غير ماتكلم الانبياء وموسى انه عتيدان يكونيؤلم المسيح ، يكن هو اول قيامة الاموات ، مزمعا ان ينادي بنور للشعب وللامم» (أعمال 26 : 21 -23). [395]

وبذهول كبير اصغى الجمع كله الى هذا الحديث الذي شرح فيه بولس اختباره العجيب . لقد اسهب الرسول في الكلام عن موضوعه المحببالى نفسه . ولم يشك في اخلاصه أي واحد من سامعيه. ولكن فيما كان محمولامن تيار فصاحته المقنعة ، قاطعه فستوس اذ صرح بصوتعظيم قائلا : «انت تهذي يابولس الكتب الكثيرة تحولك الى الهذيان» .

فأجابه الرسولقائلا : «لست أهذيأيها العزيز فستوس، بل انطق بكلمات الصدق والصحو . لأنه من جهة هذه الامور ن عالم الملك الذي اكلمه جهارا ، اذ انا لست اصدقان يخفى عليه شيئ من ذلك، لأن هذا لم يفعل في زاوية».وبعد ذلك التفت الى اغريباس وخاطبه بكلام مباشر قائلا : «أتؤمن ايها الملك اغريباس بالانبياء ؟ انا العلم انك تؤمن».

فاذا تاثر اغريباس تأثرا عميقا غاب عن ناظريه الى لحظة كل ماكان يحيط به ونسي عظمة مركزه. واذا كان شاعرا فقط بالحقائقالتي سمعها ، واذ لم يرى سوى ذلك الاسير الوضيع ماثلا امامه كسفير الله ، اجابه بانفعال لا ارادي قائلا: «بقليل تقنعني ان اصير مسيحيا» (عدد24 — 28).

فاجابهالرسول بكل غيرة واخلاص : «كنت اصلي الى الله انه بقليل وبكثير ، ليس انت فقط ، بل ايضا جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا كما اناماخلا هذه القيود» (عدد29).

كان يمكن لفستوس واغريباس وبرنيكي ان يفكوا القيود عن يدي الرسول ورجليه بموجب العدل . كان الجميع مذنبين اذا ارتكبوا جرائم هائلة . وقد سمع أولئك المذنبون هبة الخلاص تقدم لهم في ذاك اليوم باسم المسيح.وقد وجد الاقل واحد كان يقتنع بقبول النعمة ورحمة الغفران المقدمين له . ولكن اغريباس القى جانبا الرحمة المقدمة ورفض قبول صليب الفادي المصلوب . [396] لقد اشبع الملك فضوله ثم اذا نهضمن كرسيه دل بذلك على انفضاضالاجتماع . واذ تفرق ذلك الجمع جعلوا يتداولون قائلين : «ان هذا الانسان ليس يفعل شيئا يستحقالموت او القيود».

ومع ان اغريباس كان يهوديا فإنه لم يشارك الفريسيين في غيرتهم وتعصبهم الأعمى . فقال لفستوس . «كان يمكن ان يطلق هذا الانسان لو لم يكن قد رفع دعواه الى قيصر» (عدد31 ، 32). ولكن القضية قد رفعت الى تلك المحكمة العليا فصارت الآن خارجة عن دائرة اختصاص كل من فستوس واغريباس . [397]

الفصل الثاني والاربعون

السفر وانكسار السفينة

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في اعمال27 ، 28 / 1 - 10)

هاهو بولس اخيرافي طريقه الى روما . فقد كتب لوقا يقول : «فلما استقر الرأي ان نسافر في البحر الى ايطاليا ، سلموا بولس واسرى آخرين الى قائد مائة من كتيبة اوغسطس اسمه يوليوس . فصعدنا الى سفينة ادراميتينة ، وأقلعنا مزمعين ان نسافر مارين بالمواضع التي في اسيا . وكان معنا ارستخرس ، رجل مكدوني من تسالونيكي» (أعمال27 : 1 ، 2).

في القرن الاول للتاريخ المسيحي ، كان السفر بحرا مكتنابصعاب ومخاطر خاصة ، كان الملاحون الذي يمخرون عباب البحريعتمدون بالاكثر على موقع الشمي والنجوم كي يحددوا وجهتهم ويعرفوا طريقهم. فمتى احتجبت هذه وكانت الدلائل تدل على ان عاصفة ستهت ، كان اصحاب السفن يخشون من المخاطرة بالنزول بسفنهم في عرض البحر. وفي خلال بعض شهور السنة كان السفر في البحر يبدو مستحيلا.

كان بولس الرسول قد دعي لاحتمال تلك الاختبارات الصعبة التي كانت مزمعة ان تواجهه كثيرا في سلاسل اثناء الرحلة الطويلة الشاقة الى ايطاليا . [398] ولكن حادثة واحدة خففت من هول شدتها ن وهي السماح للوقا وارستخس بمرافقته . وفي رسالته التي ارسلها الى اهل كولوسي اشار بعد ذلك الى ا ارستخرخس على انه «المأسور معي» (كولوسي4: 10). ولكن مشاركة ارستخرس لبولس في اسره كانت بمحض اختياره لكي يخدمه في ضيقته وبلواه .

وقد بدأ الرحلة بنجاح . ففي اليوم التالي القوا مراسيهم في ميناء صيدا وفي هذا الميناء «عامل يوليوس بولس بالرفق ، وأذن ان يذهب الى أصدقائه ليحصل على عناية منهم» (أعمال 27 : 3). وقد قدر الرسول الذي كان معتل الصحة هذا الاذن تقديرا عظيما .

فلما غادرت السفينة صيدا ، دهمتها رياح مضادة ، واذا ساقتها الريح بعيدا عن طريقها المستقيم صار تقدمها بطيئا . وفي ميرالكيية في اقليم كيليكية ، وجد قائد المئة سفينة اسكندرية كبيرة مسافرة الى ايطاليا ، ففي الحال انزل اسراه فيها. ولكن الرياح كانت لاتزال مضادة فصار تقدم السفينة صعبا . وكتب لوقا يقول : «ولما كنا نسافر رويدا ايام كثيرة ، وبالجهد صرنا بقرب كنيدس ، ولم تمكنا الريح اكثر ن سافرنا من تحت كريت بقرب سلمونين ولما تجاوزناهابالجهد جئنا الى مكان يقال له الموانئالحسنة» (أعمال27 : 7 ، 80).

وفي الموانئالحسنة اضطروا للبقاء بعض الوقت منتظرين ان تعتدل الرياح وتكون مواتية لهم. وكان الشتاء يقترب بسرعة : «وصار السفر في البحر خطرا» ، وكان المسؤولون عن السفينة ملتزمين ان يتخلوا عن كل رجاء في الوصول الى وجهتهم قبل انقضاءفضل السفر بحرافي تلك السنة . والسؤال الذي كان عليهم ان يبتوا فيه حينئذ كان ماذا كان يجب عليهم البقاء في المواني الحسنة ا وان يحاولو الوصول الى مكان اصلح يقضون فيه شهور الشتاء . [399]

فتداولو في هذ السؤال بكل اهتمام ، وقد توجه قائد المئة الى بولس الذي ظفر باحترام الملاحين والجنود . فبدون تردد نصحهم بالبقاء حيث كانوا ، قائلا : «انا ارى ان هذا السفر عتيد ان يكون بضرر وخسارة كثيرة ، ليس للشخن والسفنية فقط ، بل لأنفسنا ايضا» ولكن «ربان السفينة ..وصاحبها» وغالبية المسافرين والملاحيين لم يميلو القبولهذه المشورة . ولأن الميناء الذي رسوا يه «لم يكن موقعها صالحا للمشتى ، استقر رأي اكثرهم ان يقلعوا من هناك ايضا ، عسى ان يمكنهم الاقبال الى فينكس ليشتوا فيها . وهي مينا في كريت تنظر نحو الجنوب والشمال الغربيين» (عدد 10- 12).

وقد استقر رأي قائد المئة على النزول على حكم الاكثرية . ولذلك : «فلما نسمت ريح جنوب»، أقلعوامن الموانيئ الحسنة على امل انهم يصلون الى الميناء التي يغبون في الوصول اليها : «ولكن بعد قليل هاجت..ريح زوبيعة... خطفت السفينة ولم يمكنها ان تقابل الريح» (عدد 13 — 15).

فإذا كانت الريح العاصفة تسوق السفينة اقتربت من جزيرتصغيرة تدعى كلودي . واذ كانوا محتمين فيها استعد الملاحون لمواجهة اسوأ الاحتمالات . ثم ان قارب النجاةالذي كان وسليتهم الوحيدة للنجاة لو غرقت السفينة ، كان مقطورا الى السفينة وكان معرضا لأن يتحطم في اية لحظة . فأول مهمة امامهم كانت رفع القارب الى ظهر السفينة. وقد اعدت بعد ذلك الاحتياطات لتقوية السفينة واعدادها للصود للعاصفة . والحماية الطفيفة التي وفرتها لهم الجزيرة الصغيرة لم تجدهم وقتاطويلا ، فسرعان ماتعرضوا من جديدللعاصفة في أعنق حالاتها .

وقد ظلت العاصفة تثور طوالالليل ، وبالرغم من الاحتياطات التي اتخذت فقد ثقبت السفينة ، لذلك «جعلوا يفرغون (السفينة) في العد». ثم اقبل الليل . [400] ثانيةولكن الرياح لم تخف وطأتها . فتلكالسفينة التي كانت تضربها الرياح ، بساريتهاالمهمشة وقلوعها الممزقة.، كانت تندفع الى هنا وهناك بفعل الرياح الثائرة وقد تقاذفها ذلك النوءالهائج.وفي كل لحظة كان يبدو كأن اخشاب السفينة المتداعيةلابد ان تتهاوي اذ كانت السفيينة تترنج وترتجبشدة امام صدمات العاصفة. وقد زاد الثقب اتساعا بسرعة ،فجعل المسافرون الونتيةيعملون بلا انقطاع في تشغيل المضخات . ولم يكن احد ممن على ظهر السفينة ليستريح لحظة واحدة. وقد كتب لوقايقول : «وفي اليوم الثالث رمينا بأيديناااثاث السفينة ,. واذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر اياما كثيرة ، واشتد علينا نوء ليس بقليل، انتزع اخيرا كل رجاء في نجاتنا» (عدد 19، 20).

ولمدى اربعة عش يوما كانوا ينجرفون بلا هدى تحت سماء لم تظهر فييها الشمس ولا النجوم. ومع ان الرسولكان يتألم جسمانيا ، فقد نطق باقوالالرجاء في احلك الساعات ، وكانت له ليد معينة في اوقات الطوارئ المحرجة . فبالايمان تمسك بذراع الاله السرمدي واكن قلبه متكلا على الله . لم يكن خائفاعلى فنسه ، فقد كان يعلم ان الله يسحفظه ليشهد في رومالا لحق المسيح . ولكن قلبه كان يخفقبالعطف والحنان على النفوس المسكينة التي حوله ، تلك النفوس الخاطئة المنحطة غير المستعدة لمواجهة الموت . فاذ توسل الى اللهبكل غيرة وحرارة كي يبقى على حياتهم ، اعلن له ان طلبته قد اجيبت.

واذ انتهز بولس الفرصة التي هدأت فيها العاصفة قليلا ، وقف على ظهر السفينة ورفع صوته قائلا: «كان ينبغي ايها الرجال ان تذعنوا لي . ولا تقلعوا من كريت ، فتسلموا من هذا الضرر والخسارة . والآن انذركم ان تسروا ، لأنه لاتكون خسارة نفس واحدة منكم ، الا السفينة . لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الاله الذي انا له والذي اعبده .، قائلا : لاتخف يابولس. [401] ينبغي ل كان تقف امام قيصر . وهوذا قد وهبكالله جميع المسافرين معك . لذلك سرو ايهاالرجال ، لأني اومن بالله انه يكون هكذا كما قيل لي . ولكن لابد ان نقع على جزيرة» (عدد21 — 26).

انتعشت الامال لدى سماع هذه الاقوال واستيقظ الركاب والنوتية من جمودهم وذهولهم . فقد بقي عليهم عمل كثير اليعملوه ، فلا بد من ان يبذلو كل مافي وسعهم من جهد لينجوا من الهلاك.

وفي الليلة الرابعة عشرة وهم يتخبطون في ذلك البحر بأمواجه الثائرة السوداء ، حدث ان الملاحين سمعوا «نحو نصف الليل»صوت امواج كبيرة كأنها تضرب على اليابسة. ظنوا «انهم اقتربواالى بر . فقاسوا ووجدوا عشرين قامة. ولما مضو قليلا قاسوا ايضا فوجدو خمسة عشرة قامة». ثم كتب لوقا يقول : «واذ كانوا يخافون ان يقعوا على مواضع صعبة ، رموا من المؤخر اربع مراس ، وكانوا يطلبون ان يصير النهار» (عدد 27 -29).

وعند الفجر كانت ترى معالم الشاطئ الذي تضربه العواصف غير واضحة ولكنهم لم يستطيعوا رؤيةأية علامات مألوفة. كان المنظر كئيباجدا بحيث ان النوتية الوثنيين خارت عزيمتهم وسجاهتهم وكانوا«يطلبون ان يهربوا من السفينة ، وانزلوا القاربالى البحر بعلة انهم مزمعون ان يمدو مراسيمن المقدم .». فاذا اكتشف بولس نيتهم الدنميئة ، قال لقائد المئة والعسكر : «ان لم يبق هؤلاء في السفينة فانتم لاتقدورن ان تنجوا» «ففي الحال «قطع العسكرحبال القارب وتركوهيسقط»في البحر (عدد 30 — 32).

الا ان احرج ساعة كانت لاتزال تنتظرهم . ومرة اخرى خاطبهم الرسول بكلمات التشجيع .، فتوسل النوتيةوالمسافرون ان يتانولو طعاما قائلا لهم: «هذا هو اليوم الرابع عشر ، وانتم منتظرون لاتزالون صائمين ، ولم تأخذوا [402] شيئا . لذلك التمس منكم ان تتناولو طعاما ، لأن هذا يكون مفيدا لنجاتكم ، لأنه لاتسقط شعرة من رأس واحد منكم».

«ولما قال هذا اخذ خبزا وشكر الله امام الجميع ، وكسر ، وابتدأ يأكل» وحينئذ فتلك الجماعة المتعبة والخائرة التي قوامها مئتان وخمس وسبعون نفسا والذين لولا وجود بولس لغمرهم اليأس ، اشتركوا مع الرسول في تناولالطعام : «ولما شبعوا من الطعام طفقوا يخففون السفينة طارحين الحنطة في البحر» (عدد 35 ، 3638).

اشرق بعد ذلك نور النهار في ملء قوته ، ولكنهم لم يرو شيئا يساعدهم على معرفة مكانهم في البحر . ومع هذا فقد «ابصروا خليجا له شاطئ ، فأجمعوا ان يدفعوا اليه السفينة ان امكنهم. فلما نزعوا المراسي تاركين اياها في البحر ، ولحوا ربط الدفة ايضا ، رفعوا قلعا للريح الهابة ، واقبلوا الى الشاطئ . اذ وقعوا على موضعبين بحرين ، شططواالسفينة ،فارتكز المقدم ولبث لايتحرك . واما المؤخر فكان ينحل من عنف الامواج» (عدد 39 — 41).

كان بولس والاسرى الآخرين مهددين الآن بمصيرأرهبمن انكسارالسفينة . فقد رأىالعسكرانهم وهم يحاولون الوصول الى اليابسةسيغدوا من المستحيل عليهم مراقبة الاسرى الذين تحت حراستهم والحفاظ عليهم. فكل رجل سيحاول بكل قوته ان ينجو بنفسه . ومع ذلك فانه لو فقد احد الاسرى فان حياة الجنود المسؤولين عنهم ستهلك. ولهذا كان العسكر يرغبون في قتلجميع الاسرى. واكن القانون الرومانيييبيح هذه السياسة القاسية، وكان يمكن تنفيذ هذه الخطةفي الحاللو لا ذاك الذي كان الجيمع السواء مدينين له بالكثير . لقد عرف يوليوس قائد المئة ان بولس كان واسطة في انقاذ حياة كل من كانوا على ظهر السفينة ، وفضلا عن ذلك فإن كان مقتنعا [403] ان الرب معه ، خاف من ان يمسه بسوء . ولذلك امر : ان القادرين على السباحة يرمون انفسهماولا فيخرجون الى البر ، والباقين بعضهم على الواح وبعضهمعلى قطع من السفينة , فهكذا حدث ان الجميع نجوا الى البر (عدد 43- 44). ولما نوديت الاسماء لم يكن واحدا منهم مفقودا .

فتلك الجماعة التي تحطمت بهم السفينة استقبلهم اهل مليطة البرابرة بكل رفقومحبة. وقد كتب لوقايقول : اوقدوا نارا وقبلوا جميعنا من اجل المطر الذي اصابنا ومن اجل البرد) . وقد كان بولس ضمن من نشطوا لخدمة الاخرين وراحتهم. فاذ جمع«كثيرا من القضبان ووضعهاا على النار ، فخرجت منالحرارة افعى وتشبث في يده». فأصاب الرعب الناظرين ، واذا رأوا منالسلاسل التي في يديه انه اسير ، قالو بعضهم لبعض«لابد ان هذا الانسان قاتل ، لم يدعه العدل يحيا ولو نجا من البحر» . ولكن بولس

نفض الوحش الى النار ولم يتضرر بشيئ رديئ . واذ كان أولئك القوم يعرفون الطبيعةالسامة لتلك الافعىكانوا ينتظرون انه مزمع ان يسقطفي اية لحظة وهو يتلوى منهول الالام: «فباذ انتظروا كثيراور أو انه لم يعرض له شيئ مضر ، تغيروا وقالو هوا اله» (اعمال28 : 2 -6).

وفي غضون الشهور الثلاثة التي قضاها من كانوا فوق ظهر السفينة في مليطة ، احسن بولس وفيقاه استخادم فرص كثيرة في الكرازة بالانجيل . وقد عمل الله بواسطتهم بطريقة عجيبة . فاكرامالبولس، عوملاولئك القوم الذين نجو من حطام السفينةبشفقة عظيمة ، وتمت تلبية كل احتياجاتهم. وعند مغادرتهم مليطة زودوا بكل مايحتاجونهه اليه في سفرتهم . وقد اوجز لوقا اهم الحوادثالتي جرت في مدة بقائهم هناك فقال : [404]

«وكان في ماحول ذلك الموضع ضياع لمقدم الجزيرة الذي اسمه بوبليوس . فهذا قبلنا واضافنا بملاطفة ثلاث ايام . فحدث ان ابا بوبليوسكان مضطجعا معترىى بحمى وسحج. فدخل اليه بولس وصلى ، ووضع يديه عليه بشفاه . لما صار هذا كان الباقون الذين بهم امراضفي الجزيرة يأتون ويشفونن. فأكرمنا هؤلاء اكرامات كثيرة. ولما اقلعنا زودونا بما يحتاج اليه» (عدد 7 — 10). [405]

الفصل الثالث والاربعون

في روما

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في أعمال28 : 11- 31 والرسالى الى فليمون)

عندما اصبح السفر بالبحر مأمونا ، بدأ قائد المئة وأسراه رحلتهم الى روما .وكانت هناك سفينة اسكندرية موسومة بعلامة «الجوزاء» قد شتت في مليطة في طريقها الى الغرب ، فنزل فيها أولئك المسافرون. ومع ان بعض الرياح المضادة قد اعاقتهم بعض الوقت ، فقد تمت الرحلة بسلام والقت السفينة مراسيها في ميناء بوطيولي الجميلعلى شاطى ايطاليا .

وكان يوجد في هذا المكان قلة من المسيحين ، فتوسلوا الى الرسول ان يبقى بينهم سبعة ايام وقد منحهم قائد المئة هذا الامتياز.ان مسيحيو ايطاليا منذ وصلتهم رسالة بولس الى اهل رومية كانوا ينتظرو بشوق ان يزورهم الرسول . ولم يكونوا يظنون انه سيأتي كأسير ، الا أن آلآمه حببته الى قلوبهماكثر . واذ كانت المسابقة بوطيولي وروما لاتزيد عن مائة واربعين ميلا ، وكان الاتصال دائما ومستمرا بين هذ الميناء وبين العاصمة ، فقد اعلم المسيحيون في روما ان بولس كان في طريقه اليهم وذهب بعض منهم لاستقباله والترحيب به . [406]

ففي اليوم الثامنبعد نزولهم في الميناء، سافر قائد المئة واسراه الى روما . وقد منح يوليوس للرسول كل معروف استطاع ان يقدمه له بكل سرور ورضى . ولكنه لم يستطع ان يغيرحالته كأسير ا وان يفك السلسلة التي كان موثقا بها الى الجندي الذي كان يحرسه. فبقلب مثقل بالحزنسار بولس قدما في زيارته التي طال انتظارها الى عاصمة العالم. ماكان ابعد الفرق بين هذه الظروف والظروف التي كان ينتظرهافكيف يمكنه ، وهو مقيدوموضوم بالعار ان يكرز بالانجيل ؟ إن آماله في ربح نفوس كثيرة للحق في روما ، بدا ومأنها قد حكم عليها بالخيبة والفشل .

اخيرا يصل المسافرون الى فورن ابيوس التي تبعد عن روما اربعين ميلا . فاذ يشقون لأنفسهم طريقا فيوسط الجموع التي تزحم الطريق العالم العظيم ، ينظر العابرون الى ذلك الشيخ الذي جلل الشيب رأسه والمقيد مع جماعة من المجرمين القساة ، نظرات تنم عن الاحتقار ، ويصير موضوع هزء الكثيرين وسخريتهم.

وفجأة تسمع صيحة فرح ، ويثب رجل من بين الجمع ويقع على عنق الاسير ويعانقه بدموع وبفرح ، كما يرحب ابن أبيه الذي طال اغترابه . ويتكرر هذا المنظر مرارا اذ ترمقه العيون التي صارت حادة التمييز بطول انتظار اصحابها ولهفتهم ومحبتهم كي يشاهدوه . فكثيرون اذ رأوا ذلك الاسير المكبل بالحديد ، ميزا فيه ذاك الذي كان في كورنثوس وفيلبي وافسس يحدثهم بكلام الحياة .

واذ يتجمهر اولئك التلاميذ المحبون حول ابيهم في الانجيل ، يتوقف ذلك الجمع كله . ومع ان الجنود يضجرهم ذلك التأخير ، فان قلوبهم لاتطاوعهم لمنع ذلك اللقاء السعيد ، لانهم هم ايضا قد تعلموا ان يكرموا ويقدروا أسيرهم. ففي ذلك الوجه المتعب المجهد ، يرى التلاميذ صورة المسيح . ويؤكدون لبولس انهم لم ينسوه قط ولا كفواعن ان يحبوه ، وانهم مدينون له بالرجاء المفرح [407] الذي ينعش حياتهم

ويعطيهم سلاما مع الله . وفي حرارة محبتهم تاقوا ان يحملوه على اعناقهم طول الطريق الى المدينة ، لو اعطي لهم ذلك الامتياز.

قليلون هم الذين يتحققون من فحوى تلك الكلمات التي سجلها لوقا والقائلة ان بولس لما رلآا اخوته : «شكرا الله وتشجع» (اعمال28: 15). ففي وسط جماعة المؤمنين الباكين المواسين الذين لم يخجلوا من قيود ، شكر الرسول اللهبصوت عال . وقد انقشعت سحابة الحزن التي غشت روحه . لقد كانت حياته المسيحية سلسلة متواصلةمن التجارب والالام والمفشلات ، ولكنه في تلك الساعة احس بأنه قد كوفئ مكافأة سخية . فسار في طريقه بخطوات ثابتة وقلب فرح متهلل.

لم يعد يشكوا من الماضي او يخاف من المستقبل . لقد عرف ان وثقا وشدائد تنتظره ، ولكنه عرف ايضا ان عليهان يحرر نفوسا من عبودية ارهببكثيرففرح في آلامه لأجل المسيح.

وفي روما سلم يوليوس أسراه الى رئيس معسكر الامبراطور . هذا وان التقرير الذي قدمه يوليوس عن بولس وكذلك الرسالة التي بعث بها فستوس ، كانا كفيلين بأن يجعلا رئيس المعسكر يعامل بولس معامة حسنة وكريمة ، وبدلا من ان يلقي به في السجن، اذن له بأن يعيش في بيت استأجره بنفسه . ومع انه كان طول الوقت موثقا الى احد الجنود ، فقد كانت له الحرية بأن يستقبل اصدقاءه ويخدم لأجل نجاح وتقدم ملكوت المسيح.

ان كثيرين من اليهود الذين كانو قد ابعدو عن روما قبل هذا الوقت بسنين، سمح لهم بالعودةن وهكذا وجد كثيرون منهمفي روما . لهؤلاء قبل غيرهم عول بولس ان يقدم الحقائق الخاصة بشخصه وبعمله ، قبلما تتاح لأعدائه الفرصة [408] لاثارتهم ضده . فبعد وصوله الى رومابثلاثة ايام ، استعدى كبارهم ووجوههم وبطريقة بسيطة صريحة ابان لهم سبب مجيئه الى روما كأسير .

فقال : «أيها الرجال الاخوة ، مع اني لم افعل شيئا ضد الشعب او عوائد الاباء، اسلمت مقيدامن اورشليم الى ايدي الرومانيين ، الذين لما فحصواكانو يريدون ان يطلقوني ، لأنه لم تكنفي علة واحدة للموت . ولكن لما قاوم اليهود، اضطررت ان ارفع دعواي الى قيصر ، ليس كأن لي شيئا لأشتكي به على امتي . فلهذا السبب طلبتكم لآراكم واكلمكم ، لأني من اجل رجاء اسرائيل موثق بهذه السلسلة» (اعمال28 / 17 — 20).

ولم يقل الرسول لهم شيئا عن الاهانات التي قاسها على ايدي اليهو، او عن المؤامراتالمتكررة التي دبروها لاغتياله. وقد امتازت اقواله بالحذر والرفق . انه لم يكن يطلب اهتماما بشخصه او عطفا عليه ، بل اراد الدفاع عن الحق وضمان كرامة الانجيل .

وجوابا على كلامه قرر سامعوه انهم لم يقبلوا شكايات ضده لا في رسائل عامة ولا خاصة . وان احدا من اليهود الذين قدموا الى روما لم يتهمه بأية جريمة . كما عبروا عن شوقهم العظيم لأن يسمعوا بأنفسهم عن اسباب ايمانه بالمسيح ، قائلين: «لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم في كل مكان» (عدد 22).

وحيث انهمهم انفسهم الذين طلبوا ذلك، فقد طلب منهم ان يعينوا يوما يقدم فيه لهم حقائق الانجيل . وفي الوقت المعين حضر كثيرون: «فطفق يشرح لهم شاهدا بملكوت الله ، ومقنعا اياهم من ناموس موسى والانبياء بأمر يسوع ، من الصبلاح الى المساءء» (عدد 23). وقد سرد عليهم اختباره الشخصي ، وقدم لهم حججا من اسفار العهد القديمببساطة واخلاص وقوة . [409]

كما ابان لهم الرسول ان الدين لاينحصر في الطقوس والرسميات او العقائد والنظريات . فلو كان ينحصر في شيئ من هذه لأمكن للانسان ان يدركه بالبحث والاستقصاء ، كما يدرك الأمور الدنيوية . وقد علم بولس ان الدين قوة عمليةمخلصة ومبدأ يأتي بجملته من الله ، واختبار شخصي لقوة الله المجددة للنفس.

ثم اراهم كيف ان موسى قد وجه انظار اسرائيل الى المسيح بوصفه النبي الذي كان عليهم ان يستمعوا اليه ، وكيف ان جميع الانبياء قد شهدوا عنه بوصفه علاج الله العظيم للخطية ، والسيد المعصوم الذي كان مزمعا ان يحمل خطايا الاثمة. انه لم يحاول تخطئة حفظهم للرسيمات والطقوس ، بل اراهم انهم في حين كانوا يحفظون الخدمات الطقسية بدقة عظيمة ن كاناو يرفضون ذاك الذي كانت كل انظمتهم وطقوسهم ترمز اليه.

وقد اعلن لهم بولسانه في حالته قبل التجديد عرف المسيح ، لامعرفة شخصية ، بل مجرد معرفة التصور الذي كان وبنو امته يعتزون به حول صفغات المسيا الآتي وعمله . وانه رفض يسوع الناصري كمحتال لأنه لم يحقق هذ الصتور . اما الان فان آراء بولس عن المسيح ورسالته هي اعظم روحانية وامسى مما كانت قبلا لأنه قد اهتدى وتجدد .وقد اكد لهم الرسول انه لم يقدم لهم المسيح حسب الجسد. لقد رأى هيرودس المسيح في ايامتجسدهه، ورآه حنان ، وكذلك بيلاطس والكهنة والرؤساءئ جميعهم رأوه ، كما رآه ايضا عساكر الرومان . الا ان هؤلاء كلهم لم يروه بعين الايمان ، لم يروه بوصفه الفادي الممجد. ان ادراك المسيح بالايمان، ومعرفته معرفة روحية هي امر ينبغي ان يصبو الانسان اليه اكثر من معرفته معرفة شخصيةعندما عاش على الارض . ان الشركةمع المسيح التي كان بولس يتمتع بها حينئذ كانت اكثر مودة وحبا ودواما من مجرد العشرة البشرية الارضية, [410]

واذ كان بولس يتكلم عما قد عرف ويشهد بما قد رآه عن يسوع الناصري كرجاء اسرائيل ، اقتنع أولئك الذين كانوا يبحثون عن الحق بأمانة, وقد احدث كلامه تأثيرا لايمحى على اذهان بعض منهم على الاقل . اما الآخرون فبكل اصرار وعناد رفضوا شهادة الكتب المقدسة الصريحة مع ان الذي قدمها كانت عنده انارة الروح القدس الخاصة. لقد عجزوا عن تقنيد حججه ومع ذلك رفضو قبول استنتاجاته.

وقد مرت شهور طويلة بعد وصول بولس الى روما ، قبلما جاء يهود اورشليم بأنفسهم ليقدموا شكواهم ضد الاسير . لقد تعطلت مساعيهم ومحاولاتهم مرارا، اما الآن فإذ كان بولس مزمعا ان يحاكم امام اعلى محكمة الامبراطورية الرومانية ، فإنهم لم يريدوا ان يخاطروا كي لايصابو بهزيمة اخرى. لقد اعلن ليسياس وفيلكس وفستوس واغريباس عن اقتناعهم ببراءة ساحة بولس . اما امل اعدائه الوحيد في النجاح فكان ينحصر في كونهم يدبرون دسيسه يكسبون بها عطف الامبراطور. والتأخير قد يخدم اغراضهم اذ يعيطهم متسعا من الوقت يكملون فيه خططهم وينفذونها ن وهكذا انتظوا بعض الوقت قبل تقديم اتهاماتهم شخصيا ضد الرسول .

وقد شاءت عناية الله ان يؤول هذا التأخير الى اتقدم الانجيل ونشره . فبواسطة فضل ومعروف أولئك الذين وكلت اليهم حراسة بولس سمح له بالسكنى في منزل رحب ومريح حيث كان يجتمع مع أصدقائه بكل حرية ، كما كان كل يوم يقدم الحق لمن كانو يأتون ليسمعوه. وهكذا ظل لمدة سنتين : «كارزا بملكوت الله ، ومعلما بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة ، بلا مانع» (عدد31).

وفي غضون ذلك الوقت لم يكن لينسى الكنائس التي كان قد اسسها في بلدان كثيرة . فإذ كان الرسول يدرك المخاطر التي كانت تتهدد المهتدين الى الايمان [411] الجديد ، حاول قدر امكانه ان يلبي احتياجاتهم بإرسال رسائل تشتمل على تحذيرات وتوجيهات عملية . وقد ارسل من روما خداما مكرسين ليعملو ليس فقط في هذه الكنائس بل في الحقول التي لم يذهب هو اليها . فهؤلاء الخدام ، كالرعاء الحكماء ، قوو وشدووا العمل الذي قد بدأه بولس حسنا ، واذ ظل الرسول على اتصال بحالة الكنائس والمخاطر المحدقة بها بمراسلتهم، امكنه ان يمارس اشرافا حكيما على كل الكنائس.

وهكذ اذ كانوا يبدو ان بولس قد منععن كل عمل نشط ، فقد بذل تأثيرا أبعد مدى وأطول أمدا مما لو كانت له الحرية للسفر وزيارة الكنائس كما في السنين الماضية . وكأسير الرب كانت له سيطرة اقوى على

عواطف اخوته، فالاقوال التي كان يكبتها ذاك الذي كان مقيدا لأجل المسيح ، استرعت انتباها واكراما اعظم مما كان وهو حاضر معهم بشخصه . ولم يتحقق المؤمنون منمقدار ثقل الاعباء التي كان يحملها بولس عنهم الى ان أخذ من بينهم. فيما ماضى كان اكثرهم يتملصون من المسؤولية وحملالاثقاللأنه كانت تعوزهم حكمة الرسول ولبقاته ونشاطه الذي لايكل ، اما وقد تركوا مفتقرين للخبرة ليتعلموا الدروس التي قد أعرضوا عنها ، فقد صاروا يقدرون انذاراته ومشوراته وتعاليمه ، بعد ان كانوا قبلا لايقدرون عمله وخدماته الشخصية بينهم. وإذ علموا انه قد أبدى شجاعة وايمانا في ابان مدة سجنه الطويلة، صار ذلك حافزا لهم على اظهار ولاء أعظم وغيرة اكمل في عمل المسيح.

كان بين مساعدي بولس في روما كثيرون من رفقائه وزملائه القدامى . فقد كان لايزال معه «لوقاالطبيب الحبيب» الذي لازمه في سفره من اورشليم ومدى السنتين اللتين قضاهما سجينا في قيصرية وفي اثناء سفرته الخطرة الى روما . [412] وكان تيموثاوس ايضا يخدمه ويعزيه . كما ان تيخيكس وقف الى جواره بكل نبل وشجاعت، حتى ان الرسول كتب عنه يقول«الاخ الحبيب ، والخادم الامينوالعبد معنا في الرب» (كولوسي4 :7).كذلك كان معه ايضا ديماس ومرقس . وكان ارسترخس وابفراس» مأسورين معه» (راجع كولوسي4 :7-14).

اما مرقس فقد تعمق اختباره المسيحي منذ سني اعترافه بالايمان في بدء حياته الروحية . فإذ درس حياة المسيح وموته بكل امعان وتدقيق ، حصل على افكار اوضح حول رسالة المخلص وأتعابها وتحدياتها . فإذ قرأ في أثر الجروح التي في يديه ورجليه دلائل خدمته للبشرية، والمدى الذي يسوق اليه انكار الذات في سبيل تخليص الضالين والهالكين، اصبح مرقس أصبحمرقس راغبا في اتباع السيد في طريق التضحية. والآن اذ قاسم بولس الاسير في مصيره، صار يدرك اكثر مما ادرك في أي وقت مضى ان ربح المسيح هو افضل من كل ربح ، وان افدح خسارة هي ان يربح الانسان العالم ويخسر النفس التي اهرق دم المسيح لفدائها . وقد ظل مرقس ثابتا في وجه التجارب والضيقات القاسية ، وكنا معينا حكيما ومحبوبا للرسول .

اما ديماس الذي ظل ثابتا بعض الوقت فقد ترك خدمة المسيح بعد ذلك . واذ كان بولس يشير الى ذلك كتب يقول : «ديما قد تركني اذ احب العالم الحاضر» (2 تموثاوس4 : 10). ففي سبيل الارباح العالمية ضحى ديماس بكل اعتبار سام ونبيل . ماكان أقصر نظره وهو يقد تلك الصفقة ويقدم على تلك المبادلة ، فإذ كان ديماس لايملك سوى الغنى اوالكرامة الدنيوية ، فقد كان فقيرا حقا مهما ادعى عن وفرة غناه، اما مرقس فإذ اختار احتمال الالام لاجل المسيح فإنه كان يملك غنى ابديا اذ كان معتبرا في السماء من ورثة الله ووارثا مع ابنه . [413]

كان بين من سلمو قلوبهملله عن طريق خدمات بولس في روما انسيمس الذي كان عبدا وثنيا أخطأ الى مولاه فليمون الذي كان احد المؤمنين المسيحيين في كولوسي ، وهرب الى روما . ان بولس بسبب رقة قلبه طلب ان يسعف هذا البعد الهارب البائس في فقره وضيقه نفسه ، وحيئنذ حاول ان يدخل نور الحق الى مخادع عقله المظلم . وقد اصغى انسيمس الى كلام الحياة واعترف بخطاياه واهتدى الى الايمان بالمسيح .

وقد جعل انسيمس نفسه عزيزة على قلب بولس بتقواه واخلاصه ، كما انه اهتم ايضا براحة الرسول وكان يرعاه بكل رقة ، هذا فضلا عن غيرته على تقدم عمل الانجيل . وقد رأى فيه بولسبعض ميزات خلقية كفيلة بأن تجعله مساعدا نافعا في العمل الكرازي ، فنصحه بالعودة الى فيمون بلا ابطاء ليستغفرهومن ثم يخطط للمستقبلز وقد وعده الرسول بأن يتحمل مسؤولية المبلغ الذي سرق من فيمون . واذ كان الرسول مزمعاان يرسل تيخيكس برسائلالى الكنائس المختلفة في آسيا الصغرة ، ارسلانسيمس معه . كان اختبارا قاسيا لهذا العبد ان يسلم نفسه لذلك السيد الذي اخطأ اليه ، ولكن اهتداءه كان حقيقيافلم

يتحول عن واجبه .

وقد حمل بولس انيسمس رسالة الى فليمون استخدم فيها الرسول لباقته ورقته المعتادة في التوسل لأجل ذلك البعد التائب، وعبر عن رغبته في أن يستبقيه عنده ليخدمه في المستقبل . وقد بدأت الرسالة بتحية حبية لفليمون كصديق وشريك في الخدمة .

فكتب يقول : «نعمة لكم وسلام من الله أبيناوالرب يسوع المسيح . اشكر الهي كل حين ذاكرا اياك في صواتي ، سامعا بمحتبك والايمان الذي لك نحو الرب يسوع ، ولجميع القدسيسي ن لكي تكون شركة ايمانك فعالة في معرفة كل الصلاح [414] الذي فيكم لأجل مالسحي يسوع» (فليمون 3- 6). وقد ذكر الرسول فيمون ان كل غرض صالح وكل ميزة خلفية نبيلة كانت له تنسب لنعمة المسيح هذا وحدههو الذي جعله يختلف عن الناس المتمردين الفاسدين الخطأة ن ونفس هذه النعمة أمكنها ان تجعل المجرم الحقير ابنا لله وخادما نافعا للانجيل . كان يمكن بولس ان يشدد على فيلمون لكي يقوم بواجبهكمسيحي ، الا انه فضل لغة التوسل فقال : «اذ انا انسان هكذا نظير بولس الشيخ ، والان اسير يسوع المسيح ايضا اطلب اليك لأجل ابني انيسمس ، الذي ولدته في قيودي ن الذي كان قبلا غير نافع لك ، ولكنه الان نافع لك ولي» (عدد 9 ، 10).

وقد سأل الرسول فيمون بالنظر الى اهتداءه انيسمي ان يقبل ذلك العبد التائب كابن له مظهرا له تلك المحبة التي تجعله يختار المعيشة مع سيده السابق : «لا كعبد في مابعد ، بل افضل من عبد : اخا محبوبا» (عدد 16)زوقد عبر له عن رغبته في استبقاء انسيمس بوصفهيستطيع ان يخدمه في قيوديه بالطريقة التي كان يمكن لفيمون نفسه ان يفعلها ، مع انه لم يكن يرغب ان يخدمه انسيمس ما لم يحرر فيمون ذلك العبد من تلقاء ذاته .

عرف الرسول كل المعرفة مقدار القسوة التي كان السادة يعامولن بها عبيدهم ، كما عرف ايضا نفيمون كانمغتاظا جدا بسبب تصرف عبده . فحوا لان يكتب اليه بطريقة توقظ اعمق وارق مشاعره كمسيحي . ان اهتداء انسيمس جعله اخا في الايمان، فكل عقوبة تفرض على هذا المهتدي حديثا كان بولس يعتبرها وقاعة عليه هو نفسه .

وقد تطول بولس لاعتبار نفسه مسؤلا عن دين انيسمي حتى يجنب ذلك العبد المذنب عار القصاصويعود للتمتع بالامتيازات التي قد حسرها . فكتب يقول لفليمون : «فان كنت تحسبني شريكا ، فاقبلهنظيري ، ثم ان كان قد ظلمك [415] بشيئ ، او لك عليه دين ، فاحسب ذلك علي ، انا بولس كتبت بيدي انا أوفي» (عدد 17 — 19).

كميعبر هذا عن محبة المسيح للخاطئ التائب. فالعبد الذي قد غدر بمولاه لم يكن يملك شيئا به يعوض عما اختلسه . والخاطئ الذي قد سلب الله سنينا طويلة كان يمكنه فيها ان يخدمه لايملك مايفي به الدين او يلغيه . ولكن يسوع يتوسك بين الخاطئ وبين الله قائلا : انا أوفي الدين . ابق على الخاطئ فأنا سأتألم بدلا منه.

وبعدما تطول بولس لأن يأخذ نفسه تبعة دين أنسيمس ، جعل يذكر فيمون كم هو نفسه مدين للرسول . لقد كان مدينا له بذاته لأنل الله جعل بولس واسطة لهدايته . وحينئذ وفي توسل رقيق غيورطلب من فيمون انه كما اراح احشاء القديسين بعطاياه السخية فكذلك هو يريده ان يريح روح الرسول بمنحه اياه هذه السبب للفرح . فقال : «اذ انا واثق بإطاعتك ، كتب اليك عالما انك تفعل ايضا اكثر مما اقول» (عدد21) .

ان رسالة بولسهذه الى فليمون تظهر لنا تأثير الانجيل على العلاقة بين السادة والعبيد . كان الاسترقاقاو تجارة الرقيقنظاما ثابتا في كل الامبراطورية الرومانية. وفي معظم الكنائس التي خدم فيها بولس كان هناك السادة والعبيد . وفي المدن حيث كان العبيد في غالب الاحيان يتعدى عددهم عدد السكان

الاحرار ، كانت القوانين الصارمة جدا تعتبر لازمة لاخضاعهم . وكثير ماكان الروماني الثري يملك مئات من العبيد من كل الطبقات والرتب والامم وكل انواع الثقافات والاعمال. وبسلطانه المطق على أرواح هذه الخلائق التعسة واجسادهم ، كان يمكنه ان يوقع عليهم أية عقوبة يختارها . ولو ان واحدا منهم تجرأ على رفع يده على سيده آخذا بالثأر أو دفاعاعن النفس، فكل اسرة [416] المذنب يمكن ان تقتل بلا رحمة ,. واقل غلطة او حادثة او اهمال كانت توقع على مرتكبها القصاص بلا رحمة في غالب الاحيان .

ولكن بعض السادة الذين كانوا ارحم واكرم من غيرهم كانوا يظهرون تسامحها نحو عبيدهم الا ان اكثرية الاثرياء والنبلاء الذين اسلموا انفسهم بلا رادعللانغماس في الهوى والشهوات والنعم ، جلعوا عبيدهم فرائس تعسة للهوى والطغيان , وقد كان ذلك النظام برمته يميل الى الانحطاط الذي لايجبر .

ولم يكن عمل الرسول يهدف لقلب نظام المجتمع الثابت بطريقة استبدادية او فجائية, فلو حاول عمل ذلك لكان عمل الانجيل يتعطل ويفشل . ولكنه قدم مبادئ ضربت تجارة الرقيق من أساستها ، ولو نفذت لكانت كفيلة بتقويض النظام كله . فقد اعلن قائلا : «وحيث روح الرب هناك حرية» (2 كورنثوس 3 : 17). وكان العبد عندما يهتدي يصبح عضوا في جسدالمسيح ، وكعضو في الجسد المقدس كان يجب ان يعاملبالمحبة ويعتبر كأخ وشريكمع سيدهلبركات الله وامتيازات الانجيل . ومن الناحية الاخرى كان على العبيد ان يمارسوا واجباتهم . «لا بخدمة العين كم يرضى الناس، بل كعبيد المسيح ، عاملين مشيئة الله من القلب» (افسس 6: 6).

ان المسيحية توجد صلة اتحاد وثيقة بين السيد والعبد ، بين الملك ورعاياه ، بين خادم الانجيلوالخاطئ المنحط الذي قد وجد في المسيح تطهيرا من خطاياه . لقد اغتسلو في نفس الدم واحياهم نفس الروح وصاروا اواحدا في المسيح يسوع . [417]

الفصل الر ابع والاربعون

بيت قيصر

لقد احرز الانجيل اعظم انتصاراته ووصل الى اوج نجاحه بين الطبقات الفقيرة . وهاهو بلوس يقول: «ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون اقوياء ، ليس كثيرون شرفاء» (1 كورنثوس 1 :26). ولهذا لم يكن ينتظر ان يولس الذي كان أسيرا لاصديق له يستطيع انيظفر باهتمام وانتباه المواطنين الرومان الاثرياء وطبقة الاشراف . فلمثل هؤلاء قدمت الرذيلة اغراءاتها الخلابة وجعلتهم اسرى لها بمحض اختيارهم . ولكن من بين ضحايا ظلمهم ، الذين أضناهم التعب وأذلتهم الحاجة والعوز ، بل حتى من بين البعيد التعساء الفقراء ، اصغى كثيرون بفرح الى اقوال بولس، وبالايمان بالمسيح وجدوا رجاء وسلاما اسنداهم وعزياهم في ظل الظلم والمشقات التي كانت من نصيبهم . ومع ذلك ففي حين ان عمل الرسول بدأ بالوضعاء والادنياء ن فقد امتد تأثيره الى ان وصل الى قصر الامبراطور نفسه .

كانت روما في ذلك الوقت قصبة الدنيا . وكان القياصرة المتعجرفون يضعون الشرائع والقوانين لأغلب امم الارض . وكان الملك وندماؤه اما يجهلون كل شيئ [418] عن الناصري الوضيع ، او ينبذونه ويسخرون منه . ومع ذلك ففي فترة اقل من سنتين شق الانجيل طريقه من بيت الاسير المتواضع الى ابهاء قصر الامبراطور كان بولس مقيدا كفاعل شر . «لكن كلمة اللهلاتقيد» (2 تيموثاوس 2 : 9).

في السنين الماضية جاهر الرسول بايمان المسيح بقوة آسرة . وبالآيات والمعجزات قدم برهانالايخطئ على الصفة الالهية لهذا الايمان . وبثبات ونبل وشجاعة وقف امام حكماء اليونان ، وبعمله العزير وفصاحته النادرة ابكم حجج الفلسفة المتعجرفة. وبشجاعة لاتعرف الخوف وقف أمام ملوك وولاة وتحدث معهم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة ، حتى اتعب الحكام المتكبرون كما لو انهم كانوا يرون أهوال يوم الله.

اما حيئنذ فلم تعد لدى الرسول مثل هذه الفرص التي حرم منها ، اذ كان عليه ان يلازم مسكنهلايبرحه ، فكانت كرازته بالحقمقصورةعلى الذين كان يمكنهم المجيئ اليه دون غيرهم . ولم يمنح له تفويض كالذي منح لموسى وهارون وفق امر الهي ، بالذهاب الى الملك الخليع ، وباسم اللهه العظيم يوبخه على قسوته وظلمه. ومع ذلك ففي نفس ذلك الوقت الذي بدأ وكأن أعظم مدافع عن الحق قد انقطع عن العمل العلني . احرز الانجيل نصرة عظيمة ، لأن من نفس بيت الملك انضم اعضاء الى الكنيسة.

لم يك هناك قط جو غير متجانس مع المسيحيةمثلما كان في البلاط الروماني . فقد بدأ ان نيرون قد محا عن نفسه آخر اثار الصفات الالهية وحتى الصفات الانسانية ، وانه صار يحمل طابع الشيطان . واكن اتباعه وندماؤه في الغالب يتصفون بصفاته ـــ فكانوا شرسين ومنحطين وفاسدين . وكان يبدو ان المسيحية يستحيلان تثبت قدمها في بلاط نيرون وقصره . [419]

ومع ذلك ففي هذه الحالة كما في حالات اخرى كثيرة تبين صدق التصريح الذي نطق به بولس حين قال اناسحلة محاربته «قادرة بالله على هدم حصون» (2 كورنثوس 10 : 4). فحتى في بيت نيرون احرز الصليب انتصارات باهرة . فمن بين حاشية شريرة وفاسدة لملك اكثر شرا وفسادا ، ربح ابعض المهتدين

الذي صاروا أولادا لله . ولم يكن هؤلاء مسيحيين في الخفاء ولكنهم جاهروا بمسيحيتهم ولم يستحوا بإيمانهم. ولكن بأية وسيلة امكن للمسيحية التغلغل وتثبيت قدمها حيث بدا أ دخولها او السماح بها امر مستحيل؟ ان بولس في رسالته الى اهل فيلبي ، نسب نجاحه ربح مهتدين الى الايمان من بين نيرون الى سجنه. فلخوفه من ان يظن ان آلامه قد عطلت تقدم الانجيل ، اكد لجماعة القيليبين قائلا : «اريد ان تعلموا ايهاالاخوة ان أموري قد آلت اكثر الى تقدم الانجيل» (فيلبي 1 : 12).

لما عملت الكنائس المسيحية في بادئ الامر ان بولسمزمع ان يزور روما ، كانو ينتظرون انه سيحرزنصرا فذا للانجيل في تلك المدينة. لقد حمل بولس الحق الى بلدان كثيرة وكرز به في المدن العظيمة. افلا يمكن لبطل الايمان ان يفلح في ربح نفسوا للمسيح حتى في قصبة العالم ؟ الا ان آمالهم تحطمت حين علموا ان بولس قد ذهب الى روما اسيرا . كانوا يؤملون بكل ثقة ان يروا الانجيل وقد ثبت ورسخت قدمه في هذا المركز العظيم، ومن ثم يمتد بسرعو الى كل الامم ويصير هو القوة الغالبة في الارض . فما كان امر خيبة آمالهم لقد فشلت التوقعات البشرية ، اما قصد الله فلم يفشل .

ان ماكان مزمعا ان يسترعي انتباه البلاط الى المسيحية لم يكن هو عظات بولس بل وثقه وقيوده. فكأسير أمكنه ان يحكم قيود نفوس كثيرة قيدتها عبودية [420] الخطية . ولم يكن هذا كل شيئ . فلقد اعلن قائلا : «واكثر الاخوة . وقهم واثقون في الرب بوثقي ، يجترئون اكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف» (فيلبي1 : 14).

ان صبر بولس وفرحه في اثناء مدة سجنه الطويلة بغير حق ، وشجاعته وايمانه ، كله كان بمثابة عظة دائمة. وروحه التي كانت على نقيض روح العالم شهدت بأن قوة اسمى من قوة الارض كانت تلازمه . وقد حرك مثاله المسيحين ودفعهم لبذل نشاط أعظمكمدافعيين عن القضيةالتي كان قد انسحب بولس من العمل فيها جهارا . فبهذه الوسائل كان لوثق الرسول تأثيرا بحثانع عندما بدا ان قوة كرازته وتأثيرها قد بطلا وانقطعا ، وكانت كل الظواهر تدل على انه لن يعمل الا اقل القليل ، حينئذ جمع حزما للمسيح من حقول بدا كأنه قد نفي منها .

وقبل انقضاء السنتين اللتين قضاهما بولس سجينا امكنه ان يقول : «ان وثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الاماكن اجمع» وبين الذين ارسلو سلامهم الى اهل فيلبي يذكر على الخصوص «الذين من بيت قيصر» (فيلبي 1: 13، 4 : 22).

ان الصبر والشجاعة لهما نصراتهما . فبواسطة الاحتمال والوداعة تحت التجربة يمكن ان تربح نفوس للمسيحكما في ابداء الجرأة في تنفيذ المشاريع سواء بسواء . ان المسيحي الذي يظهر الصبر والفرح تحت آلام التكل والحرمان والعذاب ، والذي يواجه حتى الموت نفسه بسلام وهدوء الايمان الذي لا يتزعزع ، يمكنه ان يعمل للانجيلاكثر مما كان يمكنه ان يعمل بحياة طويلة يقضيهافي الخدمة الامينة. في أحيان كثيرة عندما يسحب خادم الله من غمرة واجباته النشطة ، إن عناية اللهالعجيبة التي نندبها نحن لقصرنظرنا ، يقصد الله بها ان ينجز عملا ما يمكن انجازه بغير ذلك. [421]

لايظنن تباع المسيح انه عندما لايعود قادرا على القيام بعمل لله نشط وعلني اعلاء لحقه فإنه لاتعود توجد خدمة يؤديها ولا مكافأة يحصل عليها . ان خدام المسيح وشهوده الامناءلايمكن ان يلقى بهم جانبا. ففي الصحة والمرض ، في الحياة والموت ، لايزال الله يستخدمهم . فعندما يضطهد خدام المسيحبسبب خبث الشيطان ، وتتعطل خدماتهم النشطة ، وعندما يلقى بهم في الجس ناو يساقون ليشنقوا او ليحترقوا ، فإن القصد من ذلك ان يحرز الحق انتصارا اعظم . فإذ ختم هؤلاء الامناء شهادتهم بدمهم ، فإن النفوس التي كانتمن قبلفريسة للشكوك وعدم اليقين آمنت بالمسيح ووقفت في صفه بكل شجاعة , فمن رماد الشهداء جمع حصاد وفير الله .

ان غيرة بولسوشركائه في الخدمة وولاءهم، مثلها في ذلم المثل ايمان المهتدين الى المسيحية وطاعتهم في ظروف صعبة جدا ، هي توبيخ صارم لكسل خادم المسيح وافتقاره الى الايمان . كان يمكن لبولس وشركائه في الخدمة ان يحتجوا قائلين انهم عبثا ينادون بالتوبة والايمان بالمسيح لعبيد نيرون الذين كانوا معرضين لتجارب عنيفة ومحاطين بمعطلات هائلة وعرضة لمقاومة مرة , وحتى لو اقتنعوا بالحق فكيف يمكنهم ان يقدمو الطاعة ؟ ولكن بولس لم يفكر هكذا . انما بالايمان قدمالانجيل لهذه النفوس وكان بين سامعيه جماعة عقدوا العزم على الطاعة مهما كانت الكلفة . وبالرغم من المعطلات والمخاطر ، سيقبلون النور ويثقون ان الله سيعينهم حتى يضيئ نورهم على من حولهم.

ولم يربح المهتدون الى الحق فيبيت قيصر وحسب ن ولكنهم بعد اهتدائهم ظوا في ذلك البيت . لم يكونو يحسون ان لهم الحرية في ترك مراكزهم وواجباتهم لأن البيئة التي كانوا يعيشون فيها ماعدات مؤاتية لهم او متجانسة مع [422] اخلاقهم. لقد وجدهم الحقهناك فلبثوا هناك حيث شهدو بحياتهم وصفاتهم المتجددة لقوة الايمان الجديد المغيرة .

هل هناك من يجرون لأن يجعلوا ظروفهم حجة وعذرا لاخفاقهم في الشهادة للمسيح؟ ليفكر امثال هؤلاء في موقف التلاميذ الذين كانوا في بيت قيصر — في وجود فساد الامبراطور وخلاعة الحاشية والبلاط كله . اننا لانكاد نتصور وجود ظروف اكثر معاكسة للحياة الدينية وينتج عنها تضحيات او مقاومات اعظم من تلك التي وجد أولئك المهتدون انفسهم فيها . ومع ذلك ففي وسط الصعوبات والمخطار ظلو ثابتين على ولائهم. ان المسيحي قد يحاول اعفاء نفسه من طاعة الحق كما هو في يسوع بسبب العوائقالتي يبدو انه يصعب التغلب عليها ، ولكنه لايستطيع تقديم عذر يحتمل الامتحان . فلو أمكنه ذلك لكان برهن علىانه الله ظالم (حاشا لله). في كونه اوجد اولاده فيظروف اوشروط للخلاص لايمكنهم الامتثال لها .

ان من ثبت قلبه ووطد عزمه على خدمة الله سيجد فرصة مؤاتية للشهادة له والصعوبات لن يكون لها تأثير في تعطيل من قد عقد العزم ان يطلب أولا ملكوت الله وبره . فبالقوة التي ينالهابالصلاة ودرس الكلمة سيطلب الفضيلة ويهجر الرذيلة . واذ ينظر الى يسوع رئيس الايمان ومكمله ، الذي احتمل لنفسه مقاومة الخطاة، فإن ذلك المؤمن سيصمد امام الاحتقار والسخرية عن طيبخاطر . وذاك الذي كلامه حق يعده بالعون والنعمة لكل حالة . والاذرع الابديةتحيط بالنفس التي تلتفت الى الرب في طلب العون . ويمكننا ان نستند علىرعايته مطمئنين وقائلين : «في يوم خوفي ، انا عليك أتكل» (مزمور56 : 3). والله سيتمم وعده لكل من يتوكلون عليه. [423]

ان المخلص قد برهن بمثاله ان تابعيه يمكنهم ان يكونوا في العالم ومع ذلك لا يكونون من العالم. انه لم يأت ليشارك العالم في مسراته الخادعة او لينساق مع تيار عاداته او ليتمثل به في ممارساته ، بل ليفعل ارادة ابيه ويطلب ويخلص ما قد هلك . فالمسيحي اذ يجعل هذا الهدف نصب عينيه، يمكنه ان يقف طاهرا غير ملوث في اية بيئة يوجد . ومهمايكن مركزه او ظروفه ، سواء في حال الرفعة او الاتضاع ، فسيظهرقوة الديانة الحقة في قيامة بواجبه بكل امانه .

ان الخلق المسيحي يتكون وينمو لا في تحررهمن التجربة بل في وسطها . ان تعرض تابع المسيح للخيبةوالصدمات والمقاومات يقوده الى مزيد من السهروالصلاة الحارة للمعينالقدير . فالمؤمن اذ يحتمل التجربة القاسية بنعمة الله فإن ذلك ينمي فيه الصبر والسهر واليقظة والجلد والثبات ، والثقةالعميقة الثابتة في الله. ان نصرة الايمان المسيحي هي التي تعين معتنقها على ان يحتمل ويتقوى ، وان يخضع ، وهكذا ينتصر ، او يموت كل يوم ومع ذلك يحيا ، وان يحمل الصليب ، وهكذا ينال اكليل المجد. [424] [425]

الفصل الخامس والاربعون

رسالة كتبت في رومية

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في رسالتي كولوسي وفيلبي)

ان الرسول بولس في اختباره المسيحيالباكر اعطيت له فرصة خاصة ليتعلم ارادة الله بالنسبة الى تابعي يسوع . لقد «اختطف هذا السماءالثالثة» «الى الفردوس ، وسمع كلمات لاينطق بها ، ولايسوع لانسان ان يتكلم بها» وهو نفسه يعترف بأنه قد اعطي له ان يرى «مناظر الرب واعلاناته». وان ادراكه لمبادئ حق الانجيل كان مساوي لادراك «فائقيالرسل» (2 كورنثوس 12: 2 ، 4 ، 1 ، 11)كان يدرك ادراكا واضحا كاملا «عرض وطول وعمق وعلو محبة المسيح الفائقة المعرفة» (افسس 3 : 18 ، 19),

لم يستطع بولس ان يخبر بكل ماشاهده في الرؤيا ، لأنه كان يوجد بين سامعيه من كان يمكن ان يسيؤوا تطبيق أقواله . ولكن ماعلن له اعانه كي يخدم كقائد ومعلم حكيم ، كما ساعده في صوغ الرسائيل التي ارسلها فيما بعد الى الكنائس . والتأثير الذي حدث له حين كان يرى الرؤيا لازمة دائما واعانه كي يقدم صورة صادقة صحيحة للخق المسيحي. فبأقواله ورسائله حمل رسالة قدمت لكنيسة الله العون والقوة منذ ذلك الحين. هذه الرسالة تنطق بوضوح [426] لمسيحي اليوم مبننة المخاطر المزمعة ان تهدد الكنيسة ، والتعاليم الكاذبة التي عليهم ان يواجهوها .

ان رغبة الرسول نحو أولئك الذين ارسل اليهم رسائل النصح والانذار هي: «كي لا نكون في مابعد أطفالا مضطربين ومحمولين بكل ريح تعليم» بلان يصلوا جميعم الى «وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله . الى انسان كامل. الى قياس قامة ملء المسيح.» وقد توسلالىمن كانوا تابعين ليسوع في الاوساط الوثنية الا يسلكوا ك«كما يسلك سائر الامم ايضا ببطل ذهنهم ، اذ هم مظلموا الفكر ، ومتجنبون عن حياة الله ..بسبب غلاظة قلوبهم»بل «تسلكون بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء مقتدين الوقت» (افسس 4: 14 ، 13 ،1 7 ، 18، 5 : 15 ، 16). وقد شجع المؤمنين كي نظروا الى الامام الى الوقت الذي فيه احب المسيح «الكنيسة واسلم نفسه لأجلها — لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة ، لا دنس فيها ولاغضن او شيئ من مثلذلك»كنيسة «مقدسة بلاعيب» (افسس 5: 25 ، 27).

هذه الرسائل المكتوبة لا بقوة انسان بل بقوة الله تشتمل على تعاليم ينبغي للجميع ان يدرسوها ويكمن تكرارها مرارا للنفع والفائدة . ففيها لخصت التقوى العملية ، ووضعت مبادئ يحق لكل كنيسة ان تتبعها ، واوضحت الطريق المؤدي الى الحياة الابدية .

ان بولس في رسالته الى «القديسيين في كولوسي ن والاخوة المؤمنين في المسيح» . والتي كتبت عندما كان سجينافي روما ، يتحدثعن فرحه لأجل ثباتهم في الايمان ، الذي اخبره به ابفراس الذي يقول الرسول عنه انه : «اخبرناايضا بمحبكم في الروح». ثم استطرد يقول : «من اجل ذلك نحن ايضا منذ يوم سمعنا ، لمنزل مصلين وطالبين لأجلكم ان تمتلوا من معرفة مشيئته ن في [427] كل حكمة وفهم روحي لتسلكوا كما يحق للرب، في كل رضى، مثمرنيفي كل عمل صالح ، ونامين في معرفة الله ، متقوين بكل قوة بحسب قدرة مجده ، لكل صبر وطول أناة بفرح» (كولوسي1:2، 9 ، - 11).

وهكذا عبر بولس بالكلام عما يطلبه للمؤمنين في كلوسي . فما اسمى المثل الاعلى الذي تضعه هذه الكلمات امام تابع المسيح ، انها ترينا الامكانات العجيبة للحياة المسيحية وترينا بوضوح انه لاحد للبركات التي يمكن لأولاد الله ان يحصلوا عليها . فإذ يستزيدون باستمرارمن معرفة الله ، يمكنهم ان يذهبوا من قوة الى قوة، ومن سمو الى سمو في الاختبار المسيحي ، حتى انهم «بحسب قدر مجدة» يصيرون«اهلنا لشركة ميرات القديسين في النور» (عدد 11 ،12).

وقد عظم الرسول المسيح ومجده امام اخوته كمن به خلق الله كل الاشياء وبه اكمل فداءهم . كام اعلن ان اليد التي تدعم العوالم في الفضاء ، والتي تبقي كل الاشياء في كل مسكونة الله في نظامها المتقن ونشاطها وحركتها التي لاتتني ولا تكل ن هي اليد التي سمرت على الصليب لأجلهم. وقد كتب بولس يقول : «فيه خلق الكلل : مافي السماوات وماعلى الارض ، مايرى ومالايرى، سواء كان عرشوا ام سيادات ام ريساسات ام سلاطين. الكل به وله قد خلق . الذي هو قبل كل شيئ ، وفيه يقوم الكل» (عدد 16 ، 17) «وانتم الذين كنتم قبلا اجنبيين واعداء في الفكر ، في الاعمال الشريرة، قد صالحكم الان في جسم بشريته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم لا شكوى امامه» (عدد 21، 22).

ان ابن الله قد تنازل ليرفع الساقطين ، ولأجل ذلك تركالعوالم التي بلا خطية في الاعالي ، التسعة والتعسين الذي احبوه واتى الى هذا العالم ليكون «مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا» (اشعياء 53 : 5). كان ينبغي ان يشبه [428] اخوته في كل شيئ . وقد صار بشرا مثلنا . وعرف معنى الجوع والعطش واختبر التعب والاعياء . وكان يسند قلبه بالطعام وينتعش بالنوم . كان غريبا ونزيلا على الارض — كان في العالم وكلنه لم يكن منه . لقد جرب وامتحن كما يجرب الرجال والنساء ويمتحنون في هذه الايام ، ومع ذلك فقد عاش بلا خطية . زاذ كان رقيقا ومشفقا وعطوفاوعلى الدوام منصفا للآخرين فقد مثل صفات الله «والكلمة صار جسداوحل بيننا .. مملواءا نعمة وحقا» (يوحنا 1 : 14).

ان المؤمنين في كولولسياذ اكنوا محاطين بأعمال الوثنية وتأثيراتها ، كانوا في خطر من ان يجتذبوا بعيدا عن بساطة الانجيل فإذ حذرهم بولس من هذا ووجه انظارهم الى المسيح بوصفه المرشد الامينالوحيد ، كتب يقول لهم : (فإني اريد ان تعلموا أي جهاد لي لأجلكم ، ولاجل الذين في لاودكية ، وجميع الذين لم يروا وجهي فيالجسد، لكي تتعزى قلوبهم مقترنة في المحبة لكل غنى يقين الفهم ، لمعرفة سر الله الآبوالمسيح ، المدخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم.

«وانما اقول هذالئلا يخدعكم احد بكلام ملق ... فكما قبلتم المسيح يسوعالربا سلكوا فيه ، متأصلين ومبينين فيه ، وموطدين في الايمان ، كما علتمتم ن متفاضلين فيه بالشكر . انظروا انلايكون احد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل ، حسب تقليد الناس ، حسب اركان العالم ، وليس حسب المسيح ، فإنه فيه يحل كل ملئ اللاهوت جسديا ، وانتم مملوؤون فهي ، الذيهو رأس كل رياسةوسلطان» (كولوسي2: 1 — 10).

لقد انبأ المسيح أنه سيقوم ن وبسب تأثيرهم «سيكثر الاثم) ، وتبرد محبة الكثيرين» . كما انذر التلاميذ ان الخطر الذي ستستهدف له الكنيسة من هذا الشر سيكون اعظم وارهب مما ستتعرض له [429] من جراء اضطهاد اعدائها . وقد حذر بولس جماعةالمؤمنين مرارا عديدة من هؤلاء المعلمين الكذبة . وانه ينبغي لهم ان يتحفظوا اكثر من حذرهم من أي خطر آخر ، فإنهم ان قبلوا المعلمين المذبة فإنهم بذلك يفسحون المجال لضلالات بهايظلم العدو بصيرتهم الروحية ، ويزعزع ثقة الحديقي العهد بايمان الانجيل . ان المسيح هو التموذ والمقياس الذي على نوره يمتحنون التعاليم التي تقدم لهم . فكلمالا يتفق مع تعاليمه عليهم ان ينبذوه . فالمسيح المصلوب لأجل الخطية، والمسيح المقام من بين الاموات ، والمسيح الصاعد الى السماء كان هو علم الخلاص الذي كان عليهم ان يتعلموه ويعلمو به

ان انذارات كلمة الله بالنسبة للمخاطر المحدقة بالكنيسة المسيحية لازمة لنا في هذه الايام ، فكما حاول

بعض الناس في ايام الرسل بواسطة التقليد والفلسفة ان يلاشو الايمان بالكتب المقدسة كذلك الحال اليوم اذ يحاول عدو البر بواسطة الاراء المسرة التي يبتكرها من ينتمون الى المذهب المسى «بالنقد الاعلى» ومذهب النشوء والارتقاء ، ومناجاة الارواح ، والتصوف ن ومذهب من يعتقدون بالوهية الكون ،يحاول عدو البر ان يضلل النفوس لتسير في الطرق المنهي عنها . ان الكتابالمقدس يشبه في نظر كثيرين مصباحا لازيت فيه ، ذلك لأن عقولهم انحرفت الى قنوات الاعتقاد النظري والتخمينات التي تؤدي بالانسان الى سوء الفهم والارتباك والبلبلة . ان عمل «النقد الاعلى» في الترشيح والتخمين والتشييد من جديد ، يلاشي الايمانبالكتاب كإعلان الهي. وهو يسلب كلمة الله من القدر على ان تسيطرة على حياة البشروتسموا بها وتلهمها . وبواسطة مناجاة الارواح يتعلم جماهيركثيرة من الناس الاعتقاد بأن الشهوة هي اسمى قانون وان الخلاعة حرية وان الانسان مسؤول امام نفسه فقط. [430]

ان تابع المسيح لابد سيواجه «بكلام ملق» الذي حذر الرسول مؤمني كولوسي منه (كولوسي2 : 4). وسيواجه تأويلات معتنقي مذهبمناجاة الارواح للكتاب المقدس ولكن عليه الا يقبلها . وينبغي ان يسمع صوته عاليا مجلجلا في توكيد واضح صريح لحقائق الكتاب المقدس الابدية . واذ يثبت نظره في المسيح ، عليه ان يتقدم بمثابرة الى الامام في الطريق المرسوم . مبعدا عن نفسه كل الآراء التي لا تتفق وتعليم الله . وينبغيان يكون حق الله موضوع تأمله ولهجه . وعليه ان يعتبر الكتاب المقدس صوت الله مكلما اياه مباشرة . وهكذا يجد الحكمة الالهية .

ان معرفة الله كما هي معلنة في المسحي هي المعرفة التي ينبغي ان يمتلكها جميع المخلصين . هذه هي املعرفة اتي تحدث تغييرا في الخلق . واذ يقبلها الانسان في حياته فهي تخلق النفس خليقة جديدة على صورة المسيح. هذه هي المعرفة التي يدعوا اولاده ليقبلوها ، وكل ما عداها باطل وعدم.

في كل عصر وفي كل امة نجد ان الاساس الحقيقي لبناء الاخلاق هو هو لم يتبدل،أي المبادئ المتضمنة في كلمة الله . ان القانون الامين الاكيد الوجيد هو ان نفعل مايقوله الله: «وصايا الرب مستقيمة»، «الذي يصنع هذا لايتزعوع الى الدهر» (مزمور19 : 8 ، 15: 5). وقد واجه الرسل النظريات الكاذبة بكلمة الله قائلين : «لايستطيع احد ان يضع اساسا آخر غير الذين وضع» (1 كورنثوس 3 : 11).

ان مؤمني كولوسي عند اهتدائهم وعمادهم تعهدوا ان يلقوا بعيدا عنهم كل المعتقدات والاعمال التي كانت قبلا جزء من حياتهم وان يكونوا امنياء في ولائهم للمسيح . وقد ذكرهم بولس بهذا في رسالتهوناشدهم الا ينسوا انهم لكي يثبتوا ولائهم للمسيح . وقد ذكرهم بولس بهذا في رسالتهوناشدهم الا ينسوانهم لكي يثبتوا على عهودهم عليهم ان يبذلوا جهدا مستمرا في محاربة الشرور التي تحاول السيطرة عليهم. فقال لهم «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما [431] فوق ن حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموابما فوق لا بما على الارض ، لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كولوسي3 : 1 — 3).

«ان كان احد في المسيح فهو خليقة جديدة : الاشياء العتيقة قد مضت ، هوذا الكل قد صار جديدا» (2 كورنثوس 5 : 17). فبواسطة قوة المسيح امكن للرجال والنساء ان يحطموا سلاسل العادات الشريرة . لة نبذوا عنهم الانانية . فالنجسون صارو وقورينوالسكيرون اصبحوا صاحين .، والخلعاء طاهرين . والنفوس التي كانت تحمل صورة الشيطان تغيرت فصار تحمل صورة الله . هذا التغييرهو في ذاته آية الآيات. والتغيير الذي يحدث بواسطة الكلمة هو من اعمق اسرار الكلمة. نحن لانستطيع ان ندركه ولكننا فقط نؤمن ، كما هو معلن في الكتاب : «المسيح فيكم رجاء المجد» (كولوسي 1 : 27).

عندما يسيطر روح الله على العقل والقلب . تنشد النفس المتجددة انشودة جديدة لأن ذلك المؤمن يتحقق

ان وعدالله قد تم في اختباره وان تعدياته قد غفرت اون خطيته قد سترت. لقد تاب الى اللهعن مخالفته للشريعة الالهية وآمن بالمسيح الذي مات لأجل تبرير الانسان : «فاذ قاد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح» (رومية 5 : 1).

ولكن لان هذا هو اختبار المسيحي، ينبغي الا يجلس مكتوفاليدين قانعا بما قد عمل لأجله. فذاك الذي قد عقد العزم على ان يدخل الملكوت الروحي سيجد ان كل قوى وشهوات طبيعته الاصلية غير المتجددة ، تسانهدا كل جيوش ممكلة الظلام، مصطفة لمحاربته ،ففي كل يوم عليه ان يجدد تكريسه ، وفي كل يوم عليه ان يحارب الشر . والعادات القديمة وميوله الموروثة لعملالشر والخطأ ، [432] كلها ستحاول التسلط عليه فعليه ان يكون أبدا على حذر من هذه كلها محاولا ان ينتصره بقوة المسيح .

paragrah missing

ان حاجتنا العظة هي الى قوة حياة اسمى واطهر وانبل . واننا نعطي للعالم من تفكيرنا ماهو فوق الحاجة ، اما ملكوت السماواتفنوليه القليل من تفكيرنا .

ان المسيحي في محاولته الوصول الى المثل الاعلى الذي قد رسمه الله له ينبغي الا ييأس من شيئ. ان الجميع مدعوون الى الكمال الادبي والروحيبنعمة المسيح وقوته. ويسوع هو مصدر القوة ونبع الحياة . انه يأتي بنا الى كلمته ، ومن شجرة الحياة يقدم لنا اوراقا لشفاء النفوس المريضة بالخطية. [433] وهو يقدونا الى عرش الله ويضع في افواهناصلاة ندخل بموجبها الى صلة وثيقة بشخصه. ولأجلنا يحشد كل قوات السماء المقتدرة ,. وفي كل خطوة نلمس قوته الحية .

ان الله لايقيم حدا لتقدم اولئك الذين يرغبون في «ان تمتلئوا من معرفة مشيئته ، في كل حكمة وفهم روحي». فبواسطة الصلاة والسهر والنمو في المعرفة والفهم ، فإنهم«يتوقوون بكل قوة بحسبقدرة مجده». وبهذه الطريقة يتأهبون لخدمة الاخرين . ان المخلص يقصد ان يكون بنو الانسان،المطهرون والمقدسون مساعدين له . وعلينا ان نشكره على هذا الامتياز حيث قد «اهلنا لشركة ميراث القديسين في النور ، والذي انقذنا من سلطان الظلمة ، ونقلنا الى ملكوت ابن محبته».

وقد كتبت رسالة بولس الى اهل فيلبي عندما كان سجينا في روما مثلها مثل رسالة كولوسي . وكانت كنيسة فيلبي قد ارسلت الى بولس بعض العطايابيد ابفرودتس الذي يدعوه بولس: «اخي والعمال معي ، والمتجد معي ورسولكم ، والخادم لخاجتي». واذ كانابفرودتس في روما «مرض قريبا من الموت ، لكن الله رحمه». ثم يقول بولس الرسول : «وليساياه وحده بل اياي ايضا لئلا يكون لي حزن على حزن». فإذ سمع المؤمنون في فيلبييمرض ابفرودتس امتلأت قلوبهم فزعا عليه ، وقد قرر العودة اليهم. وكتب الرسول يقول : «اذ كان مشتاقاا الى جميعكم ومغموما ، لانكم سمعتم انه كان مريضا ... فاأرسلته اليكم بأوفر سرعة ، حتى اذا رأيتموهتفرحون ايضا وأكون انا اقل حزنا . فاقبلوه في الربيكل فرح ، وليكن مثله مكرما عندكم . لأنه من اجل عمل المسيح قارب الموت، مخاطرا بنفسه ، لكي يجبر نقصان خدمتكم لي» (فيلبي 2 : 25 — 30). [434]

وقد ارسل بولس رسالة الى مؤمنيفيلبي بيد ابرودتس وفيها شكرهم على عطاياهم التي قد ارسلوها اليه . لقد كانت كنيسة فيلبي اسخى جميع الكنائس في تدبير احتياجات الرسول . وقد قال الرسول في رسالته : «واتم ايضا تعلمونايها الفيلبيون انه في بداءة الانجيل ، لما خرجت من مكدونية ، لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والاخذ الا انتم وحدكم ,. فإنكم في تسالونيكي ايضا رسلتم الى مرة ومرتين لحاجتي . ليس اني اطلب العطية ، بل اطلب الثمرالمتكاثر لحسابكم . ولكني قد استوفيت كل شيئ واستفضلت. قد امتلأت اذ قلبت من ابفروديسالاشياء التي من عندكم ، نسيم رائحة طيبة ، ذبيحة مقبولة مرضية عند الله» (فيلبي 4 : 15 — 18).

وهاهو يكتب اليهم قائلا: «نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح . اشكر الهي عند كل ذكري اياكم دائما في كل ادعيتي ، مقدما الطلبة لأجل جميعكم بفرح ، لسبب مشاركتكم في الانجيلممن اول يوم الى الآن. واثقا بهاذ عينه ان الذي ابتدأ فيكم عملا صالحا يكمل الى يوم يسوع المسيح . كما يحق لي ان افتكر هذا من جهة جميعكم ، لأني حافظكمفي قلبي ، في وثقي ، وفي المحاماة عن الانجيل وتثبيته ،انتم الذين جميعكمشركائي في النعمة . فان الله شاهد لي كيف اشتاق الى جميعكم .. وهذا اصليه : ان تزداد محبتكم ايضا اكثر فأكثر في المعرفة وفي كل هم، حتى تميزا الامور المتخالفة ، لكي تكونو مخلصين وبلا عثرة الى يوم المسيح ، مملئين من ثمر البر الذي بيسوع المسيح لمحد الله وحمد» (فيبلي 1 : 2 — 11).

لقد اعانت نعمة الله بولس في جسنه وساعدته كي يفرح في الضيق . فبإيمان ويقين كتب الى اخوته في فيبلي يقول لهم ان سجنه كان من نتائجه تقدم الانجيل . فقال : «ثم اريد ان تعلموا ايها الاخوة ان اموري قد آلت اكثر الى تقدم [435] الانجيل ، حتى ان وثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الاماكناجمع . واكثر الاخوة ، وهم واثقون في الرب بوثقي ، يجترئون اكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف» (فيلبي 1 : 12 — 14).

ان لنا في اختبار بولس هذا درسا ، لأنه يعلن لنا عن طريقة الله في العمل . ان الرب يستطيع ان يخرج النصرة مما يبدو انه فشل وهزيمة . واننا في خطر من ان ننسى الله، وننظر ما يرى بدلا من ان ننظر بعين الايمان الى ما لايرى. فعندما يحالفنا سوءالحظ او تحل بنا كارثة او بلية فسرعان مانتهم الله بالاهمالاو القسوة . واذا كان يرى من المناسب او يوقف نفعنافي ناحية ما ، فإننا ننوح ولا نجلس لنفكر في ان الله قد يعمل لخيرنا بهذه الطريقة. اننا نحتاج ان نتعلمان التأديب هو جزء من خطته العظيمة، وان المسيحي وهو تحت عصا التأديب قد يخدم سيده احيانا اكثر مما لو كان يشتغل يقوم بخدماته النشطة.

ان بولس يوجه انظار اهل فيلبي الى المسيح كمثال لهم في الحياة المسيحية قائلا : «الذي اذ كان في صورة الله ، لم سحب خلسة ان يكون معادلالله . لكنه اخلى نفسه ، آخذا صورة عبد ، صائرافي شبه الناس . واذ وجد في الهيئة كانسان ، وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب .»

ثم استطرد يقول: «اذا ياحبائي ، كما اطعتم كل حين ، اليس كما في حضوري فقط ، بل الآن بالأولى جدا في غيابي، تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم ان تريدوا وان تعملوا من اجل المسرة .افعلوا كل شيئ بلا دمدمة ولا مجادلة، لكي تكونو بلا لو ، وبسطاء ، اولادا لله بلا عيبفي وسط جيلمعوج وملتو ، تيضئون بينهم كأنوار في العالم . متمسكين بكلمة الحياة الافتخاري في يوم المسيح ، بأني لم اسع باطلا ولاتعبت باطلا» (فيبلي : 5 — 8 ، 12 — 16). [436]

لقد سجل هذا الكلام لمساعدة كل نفس مجاهدة . ان بولس يرفع مثال الكمال عاليا ويرينا كيف يمكننا بلوغه والوصول اليه . فيقول : «تمموا خلاصكم بخوف ورعدة ، لأن الله هو العامل فيكم»

ان عمل نيل الخلاص هو عمل مساهمة مشتركة وعملية متصلة. فينبغي ان يوجد تعاون بين الله وبين الخاطئ التائب. هذا لازم وضروري لأجل تكوين مبادئ صائبة وعادلة في الخلق . فعلى الانسان ان يبذلجهودا جادة لينتصر على مايعطله عن بلوغ الكمال . ولكنه يعتمد بالتمام على لاحراز النجاح. ان المجهود البشري قاصر في حد ذاته. فبدون معونة القوة الالهية لاجدوى منه. فالله يعمل والانسان يعمل كذلك، ولكن الانسان هو الذي يجب عليه ان يقاوم التجربة وعليه ان يستمد قوته من الله . فمن الناحية الواحدة توجد الحكمة والرأفة والمدرة غير المحدودة ، ومن الاخرى يوجد الضعف والشر والعجز التام.

ان الله يريدنا ان نسيطر على نفوسنا . ولكنه لايستطيع مساعدتنا في ذلك بدون رضانا وتعاوننا . ان روح الله يعمل عن طريق القوى والذكاء والمقدرة المعطاة للانسان . اننا من ذواتنا لانستطيع التوفيق بين الاغراض والرغبات والميولو بين ارادة الله . ولكن اذا رغبنا فالمخلص سيتمم هذا لنا : «هادمين ظنونا

وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر الى طاعة المسيح» (2 كورنثوس 10 : 5).

ان من يريد ان يبني خلقا متناسقا قويا ، ويريد ان يصير مسيحيا متزنا ، عليه ان يقدم كل شيئ ويفعل كل شيئ لأجل المسيحلان الفادي لايقبل خدمةمجزأة، فعليه ان يتعلم كل يوم معنى تسليم الذات . عليه ان يدرس كلمة الله متفهما معناها مطيعا لوصاياها . وهكذا يمكنه بلوغ مقياس التفوق المسيحي. والله يعمل معه يوما فيوما مكملا الخلق الذي سيثبت في وقت الامتحان النهائي. [437] ويوما فيوم يؤدي المؤمن أمام الناس والملائكة تجربة سامية مبينا ما يمكن للانجيلان يفعله للبشر الساقطين .

وقد كتب بولس يقول : «انا لست احسب نفسي اني قد ادركت . ولكني افعل شيئا واحدا : اذ انا انسىماهو وراء وأمتد إلى ماهو قدام ، اسعى نحو الغرضلأجل جعالة دعوة الله العليافي المسيح يسوع» (فيلبي 3 : 13 ، 14).

لقد عمل بولس اعمالا كثيرة . فمنذ الوقت الذي قدم فيه ولاءه للمسيح ، ازدحمت حياته بخدمات لاتكل . فمن مدينة الى مدينةومن بلد الى بلد كان يسافر مخبرا الناسبموضوع الصليب، وكان يربح مهتدين للانجيلكما كان يؤسس كنائس. وكان يرعى هذه الكنائس رعاية دائمة ويكتب اليها رسائيل كثيرة تتضمن تعاليم ثمينة . واحياناكان يزاول حرفته ليكب قوته اليومي . ولكن في كل اعمال ونشاطات حياته ، لم يغب عن نظره قط غرض واحد عظيم ، وهو ان يتقدم الى جعالة دعوته العليا . وقد وضع أمامه هدفا واحدا ثابتا —— وهو ان يكون امينا لذاك الذي اعلن نفسه له عند باب دمشق . ولم يمكن لشيئ ان ياحول نظره عن هذا الغرض . فكونه يعظم ثليب الجلجثة. كان هو الباعث الذي استوعب كل تفكيره والذي كان ملهما له في كلامه واعماله.

ان ذلك الهدفالعظيم الذي دفع بولس الى الامتداد الى ماهو قدام وجه المشقات والصعوبات ينبغي ان يدفه كل خادم للمسيح ان يكرس نفسه بالتمام لخدمة الله . وستعرض أمامه الجواذب الدنيوية لتحول انتباهه بعيدا عن المخلص ، ولكن عليه ان يسعى نحو الغرض ، مبرهنا للعالم وللملائكة وللناس ان الامل في رؤية وجه الله يساوي كل الجهد والتضحية اللذين يتطللبهما بلوغ هذا الرجاء.

ان بولس مع كونه سجينا فانه لم يفشل . وبدلا من ذلك فإن نغمة الانتصار ترن في كل الرسائل التي كتبها من روما للكنائس. فقد كتب الى اهل فيلبي [438] يقول : «افرحو في الرب كل حين ، واقول ايضا افرحوا .. لاتهتموا بشيئ ، بل في كل شيئ بالصلاة والدعاءمع الشكر ، لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذي يفوق كل عقل ، يحفظ قلوبكم وافكاركم في المسيح يسوعاخيرا ايهاالاخوة كل ماهو حق، كل ماهو جليل ، كل ماهو عادلنكل ماهو طاهر ، كل ماهو مسر ، كل ماصيته حسن، ان كانتفضيلة وان كان مدخ ، ففي هذه افتكروا» «فيملأ الهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد المسيح يسوع ... نعمة ربنا يسوعالمسيح جميعكم آمين» (فيلبي 4 : 4 ، 8 ، 9 ، 19 ، 23), [439]

الفصل السادس والاربعون

اطلاق سراح بولس

عندما بوركت خدمات بولس في روما باهتداء نفوس كثيرة وتقوية المؤمنين وتشجعيهم، بدأت تتجمع السحب التي كانت تتهدد ، ليس فقط سلامته بل ايضا نجاح الكنيسة وتقدمها . فحين وصل الى روماأولا وضع تحت حراسة رئيس معسكر الحرس الامبراطوي الذي كان رجلا عادل ومستقيما ، وعن طريق رأفته وحلمه كانت لبولسحرية نسبية لمواصلة القيام بعمل الانجيل . ولكن قبل نهاية سنتي السجن، حل محل هذا الرجل موظف قاس لم يكن الرسول ينتظر منه أي معروف خاص.

وقد صار اليهود الآن انشط مما كانوا في مساعيهم . ضد بولس، وقد وجدوا لهم معينا مقتدرا في شخص المرأة المتهتكة التي جعلها نيرون زوجة الثانية ، والتي لكونها مهتدية يهودية ، القت بكل نفوذها لمساعدتهم في خططهم الاجرامية ضد بطل المسيحية.

ولم يكن بولس ينتظر كثيرا من العدالة منالقيصر الذي قد رفع دعواه اليه . فقد كان نيرون اكثر انحطاطا من الناحية الادبية ، واكثر استهتارا في اخلاقه، وفي الوقتنفسه اكثر اقتدارا في قسوته الفظيعة من أي حاكم سابق . ان عنان [440] الحكم لايمكن ان يوكل الى ملك اشد منه طغيانا . ففي اول سنة من حكمه قتل بالسم اخاه الاصغر ، ابن ابيه ، الذي كان الوارث الشرعي للعرش. وقد انحدر نيرون من بؤرة عميقة للرذيلة والجريمة الى بؤرة اكثر عمقا، حتى قتل امه ، وبعد ذلك قتل زوجته . لم تكن هنالك رذيلة افضع من ان يقترفها ، ولا عمل اشد سفالة من ان ينحدر اليه، لقد كانت اعماله لاتثير سوى الكراهيةوالبغض والازدراء في كل عقل نبيل .

هذا وان الآثام التي ارتكبت في بلاطه كانت منحطة ورهيبة الى اقصى حد ، بحيث لايمكن وصفها. إن شروره وخلاعته خلقت اشمئزازا ونفورا ، حتى في نفوس العديد ممن اجبروا على مشاركته في جرائمه . فباتوا في خوف مستمرمما سيتمخض به من فظائع يقترحها عليهم . ومع ذلك فحتى مثل تلك الجرائم التي ارتكبها نيرون لم تؤثر في ولاه رعاياهله . اقد اعترف به بوصفه الحاكم المطلق على العالم المتدمن كله واكثر من هذا ، فقد كان يتقبل الكرامات المقتصرة على الله ، ويعبد كإله.

فمن وجهة نظر الحكم البشري ، كانت ادانة بولس امام مثل هذا القاضي مؤكدة . ولكن الرسول كان يحس انه طالما ظل على ولائه واخلاصه لله، فليس هناك مايخشاه . فذلك الذيكان حارسا له فيما مضى يستطيع ايضا ان يقيه من خيث اليهود وحقدهم ، ومن سلطان القيصر .

وقد كان الرب حاميا لعبده . فعند محاكمة بولس وجد ان التهم الموجهة ضده لم يكن ممكنا اثباتها .وعلى غير ماكان يتوقعه الجميع ، ومراعاة للعدالة التي كانت مغايرة تماما لخلق نيرون ، اعلن ذلك القيصر ان الاسير غير مذنب فأزيلت القيود عن بولس ومرة اخرى امسى انسانا حرا .

فلو ارجئت محاكمته وقتا اطول ، او لو ابقى في روما الى السنة التاليةلأي سبب ، لكان قد هلك حتما في الاضطهاد الذي حدث حينئذ. وفي غضون مدة [441] سجن بولس زاد عدد المهتدين الى المسيحية زيادة عظيمة بحيث استرعت انتباه السلطات واثارت عداوتها . وقد ثار غضب الامبراطور خصوصا

عندما اهتدى الى المسيح بعض اعضاء بيته، وسرعان ماوجد علة جعل لأجلها المسيحيين هدفا لقسوته التي لاترحم.

ففي ذلك الوقت تقريبا حدث حريق هائلفيروما دمر حوالي نصف المدينة. وقد انتشرت اشاعة تقول ان نيرون نفسه هوالذي امرباضرام النار في المدينة، فلكي يحولعن نفسه التهمة تظاهر بسخاء وكرم عظيمينبكونه ساعد الذين بلا مأوى والمعدمين. ومع ذلك فقد اتهم بتلك الجريمة . فهاج الناس وغضبوا . فكلي يبرئ نفسه ولكي تتخلص المدينة من جماعة من الناس كان هو يخشاها ويبغضها ، الصق نيرون التهمة بالمسيحيين . وقد افلحت مكيدته ومات آلاف من اتباع المسيح منالرجال والنساء والاطفال ميتات قاسية.

وقد أبقى على حياة بولس فلم يلحقه هذا الاضطهاد ، لأنه حالماطلق سراحه غادر روما . وقد احسن استخدام فترة الحرية الاخيرة. هذه بكل اجتهاد اذ خدم في الكنائس وقد حاول ان يقيم اتحادا اوثق بينالكنائس اليونانية والكنائس الشرقية ويحصن عقولالمؤمنين ضد التعاليم الكاذبة التي كانت تزحف الى الكنائس لكي تفسد ايمانها .

ان التجارب والهموم التي احتملهابولس اثرت على قوه الجسدية . وقد ادركته ضعفات الشيخوخة. واحس انه يقوم بآخر عمل له ، وكلما قصرت مدة خدمته كلما زادت جهوده التي بذل فيها قصاراه . وقد بدا كأن لاحد لغيرته . فإذ كان ثابتا في عزمه وسريعا في عمله وقويا في ايمانه ، كان يسافر من كنيسة الى كنيسة في اقطار عديدة، ويحاول بكل وسيلة في مقدوره ان يشدد أياديالمؤمنين ليكونوا أمناءفي خدمة ربح النفوس ليسوع، وفي الازمنة الصعبة التي كانوا قادمين عليها يظلون ثابتينفي ايمان الانجيل ويشهدون للمسيح شهادة امينة. [442] [443]

الفصل السابع والاربعون

الاعتقال الاخير

ان خدمة بولس في الكنائس ، بعدما اطلق سراحه، لم تكن لتخفى على اعدائه . ومنذ بدء الاضطهاد الذي اثاره نيرون، اعتبر المسيحيون في كل مكان شيعة محرمةومبعدة. وبعد وقت فكرة اليهود غير المؤمنين في الصاق تهمة خطيرة ببولس مؤداها انه هو الذي حرض على حرق روما . صحيح ان احدامنهم لم يفكر لحظة ان بولس كان مذنبا ، ولكنهم كانو يعملون ان مثل هذه التهمة اذا لاقت أي قبول فإنه ستكون كفيلة بأن تختم على هلاكه.وهكذا فعن طريق جهودهم، قبض على بولس ثانية ونقل الى سجنه الاخير بسرعة.

وفي سفرته الثانية الى روماصحب بولس عددا من رفقائه القدمى ، وآخرون طلبوا بكل غيرة والحاح ان يشاطروه مصيره ، ولكنه لم يسمح لهم بتعريض حياتهم للخطر بهذه الطريقة, لقد كان المستقبلامامه اقل ملاءمة ، بما لايقاس، مما ككان عندما اعتقلاول مرة . فقد التهمت نيران الاضطهادات التي ثارت تحت حكم نيرون،كثيرين من المسيحين فنقص عدد الاحياء منهم فيروما نقصا كبيرا . لقد استشهد آلاف منهم لأجل ايمانهم، وكثيرون منهم هجرو المدينة، والباقون فيها كان متضايقين ومذعورين الى حد كبير . [444]

وعندما وصل بولس الى روما القي به في سجن كئيب ليبقى هناك حتى ينتهي به المطاف. واذ كان متهما بالتحريض على ارتكاب واحدة من احط وارهب الجرائمضد المدينة والامة فقد صار موضع كراهية الجميع ، وبدأ الاصدقاء القليلون الذين شاركوا الرسول في أعبائه يهجرونه عندئذ ، بعضهم تركوه نهائيا والبعض الآخر أوفدوا إلى الكنائس المتعددة في مهمات خاصة . وقد كان فيجللوس وهموجانوس أول من تركاه، ثم ان ديماس ، اذ ملكه اليأس بسبب سحب الصعوبات والمخاطر المتجمعة، ترك الرسول المضطهد ، وقد ارسل بولس كريسكيس الى كنائس غلاطية ، وتيطيس الى دلماطية ، وتيخيكس الى افسس , واذ كتب بولس الى تيموثاوس عن اختباره هذا قال في رسالته «لوقا وحده معي» (2 تموثاوس 4 : 11).ان بولس كان في ذلك الوقت في اشدالحاجة الى خدمات اخوته اذ كان قد ادركه الوهنبسبب شيخوخته وكده وتعبه وضعفاته الكثيرةوهو سجين في تلك السراديب الرطبة المظلمة في ذلك السجن الروماني . اما خدمات لوقا التلميذ الحبيب والصديق الامين فكانت عزاء عظيما لبولس وقد اعانته على الاتصال باخوته وبالعالم الخارجي .

وفي ذلك الظرف الصعب القاسي ابتهج قلب بولس بزيارات انيسيفورس المتعدد. فهذا الرجل الافسسي الحار القلب بذل كل مافي طوقه للتخفيف من اعباء الرسول في سجنه. لقد كان معلمه الحبيب مكبلا بالقيود لأجلالحق بينما هو نفسه كان حرا طليقا ، ولذلك فلم يدخر وسعا في جعل نصيب بولس اكثر احتمالا .

وفي اخر رسالة كتبها الرسول ، يتحدث هكذا عن هذا التلميذ الامين قائلا : «ليعط الرب رحمة لبيت انيسيفورس، لأنه مرارا كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي ، بل لما كان في رومية طلبني بأور اجتهاد فوجدني ، ليعطيه الرب ان يد رحمة من الرب في ذلك اليوم»-(2 تموثاوس 1 : 16 ، 18). [445]

ان الشوق الى المحبة والعطف هو غرس يغرسه الله نفسه في القلب . ان المسيح في ساعة آلامه في جثسيماني كان يتوق الى عطف تلاميذه . وبولس مع انه كان يبدو لا مباليا بالمشقات والآلام فإنه كان يتوق اى العطف والمشاركة. وان زيارة انيسيفورس له التي شهدت بولائه في وقت الوحشة والهجران ، اتت بالفرح والبهجة لقلب ذاك الذي قضى حياته في خدمة الآخرين . [446] [447]

الفصل الثامن والاربعون

بولس امام نيرون

عندما دعي بولس ليمثلامام الامبراطور نيرون للمحاكمة ، لم يكن يتوقع غير الموت الاكيد. فإن طبيعة التهمة الخطيرة الموجهة اليه ، وعداء اكثرية الناس ضد المسيحيين ، لم يترك له الا القليل من الرجاء في الوصولالى نتيجة مرضية,

كانت العادة بيناليونانيين والرومان ان يعطى للمتهم امتياز توكيل محام تولى الدفاع عنه امام محاكم العدل . فبواسطة قوة الحجةاو الفصاحة الحماسية المحركة للعواطف او التوسلات والتضرعات والدموع، كان يمكن لمثل ذلك المحامي في اغلب الاحيان ان يظفر بحكم في صالح السجين، فان اخفق في ذلك فقد يفلح في التخفيف من قسوة الحكم . ولكن عندما دعي بولس للمثول امام نيرون، لم يجرؤ احد ان يعمل كمشير له او يتولى امر الدفاع عنه، ولا كان هناك صديق كي يحفظ سجلا بالتهم الموجهة اليه او الحجج التي دافع بها عن نفسه . فبين المسيحيين في روما لم يتقدماحد ليقف الى جانبه في تلك الساعة القاسية.

والسجل الوحيد الموثوق به عن تلك المحاكمة هو ماقدمه بولس في نفسه في رسالته الثانية الى تيموثاوس . فقد كتب الرسول يقول: «في احتجاجي الاول لم يحضر احد معي ، بل الجميعتركوني لايحسبعليهم. ولكن الرب وقف [448] معي وقواني ، لكي تتم بي الكرازة ، ويسمع جميع الامم ، فأنقذت من فم الاسد» (2 تيموثاوس 4 : 16 ، 17).

بولس امام نيرون ياله من تباين مدهش ، فالملك المتعجرف الذي كان على رجل الله ان يدافع امامه عن ايمانه ن كان قد ارتفع الى اعلى مراقي القوة والسلطان والثراء الارض كما كان قد انحدر الى احذ دركات الجريمة والاثم .ففي مجال السلطان والعظمة لم يكن من يباريه . ولم يكن كذلك من يجرؤ على الشك في سلطته او يقاوم ارادته . كان الملوك يطرحون تيجانهم عند موطئ قدميه. وكانت الجيوش الجرارة تسير بأمره ، واكنت اعلام اساطيله ترفرفمعلنة عن الانتصار . وقد اقيم تمثاله في دور القضاء ، واكنت أوامر رجال مجلس الشيوخ واحكام القضاء صدى لارادته. وقد انحنى ملايين الناس وسجدو خضوعا وطاعة لاوامره ان اسم نيرون جعل العالم يخاف ويرتعد . فالذي كان يتعرض لسخطه كان لابد سيخسر امواله وحريته وحياته، وكان الناس يخافون عبوسه اكثر ممايخافون الوبأ الفتاك.

وقد وقف السجين الشيخ امام نيرون وهو خاوي الوفاض من المال ، بلا اصداء ، ولا من يقدم له مشورة — وقد ارتسمت على محياالامبراطورصورة مخجلة للاهواء التي كانت تستعتر في اعماقه، اما وجه المتهم فكان ينم عن قلب يملؤه سلام الله . لقد اختبر بولس العوز وانكار الذات والالام. وبرغم التحريف المستمر والعار والاهانات التي حاول اعداؤه ان يخيفوه بها ، فقد رفع راية الصليبعالية بلا حوف : كان كسيده جوابا طريدا بلا مأوى، وعاش كما عاش سيده لبيارك بني الانسان . فان لنيرون الطاغية المتقلبالاطوار الحاد الطبع والخليع ان يدرك او يقدر خلق ابن اللههذا ودوافعه ؟

وقد امتلأت دار القضاء على رحبها بجمع كبير من الناس المشتاقين غير المستقرين الذين كانوا يصخبون ويموجون ويتدافعون نحو الامام ليروا ويسمعوا [449] كل مايحدث. كان هناك الرفيع والحقير

، الغني والفقير العالم والجاهل المتكبر والوضيع ، والجميع كانو خالينومحرومين من معرفة طريق الحياة والخلاص.

وقد قدم اليهود ضد بولس التهم القديمة عن احداث الثورات والترويج للهرطقات ، كما اتهمه اليهود والرومان بالتحريض على حرق المدينة. واذ كانت هذه التهم توجه الى بولس ، فقد ظل محتفظا برصانته ورباطة جأشه. فشخص اليه الشعب والقضاة في ذهول . لقد حضرو محاكمات كثيرة ونظروا الى كثيرين من المجرمين، ولكنهم لم يرو قط انسانا ارتسم على وجهه هدوء مقدس كالذي يرونه على وجه ذلك الاسير الماثل امامهم. ان عيون القضاة الحادة التي اعتادت ان تقرأ ما ارتسم على وجوه الاسرى ، تفحصت وجه بولس لترى برهاناعلى اجرامه ولكن خاب املهم. وعندما اذن له بأن يدافععن نفسه ، اصغى الجميع لكلامه باهتمام وشوق.

ومرة اخرى قدمت لبولس فرصة ليرفع راية الصليب . امام ذلك الجمع المأخوذ . فإذ شخصفي تلك الجماهير التي أمامه- من اليهود واليونانيين والرومان وغيرهم من الغرباء من بلدان كثيرة- ، اضطرمت في نفسه رغبة قوية وشوق طاغ لخلاصهم . فغاب عن عينه المشهد الذي امامه والمخاطر المحدقة به والمصير الرهيبالقريب منه جدا . ورأى فقط يسوع ، الوسيط متوسلا امام الله لأجل الخطأة . فبفصاحة وقوة تفوقان فصاحة البشر وقوتهم ، قدم بولس حقائق الانجيل . ووجه انظار سامعيه الى الذبيحة المقدمة لأجل البشر الساقطين الخطأة. واعلن ان ثمنا غاليا قد دفع لأجل فداءالانسان . وان كل الترتيباب قد اعدت ليشارك الان في عرش الله. لقد ارتبطت الارض بالسماء بواسطة رسل من الملائكة ، وكل اعمال الناس ، صالحة كانت ام شريرة مكشوفة امام عيني العدالة الالهية. [450]

هكذا كان ذلك الرجل المدافع عن الحق يترافع. فإذ كان امينا بين غير الامناء ، ومخلصا بين الخونة ، وقف نائبا عن الله ، وكان يبدو ان صوته يسمع آتيا من السماء. فلم يكن يبدو في كلامه او نظراته أي اثر للخوفاو الحزن او الفشل او الجبن. فإذ كان متحصنا في احساسه ببراءته ومتسلحا بسلاح الحق ، كان فرحا لكونه ابنا لله. كان كلامه يشبه هتاف الانتصار فوق زئير المعركة وهو يعلن ان القضية التي كرس حياته لها ، هي القضية الوحيدة التي لايمكن ان تخيب قط . فلئن هلك هو ، فإن الانجيللن يهلك او يندثر . فالله حي وحقه لابد ان ينتصر .

كثيرون ممكن شخصو اليه في ذلك اليوم : «ورأووجهه كأنه وجه ملاك» (أعمال 6: 15).

لم يسبق لتلك الجموع ان سمعت مثل هذا الكلام . لقد لمس كلامه اوتار قلوبهم فتأثرت حتى اقسى القلوب . فالحق الصريح المقنع قلب الضلال شر منقلب. وضد اشرق النور على عقول كثيرين ممكن تبعوا اشعة ذلك النور فيما بعد بسرور . وقد قدر لتلك الحقائقالتي فاه الرسول بها في في ذلك اليوم ان تهزأأمما بأسرها ، وتظل خالدة مدى العصور ، مؤثرة في قلوب الناس في الوقت الذي كانت الشفتان اللتان قد نطقتا بها صامتتين في قبر شهيد .

ولم يسبق لنيرون ان سمع الحق كام قد سمعه في تلك المناسبة . ولم يسبق لجرم حياته الشنيع ان انكشف له كما حدث في ذلك اليوم. لقد اخترق نور السماء مخادع نفسه الملوثة فارتعد خوفا من فكرة انه ، وهو سيد العالم، سيتجوب اخيرا امام محكمة يقف امامهاكفاهل شر وينال جزاءعادلا عن اعماله . كان يخاف من اله الرسول، فلم يجرؤ على الحكم على بولس الذي لم تثبت عليه أي تهمة . وقد كان شعوره بالرهبة والخوف رادعا له ولروحه المتعطشة لسفك الدم ، الى حين . [451]

ولمدى لحظة انفتحت السماء امام نيرون القاسيالقلب ، وبدا كأن سلامها وطهارتها من الامور المشتهاة .في تلك اللحظة قدمت دعوة الرحمة حتى اليه هو . ولكنه لم يرحب بفكرة الغفران الا لمدى لحظة . ثم صدر ام بأن يعاد بولس الى سجنة ، واذ اغلق الباب دون رسول اللهاغلقباب التوبةالى الابدفي وجه

امبراطورروما . ولم يكن لأي بصيص من نور السماء ان يخترق مرة اخرى الظلام المحدق به . وبعد قليل كان لابد له ان يقاسي اهوال دينونة الله وانتقامه.

وبعد ذلك بقليل اقلع نيرون في رحلته الشائنة الى بلاد اليونان حيث جلب العار على نفسه ومملكته باستهتاره المذلل الدنيئ. فإذ عاد الى روما بأبهة عظيمة، جمع حوله ندماءه وانشغل في ضروب الدعارةالشائنة. وفي غمره هذه العربدة ، سمع صوت شغب في الشوراع . فإذ ارسل رسول ليعرف السبب، عاد بخبر مخيفيقول ان القائد (جالبا) يقترب بسرعة من مدينة روما على رأس جيش ، او ثورة قدانتشرت في المدينة ، وان الشوارعمزدحمة بالرعاع الساخطين الذين يقتربون بسرعةمن القصر ويتوعدون الامبراطور وكل معاونيه ومؤيديه بالموت.

وفيوقت الخطر ذاك لم يكن لنيرون اله مقتدر ورحيم ، وكما كان لبولس الامين ، يمكنه ان يعتمد علىيه. فاذ كان يخاف من الآلام والعذابات التي قد يجبر على تحملهابأيدي الرعاع، فكر ذلك الطاغيةالتعسفي ان ينهى حياته بيده، ولكن في تلك اللحظة الحرجة خذلته شجاعته . واذ كان مرتعبا جدا وجبانا، هرب من المدينة مجللا بالخزي ولاذ بملجأ ريفي يبعد عن المدينة بضعة اميال ، ولكن بلا جدوى. فسرعان ماالكتشف مخبأه ، واذ اقترب مطاردوه الفرسان من المكان . استدعى احد العبيد وطلب اليه ان يعينه ، وطعن نفسه طعنة قاتلة . وهكذا هلك نيرون الطاغية في بكور شبابه ، في الثانية والثلاثينمن عمره. [452] [453]

الفصل التاسع والاربعون

آخر رسالة كتبها بولس

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في الرسالة الثانية الى تيموثاوس)

عاد بولس من دارمحكمة القيصر الى زنزانته متحققا من انه لم يكسب لنفسه سوى فترة امهال قصيرة.لقد علم ان اعداءه لن يستريحوا حتى ينفذوا فيه حكم الموت. ولكنه علم ايضا ان الحقد انتصر الى حين . فكونه قد كرز بالمخلص المصلوب والمقام امام ذلك الجمع الغفير الذي اصغى اليه، كان في حد ذاته انتصارا . ففي ذلك اليوم بدأ عملا كا مزمعا ان ينمو ويتقوى ويزدهر ، وعبثا حاول نيرون واعداء المسيح الآخرون ان يعطلوه او يلاشوه.

واذ ظل بولس جالسا يوما بعد يوم في زنزانته الكئيبة وهو عالم ان كلمة واحدة او ايماءة تصدر من نيرون قد تكون كفيلة بتنفيذ حكم الموت فيه ن فكر في تيموثاوس وعول ان يرسل في طلبه. كان قد عهد الى تيموثاوس بأمر رعاية الكنيسة في افسس، ولذلك فقد تخلف عندما سافر بولس سفرته الاخيرة الى روما . كان بولس وتيموثاوس مرتبطين معا برباط محبة عميقة ووثيقة جدا . ان تيموثاوس منذ اهتداءه اشترك مع بولس في خدماته وآلامه. وقد توطدت اواصر الصداقة بين الاثنين وتوثقت وصارت اقوى واعمقواقدسمما كانت حيث صار [454] تيموثاوس بمثابة ابن لأبيه الرسول الشيخ المصني والمحبوب والمكرم. اذن فلاغرابة اذا كان بولس في وحدته ووحشته يتوق لأن يراه.

في افضل الظروف المؤاتيةكان لابد من مرور عدة شهور قبلما يمكن لتيموثاوس ان يصل الى روما قادما من آسيا الصغرى. وقد عرف بولس ان حياته غير مضمونة فبات يخشى ان يأتي تيموثاوس بعد فوات الاون فلا يراه. كانت لديه نصائح هامة وتعاليم لازمة يقدمها لذلك الشاب الذي عهد اليه بتلك المهمة العظيمة ، وفي حين الح علهي في المجيئ بلا ابطاء ، املى شهادة موته التي قد لايعطى امهالا لينطقبها . واذ كان قلب وبلس مفعما بالحب والجزع على ابنه في الانجيل وعلى الكنيسة التي تحت رعايته ، فقد احو لان يطلع على عقل تيموثاوس اهمية الولاء للعهدة المقدسة التي بين يديه.

وقد بدأ بولس رسالته بهذه التحية : «الى تيموثاوس الابن الحبيب : نعمة ورحمة وسلما من الآب والمسيح يسوع ربنا . اني اشكر الله الذي اعبده من اجدادي بضمير طاهر . كما اذكرك بلا انقطاعفي طلباتي ليلا ونهارا» (2 تموثاوس 1 : 2 ،3).

ثم اكد الرسولللتيموثاوس ضرورة الثبات في الايمان . فكتب يقول : «اذكر كان تضرم ايضا موهبة الله التي فيك بوضع يدي ، لأن الله لم يعطنا روح الفشل ، بل روح القوة والمحبة والنصح . فلا تخجل بشهادة ربنا ، ولا بي انا اسيره ، بل اشترك في احتمال المشقات لأجل الانجيل بحسب قوة الله»وقد ناشد بولس تيموثاوس نايذكر بأنه قد دعي «دعوة مقدسة» ليعلن قوة ذاك الذي : «وانار الحياة والخلود بواسطة الانجيل».وقد واصل يقول : «الذي جعلت انا له كارزا ورسولا ومعلما للأمم. لهذا السبب احتمل هذه الامور ايضا . لكنني لست اخجل ، لأنني عالم بمن'منت ، وموقفن انه قادر ان يحفظ وديعتي الى ذلك اليوم» (2 تموثاوس 1: 6 — 8 ، 10 — 12). [455]

ان بولسفي مدى سني خدمته الطويلة لم يتردد قط ولائه لمخلصة. فأينما كان — سواء أمام جماعة الفريسين العابسين، او السلطات الرومانية ، او امام الرعاع الثائرين في لسترة او الخطأة المحكوم عليهم في سجن مكدونية ، وسواء كان يجادل مع النوتية المرتعبين على ظهر السفينة الغارقة او واقفا وحده امام نيرون يرافع لأجل حياته- لم يخجل قط من القضية التي كان يدافع عنها . ان غرض حياته المسيحية العظيم كان ان يخدم ذلك الذي كان قبلا يحتقر اسمه احتقارا عظيما ، ولم يكم لأية مقاومة او اضطهاد ان يحوله عن غرضه. ان ايماننه الذي قوته الخدمة وطهرته التضحية ، أسنده وقواه. وقد استطرد بولس يقول : «فتقواانت يابني بالنعمة التي في المسيح يسوع . وماسمعته من بشهود كثيريناودعه اناسا أمناء، يكونون اكفاء ان يعلموا آخرين ايضا . فاشترك انت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح» (2 تيموثاوس 2 :1 — 3).

ان خادم الله الامين لايتهرب من المشقات او المسؤوليات . فمن النبع الذي لايخذل قط منيطلبون القوة الالهية بإخلاص ، يستقي القوة التي تعينه على مواجهة التجربة والانتصار عليها وعلى القيام بالواجبات التي يضعها الله عليه . ان طبيعة النعمة التي ينالها توسع مقدرته على معرفة الله وابنه. ان نفسه تصبو شوقا لعمل الخدمة المقبولة لدة سيده. واذ يتقدم سائرا في الطريق المسيحي يصبح (قويا في النعمة التي في المسيح يسوع». هذه النعمة تمكنه ان يصير شاهدا امينا لما قد سمعه. انه لايحتقر ولا يهمل المعرفة التي قد قبلها من الله ولكنه يودع هذه المعرفة لأناس امناء، وهؤلاء بدورهم يعلمون آخرين.

في الرسالة الاخيرة الىتيموثاوس يرفع الرسول نصب عليني الخادم الشاب مثلا عاليا مبينا له الواجبات المسندة اليه كخادم للمسيح. فقد كتب الى الرسول يقول : (اجتهد ان تقيم نفسك لله مزكى ، عاملا لايخزى ، مفصلا كلمة الحق [456] بالاستقامة» «اما الشهوات الشبابية فاهرب منها ، واتبع البر والايمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي . والمباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها ، عالما انها تولد خصومات ، وعبد الرب لايجب ان يخاصم ، بل يكون مترفقا بالجميع ، صالحا للتعليم ، صبورا على المشقات، مؤدبا بالوداعةالمقاومين ، عسى ان يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق» (2 تموثاوس 2 : 15، 22 — 25).

وقد حذر الرسول تيموثاوسمن المعلمين الكذبة الذين يحاولون الدخول الى الكنيسة . فأعلن قائلا: «ولكن اعلم هذا انه في الايام الاخيرةستأتي ازمنة صعبة ، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم ، محبين للمال ،متعظمين مستكبرين ، مجدفين ، غير طائعين لوالديهم ،غير شاكرين ، دنسين .. لهم صورة التقوى، ولكنهم منكرون قوتها . فأعرض عن هؤلاء.» (2 تموثاوس 3: 1 — 5).

ثم تابع كلامه قائلا : «ولكن الناس الاشرار المزورين سيتقدمون الى أردأ، مضلين ومضلين . واما انت فاثبت على ماتعلمت وايقنت، عارفا ممكن تعلمت . وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة، القاردة ان تحكمك للخلاص .. كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديبالذي في البر، لكي يكون انسان الله كاملا، متأهبالكل عمل صالح» (2 تيموثاوس 3 : 13 — 17). لقد اعد الله وسائل كثيرة لمواصلة الحرب بنجاح ضد الشر الذي في العالم. ان الكتاب المقدس هو خزانة الاسلحة الذي منه يمكننا ان نتسلح لخوض هذه الحرب . ينبغي لنا ان نمنطق احقاؤنا بالحق وان نلبس درع البر.ولنمسك ترس الايمان في ايديناولتكن خوذة الخلاص في رؤوسنا ، واذ نسمك سيف الروح الذي هو كلمة الله في ايدينا ، وعليناان نشق لانفسنا طريقنا في عوائق الخطة واشراكها . [457] لقد عرف بولس ان امام الكنيسة ازمنة خطر عظيم . كما عرف ان المسؤولين عن الكنائس ينبغي لهم ان يقوموا بخدمة امينة غيورة فكتب الى تيموثاوس يقول : «انا اناشدك اذا امام الله والرب يسوع المسيح، العتيد ان يدين الاحياء والاموات ، عند ظهوره وملكوته , اكرز بالكلمة . اعكف على ذلك في وقت مناسب وغير مناسب . وبخ، وانتخر ، عظ بكل أناة وتعليم» (2 تموثاوس 4 : 1- 2).

فهذه الوصية المقدسة الموجهة الى شخص غيور وامين كتيموثاوس ان هي الا شهادة قوية عن اهمية ومسؤولية خدمة خادم الانجيل . فإذ يوقف بولس تيموثاوس امام محكمة الله يأمره بان يكرز بالكلمة وليس بأقوال الناس وعاداتهم وان يكون مستعدا لأن يشهد لله كلما سنخت لهالفرصة- امام جموع كبيرة اوفي بيتوت خاصة، على قارعةالطريق، او امام المدفأة ، للأصدقاء والاعداء ، سواء كان في اكناف السلامة او معرضا للخطر والمشقات او العار او الخسائر .

وخوفا من ان تسوقه طبيعة تيموثاوس الوديعة الهادئة المذعنة الى نبذ هذا الجزء الجوهري من خدمته ، اوصاه الرسول بأن يكون امينا في توبيخ الخطية او يوبخ حتى بكل صرامة مرتكبي الخطايا الفظيعة والشرور الهائلة . ولكنكان عليه ان يفعلذلك «بكل أناة وتعليم»

وكان عليه ان يظهر صبر المسيح ومحبته، وموضحا ومعززا توبيخاته بحقائق الكلمة .

ان كون الانسان يبغض الخطية ويوبخها وفي نفس الوقت يبدي للخاطئ كل عطف ورقة هو مطلب عسير . اننا كلماكنا جادين و حارين في بذل جهودنا قداسة القلب والحياة كلما كان احساسنا بالخطية شديدا وقويا ، وكلما كان استنكارنا لأي انحراف عن الحق والصواب ثباتا وشديدا. ينبغي لنا ان نحذر من القسوةغير اللائقة على المذنب ، ولكن ينبغي ايضا ان نحترس كي لاتغيب [458] عنا هذه الحقيقة وهي ان الخطية خاطئة جدا . اننا بحاجة الى اظهار الصبر والحب المسيحين نحو المذنب ، ولكن هنالك ايضا خطر من ان نبدي تسامحا وتساهلا عظيما نحو غلطته بحيث ينظر الى نفسه بوصفه ممن لايستحق التوبيخ فيرفضة على انه اجراء ظالم لاداع له .

احيانا يحدث خدام الانجيل ضررا بالغا عندما يجعلون صبرهم واحتمالهم تجاه الخاطئ ينحطان بحيث صبحان تساهلا تجاه الخطايا ، بل اشتراكافيها . وهذا مايقودهم الى التسامح مع مايدينه الله بل والى استستاغته.، وبعد قليل يتعامون الى حد ان يمتدحواالاشخاص انفسهم الذين يأمرهم الله بأن يوبخوهم . ان من قد صير احساسه الروحي لبيدا كليلا بسببلينه وتساهله الخاطئ مع من يدينهم الله ، سيركتب بعد قليل خطية اعظم بقسوته وفظاظته نحو من يرضى الله عنهم.

ان كثيرين ممن يدعون انفسهم مسيحيين وممكن يحسون بقدرتهم على ان يعملوا الآخرين ، سينقادون الى الارتداد عن مطاليب الله بواسطة افتخارهم بالحكمة البشرية واحتقارهم لقوة الروح القدس وتأثيره قائلا: «لانه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم، فيصرفون مسامعهم عن الحق ، وينحروف الىالخرافات» (2 تيموثاوس 4 : 3، 4).

ان الرسول لايشير هنا الى من يجاهرون بكفرهم وزندقتهم ، ولكنه يشير الى المعترفين بالمسيحية الذين يجعلون ميولهم مرشدا لهم، وهكذا يصيرون مستعبدين للذات . مثل هؤلاء يميلون للاصغاء الى تلك التعاليم التي لاتوبخ خطاياهم او تدين سلوكهم المنطوي على حب الذات ، هذا هو مايستمعون اليه دون سواه. وهم يغتاظون من الاقوال الصريحة التي ينطق بها خدام المسيح [459] الامناء ويختارون المعلمين الذين يمنحونهم ويتملقونهم . وكذلك يوجد بين الخدام المحترفين من يكرزون بآراء الناس بدلا من كلمة الله . فلكونهم غير امناء على الوديعة المسلمة لهم يضللون اولئك الذين يتطلعون اليهم في طلب الارشاد الروحي.

لقد قدم الله في وصاياه المقدسة المدونة في شريعته قانونا كاملا للحياة ، وقد اعلن ان هذه الشريعة باقية الة انقضاء الدهر ، وهي باقية لا تتغير فيها نقطة واحدة او حرف واحد بل ستظلمحتفظة بمطاليبها على بني الانسان . لقد جاء المسيح لكي يعظم الشريعة ويكرمها . وقد برهن انها مبنية على الاساس المتسع اساس المحبة لله والمحبة للناس ، وان الطاعة لوصاياها تستوعب واجب الانسان كله . والمسيح في حياته قدم نفسه مثالا لنافي الطاعة لشريعة الله . وفي موعظته التي القاها على الجبل ابان ان مطالبيها تمتد

الى ابعد من الاعمال الخارجية وتتغلغل الى افكار القلب ونياته.

ومتى اطاع الناس الشريعة فذلك يقودهم كي«ننكر الفجو ر والشهوات العالمية ، ونعيش بالتعقلوالبر والتقوى في العالم الحاضر» (تيطس 2 :12).

ولكن عدو كل بر قد اسر العالم وقد الرجال والنساء لعصيان الشريعة . وكما سبق بولس فرأى ، نجد ان جماهير كثيرة من الناس تركواحقائق كلمة الله الصريحة الفاحصة واختاروا لهم معلمين يقدمون لهم الخرافات التي يشتهونها. كثيرون من الخدام والشعب يدوسون تحت اقدامهم وصايا الله. وهكذا يهان خالق العالم ويضحك الشيطان منتصرا لنجاح مكايده.

ومع تزايد الاحتقار لشريعة الله يتزايد نفور الناس من الدين وتتفاقم الكبرياء وحب اللذات وعصيان الوالدين والافراد في الشهوات ، وفي كل مكان يتساءلالمفكرون بجزع قائلين : ماذا يمكن ان نعمل لاصلاح هذه الشرور المفزعة؟ [460] والجواب نجده في وصية بولس لتيموثاوس اذ يقول : «اكرز بالكلمة» ففي الكتاب المقدس توجد المبادئ السليمةالوحيدة للعمل ، فهو صورة دقيقة لارادة الله وتعبير عن الحكمة الالهية. وهو يكشف امام ذهب الانسان مشاكل الحياة العظيمة ، وكل من يلتفتون الى وصاياه سيثبت له انه مرشد لايخطئ ، اذ يحفظهم من انفاق حياتهم في جهود ضالة .

لقد اعلن الله ارادته ، وانها لجهالة من الانسان مابعدها جهالة ان يشك او يجادل فيما خرج من شفتي العلي. فبعدما تتكلم الحكمة السرمدية لايعود هناك مجال للانسان لان يحكم في اسئلة مشكوك فيها ولاتوجد امكانات مهتزة ومترددة لتعديلها، وكل مايطلب منه هو القبول الصريح الجدي لارادة الله الواضحة . ان الطاعة هي اسمى مايمليه العقل وكذلك الضمير .

وقد تابع بولس تقديم وصيته لتلميذه قائلا: «قاصح في كل شيء. احتمل المشقات . اعمل عمل المبشر , تمم خدمتك» (4 : 5). كان بولس موشكا ان يكمل سعيه فكان يريد ان يشغل تيموثاوس مكانه فيحرس الكنيسة من الخرافات والضلالات التي ياحاول العدو عن طريقها وبوسائل متعددة ان يبعدهم عن بساطة الانجيل . وقد اوصاه بأن ينفض يديه من المطالب والارتباكات الدنيوية . التي قد تعيقه عن تكريس نفسه ووقته بالتمام لعمل الله، وان يحتمل بفرح المقاومة والعار والاضطهاد الذي قد يتعرف له بسبب امانته ،وان يتمم خدمته بأن يستخدم كل الوسائل التي تصل اليها يده لعمل الخير لمن قد مات المسيح لأجلهم.

كانت حياة بولس تجسيدا للحقائق التي علم بها . وفي هذا كانت قوته. كان قلبه ممتلئا باحساس عميق ثابت بمسئوليته، وكان يعمل في شركة وثيقة مع ذاك الذي هو نبع العدل والرحمة والحق . وقد تعلق بصليب المسيح بوصفه الضمان [461] الوحيد لنجاحه . كنت محبة المخلص هي الباعث الحي الذي دعمه في حروبه. مع الذات وفي صراعه ضد الشر ، حي نتقدم الى الامام في خدمة المسيح ضد عداوة العالم ومقاومة اعدائه.

والذي تحتاجه الكنيسة في ايامنا الخطيرة هذه هو جيش من الخدام الذين دربوا نفسهم كبولس كي يكونوا ذوي نفع ، الذين عندهم اختبارعميق في امور الله والذين هم ممتلئو القلوب بالاهتمام والهمة والغيرة. ان الحاجة هي الى رجال مقدسين ومضحين ن رجال لايستعفون من الامتحان والمسؤولية، رجال شجعان امناءن وفي قلوبهم تصور المسيح «رجاء المجد». الذين اذ تكون قد مست شفاههم النار المقدسة ، «يكرزون بالكلمة». فبسبب عدم وجود مثل هؤلاء الرجال يضعف ملكوت الله ، وتوصم اخلاق عدد كبير من بني الانسان وتصلب آمالهم بالضلالات المميتة كما بسم قتال .

فإذ يسلم الرجال الامناء المنهكو القوى حاملوا الاعلام ارواحهم في سبيل الحق ، فمن ذا الذي سيتقدم الى الامام ليحل مكانهم ؟ فهل يقبل شبابنا الوديعة المقدسة من أي ابائهمم؟ وهل يستعدون ليملأو الاماكن التي خلت بموت الامناء ؟ وهل يلتفتون الى وصية الرسول ، ويسمعون نداء الواجب في وسط المحرضات

على الاثرة والطموح الذذلين يغريان الشباب ؟

وقد اختتم بولس رسالته برسائل شخصية لافراد مختلفين ، ثم كرر مرة اخرى طلبه المعجللتيموثاوس بأن يبادر بالمجيئ اليه سريعا ، ان امكن قبلحلول الشتاء . وقد تحدث عن وحدته التي كان سببها هجران بعض اصدقائه له ، واضطرار آخين للتغيب عنه، ولئلا يتردد تيموثاوس لخوفه من ان تكون كنيسة افسس بحاجة الى خدماته فلا يستطع التغيب عنها ، أخبره بولس بأنه قد ارسل تيخيكس ليحل مكانه. [462]

فبعدما تحدث بولس عن مشهد محاكمته اما نيرون ن وهجران اخوته له ، ونعمة الاله حافظ العهد التي دعمته ختم رسالته بأن استودع تيموثاوس الحبيب لحراسة رئيس الرعاة الذي سيظل يهتم برعيته مع ان الرعاة الارضيين قد يموتون. [463]

الفصل الخمسون

الحكم علي بلوس بالموت

في اثناء محاكمة بولس الاخيرة امام نيرون كان الامبراطور متأثرا تأثرا عميقا بقوة اقوال الرسول بحيث ارجا الحكم في القضية ، فلا هو اطلق سراح خادم الله المشكو في حقه ولا هو ادانه . ولكن سرعان ماعاد الى الامبراطور حقده على بولس. فإذ كان مغتاظا بسبب عجزه عن ايقاف انتشار الدين المسيحي عند حده حتى في بيت الامبراطور ، فقد قمم انه حالما يجد عذرا مقبولا في الظاهرفسيقتل الرسول . وبعد وقت قصير نطق نيرون بحكمه القاضي بان يموت بولس شهيدا وحيث ان المواطن الروماني لم يكن يسمح بتعذيبه ، فقد حكم على الرسول بقطع رأسه.

وقد اخذ بولس خقية الى مكان الاعدام . ولم يسمح لغير عدد قليل من المشاهدين ان يكونوا عند تنفيذ الحكم ، لأن مضطهديه اذ افزعهم تأثير الرسول الواسع النطاق باتو يخشون ان ينضم الى المسيحية مهتدون جدد لو شاهدوه وهو يموت . ولكن حتى الجنود القساة الذين رافقوهاصغوا الى اقواله ، وقد شاهدوه ذاهلين وهو يواجه الموت ببهجة وفرح . وبالنسبة الى بعض من شاهدو استشهاده كانت روح الغفران التي اظهرها لقاتليهوثقته التي لاتتزعزع في المسيحالى النهاية ، رائحة حياة لحياة. وقد قبل بعض منهم المخلص الذي بشر به بولس ، وبعد قليل ختموا ، هم ايضا شهادة ايمانهم بدمهمبلا خوف . [464]

والى آخر ساعة في حياته شهد بولس لصدق الكلمات التي كتبها قبلا لأهل كونرثوس عندما قال لهم : «لأن الله الذي قال ان يشرق نور من ظلمة ، هو الذي اشرق في قلوبنا ، لانارة معرفة مجد اللهفي وجه يسوع المسيح . ولكن لنا هذا الكنز في اوان خزفية ، ليكون فضل القوة لله لامنا . مكتبئين في كل شيئء، لكن غير متضايقين ، متحيرين ، لكن غير يائيسين ، مضطهدين ن كلن غير متروكين . مطروحين ، لكن غي هالكين . حاملين في الجسد كل حين اماتهة الرب يسوع نلكي تظهر حياة يسوع ايضا في جسدنا» (2 كورنثوس 4: 6- 10). لم تكن كفايته في شخصه بل في حضور روح الله وعمله الذي ملأ نفسه واخضع كل فكرة لارادة المسيح . والنبي يعلن قائلا: «ذو الرأي الممكن تحفظه سالما سالما ، لأنه عليك متوكل» (اشعياء 26 : 3). ان سلام السماءالذي كان يلمع في وجه بولس ربح نفوسا كثيرة للانجيل .

كان بولس حمل معه جو السماء و كل من عاشروه احسوا بقوة اتحاده بالمسيح. ان حقيقة كون حياته كانت مثاثلا للحق الذي كرز به اضفت على كرازته قوة اقناع عظيمة. هنا توجد قوة الحق . ان قووة الحياة المقدسة غير المقصودة والتي لايحس بها صاحبها هي اقوى عظة مقنعة يمكن تقديمها في صالح المسيحية. ان الحجةحتى عندماتكون قوية لاترد ، قد يلايكون لها تأثير غير اثارة المقاومة، اما الحياة المثالية المقدسة فلها قوة يستحيل مقاومتها مقاومة كلية. لقد غابت عن نظر الرسول آلامه القادمة في غرمة جزعه على أولئك الذين كان مزمعا ان يتركهم ليكافحوا ضد التعصبو الكراهية والاضطهاد. فحاول ان يقوي المسيحيين القليلين الذي رافقوه الى مكان الاعدام ويشجعهم بأن راح يردد المواعيد المقدمة للمضطدهين لأجل البر . وقد اكد لهم انه لايمكن ان تسقط كلمة واحدة من كل ماقاله الرب عن أولاده المجربين الامناء . قد يحزنون الى حين [465] بسبب التجارب المتنوعة وقد يحرمون من المتع الارضية ، ولكن يمكنهم ان يشددوا قلوبهم بقين امانة الله قائلين: «لأنني عالم بمن آمنت ، وموقن انه قادر ان يحفظ وديعتي» (2 تموثاوس 1

: 12). فسرعان ما ينتهي ليل التجارب والآلاموحينئذ ينبثق فجر السلما والنهار الكامل المفرح . كان الرسول يتطلع الى الابدية العظيمة لافي غير يقين او خوف بل برجاء مفرح وانتظار وشوق . واذ يقف في مكان الاستشهاد لايرى سيف الجلاد او الارض المزمعة ان تتلقى دمه ولكنه ينظر الى فوقومن خلال السماء الزرقاء الهادئة في ذلك اليوم الصيفي يرى عرش الله السرمدي .

ان رجل الايمان هذا يرى السلم التي رآها يعقوب وهي ترمز الى المسيح الذي ربذ الارض بالسماء ، والانسان المحدود بالله غير المحدود . ثم ان ايمانه يتقوى عندما يذكر كيفاعتمد على الآباء والانبياء على ذاك الذي هو الآن سنده وعزاؤه والذي في سبيله سيسلم حياته للموت. فقد سمع أولئك الرجال القديسين الذي شهدوا لايمانهم من جيل الى جيل وهم يوقنون ويؤكدون بأن الله أمين . ثم ان زملاءه الرسل الذينفي سبيل الكرازة بانجيل المسيح خرجوا ليواجهوا التعصب الديني والخرافات الوثنية والاضطهاد والازدراء ، والذين لم يحسبوا نفوسهم ثيمنة عندهم ليرفعوا نور الصليب عاليا في وسط متاهات الالحاد المظلمة —— هؤلاءيسمعهم وهم يشهدون ليسوعلى انه ابن الله ومخلص العالم. فمن فوق آلة التعذيب والآلة التي يشد اليها من يحرقون احياء، ومن السجنومن مغاور وشقوق الارض ، يسمع اصوات هتاف الانتصار من افواه الشهداء. انه يسمع شهادة النفوس الثابتة ، الذين مع انهم كانوا معتازين ومتضايقين ومعذبين فهم يقدمون شهادة مقدسة بلا خوف لايمانهم قائلين: «لأنني عالم بمن آمنت» هؤلاء اذ يسلمون ارواحهم لاجل الايمان يعلنون للعالم ان ذاك الذي قد اتكلوا عليه قادر ان يخلص الى التمام. [466]

ان بولس اذ كان قد افتدي بذبيحة المسيح ، واغتسل وتطهر من خطاياه في دمه واكتسى بثوب بره كانت له الشهادة في نفسه بان نفسه عزيزة في عيني قاديه. ان حياته مستترة مع المسيح في الله وهو مقتنع بأن ذاك الذي قد غلب الموت قادر ان يحفظ وديعته. ان عقله يفهم ويدرك وعد المخلصالقائل : «واانا اقيمه في اليوم الاخير» (يوحنا 6 : 40). ان افكاره وآماله مركزة في المجيئ الثاني لسيده . واذ يهوي سيف الجلاد وتتجمع ظلمات الموت حول الشهيد ، فإن آخر فكر من افكاره يثب الى الامام كما سيكون الحال بالنسبة لأول فكرة من افكاره في القيامة العظيمة، لملاقاة معطى الحياة الذي سيرحب به الى غبطة المباركين .

لقد مضى مايقرب من عشرين قرنا منذ سفك دم بولس الشيخ كشاهد لكمة الله وشهادة يسوع المسيح . ولم ستجل يد أمينة للأجيال القادمة آخر مشاهد حياة هذا القديس ، الا ان الوحيالالهي قد حفظ لنا شهادته التي نطق بها في ساعة احتضاره ز وقد رن صوته كصوت بوق من جيل الى جيل منذ ذلك الحين مقويا بشجاعته آلافا من شهود المسيح وموقظا في قلوب آلاف ممكن قد صعقهم الحزن صدى فرحه وانتصاره حين قال: «فإني انا لان اسكب سكيبا ، ووقت انحلالي قد حضر . قد جاهدت الجهاد الحسن، اكملت السعي ، حفظت الايمان ، واخيرا قد وضع لي اكليل البر ، الذي يهبه لي في ذلك اليوم، الرب الديان العادل ، وليس لي فقط ، بللجميع الذين يحبون ظهوره ايضا» (2 تموثاوس 4 : 6 — 8). [467]

الفصل الحادي والخمسون

راع مساعد وأمين

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في رسالة بطرس الرسول الأولى)

ان كاتب سفر الاعمال لايذكر الا القليل عن الاعمالاللاحقة التي قام بها بطرس الرسول . ففي غضون السنوات المزدحمة بالخدمةالتي تلت انسكايب الروح القدس في يوم الخمسينكان هو واجدا ممن بذلوا جهودا لاتكل للصول الى اليهود الذين كانوا يأتون الى اورشليمليسجدوا في ايام اعيادهم السنوية.

فإذ تكاثر عدد المؤمنين في اورشليم وفيغيرهامن الاماكن التي كان يزورها رسل الصليب ، برهنت مواهب بطرسان لها قيمة لاتقدر للكنيسة المسيحية الاولى. فقوة شهاتدهعن يسوع الناصري امتدتالى اماكن بعيدة.

لقد وضعت عليه مسؤولية مضاعفة ، وقدم شهادة ايجابية قاطعة عن المسيا امام غير المؤمنين وكان يتعب بكل غيرة في سبيل هدايتهم ، وفي الوقت نفسه كان يقوم بعمل خاص للمؤمنين مقويا ومشددا اياهم في الايمان بالمسيح.

فبعدما اقدس بطرس على انكار الذات والاعتماد التام على القوة الالهية ، قبل الدعوة لأن يخدم كراع مساعد . لقد قال المسيح بطرس قبل انكاره له : «وانت متىرجعت ثبت اخوتك» (لوقا 22 : 32). كان هذا القول يشير الى العمل [468] المتسع الفعال الذي كان على هذا الرسول ان يقوم به في المستقبل لمن سيقبلون الى الايمان. ان اختبار بطرس للخطية والآلام والتوبة قد اعده لهذا العمل . ولم يمكنه ان يتحقق من حاجة المؤمن الى الاعتماد على المسيح الا بعدما ايقن من ضعفه . ففي غمرة عاصفة التجربة ادرك بأن الانسان يمكننه ان يسير آمنا ، فقط عندما يعتمد على المخلصوهم عديم الثقة تماما بنفسه .

وعندما اجتمع المسيح عند البحر بتلاميذه لآخر مرة فان بطرس بعدما امتحن بذلك السؤال الذي وجه اليه ثلاث مرات قائلا: «اتحبني» (يوحنا21 : 15 ، 17). اعيد الى مكانه بين التلاميذ الاثنى عشر . كان عمله قد عين له فكان عليهانيرعى قطيع الرب . والآن بعدما رجع وقبل لم يكن عمله منحصرا في طلب تخليص من هم خارج الحظيرة بل كان عليه ان يكون راعيا للقطيع .

وقد ذكر المسيح لبطرس شرطا واحدا للخدمة . «اتحبني» هذا هو المؤهل الجوهري . فمع ان بطرس قد يكون حائزاعلى كل شيء آخر فإنه بدون محبة المسيح ماكان يمكنه ان يكون راعيا امينا لقطيع الله. ان المعرفة والاحسان والفصاحة والغيرة ـــ كلها لازمة في الخدمة الصالحة وجوهرية جدا ن ولكن بدون محبة المسيح في القلب فإن عمل الخادم المسيحي يمسي فاشلا .

ان المحبة للمسيح ليست شعورا متقلبا متقطعا ولكنها مبدأ حرا ينبغي ان يظهر كقوة ثابتة في القلب . فاذا كانت اخلاق الراعي وسلكوه تمثيلا للحق الذي يدافع عنه فان الرب سيختم على خدمته الرضى و القبول . وسيصبح الرعاة والرعية واحدا متحدين في رجائهم المشترك في المسيح .

ان طريقة المخلصفي معاملته لبطرس ان فيها درس وتعليم له ولاخوته . فمع انه كان فد انكر سيده فان المحبة التي كان يكنها يسوع له لم تتغير ولم تضعف . وحيث ان الرسول كان يجب عليهان يضطلع

بعمل خدمة الكلمة [469] للآخرين فقد كان عليه ان يعامل الخاطئ والمذنب بالصبر والعطف والمحبة الغافرة . فإذ ذكر ضعفه وفشله ،كان عليه ان يعامل الحملان والخراف المسلمة لرعايته بنفس الرقة التي عاملة بها المسيح .

ان الخلائق البشرية المسلمة للشر معرضة لأن تعامل المجربين والمخطئين بغير رفقاو حنان . فهم لايعرفون ما يكنه القلب ولا يعلمون شيئا اعن محارباته وآلامه انهم بحاجة ان يتعلموا شيئا عن التوبيخ الذي تلطفه المحبة والضربة التي تجرح لتشفي والانذار الذي ينطق بالرجاء.

ان بطرس في مدى سني خدمته كان يسهر على الرعية المسلمة لها ليرعاها ، وهكذا برهن انه اهل للعهدة والمسؤولية التي سلمها له المخلص . لقد كان ابدا يمجد يسوع الناصري بوصفه رجاء اسرائيلومخلص بني الانسان . وقد خضع لتدريب الخادم الاعظم (يسوع المسيح). وبكل وسيلة تحت سلطانه سعى ليدرب المؤمنين على الخدمة النشطة. كان مثاله المقدس ونشاطه الذي لايكل ملهما لكثيرين من الشبان الذي يرجى منهم الخير لتكريس ذواتهم بالتمام لعمل الخدمة . وبمرور الزمن زاد تاثير الرسول كمهذب وقائد، وفي حين انه لم يتخل عن مسؤليته في خدمة اليهود بوجه خاص، فانه مع ذلك اذاع شهادته في بلدان كثيرة وشدد ايمان جمهاير كثيرة من الناس بالانجيل .

وفي اواخر سني خدمته أوحي الى بطرس ان يبعث برسالة الى المؤمنين : «المتغربين من شتات بنتس وغلاطية كندوكية واسيا وبيثنية» (1 بطرس 1 : 1). وكانت رسالتاه وسيلة لانعاش شجاعة الذين كانوا يحتملون التجارب والالام، وتقوية ايمانهم ، وتجديد الاعمال الصالحةللذين ، كانوا في خطر التخلي عن تمسكهم بالله بسبب التجارب . هاتان الرسالتان تحملان طابعا خاصا [470] وهو ان كاتبهما انسان توافرت فيه آلام المسيح وتعزياته -انسان غيرت النعمة كيانه كله ، وكان رجاءه في الحياة الابدية ثابتا وطيدا .

وفي بداية رسالته الاولى ، قدم خادم الله الشيخ الثناء والحمد والشكر لسيده. فهتف يقول : «مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح ، الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي ، بقيامة يسوع المسيح من الاموات، لميراث لايفنى ولايتدنس ولا يضمحل ، محفوظ في السماوات لأجلكم ، انتم الذين بقوة الله محروسون ، بايمان لخلاص مستعد ان يعلن في الزمان الاخير» (1 : 3 — 5) .

لقد ابتهجالمسيحيون الاولون وتهللوا برجاء هذا الميراث في الارض الجديدة حتى في اوقات التجارب والالام القاسية فكتب بطرس يقول : «الذي به تبتهجون ، مع انكم الان،ان كان يجب ، تحزنون يسيرا بتجارب متنوعة ، لكي تكون تزكية ايمانكم ، وهي اثمن من الذهب الفاني، مع انه يمتحن بالنار ، توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح ، الذي وان لم تروه ..فتبتهجون بفرح لاينطق به ومجيد ، نائلين غاية ايمانكم خلاص النفوس» (1 : 6 — 9).

لقد كتبت اقوال الرسول لاجل تعليم المؤمنين في كل عصر . ولها معنى خاص للذين يعيشون في العصر الذي فيه «نهاية كل شيئ قد اقتربت». ان نصائحه وانذاراته وكلام الايمانوالشجاعة تحتاجها كل نفس تريد ان تحتفظ بإيمانها : «ثابتة الى النهاية» (عبرانيين 3 : 14).

وقد حاول الرسول ان يعلم المؤمنين مقدار اهمية حفظ العقل والافكار من التيهان والاسترسال في المواضيع المحرمة ، او انفاق قوى العقل في موضوعات تافهة لاطائل تحتها . فالذين لايريدون ان يسقطوا فريسة لمكايد [471] الشيطان ، عليهم ان يحرسوا جيدا مادخل النفس ، وعليهم الابتعاد عن قراءة او رؤية او سماع من من شأنه ان يوحى بأفكار نجسة. وينبغي الا يترك الفكر ليتعمق جزافا في كل موضوع يفترحه عدو النفوس . كما ينبغي اقامة حارس امين على القلب ، والا فالشرور التي من الخارج ستوقظ الشرورو الهاجعة في الداخل وتثيرها فتتلمس النفس طريقها في الظلام. وقد كتب بطرس الرسول

يقول :» لذلك منطقو احقاء ذهنكم ثاحين ، فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التي يؤتي بها اليكم عند استعلان يسوع المسيح .. لاتشاكلو شهواتكم السابقة في جهاتلكم ، بل نظير القدوس الذي دعاكم، كنو انتم ايضا قديسين في كل سيرة، لانه مكتوب كونو قديسين لان انا قدوس» (1:13 — 16).

«فسيروا زمان غربتكم بخوف ، عالمين انكم افتديتم لا بأشياء تفنى ، بفضة او ذهب ، من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الاباء ، بل بدم كرين ، كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح ن معروفا سابقا قبل تاسيس العالم، ولكن قد أظهر في الازمنة الاخيرة من اجلكم ، انتم الذين به تؤمننون باالله الذي اقامهمن الاموات واعطاه مجدا ، حتى ان ايمانكم ورجائكم هما في الله» (1 : 17 — 21).

لو كانت الفضة والذهب كافيين لشراء الخلاص للناس فكم كان يتم ذلك بكل سهولة بواسطة ذاك الذي يقول : «لي الفضلة ولي الذهب» (حجي 2 : 8). ولكن لم يكن من الممكن قداء الانسان العاصي بغير دم ابن الله الكريم . لقد اعتمدت خطة الخلاص على التضحية . وقد كتب الرسول بولس يقول : «فانكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسحي ، انهناجلكم افتقر وهو غني ، لكي تستغنوا انتم بفقره» (2 كورنثوس8 : 9). فبذل المسيح نفسه لأجلنا ليفيدنا من كل اثم. وان اعظم واثمن بركات الخلاص هي هذه : «هبة الله فهي حياة ابدية بالمسيح يسوع [472] ربنا» (رومية 6:23). وقد واصل الرسول بطرس يول: «طهروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الاخوية العديمة الرياء ، فأحبوا بعضكم بعضا من قلب طاهر بشدة» (1 : 22). ان كلمة الله الحق هي الوسيلة التي عن طريقها يظهر الرب روحه وقدرته. ان الطاعة للكلمة تمثر ثمرا من النوع المطلوب«للمحبة الاخوية العديمة الرياء» . هذه المحبة هي ولدية السماء وتقود الى البواعث الساميةواعمال الايثار.

عندما يصبح الحق المبدأ الثابت في الحياة،فالنفس تكون «مولودين ثانية ، لا من زرع يفني ، بل مما لايفنى ، بكلمة الله الحية الباقية للابد» (1 : 23) . هدا الميلادالثاني هو نتيجة قبول المسيح بوصفه كلمة الله.وعندما تنطبع الحقائق الالهية على القلب بالروح القدس ، تستيقظ في النفس أفكار جديدة ، كما تستيقظ القوى التي كانت هاجعة وساكنة من قبل لتتعاون مع الله .

هكذا كانت الحال مع بطرسوزملائه التلاميذ. كان المسيح هو معلن الحق للعالم. وبواسطته زرع الزرع الذي لايفنى —كلمة الله — في قلوب الناس . ولكن كثيرا من اثمن تعاليم المعلم العظيم قيلت لمن لم يفهموها حينئذ. ولكن بعد الصعود ذكر الروح القدس التلاميذ بتعاليم السيد فاستيقظت حواسهم الهاجعة. وقد ابرقت معاني هذه الحقائق في اذهانهم كما لكو كانت اعلاناجديدا ، ووجد الحق الطاهر الاصليمكانا لنفسه. حينئذ صارذلك الاختبار العجيب اختبار حياة المسيح ملكا لهم. وقد شهدت الكلمة بواسطهم ، وهم الذين قد اقامهم ، فأعلنوا الحق العظيم: «والكملة صار جسدا وحل بيننا .. مملوءا نعمة وحقا» «ومن ملئه نحن جميعنا اخذنا ، ونعمة فوق نعمة» (يوحنا 1: 14 ، 16). [473]

وقد اوصى الرسول المؤمنين بان يدرسوا الكتب المقدسة لأنه بالادراك اللائق لها يمكنهم ان يعملوا عملا اكيدا للأبدية . وقد تحقق بطرس بأنه يوجد في اختبار كل انسان منتصر انتصارا نهائيا بعض مشاهد الحيرة والتجربة ، ولكنه علم ايضا ان فهم كلمة الله يعين الانسان المجرب كي يتذكر المواعيد المعزية والمقوية للايمان بالاله القدير .

وقد اعلنقائلا: «لأن كل جسد كعشب ، وكل مجد انسان كزهر عشب . الشعب يبس زهرة سقط، واما كلمة الرب فتثبت الى اللابد. هذه هي الكلمة التي بشرتم بها. فاطرحوا كل خبث وكل مكر والريائ والحسد وكل مذمةن وكأطفال مولودين الان، اشتهو اللبن العقلي العديمالغش لكي تنمو بهان كنتمقد ذقتم ان الرب صالح » (1 : 24 ، 25 ، 2 :1- 3).

ان كثيرين من المؤمنن الذي ارسل بطرس رسالتيه اليهم كانوا يعيشون في وسط الوثنيين وكانت

هناك اشياء كثيرة تعتمد على بقائهم امناء لدعوة اعترافهم العليا . ثم ان الرسول نببهمالى امتيارزاتهم بوصفهم تاعبين للمسيح يسوع. فكتب يقول لهم (واما انتم فجنس مختار ن وكهنوت ملوكي ، امة مقدسة ، شعب اقتناء ، لكي تخبرو بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب . الذين قبلا لم تكونو شعبا ، واما الآن فانتم شعب الله . الذين كنتم غير مرحومين ، واما الان فمرحومون.

«ايها الاحباء ، اطلب اليكم كغرباء ونزلاء ، ان تمتنعوا عن الشهوات الجسديةالتي تحارب النفس ، وان اتكون سيرتكم بني الامم حسن ة، لكييكونو ، في مايفترون عليكم كفا علي شر ، يمجدون الله في يوم الافتقاد» (2 : 9 — 12). [474]

وقد حدد الرسول بوضوح الموقف الذي ينبغي ان يتخذه المؤمنون حيال السلطات المدنية عندما قال : «فاخضعوا لكل ترتيب بشري من اجل الرب ان كان للملك فكمن هو فوق الكل ، أو للولاء فكمرسلين منه للانقتام من فاعلي الشر ، وللمدخ لغاعلي الخير . لأن هكذا هي مشيئة الله ان تفعلو الخير فتسكتوا جهالة الناس الاغبياء. كـأحرار وليسكالذين الحرية عندهم سترة للشر ، بل كعبيد الله اكرموا الجميع . احبوا الاخوة ، خافوا الله اكرموا الملك» (2 : 13 — 17).

اما من كانوا خداما فقد نصحهم بأن يظلو خاضعين لسادتهم «بكل هيبة.. ليس للصالحين المترفقين فقط ، بل للعنفاء ايضا»واوضح الرسول قائلا : «لأن هذا فضل ، ان كان احد من اجل ضمير نحو الله ، يحتمل احرزانا متألما بالظلم . لأن ه أي مجد هو ان كنت ن تلطمون مخطئين فتصبرون؟ بل ان كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون، فهذا فضل عند الله ، لأنكم لهذا دعيتم. فإن المسيح ايضا تألم لأجلنا تاركا انا مثلا لكي تتبعو خطواته , الذي لم يفعل خطية ولا وجد في فهمه مكر الذياذ شأتم لم يكن يشتم عوضا، وذا تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضي بعدل الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة ، لكي تموت عن الخطايا فنحيا للبر . الذي بجلدته شفتيم ، لانكم كنتم كخراف ضالة ، لكنكم رجعتم الان الى راعي نفوسكم واسقفها» (2 : 18 — 25).

وقد اوصى الرسول النساء المؤمنات ان تكون سيرتهن سيرة العفاف او يكن محتشمات في اللبس والتصرف . وقد نصحهن قائلا: «ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية ، من ضفر الشعر والتحلي بالذهب ولبس الثياب ، بل انسان القلب الخفي في العديمة الفساد ، زيتة الروح الوديع الهادئ الذي هو قدام الله كثير الثمن» (3 : 3 — 4). [475]

هذا الدرس ينطبق على المؤمنين في كل عصر : «من ثمارهم تعرفونهم» (متى 7 : 20). ان زينة الروح الهادئ هي كثرة الثمن. وفي حياة السيدة المسيحية بالحق ، تكون الزينة الخارجية متوافقة دائما مع السلام والقداسة القلبيين . وقد قال المسيح : «ان اراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني» (متى 16: 24) . ان انكار الذاتب والتضحية يميزان حياة المسييحي . وان البرهان على ان الذوق قد تغير وتجدد يرى في ثياب كل من يسيرون في الطريق المرسوم لمفيدي الرب.

من الصوابان نحب الجمالونشتهيه ، الا ان الله يريدنا اننحب ونطلب أولا الجمال الاسمى ، ذاك الذي لايبلى ولايفنى . لايمكن لأية زينة خارجية ان تضارع في قيمتها او جمالها «زينة الروح الوديع الهادئ» «بزا ابيض ونقيا» (رؤيا 19 : 14). الذي سيلبسه كل قديسي الارض. هذا الثوب سيجعلهم حسان المنظر ومحبوبين هنا وسكون لهم في حياة الخلود بمثابة جواز دخولهم الى قصر الملك وشارتهم المميزة لهم . إنه بعد قائلا : «فسيمشون معي في ثياب بيض لأنه ممستحقون» (رؤيا 3: 4).

ان الرسول اذ نظر ببصيرته النبوية الى الامام الى الازمنة الصعبة التي كانت كنيسة المسيح مزمعة ان تجوز فيها ، اوصى المؤمنين بالثبات امام التجارب والالآم . فكتب يقول : (ايها الاحباء ، لاتستغربوا البلوى المحرقة التي بينكم حادثة ، لأجل امتحانكم)(4 : 12).

ان البلوى هي جزء من التدريب المعطى في مدرسة المسيح لتطهير شعب الله من زغل الارضيات والتعلق بها . فلكون الله هوالذي يقود اولاده فإنهم يمرون باختبارات صعبة . ان البلايا والعوائق هي وسائله التي يستخدمها في تدريبهم والشروط التي عينها للنجاح. فذاك الذي يقرأ خفايا قلوب الناس يعرف ضعفاتهم [476] أفضل مما يعرفون هم انفسهم . انه يرى ان البعض لهم مؤهلات لو وجهت توجيها صحيحا يمكن استخدامها في تقدم عمله ونجاحه. وفي عنايته يأتي بتلك النفوسالى مواقف وظروف مختلفة لكي يكتشفوا النقائص المستورة عن علمهم . وهو يعطيهم فرصة ينتصرون فيها على نقائصهم تلك ويؤهلون انفسهم للخدمة . وفي احيان كثيرة يسمح لنيران التجارب بأن تحرقهم لكي يتطهروا .

ان رعاية الله لميراثه لاتنقطع . وهو لايسمح بوقوع تجربة على أولاده الا اذا كانت جوهرية لأجل خيرهم الزمني والابدي . وهو سيطهر كنيسته كما قد طهر المسيح الهيكل في اثناء خدمته على الارض. وكل مايجلبه على شعبه في الامتحان والتجربة انما يجلبه لكي يحصلوا على تقوى اعمق وقوة اعظم للتقدم بانتصارات الصليب .

لقد جاء وقت في اختبار بطرس عندما نفر وتهرب من مرأى الصليب في عمل المسيح فعندمااعلم المخلصالتلاميذ بآلامه القادمة وموته ، صاح بطرس قائلا: «حاشاك يارب لا يكون لك هذا» (متى 16 : 22). ان اشفاق بطرس على نفسه الذي جعله يحجم عن مشاركة المسيح في آلامه ، استفزه فنطق بهذا الاحتجاج. كان هذا درسا مرا وقاسيا لهذا التلميذ، درسا تعلمه ببطء، وهو ان طريق املسيح على الارض كان يمر في وسط الآلام والاتضاع . ولكن في حرارة نار الآتون كان عليه ان يتعلم الدرس. ثم عندما انحنى جسمه، الذي كان قبلا نشطا ، تحت اثقال السنين والمتاعب امكنه ان يكتب قائلا: «ايها الاحباء، لاتستغربوا البلوى المحرقةالتي بينكم حادثة، لأجل امتحانكم ، كأنه اصابكم امر غريب ، بل كم اشتركتم في آلام المسيح ، افرحوا لكي تفرحوا فس استعلان مجده ايضا مبتهجين» (4 : 12 ، 13).

وفي خطابه الذي وجهه الى شيوخ الكنيسة بخصوص مسؤولياتهم كرعاة يعملون تحت اشراف الراعي الاعظم لقطيع المسيح ، كتب الرسول يقول لهم [477] «ارعوا رعية الله التي بينكم نظارا ، لا عن اضطرار بل بالاختيار ، ولا لربح قبيح بل بنشاطن و لا كمن يسود على الانصبة، بل صائرين امثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لايبلى» (5 : 2 — 4).

والذين يشغلون مراكز الرعاة المساعدين للراعي الاعظم عليهم ان يمارسوا اجتهادا يقظ على قطيع الرب . ويبنغي الا يكون هذا سهرا استبداديابل سهرا يؤول الى التشجيع والتقوية واقامة الساقطين. ان الخدمة تعني شيئا اكثر من تقديم العظات ، فهي تعني الخدمة الشخصية الجادة . ان الكنيسة على الارضمكونة من رجال ونساء مخطئين يحتاجون الى بذل جهد صبور دقيقلكي يتربوابل يتدربوا على العمل المقبولفي هذه الحياة ، وفي الحياة العتيدة يكللون بالمجد والخلود . توجد حاجة الى رعاة —رعاة امناء — لايتزلفون او يتملقون شعب الله ولايعاملونهم بقسوة او فظاظة ، بل يغذون الرعية بخبز الحياة- الى رجال يشعرون في حياتهم اليومية بقوة الروح القدس المجددة ،وقلوبهم عامرة بمحبة قوية غير أنانية نحو من يخدمونهم.

يوجد عمل دقيق ليقوم به الراعي الذي يعمل تحت اشرافالمسيح عندما يدعى لمواجهة الفرقة والمرارة والغيرة والحسد في الكنيسة، وعليه ان يخدم بروح المسحي المسيح لينظم كل شيئ. ينبغي تقديم الانذارات الامينة ، كما يجب توبيخ الخطاياواصلاح الاخطاء والمظالم، ليس فقط بواسطة خدمة الخادم من على المنبر ، بل عن طريق العمل الفردي. قد يعترض القلب الضالعلى الرسالة، وقد ينتقد خادم الله ويخطئ الناس في حكمهم عليه. اذن فليذكر حينئذ ان «الحكمة التي من فوق فهي اولا طاهرة ، ثم مسالمة ، مترفقفة مذعنة ، مملوة رحمةواثمارا صالحة ، عديمة الريب والرياء وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام» (يعقوب 3 : 17 ، 18). [478]

ان عمل خادم الانجيل هو ان«ينير الجميع في ماهو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله» (افسس 3:9). فاذا دخل الانسان الى هذه الخدمه واختار اقل جزء يتطلب تضحيق الذات ويقنع بالكرازة ويترك خده العمل الفردي لشخص اخر فإن خدماته لن تكون مقبوله لدى الله فالنفوس الت قدمات المسيح لاجلها تهلك لعدم وجود عمل فردي موجه توجيها صالحا وذاك الذي اذا يدخل الخدمه يرفض القيام بالعمل الفردي الذي تتطلبه رعايه القطيع يكون قد اخطأ في فهم دعوته.

ان روح الراعي الامين هي روح نسيان الذات.انه يغفل الذات حتى يمكنه ان يعمل اعمال الله.وبواسطة الكرازه بالكلمه والعمل الفردي في بيوت الشعب يطلع على حاجياتهم واحزانهم وتجاربهم, واذا يتعاون مع حامل الاثقال الاعظم , يشاطرهم في تجاربهم والامهم ومسراتهم وكروبهم ويغيث ارواحهم الجائعة ويربح قلوبهم الله . وفي هذا العمل يحظى الخادم بصحبة المائكه ,وهو نفس يتعلم ويستنير في الحق الذي يحكم للخلاص.

وفيما يختص بتعليمه لمن يشغلون وظائف ذات مسؤوليه في الكنيسة ,لخص الرسول بعض المبادئ العامة التى كان يجب ان يسير عليها الذين كانوا مرتبطين بشركة الكنيسه.فلقد حث جماعة الشباب في الرعيه ان يتمثلون بالشيوخ في وداعة كوداعة المسيح.فقال لهم «كذالك ايها الاحداث ,اخضعوا للشيوخ ,وكونوا جميعا خاضعين بعضكم لبعض ,وتسربلو بالتواضع,لان, «الله يقاوم المستكبرين ,واما المتواضعيون فيعطيهم نعمه .فتواضعوا تحت يد الله القويه لكي يرفعكم في حينه,ملقين كل همكم عليه,لانه هو يعتني بكم .اصحوا واسهروا .لان ابليس خصمكم كاسد زائر ,يجول ملتمسا من يبتلعه هو فقاوموه ,راسخين في الايمان» (5 : 5 — 9). [479]

هذا ماكتبه بطرس للمؤمنين في وقت وقوع تجارب متميزة على الكنيسه .كان كثيرون قد صاروا شركاء المسيح في الامه , وبعد قليل كانت الكنيسه مزمعه ان تمر في فتره اضطهاد مخيف . وفي مدى سنين قليله كان كثيرون فالذئاب الخاطفه كانت مزمعه ان تدخل الكنيسه فلا تبقى على القطيع . ولكن لا شئ من هذا الكوارث كان كفيلا بانيخيف او يثبط همة اولئك الذين قد ثبت رجاؤهم في المسيح . ان الرسول بطرس باقواله الالام المستقبله الىOne and half line missing here «واله كل نعمه الذي دعانا الى مجده الابدي في المسيح يسوع بعدما تالمتم يسيرا ,هو يكملكم ,ويثبتكم ,ويقويكم ,له المجد والسلطان والى ابد الابدين. امين» (5 : 10 , 11). [480] [481]

الفصل الثاني والخمسون

الثبات الى النهاية

(يعتمد هذا الفصل على ماورد في رسالة بطرس الثانية)

ان بطرس في رسالته الثانية التي ارسلها الى اولئك الذين نالو معه «ايمانا ثمينا»،بسط امامهم التدبير الالهيلنمو الخلق المسيحي . فقد كتب يقول: «لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. كما ان قدرته الاهلة قد وهبت لنا كل ماهو للحياة والتقوى، بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة ، اللذين بهما قد وهب لناالمواعيد العظمى والثمينة ، لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية، هاربين من الفساد الذي في العالم بالشهوة».

«ولهذا عينه — وانتم باذلون كل اجتهاد- قدموا في ايمانكم فضيلة ، وفي الفضيلة معرفة،وفي المعرفة تعففا ، وفي التعفف صبرا ، وفي الصبر تقوى ، وفي التقوى مودة أخوية، وفي المودة الاخوية محبة. لأن هذه اذا كانت فيكم وكثرت ، تصيركم لا متكاسلينولاغير مثمرين لمعرفة ربنا يسوع المسيح» (1 : 2 8).

هذه الاقوال مليئة بالتعليم وهي تضرب على نغمة الانتصار . ان الرسول يقدم للمؤمنين سلم الرقي المسيحي وكل درجة فيه تمثل تقدما في معرفة الله . [482] وفي صعوده لا يوجد توقف . فالايمان والفضيلة والمعرفة والتعفف والصبر والتقوى والمودة الاخوية والمحبة هي درجات السلم . اننا نخلص بالتسلقدرجة بعد درجة ، الصعود خطوة بعد خطوة الى علو مثالالمسيح لنا . وهكذا هو يصير لنا حكمة وبرا وقداسة وفداء . لقد دعا الله شعبه للمجد والفضيلة، اللتان تظهرا في حياة كل من هم مرتبطون به ارتباطاحقيقيا. فاذ يصيرون شركاء في الهبة السماوية عليهم ان يتقدموا الىالكمال ، وهم «بقوة الله محروسون ، بايمان» (1 بطرس 1 : 5). ان الله يتجمد اذ يمنح فضائله لاولاده. انه يتوق لأن يرى الرجال والنساء يبغلون اسمى المستويات ، وعندما يتمسكون بقوة المسيح بالاميان ، وحين يتوسلون اليه ليتمم لهم مواعيده التي لاتخيب ويطالبون لها كحقهم الخاص ، وعندما يطلبون قوة الروح القدس بلجاجة والحاح ن حينئذ يصيرون كاملين فيه.

وحيث قبلوا ايمان الانجيل ،فإن عمل المؤمن بعد ذلك هو ان يضيف الى خلقه فضيلة وهكذا يطهر القلبويعد الذهن لقبول معرفة الله. وهذه المعرفة هي اساس كل تهذيب حقيقي وكل خدمة حقيقية. وهي الواقي الحقيقي الامين الوحي ضد التجربة،وهكذا وحده يجعل الانسان شبيهعا بالله في الصفات . وعن طريق معرفة الله وابنه يسوع المسيح يعطي للمؤمن (كل ماهو للحياة والتقوى)(1 : 3). ولاتمنع عطية صالحة عمن يتوق بكل اخلاص للخصول على بر الله .

لقد قال المسيح : «وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسحي الذي ارسلته» (يوحنا 17 : 3). ولقد اعلن ارميا النبي قائلا: «لايفتخرن الحكيم بحكمته، ولايفتخر الجبار بجبرتوته ، ولا يفتخر الغني بغناه ، بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفني اني انا الرب الصانعرحمة وقضاء وعدلا في الارض ، لأني هذه اسر ،يقول الرب» (ارميا 9 : [483] 23 ، 24). ان العقل البشري

لايكاد يدرك مدى اتساع وعمق المعلومات الروحية التي يحصل عليها من يصل الى هذه المعرفة .

لاحاجة لانسان ان يفشلفي البلوغ الى كما الخلق المسيحي في محيطه. فبذبيحة المسيح اعدت للمؤمن مؤونة لقبول كل ماهو للحياة والتقوى. ان الله يدعونا لنصل الى مقياس الكمال ويضع امامنا صفات المسيح كمثال . ان المخلص في ناسوته الذي تكلم بحياة المقاومة الدائمة للشر ، برهن لنا انه بواسطة التعاون مع اللاهوت يمكن للشبر في هذه الحياة ان يبلغ والى كما الخلق . وما يؤكده لنا الله انه يمكننا نحن ايضا ا ننال انتصارا كاملا .

فأمام المؤمن توضع الامكانية العجيبة ان يكون كالمسييح ، ممطيعا لكل مبادئ الشريعة. ولكن الانسان في ذاته عاجز عجزا كاملا عن الوصول الى هذهالحالة , ان القداسة التي تعلن كلمة الله انها ينبغي ان تكون له قبلما يخلص هي نتيجة فاعلية النعمةالالهيةاذ ينحني خاضعالتدريب تاثيرات روح الحق الرادعة . لايمكن ان تكمل طاعة الانسان الا بواسطة بخور بر المسيح وحده الذي يملأ كل عمل من اعمال طاعة برائحة الله الذكية . ان الدور الذي على المسيحي ان يقوم به هو المثابرة في الانتصار على كل خطأ . عليه ان يصلي الى المخلص على الدوام لكي يشفي وعكات نفسه المريضة بالخطية. فهو ليست لديه الحكمة او القوة على الانتصار فهذا يخصان الرب وهو يمنحهما لمن يلتمسون منه العون في تذلل وانسحاق.

ان عملية التغيير من النجاسة الى القداسة هي عملية مستمرة. فمن يوم الى يوم يعمل الله لتقديس الانسان وعلى الانسان ان يتعاون معه باذلا اقصى جهوده والمثابرة في غرس العادات الحسنة في قلبه . عليه ان يضيف نعمةالى نعمة. واذ يقوم بعملية الاضافة هذه فالله سيقوم بعملية الاكثار او المضاعفة . ان مخلصنا هو مستعد ابدا ان يسمع ويجيب الصلاة الصادرة من القلب المنسحق ، وهو يضاعف [484] النعمة والسلام لأبناء شعبه الامناء . وهو بكل سرور يمنحهم البركاتالتي احتاحونها في صراعهمضد الشرور المحيطة بهم . هنالك جماعة يحاولون الصعود على سلم النجاح المسيحي ، ولكن اذ يتقدمون يضعون ثقتهم في قوة الانسان وسرعان مايغيبعن انظارهم يسوع رئيس ايمانهم ومكلمه . والنتيجة هي الفشل الاكيد ـــ وخسارة كل ماقدر احرزوه . ان حالة أولئك الذين اذ يعيون من مشقاتالطريق ، يسمحون لعدو النفوس ان يسلبهم الفضائل المسيحية التي بدأت تنمو وتزدهرفي قلوبهم وحياتهم ، هي حالة محزنة حقا، يقول الرسول «لأن الذي ليس عنده هذه ، هو أعمى قصير البصر ، قد نسي تطهير خطاياه السالفة» (9 : 1).

ان الرسولبطرس كان له اختبار طويل في امور الله. فإيمانه بقدرة الله على منح الخلاص تقوى بمرور السنين، الى ان برهن بما لايقبلجدا ان لاتوجد امكانية للفشلامام ذاك الذياذ يتقدم بايمان يرتفع مرحلة بعد مرحلة ، مرتفعا ومتقدما دائما الى الامام الى اعلى درجة في السلم التي تصل حتى الى ابواب السماء.

لقد ظل بطرس مدى سنين عديدة يشدد على المؤمنين في وجوب النمو المستمر في النعمة وفي معرفة الحق ، واذ علم ان سيدعى سريعا ليتألم ويموت شهيدا لاجل ايمانه ، استرعى الانتباه مرة اخرى الى الامتيازات الثمينة التي هي في متناول كل مؤمن. ففي يقين ايمانه الكامل اوصى ذلك التلميذ الشيخ اخوته بالثبات على الهدف في الحياة المسيحية. فالتمس منهم قائلا: «بالاكثر اجتهدوا ايها الاخوة ان تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لانكم اذا فعلتم ذلك لن تزلو ابدا . لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول الى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح [485] الابدي» (1 : 10، 11). ياله من يقين ثمين ، وماأمجد الرجاء الذي امام المؤمن اذ يتقدم بالايمان صاعدا الى اعالي الكمال المسيحي .

ثم يستطرد الرسول فيقول : «لذلك لااهمل ان اذكركم دائما بهذه الامور ن وان كنتم عالمني ومقبتين في الحق الحاضر . ولكني احسبه حقا ـــ مادمت في هذا المسكن- ان انهضكم بالتذركة ، عالما ان خلفع

مكسني قريب ، كما اعلن لي ربنا يسوع المسيح ايضا . فاجتهدايضا ن ان تكونو بعد خروجي ، تتذركون كل حين بهذه الامور» (1 : 12 — 15).

كان الرسول مؤهلا جيدا لأن يتحدثعن مقاصد الله نحو الجنس البشري، لأنه في غضون سني خدمةالمسيح على الارض كان قد رأى وسمع الكثير عما يختلص بملكوت الله . فقد ذكر المؤمنين قائلا: «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة ، اذ عرفناكم بقوة ربنا يسوعالمسيح ومجيئه ، بل قد كنا معاينين عظمته . لأنه خذ من الله الآبكرامة ومجدا ، اذ اقبل عليه صوت كهذا من المجد الاسنى هذا هو ابني الحبيب الذي انا سررت به.ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلا من السماء . اذ كنا معه في الجبل المقدس» (1: 16|- 18).

ومع ان هذا البرهان كان مقنعا جدا فيما يتخلص بيقينية رجاء المسيحي ، فقد كان لا يزاليوجد برهان آخراكثر اقناعا ، الا وهو شهادة النبوة التي يمكن لايمان الجيم عان يتثبت عليها ويرسو بأمان فقد اعلن بطرس قائلا: «وعندنا الكلمة النبوية ن وهي اثبت ، التي تفعلون حسنا ، ان انتبهتم اليها ، كما الى سراج منير في موضع مظلم، الى ان ينفجر النهار ، ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم ، عالمين هذا أولا : ان كل نبوة الكتابليست من تفسير خاص. لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (1: 19 — 21). [486]

ان الرسول اذ عظم الكلمة «الكلمة النبوية .. الاثبت»على انها المرشد الامين في اوقات الخطر ، قد حذرالكنيسة بكل وقار من «مشعل» النبوات الزائف الذي كان سيرفعه «معلمون كذبة»الذين يدسون «بدع هلاك . واذ هم ينكرون الرب»هؤلاء المعلمون الكذبة الذي يظهرون في الكنيسة وكثيرون من اخوتهم في الاميان يعتبرونهم امناء، يشبهمم الرسول بآبار بلا ماء ، غيوم يسوقها النوء . الذين قد حفظ لهم قتام الظلام الى الابد . وقد اعلن الرسول قائلا: «فقد صارت لهم الاواخر اشر من الاوائل . لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من انهم بعدما عرفوا، يتردون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم» (2: 1 ، 17 ، 20 ، 21).

واذ تطلع بطرس عبر الاجيال الى انقضاء الدهر اوحي اليه ان يخلص الظروف التي ستوجد في العالم قبيل مجيئ المسيح ثانية . فكتب يقول : «سيأتي في آخر الايام قوم مستهزئون ن سالكين بحسب شهواتهم انفسهم، وقائلين اين هو موعد مجيئه؟ لأنه من حين رقد الاباء كل شيئ باق همذا من بدء الخليقة» (3 : 3 — 4). ولكن «حينما يقولون سلام وامان ، حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة» (1 تسالونيكي 5 :3). ومع ذلك فلن يؤخذ الجميع في اشراك العود ومكايده .فإذ تقترب نهاية كل الامروالارضية سيوجد جماعة من الامناء قادرين ان يميزوا علامات الازمنة. ففي حين ان عددا كبيرا من المعترفين بالايمان ينكرون ايمانهم بأعمالهم، الا انهستكون هنالك بقية تصبر الى المنتهى.

لقد ابقى بطرس رجاء مجيء المسحي ثانية حيا ومتوهجا في قلبه، واكد للكنيسة يقينية اتمام المخلص لوعده القائل : «وان مضيت واعددت لكم مكانا آتي أيضا وآخذكم الى» (يوحنا 14 : 3). قد يبدو ان مجيء المسيح ، بالنسبة للامناء المجربين ، قد تباطأ وتأخر ولكن الرسوليؤكد لهم قائلا : «لايتباطأ [487] الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ ، لكنه يتأني علينا ، وهو لايشاء ان يهلك اناس ن بل ان يقبل الجميع الى التوبة,. ولكن سيأتي كلص في الليل ، يوم الرب ن الذي في هتزول السماوات بضجيج، وتنحل العناصر محترفقة وتحترق الارض والمصنوعات التي فيها.»

«فبما ان هذه كلها تنحل ، أي اناس يجب ان تكونو انتم في سيرة مقسدة وتقى ؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيئ يوم الرب، الذي به تنحل السماوات ملتهبة ، والعناصر محترقة تذوب . وكلننا سحب وعدة ننتظر سماوات جديدة، وارضا جديدة ، يسكن فيها بر»(3: 9 — 13).

«لذلك ايها الاحباء اذ انتم منتظرون هذه ، اجتهدوا لتوجدوا عنده بلا دنس ولاعيب ، في سلام.

واحسبو اناة ربنا خلاصا ، كما كتب اليكم اخونا الحبيب بولس ايضا بحسب الحكمة المعطاة له .. فأنتم ايها الاحباء ، اذ قد سبقتم فعرفتهم، احترسوامن ان تنقادو بضلال الاردياء ، فتسقطوا من ثباتكم ، ولكن انمو في النعمة وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح» (2 : 14 ، 15 ، 17 ، 18).

لقد سمحت العناية الالهية ان ينهيي بكرس خدمته في روما حيث امر الامبراطور نيرون بالقائه في السحن في نحو الوقت الذي قبض في على بولس اخر مر , وهكذا كان على طينك الرسولين المحنكين اللذينكانا لسنين كثيرة،متباعدين عن بعضهما في حقول خدمتهما ، ان يؤديا شهادتهما الاخيرة للمسيح في قصبة العالم،وعلى اديمها يسفك دمهما ليكون بذار لحصاد وفير من القديسين والشهداء.

ان بطرس منذ اعادة تثبيته بعد انكاره للمسيح ، جابه الخطر بلا تردد اوخوف وأبدى شجاعة عظيمة في الكرازة بالمخلص المصلوب والمقام لي [488] الصاعد. فإذ كان مضطجعافي زنزانته ، ذكرالكلام الذي وجهه اليه المسيح حين قال : «الحق الحق اقوللك : لما كنتاكثر حادية كنت تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء , ولكن متى شخت فانك تمد بيديك واخر يمنطقك ، ويحملك حيث لا تشاء» (يوحنا 21 : 17). وهكذا عرف المسيح تمليذه هذا نفس الطريقة التي سيموت بها ، بل لقد تنبأ ايضا بمد يديه على الصليب . ان بطرس اذ كان يهوديا وغريبا حكم عليه بالجلد والصلب . وفي انتظار هذه الميتة المخيفة تذكر الرسولحطيته العظيمة في انكاره ليسوع ساعة محاكمته. كان قبلا غير مستعد للاعتراف بالصليب، اما الآن فها هو يحسبه فرحا ان يبذل حياته لأجل الانجيل ، وهو يشعر ان كونه ن وهو الذي قد انكر سيده،يموت بالطريقة نفسها التي مات معلمه وربه هو شرف اعظم بكثيرمما يستحقه. كان بطرس قد تاب عن تلك الخطية توبة صادقة، وكان المسيح قد غفر له كما يظهر ذلك من المأمورية السامية التي اسندها له بأن يرعى خراف الرعية وحملانهاولكن بطرس لم يستطع ان يغفر لنفسه ابدا . وحتى تفكيره في الام المشهد الاخير الرهيب لم يستطع ان يخفف من مرارة حزنه وتوبته , وقط طلب من جلاديه ان يدوا اليع معروفا اخيرا بان يصلبوه مكنس الرأس , . وقد الى طلبه ، وفي هذا الوضع مات بطرس الرسول العظيم. [489]

الفصل الثالث والخمسون

يوحنا الحبيب

لقد امتاز يوحنا على باقي التلاميذ بأنه «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» (يوحنا 21: 20). ويبدو انه قد تمتع بصداقة يسوع الى درجة فائقة جدا وحصل على علامات كثيرة تدل على ثقة المخلص ومحبته له . وكان يوحنا احد الثلاثة الذين سمح لهم بمشاهدة مجد المسيحفوق جبل التجلي، وآلامه في جثسيماني ، وقد اوكل اليه السيد امر رعاية امه في ساعاته الاخيرةالتي كان يقاسي فيها سكرات الموت على الصليب .

وقد قوبلت محبة المخلص لتلميذه الحبيب بكل مايمكن ان يكنه قلب انسان من اقوى حب واعمق ولاء. فعتلق يوحنا بالمسيح كما تتعلق الكرمة بالعمود العظيم . فلأجل خاطر سيده واجه المخاطر بحضور المحاكمة في دار الولاية ، وبقي عند الصليب ، واذ سمع النبا القائل بأن المسيح قد قام ، اسرع الى القبر وفي غيرته سبق حتى بطرس السريع الاندفاع.

ان المحبة الواثقة والتكريس غير الاناني اللذين ظهرا في حياة يوحنا وخلقه يقدمان للكنيسة المسيحية دروسا ذات قيمة لاتقدر . ان يوحنا لم يكن يملك بالطبيعة جمال الخلق الذي كشف عنه اختباره اللاحق . فبطبيعته كانت في نقائص خطيرة. [490] فلم يكن فقط متكبرا ومعتدا بذاته وطامعا في الكرامة بل كان ايضا مندفعها وسريع الغضب ان وقعت عليه اذية . وقد دعي هو واخوه «بني الرعد» لقد كان الطبع الشرير والرغبة في الانتقام ورح الانتقاد كلها موجودة عند التلميذ الحبيب . ولكن المعلم الالهي رأى ببصيرته النفاذة وراء ذلك كلهقلبا غيورت وفيت محبا . لقد وبخه يسوع لأنه طلب ما لنفسه وخذل مطامعه وامتحن ايمانه . ولكنه اعلن له ماكانت تتوق نفسه اليه ن جمال القداسة وقوة المحبة المغيرة.

وقد ظهرت النقائص في خلق يوحنا على حقيقتها وبقوة في عدة مناسباتفي اثناء عشرته الشخصية مع المخلص. ففي مرة ارسل المسيح امامه رسلا الى قرية للسامريين طالبا من أولئك الناس يعدوا له ولتلاميذهطعاما ينعشون به انفسهم.ولكن عندما اقترب المخلصالمدينةتظاهر كأنه يرغب في ان يتجاوزهم ذاهبا إلى اورشليم. فأثارذلك جسد السامريين فبدلا من ان يدعوه ليمكث معهم منعوا عند الكرام والمجاملات التي كانواليقدمونها لأي عابر سبيل . ان يسوع لايفرض حضوره على أي انسان وقد خسر السامريون البركة التي كان يمكنه ان يمنحها لهم لو التمسو منه انيحل ضيفا عليهم.

لقد فهم التلاميذ ان المسيحكان يقصد ان يباركالسامريين بحضوره بينهم ، فلما قوبل معلمهم بذلك الفتوروالحسد وعدم الاحترام امتلأو دهشة وغضبا . وقد ثار يعقوب ويوحنابوجه خاص. لقد بدا لهما ان معاملة ذاك الذي كان يكرمانه اكراما عظيما بمثل تلك المعاملة، ظلم اعظم من ان يسكتا عليه بدون قصاص سريع . ففي غيرتهما قالا : «يارب ، اتريد ان نقول ان تنزل نار من السماء فتفنيهم ، كما فعل أي ايليا ايضا ؟» وهذه اشارة الى هلاك رئيسي قوات الجيشالسامري المرسلين للقبض على ايليا وقواتهما . وقد دهشالتلميذانحين علما ان كلامهما قد آلم يسوع، وزادت دهشتهما عندما سمعا توبيخه القائل : «لستما تعلمان [491] من أي روح انتما . لأنابن الانسانلميأت ليهلك انفس الناس ، بل ليخلص» (لوقا 9: 54 — 56).

انه ليس من ضمن برنامج خدمة المسيح ان يرغم الناس على قبوله. ولكن الشيطان والناسالذين تحركهم روحه همالذين يحاولون ان يرغموا الضمير .فبحجة الغيرةعلى البر يوقع الناس المتحالفون مع الملائكة الاشرار الآلام على بني جنسهم احيانالكي يجعلوهم يعتنقون آرائهم بخصوص الدين . ولكن المسيح يظهر دائما الرحمة ويحاول دائما ان يأسرالقلوبباظهار محبته. انه لايسمح بوجود منافس له فينا، ولايقبلخدمة ناقصة ، ولكنه يرغب فقط في الخدمة الطوعية ن وتسليم القلب بمحض الاختيار تحت ضغط المحبة .

وفي مناسبة اخرى قدم يعقوب ويوحناالى يسوع طلبة عن طريق امهما طالبين منه ان يسمح لهما بأن يشغلا اسمى مراتبالشرف والكرامة في ملكوته. فبالرغم من تعليم المسيح المتكرر المختلصبطبيعة ملكوته ، فإن هذين التميذين الشابين كانا لايزالان يعززان الرجاء بمجيئ مسيا يأخذ لنفسه عرشاوسلطانا ملكيا طبقالرغبات الناس. واذ كات الام مع ابنيها تشتهي لهما مكان الشرف في هذا الملكوت ، سألت يسوع قائلة : «قل ان يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك».

ولكن المخلص اجاب بقوله: «لستما تعلمان ماتلطبان . اتستطيعان ان تشربا الكأس التي سوف اشربها انا ، وان تصطبغا بالصبغة التي اصطبع بها انا ؟ ومعانهما ذكرا كلامه المبهم الذي كان يشير الىالمحاكمة والالم ، فقداجاباه بكل ثقة قائلين : «نستطيع» لقد حسباان اعظم شرف واسمى كرامة ان يبرهنا على ولائهما له بكونهمايشاركان سيدهما في كل مايحل به . [492]

فأعلن لهما المسيح قائلا: «أما كأسي فتشربانخا ، وبالصبغة التي اصطبغ بها ان تصطبغان» .كان أمامه صليببدل العرش ،ورفيقان مذنباناحدهما عن يمينه والآخر عن يساره . وكان على يعقوبويوحنا ان يشاركا سيدهما في احتمال الألم- فقد قضي على احدهما بأن يموت قتلا بالسيفبعد قليل ، اما الآخر فقد كان اطول التلاميذ عمرا في اتباع سيده في العمل والخدمةواحتمال العاروالاضطهاد. واستطرد المخلصيقول : «واما الجلوس عن يمينيوعن يساري فلس لي ان اعطيهالا للذين اعد لهم من ابي» (متى 20 : 21 — 23).

لقد فهم يسوعالباعث الذي حفز ذينك التلميذين لتقديم ذلك الطلب وهكذا وبخ كبريائهما وطموحها . فقال «ان رؤساء الامم يسودونهم ، والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذافيكم . بلمن اراد ان يكون فيكم عظيمافليكنلكمخادما ،ومن اراد ان يكون فيكم أولا فليكن لكم عبدا ، كما ان ابن الانسان لميأت ليخدم بل ليخدم، وليبذلنفسه فدية عن كثيرين» (متى 20 : 25-28).

في ملكوت اللهلاينالالمركز عن طريق المحاباة . كلا ولاينالبالاستحقاق ، ولايحصلالانسان عليه عن طريق منحة اعتباطية , ولكنه نتيجة الخلق . فالاكيليلوالعرش هوما علامات لحالة بلغها الانسان- علامات قهر الذات بواسطة نعمةربنا يسوع المسيح .

وبعد ذلك بوقت طويل عندما دخل يوحنا في نطاق التعاطف والشعور مع المسيح عن طريق شركة آلامه ، اعلن له الرب يسوع الشرط الذي بموجبه يصير قريبا من ملكوته . فقال المسيح : «من يغلب فسأعطيه ان يجلس معي في عرشي كما غلبت انا ايضا وجليست مع ابي في عرشه» (رؤيا 3 : 21). ان الذي يقف قريبا جدا من المسيح هو ذلك الذي قد شرب فارتوي من روحه التي هي روح المحبة المضحية — المحبة التي «لاتتفاخر ولا تنتفخ ... ولاتطلب [493] مالنفسها ، ولاتحتد ، ولاتظن السؤ» (1 كورنثوس 13 : 4 ، 5)ز المحبة التي تحرك التلميذ كما قد حركت سيدنا لأن يقدم الكل ويعيش ويخدم ويضحي حتى الموت لأجل خلاص البشرية .

وفي مرة أخرى اثناء الخدمات الكرازية الاولى ، تقابل يعقوبويوحنا مع رجل كان يخرج شياطين باسم المسيح مع انه ام يكن تابعا له معترفا به . وقد منع هذاالتلميذان ذلكالرجالمن مزاولة هذا العمل ،

وكان يظنان انهما كانا على صواب فيما فعلا , ولكن عندما بسطا المسألة امام المسيح وبخهما بقوله: «لاتمنعوه ، لأنه ليس احد يصنع قوة باسمي ويستطيع سريعا ان يقول على شرا» (مرقس 9 : 39) . فما كان ينبغي ان يصد احد ممن برهنوا على صداقتهم ومحبتهم للمسيح بأيى طريقة ,. ينبغيان يصد احد ممن برهنواعلى صداقتهم ومحبتهم للمسيح بأي طريقة . ينبغي الا يضمر التلاميذ أي روح ضيقة او تزت ان انطوائية بل عليهم ان يظهرو نفس روح العطف البعيدة المدى التي قد رأوها في معلمهم . كان يعقوب ويوحنا يظنان انهما اذ صدا الرجل كان يضعان في اعتبارهما كرامة الربن ولكنهما بدءا يريان انهما انما كانا يغاران على كرامتهما الذاتية. وقد اعترفا بخطئهما وقبلا التوبيخ.

ان تعاليم المسيح التي اوضحت ان الوداعة والتواضع والمحبة جوهرية لاجل النمو في النعمة والاهلية لخدمته كانت لها قيمة عظيمةا جدا في نظر يوحنا. لقد اختزن في عقله وقلبه كل درس وحاولان يجعل حياته في حالة توافق وانسجام مع المثال الالهي . فبدأ يوحنا يميز مجد المسيح — لا الابهة والسلطان الارضيين اللذين كان قد تعلم ينتظرهما ويصبو اليهما.، بل «مجدا كما لوحيد من الآب ، مملوءا نعمة وحقا» (يوحنا 1 : 14).

ان محبة يوحنا العميقة الملتهبة لسيده لم تكن هي سبب محبة المسيح له ولكنها كانت نتيجة تلك المحبة . كان يوحنا يتوق لأن يكون كالمسيح، وتحت [494] قوة محبته المغيرة صار وديعا ومتواضعا . لقد اختفت الذاتب في يسوع وتفوق يوحنا على زملائه في كونه سلم نفسه لقوة تلك الحياة العجيبة. وهاهوا يقول : «فإن الحياة اظهرت ، وقد رأينا» «ومن ملئه نحن جميعا اخذنا ، ونعمة فوق نعمة» (1 يوحنا 1 : 2 ، يوحنا 1 : 16). لقد عرف يوحنا المخلص معرفة اختبارية . ونقشتتعاليم سيده على قلبه ونفسه . وعندما شهد عن نعمة الملخص فإن لغته البسيطة كانت فصيحة بفضل المحبة التي تغلغلت في كل كيانه.

ان تلك المحبة العميقة التي كان يوحنا يكنها للمسيح قادته الى ان يشتهى القرب منه دائما . لقد احب المخلص تلاميذه الاثنى عشر كلهم.، ولكن روح يوحنا كانت اكثر قبولا واستجابة من الجميع. كان اصغر سنامن الباقين وقد فتح قلبه ليسوع بثقة كثقة الاطفالاكثر من الباقين. وهكذا صار في حالة عطف وتقارب مع المسيح، ووبواسطته ابلغت للشعب اعمق التعاليم الروحية التي نطق بها المخلص.

ان يسوع يحب أولئك الذين يمثلون الآب ، وقد امكن ليوحنا ان يتحدث عن محبة الآب أكثر مما استطاع باقي التلاميذلقد اعلن لبني جنسه ما قد احس بهفي نفسه مجسدا في خلقه صفات الله . لقد انعكس مجد الرب على وجهة. وجمال القداسة الذي قد غيره اضاه ببهاء كبهاء المسيحمن وجهه. وفي تعبد وحب رأى المخلص الى ان صار التشبه بالمسيح والشركة معه رغبته وشوق قلبه الوحيد . وقد انعكست صفات سيده في شخصه.

وقد قال : «انظروا أية محبة اعطانا الآب حتى ندعى اولاد الله .. ايها الاحباءالان نحن اولا الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون .ولكن نعلم انه اذا اظهر نكون مثله. لأننا سنراه كما هو» (1 يوحنا 3 : 1 ، 2). [495]

الفصل الرابع والخمسون

شاهد أمين

(يعتمد هذاالفصل على ماورد في رسائل يوحنا)

بعد صعود المسيح انبرى يوحنا ليكون خادما امينا غيورا لسيده. لقد اشترك مع التلاميذ الآخرين في التمتع بانسكابالروح القدسفي يوم الخمسين ، وبغيرة وقوة جديدتين ظل يحدث الناس بكلام الحياة محاولا ان يقود أفكارهم الى غيرالمنظور . كان كارزا قويا وغيورا وجادافي عمله. فبلغه جميلة وصوت موسقى تحدث عن اقوالالمسيح واعماله اذ كان يخاطبالناس بطريقة اثرت في قلوب سامعيه. ان بساطة أقواله، والقوة السامية الرائعة التي اتصفت بها الحقائق التي نطق بها ، والغيرة التي امتازت بها تعاليمه جعلته يصل الى كل الطبقات . كانت حياة الرسول متفقة مع تعاليمه. فمحبة المسيحالتي تأججت في قلبه دفعتهالى بذل جهود غيورة لاتكل لأجل بني جنسه وبوجه خاص لأجل اخوته في الكنيسة المسيحية .

كان المسيح قد امر تلاميذه الاولين بان يحبوابعضهم بعضا كام قد احبهم . وهكذا كان عليهم ان يشهدو للعالمبان المسيح رجاء المجد قد تصور فيهم.وقال لهم : «وصية جديدة انا اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضا . كما احببتكم انا [496] تحبون انتم ايضا بعضكم بعضا» (يوحنا 13 : 34). ان التلاميذ لم يستطيعوا فهم هذا الكلام عندما سمعوه، ولكن بعدما شاهدو آلام المسيح، وبعد صلبه وقيامته وصعوده الى السماء، وبعدما استقر الروح القدس عليهم في وم الخمسين ادركوا محبة اله ادراكا اوضح ، كما ادركوا طبيعة تلك المحبة التي كان ينبغي لكل منهم يكنها لاخوته . حيئنذ امكن ليوحنا ان يقول لتلاميذ زملائه : «بهذا قد عرفنا المحبة: ان ذاك وضع نفسه لأجلنا ، فنحن ينبغي لنا ان نضع نفوسنا لاجل الاخوة» (1 يوحنا 3: 16).

وبعد حلول الروح القدس ، عندما خرج التلاميذ ليكرزوا بالمخلص الحي ، كانت رغبتهم الوحيدة خلاص النفوس . لقد فرحوا وتهللو بحلاوة الشركة مع القديسين . فكانوا لطفاء ومفكرين ومنكرين لذواتهم وراغبين في الاقدام على اية تضحية في سبيل الحق . وفي شركتهم اليومية مع بعضهم اليعض اعلنوا واظهروا المحبة التي أوصاهم بهاالمسيح. وبأعمالهم وأقوالهم الخالة من الانانية حاول وان يضرمو هذه المحبة في قلوب الآخرين.

مثل هذه المحبة كان ينبغي للمؤمنين ان يحتضنوها ويحتفظوا بها دائما . كان عليهم ان يتقدموا في طاعة اختيارية امتثالا لهذه الوصية الجديدة كان عليهم ان يكونو في اتحاد وثيق جدا بالمسيح كي يتكمنوا من اتمام كل مطالييخ. وكا ن يجب ان حياتهم تعظم وتمجد المخلصالذي امكنه ان يبررهم ببره.

ولكن جدث تغيير تدريجي . فقد بدأ المؤمنون يتطلعون ليجدو نقائص في حياة الآخرين . واذ امعنوا النظر طويلافي اخطاء الآخرين ،وافسحوا المجال للانتقاد المر ، غاب عن انظارهم المخلص ومحبته . وصاروا اكثر تدقيقا فيما يختص بالطقوس الخارجية ، واكثر تدقيقافي امر النظريات اكثر مما في [497] ممارسة الايمان وفي غيرتهم على ادانة الاخرين اغفلو اخطائهم. واضاعوا المحبة الاخوية التي امر المسيح بهاوماهو أسوأ من كل ذلك انهم لم يحسوا بخسارتهم ، ولم يفطنوا الى ان السعادة والفرح اخذا

يترسبان من حياتهم وانهم لكونهم قد طردوا محبة الله من قلوبهم فسرعان ماسيكتنفهم الظلام

فاذ تحقق يوحنا من ان الكنيسة كانت تعوزها المحبة الاخوية ، فقد حث المؤمنين على حاجتهم الدائمة الى هذه المحبة. وقد امتلأت رسائله الى الكنائس بهذه الفكرة . فكتب يقول : «ايها الاحباء ، لنحب بعضنا بعضا ، لأن المحبة هي من الله،وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله. ومن لايحب لم يعرف الله ، لأن الله محبة . بهذا اظهرت محبة الله فينا ان الله قد ارسل ابنه الوحيد الى العالم ، لكي نحيا به في هذا هي المحبة ليس اننا نحن احببنا الله ، بل أنه هو أحبنا ، وارسل ابنه كفارة لخطايانا . ايها الاحباء ،ان كان الله قد احبناهكذا ، ينبغي لنا ايضا نان يحب بعضنا بعضا» (1 يوحنا 4 : 7 — 11).

وفيما يختص بالمعنى الخاص الذي بموجبه ينبغي للمؤمنين ان يعلنوا هذه الممحبة كتب الرسول يقول : «ايضا وصية جديدة اكتب اليكم ، ماهو حق فيه وفيكم ان الظلمة قد مضت ، والنور الحقيقيالان يضيئ . من قال انه في النور هو يبغض اخاه فهو الى الان في الظلمة.من يحب اخاه يثتب في النور ليس فيه عثر . واما من يبغض اخاه فهو في الظلمة وفي الظلمة يسلك ، ولا يعلم اين يمضي ، لأن الظلمة اعمت عينيه» «لأن هذا هو الخبر الذي سمعتموه من البدء: انيحب بعضنا بعضا». «من لايحب اخاه يبق في الموت. كل من يبغض اخاه فهو قاتل نفس، وانتم تعلمون ان كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية ثابتة فيه. بهذا قد عرفنا المحبة ان ذاك وضع نفسه لأجلنا ، فنحن ينبغي لنا ان نضع نفوسنا لأجل الاخوة» (1 يوحنا2 : 8 — 11 ، 3 : 11 ، 14 ، 16). [498]

ان مايعرض كنيسة المسيح لخلطير ليس هو مقاومة العالم. ولكن الشر الذي يحتضنه المؤمنون في قلوبهم هو الذي يشكل افدح كارثة تحل بهم وبكل تأكيد يؤخر تقدم عمل الله. لاتوجد طريقة افعل في اضعاف الروحيات من آفات الحسد والشكوك وايجاد العيب في الناس وسوء الظن التي يحتضنها شعب الله في قلوبهم . ومن الناحية الاخرى فان اقوى شهادة ان الله قد ارسل ابنه الى العالم هي وجود التوافق والاتحاد بين الناس ذوي الامزجة والميول المتباينة الذين تتكون منهم كنيسته . ومن امتيازات اتباع المسيح ان يظفرو بمثل هذه الشهادة. ولكن لكي يحصلوا على هذا ينبغي ان يضعوا انفسهم رهن امر المسيح واشارته وينبغي ان تكون صفاتهم ممثلة لصفاته ، وارادتهم متفقة مع مشيئته.

قال المسيح : «وصية جديدة انا اعطيكم ان تحبوا بعضكم بعضا . كما احببتكم انا تحبون انتم ايضا بعكم بعضا» (يوحنا 13 : 34) . مااعجب هذا القول ، ومع ذلك فما اقل مانمارسه ،ان كنيسة الله اليوم تنقصها المحبة الاخوية الى حد محزن فكيثيرون ممن يعترفون بأنهم يحبون المخلص لايحب بعضهم بعضا . ان غير المؤمنين يراقبون ليروا ما اذا كان للايمان الذي يمارسه المسيحيون قوة لتقديس حياتهم ، وهم سرعان مايكتشفون النقص في اخلاق المسيحيين والتناقض في اعمالهم . ليحذر المسيحيون من اعطاءه المجال للعدو لأن يشير اليهم ويقول : «انظرو كيف ان هؤلاء الناس الواقفين تحت راية المسيح يبغضون بعضهم بعضا». ان المسيحيين هم جميعا اعضاء في اسرة واحدة واولاد للآب السمواي الواحد ولهم رجاء الخلود المباركالواحد . فينبغي ان تكون الأواصر التي تبرطهم معا قوية متينة.

ان المحبة الالهية تقدم اعظم توسلاتها المؤثرةللقلب عندما تدعونا لأن نظهر نفس الرأفة والمحبة التي أظهرها المسيح. ان ذلك الانسان الذي يحب اخاه محبة [499] غير مغرضة ومنكرة لذاته هو وحده الذي يحب الله محبة صادقة . والمسيحيالحقيقي لايسمح بمحض اختياره بترك النفس المعرضة للخطر والعوز بأن تسير في طريقها بدون انذار او راعية . وهو لن يترفع عن المخطئين تاركاياهم ليغوصو ويغلو في التعاسة والخيبة او يسقطوا في ارض الشيطان .

ان أولئك الذين لم يختبروا قط محبة المسيح الرقيقة الآسرة, لايستطيعون ارشاد الآخرين الى نبع الحياة . فمحبته في القلبقوة دافعة تشوق الناس الى اظهاره في السيرة وفي الروح الرقيقة المشفقة ،

والتساميبحياة الذين يعاشرونهم . وينبغي للخدام المسيحيين الذين ينجحون في خدماتهم وجهودهم ان يعرفوا المسيح ، ولكي يعرفوه عليهم ان يعرفوا محبته. وفي السماء تقاس اهليتهم كخدام بقدرتهم على ان يحبوا كما احب المسيح ويخدموا كما خدم. وقد كتب الرسول يقول: «لانحب بالكلام ولا باللسان ، بل بالعمل والحق» (1 يوحنا 3: 18). يمكن البلوغ الى كمال الخلق المسيحي متى كان الداع الى تقديم العون والبركة للآخرين ينبع من الداخل على الدوام زنا جو هذه المحبة المحيط بنفس المؤمن هو الذي يجعله راحة حياة لحياة ويجعل الله قادرا على ان يبارك عمله وخدمته.

ان المحبة الفائقة لله والمحبة لبعضنا البعض في غير اثرة- هي افضل هبة يمكن ان يمنحها ابونا السماوي . هذه المحبة ليست باعثا او محركا بل هي مبدا الهي وقوة دائمة وثابتة. ان اللق غير المكرس لايمكنه ان يبدعها او ينتجها . ولكنها توجد فقط في القلبالذي يملك فيه يسوع. «نحن نحبه لأنههو احبنا أولا» (1 يوحنا 4 :19). ففي القلب المتجدد بنعمة الله نجد ان المحبة هي المبدأ السائد في العمل . انها تهذب الخلق وتتسلط على البواعث ، وتتحكم في الاهواء [500] والشهوات وتسموا بالعواطف. هذه المحبة متىاحتفظ بها الانسان في نفسه فهي تجعل الحياة حلوة وعذبة وتضفي تأثيرا مهذبا ونقيا على كل ما حولها .

لقد حاول الرسول يوحنا انيرشد المؤمنين لفهم الامتيازات السامية التي يمكنهمالتمتع بها ان هم مارسوا روح المحبة . فهذه القوة الفادية اذا ملكت على القلبتسيطر على كل باعث آخر وترفع من يمتلكونها فوق متناول مؤثرات العالم الفاسدة . وعندما يسيمح لهذه المحبة بأن تسود سيادة كلمة وتصير هي القوة المحركة في النفس ،فإن اتكالهم على الله وثقتهم فيه وفي معاملته لهم سيكونان كاملين. ويمكهم حينئذ ان يأتوا اليه في ثقة الايمان الكاملة عالمين انهم سينالون منه كل مما يحتاجون اليه لأجل خيرهم الزمني والابدي . وقد كتب السول يقول : «بهذا تكملت المحبة فينا ان يكون لنا ثقة في يوم الدين ، لأنه كما هو في هذا العالم ، هكذا نحن ايضا . لاخوف في المحبة ، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج». «وهذه هي الثقة التي لنا عنده : انه ان طلبنا شيئا حسب مشيئته يسمع لنا , ان كنا نعلم انه مهما طلبنا يسمع لنا ، نعلم ان لنا الطلبات التي طلبناها منه» (1 يوحنا 4 : 17 ، 18 ، 5 : 14 ، 15).

«وان اخطأ احد فلنا شفيع عن الآب ، يسوع المسيح البار . وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط ، بل اخطايا كل العالم ايضا».«ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل ، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم» (1 يوحنا 2 : 1 ، 2 ، 1 : 9). ان شروط حصولناعلى الرحمة مناالله بسيطة ومعقولة. فالرب لايطلب منا القيام بعمل محزن او مكدر لننالالغفان . ولا حاجة لنا القيام بحج مضن متعب او تأدية اعمال كفارية مؤلمة لكي تنال نفوسنا الحظوة امام اله السماء او للوفاء بديون معاصينا . «من يقر بها (بخطاياه ويتركها يرحم» (أمثال 28 ، 13). [501]

ان المسيح يتوسلفي المنازل العليا لأجل كنيسته- يتوسل لأجل أولئك الذين قد بذل دمه ثمنا لفدائهم, ان القرون والاجيال لايمكنه ان تقلل من فاعلية دمه المكفر فلا الحياة او الموت ، لا العلواو العمق تستطيع ان تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا ، لا لكوننا نتمسك به بكل قتونا وبكل ثبات ، بل لأنه هو يتعلق بنا بكل ثبات. لو كان خلاصنا متوقفا على جهودنا لما امكننا ان نخلص ، بل يتوقف على ذاك الذي يقف خلف كل المواعيد . ان تمسكنا به قد يبدوا واهناوضعيفا ، ولكن محبته هي محبة الاخ البكر ، فطالما ظللنا محتفظين باتحادنا به فلا يستطيع احد ان ينتزعنا من يديه.

واذ مرت السنون وتكاثر عدد المؤمنين ، كان يوحنا يخدم بولاء متزايد وغيرة مضاعفة لأجل اخوته . كانت الاوقات ممتلئة بالمخاطر على الكنيسة لقد وجدت الخدع الشيطانية في كل مكان. كما حاول رسل الشيطان بواسطةالتشويه والكذب ان يثيروا المقاومة ضد تعاليم المسيح ، وكان من نتائج ذلك ان الخصومات والهرطقات عرضت الكنيسة للخطر . وبعمن اعترفوا بالمسيح ادعوا ان محبته قد اعفتهم من

الطاعة لشريعة الله . . ومن الناحية الاخرى فقد علم كثيرون ضرورة حفظ العادات والطقوس اليهودية، وان مجرد حفظ الشريعةبدون الايمان بدم المسيح كاف للخلاص . وقد اعتقد البعض ان المسيح كان رجلا صالحا ولكنهم انكروا لاهوته. وبعض من تظاهروا باالاخلاص لعمل الله كانوا مخادعين كاذبين، وبأعمالهم انكرو المسيح وانجيله. واذ كانوا هم انفسهم يعيشون في العصيان كانوا يدسون الهرطقات في الكنيسة. وهكذا انساق كثيرون الى متاهات الالحاد والخداع.

وقد امتلأ قلب يوحنا بالحزن والغم اذ رأى هذه الضلالات السامة تزحف الى داخل الكنيسة. رأى المخاطر التي كانت الكنيسة معرضة لها ، فواجه هذه [502] الحالة الطارئة بحزم وتصميم . ان رسائل يوحنا تتحدث عن روح المحبة ويبدو كما لو انه كتب بقلم مغموس في المحبة. ولكن عندما واجه أولئك الذين كانوا يكسرون شريعة الله ومع ذلك كانو يدعون اهم يعيشون بلا خطية، لم يتردد عن تحذيرهم من خداعهم المخيف .

واذ كتب الى سيدة مساعدة في عمل الانجيل وتتمتع بمسعة طيبة ونفوزذ واسعالنطاق، قال لها «قد خل الى العالم ملضون كثيرون، لايعترفون بيسوع المسيح آتيا في الجسد ، هذا هو المصل ، والضد للمسيح ، انظر والى انفسكم لئلا نضيع ماعملناه ، بل ننال اجرا تاما . كل من تعدى ول يثتب في تعليم المسيح فليس له الله. ومن يثبت في تعليم المسيح فهاذ له الآاب والابن جميعا .ان كان احد يأتيكم ، ولايجيئ بهذا التعليم ، فلا تقبوله في البيت ، ولاتقولو له سلام، لأن من يسلم عليه يشترك في اعماله الشريرة» (2 يوحنا 7 — 11).

وقد فوض لنا ان نعتبر ونقدر الذين يدعون بأنهم ثابتون في المسيح في حين انهم يعيشون حياة العصيان على شريعة الله ، بنفس تقدير التلميذ الحبيب لهم . ويجد في هذه الايام الاخيرة شرور مماثلة لتلك التي كانت تتهد نجاح الكنيسة الاولى، فينبغي الاتفات الى تعاليم الرسولبخصوص هذه الامور بكل حرص. «ينبغي ان تكون عندكم محبة» . هذه هي الصيحة التي تسمع في كل مكان وعلى الخصوص من افواه الذين يدعون القداسة، ولكن المحبة الحقية هي اطهر من ان تستر خطية غير معترف بها . ففي حين يجب علينا ان نحب النفوس التي مات المسيح لأجلها الا انه يتوجب عليناالا نعقد اتفاقا مع الشر . علينا الا نتحد مع العصاة معتبرين ذلك محبة . ان الله يطلب من شعبه الذي يعيشون في العالم اليوم ان يقفوا الى جانب الحق بشجاعة كما فعل يوحنا في مقاومة الضلالات المهلكة للنفوس. [503]

والرسول يعلمنا انه في حين ينبغي لنا ان انظهر اللطف المسيحي فقد فوض لنا ان نتعامل مع الخطية والخطأة بمنتهى الصراحة، وان هذا لايتعارض مع المحبة الحقيقية . وقد كت يقول : «كل من يفع الخطية يفعل التعدي ايضا، والخطية هي التعدي . وتعلمون ان ذاك اظهر لكي يرفع خطايانا ، وليس فيه خطية.كل من يثبت فيه لايخطئ . كل من يخطئ لم يبصره ولاعرفه» (1 يوحنا 3: 4- 6).

ان يوحنا كشاهد للمسيحلم يبدخل في جدال ولا في منازعة مملة . بلاعلن ماعرفه ، وماراه وسمعه. كان في شركة حبية مع المسيح واصغى الى تعاليمه وشاهد آياته ومعجزاته. وقليلون هم الذي نرأو جمال صفات المسيح كما رآها يوحنا . فبالنسبة اليه الظلمة قد مضت ، وكان النور حقيقي يضيئ عليه ,وشهادة يوحنا عن حياة المخلص موته كانت واضحة وقوية. ومن ملئ قلبه الفائض بالمحبة للمخص تكلم ، ولم يمكن لأية قوة ان توقفه عن الكلام.

وقد اعلن قائلا: «الذي كانمن البدء، الذي سمعناه ، الذي رأيناه بعيوننا ، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا ، من جهة كلمة الحياة .. الذي رأيناه وسمعناه نخبركمبه، لكي يكون لكم ايضا شركة معنا . وانا شركتنا نحن فهي مع الآبومع ابنه يسوع المسيح» (1 يوحنا 1: 1 — 3).

وهكذا يمكن لكل مؤمن حقيقي عن طريق اختباره ان«يختم ان الله صادق» (يوحنا 3 : 33 à. وان

يشهد لما قد رآه وسمعه واحس به من قوة المسيح . [504] [505]

الفصل الخامس والخمسون

انسان غيرته النعمة

لقد تمثلت القداسة الحقيقية في حياة التلميذ يوحنا . ففي غضون سني عشرته الوثيقة مع المسيح كثيرا ماكان المخلص ينذره ويحذره ، وقد قبل يوحنا التوبيخ، واذ امكشفت صفات المخلص الاهلي ليوحنا رأى عجزه ونقاصهفاتضع امام هذا الاكتشاف . ويوما بعد يوم ، وعلى نقيض روحه العنيفة، رأى رقة يسوع ولطفه وصبره وسمع تعاليمهعن الوداعة والصبر . ويوما بعد يوم انجذب قلبه الى المسيح الى ان غابت الذات عن نظره في غمرة محبته لسيده. ان مارآه في حياة ابن الله اليومية من وقوة ولطف ، وجلال ووداعة واقتدار وصبر ملأ نفسه اعجابا . فسلم طبعه السريع الغضب والطموح ليتبدل بقوة المسيح ، وقد احدثت محبة الله تغيرا عظيما في اخلاقه .

وعلى نقيض مدهشللقدسة التي مت في حياة يوحنا كان اختبار زميله التلميذ يهوذا . وكيوحنا زميله ، اعترف يهوذابأنه تلميذ للمسيح ، ولكن لم يكن له الا صورة التقوى. ان يهوذا لم يكن جامد الشعور من جة جمال صفات المسيح ، ومرارا كثيرة حين كان يصغي الى اقوال المخلص شعر بالتكبيت والادانة ، ولكنه رفض ان يتضع او يعترف بخطاياه. انه بمقاومته للتأثير الالهي، اهان السيد الذي ادعى بأنه يحبه. لقد جاهد يوحنا بكل غيره ضد اخطائه وقاومها ، اما يهوذا فقد [506] انتهك ضميره وخضع للتجربة فكبلنفسه بعاداته الشريرة بأحكام اكبر . ان ممارسة الحقائق التي علم بها المسيح كانت مغايرة لرغائبه واغراضه ولم يستطع اخاضع نفسه لآراء معلمة ليحصل على الحكمة من السماء . فبدلا من ان يسلم في النور اختار السلوك في الظلمة. وقد ابقى في قلبه الرغائب الشريرة والطمع وشهوةالانتقام والافكار المظلمة الكئيبة الى ان سيطر الشيطان عليه سيطرة كاملة ان يوحنا ويهوذا يمثلان الذي يعترفون انهم اتباع المسيح. فكلا هذين التلميذين كانت لديهما الفرض نفسها لدراسة حياة المثال الالهلى واتباعه ، وكلاهما كانا على صلة وثيقة بسيوع وتمتعا بامتياز الاستماع لتعاليمه . كان لكل منهما نقائصهالخطيرة في خلقه، كما كان في متناول كل منهما الحصول على النعمة الالهية التي تغير الخلق . ولكن في حين ان اخدهما كان بكل تواضع يتعلم من يسوع، فان الآخر اظهر انه ليس عاملا بالكلمة بل سامعا فقط . احدهمااذ كان كل يوم يموت عن الذات وينتصر على الخطية فقد تقدس في الحق ، اما الآخر فإذ كان يقاوم قوة نعمة الله المغيرة وينغمس في رغائبه وأنانيته صار عبدا للشيطان.

ان مثل هذا التغيير في الخلق كما يرى في حياة يوحنا هو دائما نتيجة الشركة مع المسيح قد تكون هنالك نقائص ملحوظة في خلق أي فرد، ولكنه عندما يصير تلميذا حقيقيا للمسيح فان قوة النعمة الاهلية تغيره وتقدسه. فإذ يرى مجد الرب كما في مرآة يتغير من مجد الى مجد الى ان يصير على صورة ذاك الذييعبده ويمجده.

كان يوحنا معلما للقداسة ، وفي رسائلل الى الكنائس قدم قوانين لاتخطئ لتصرفات المسيحيين . فقد كتب يقول : «وكل من عنده هذا الرجاي به، يطهر نفسه كام هو طار» «من قال انه ثاتب فيه ينبغي انه كام سلك ذاك هكذا يسلك هو ايضا» (1 يوحنا 3: 3، 2 : 6). وقد علم انه يجب على المسيحي ان يكون [507] طاهرا في قلبه وفي حياته وينبغي الا يقنع ابدا باعتراف فارغ . فكما ان الله قدوس في محيطه ،

كذلك على الانسان الساقط ان يكون قديسافي محيطة بالايمان بالمسيح . وقد كتب ولس الرسول يقول : «هذه هي ارادة الله : قداستكم» (1 تسالونيكي 4 : 3). ان تقديس الكنيسة هو قصد الله من كل معاملاته مع شعبه. لقد اختارهم منذ الازل ليكونو قديسين. ولقد بذل ابنه للموت لأجلهم ليكونو مقدسين في طاعة الحق مجردين من صغر النفس ونقاهتها . انه يطلب عملا شخصيا وتسليما شخصيا. ان الله يمكن ان يتمجد بواسطة الذين يعترفون بايمانهم به ، فقط على قدر مايكنون مشابهين لصورته وعلى قدر مايخضعون لسلطان روحه. وحينئذ فكشهود يمكهن ان يخبروا لآخرين بما قصد صنعته نعمة الله لأجلهم.

ان التقديس الصحيحي يأتي كنتيجة لتفاعل مبدأ المحبة : «الله محبة ، ومن يثبت في المحبة ، يثبت في الله والله فيه» (1 يوحنا 4 : 16) .ان حياة من يسكن المسيح في قلبه تظهر التقوى العملية, والخلق يتطهر ويتسامى ويكرم ويتمجد . والتعليم النقي يمتزج بأعمال البر ، والوصايا السماوية تمتزج بالاعمال المقدسة .

ينبغي لمن يرغبون في الحصول على بكرة التقديس ان يتعلموا اولا معنة تضحية الذات ا. ان صليب المسيح هو العمود الذي يستند اليه : «اكثر فأكثر ثقل مجد ابديا». وقد قال المسيح : «ان اراد احد ان يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمله صليبهويتبعني» (2 كورنثوس 4 :17 ، متى 16 ك 24). ان الرائحة الذكية التي تفوح من محبتنا لبني جنسنا هي التي تكشف عن محبتنا لله . ان الصبر في الخدمة هو الذي يجلب الراحة للنفسز وعن طريق الكد والخدمة المتواضعةالمجدة المينة يمكن لشعب الله ان ينجح ويتقدم. ان الله يسند ويقوي من يرغب في اتباع طريق المسيح. [508]

ان التقديسليس له عمل لحظة او ساعة او يوم بل هو عمل الحياة كلها . وهو لاينال بواسطة الاحساس بالسعادة القصيرة الامد بل هو نتيجة الموت الدائم عن الخطية والحياة المستمرة من اجل المسيح. ان الاخطاء لايمكن تصحيحها والاصلاحات لايمكن اجراؤها في الخلق بواسطة الجهود الواهنة المتقطعة وكلننا ننتصر فقط بواسطة بذل جهود طويلة مثابرة وتدريب مؤلم وحرب قاسية ضروس . ولانعرف في وم مقدار شدة نضالنا الذي سنشتبك فيه في اليوم التالي فطالما الشطيان يملكعلينا ان نخضع الذات ونتغلب على الخطايا المحيطة بنا ، وعلى قدر ماتطول حياتنا فلن يوجد مكان فيهنتوقف ن او نقطة نصل اليها ونقول : لقد ادركتادراكا كاملا . فالتقديسهو ثمرة الطاعة مدى الحياة.

لم يوجد نبي ولارسولادعى لنفسه العصمة من الخطية . فالناس اللذين عشوا على قرب شديد من الله، الناس الذين كانوا على اتم استعداد للتضحية بالحياة نفسها كل لايرتكبوا خطا واحدا عن علم ، الناس الذي اكرمهم الله بنور وقوة الهيين ، اعترفوا بشر طبيعتهم. انهم لم يضعواثقتهم في الجسد، لوم يدعوا أي بر ذاتي ، بل اتكلوابالتمام على بر المسيح.

وهكذا ستكون احال مع كل من يشاهدون المسيح. كلما زدنا قربا من يسوع ، ولكما اكتشفنا بكل جلاء طهارة خلقه، كلما رأينا بلك وضوح شر الخطيةالعظيم، ولكما زهدنا في تمجيد ذواتنا . وستتوق النفسوتصبوباستمرارالى الله، وسيكون هنالك اعتراف بالخطية مستمر وحار وعميق يتضع القلبامامه. وفي كل خطوة نتقدم فيها في اختبارناالمسيحي سنزيد توبتا عمقا ،. وسنعرف ان كفايتنا انما هي في المسيح وحده، وسنعترف بما اعترف به الرسول فنقول : « فإني اعلم انه ليس ساكن في أي في جسدي ، [509] شيئ صالح» «واما من جهتي ، فحاشا لي ان افتخر الا بصليب ربنا يسوع المسيح . الذي به قد صلب العالم لي وانا للعالم» (رومية 7 : 18، غلاطية 6 : 14).

ليكتب الملائكة المسجلون تاريخ الحروب المقدسة ونضال شعب الله ، وليسجلوا صواتهم ودموعهم ، ولكن لايجلبن احد العار على اللهبقول: «انا بلا خطة ، انا قديس» فالشفاه التي تقدمت لاتنطق بتلك الاقوال الجيئة الوقحة.

لدق اختطف بولس الرسول الى السماء الثالثة ورأى اشياءلاينطق بها ، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة التي نطق بها في غير تصنع او ادعاء: «ليس ان قد نلت او صلت كاملا ، ولكني اسعى» (فيلبي 3 : 12). ليكتب ملائكة السماء عن انتصارات بولس في مجاهتدته جهادالايمان الحسن. وكذلك ايضا تفرح السماء بخطواته الثابتة وهو سائر في طريقه الى السماء ، فهو اذ وضع الجعالة قبلته وامام ناظريه حسب كل شيئ آخر نفايه, ان الملائكة يفرحون اذ يخبرون بنصراته ناما هو فلا يفاخر بما قد بلغه او ادركه . ومقف بولس هو الموقفالذي ينبغي ان يقفه كل تابع للمسيح وهو يتقدم في طريق جهاده في سبيل احراز الاكليل الذي لايفنى.

فلينظر الذين يميلون الى المفاخرة بادعائهم القداسة لأنفسهم ، لينظروا في مرآة شريعة الله . فاذ يرون مطاليبهاالبعيدةالمدى ويدركون عملها كمميزة لأفكار القلب ونياته،فانهم لايفاخرون بعصمتهم . يقول يوحنا وهو في هذا لايميز نفسه على اخوته «ان قلنا انه ليس لنا خطية نصل انفسنا وليس الحق فينا» «ان قلنا ننا لم نخطئ نجعله كاذبا ن وكلمته ليست فينا» «ان اعترفنا بخطايانا فهو امين وعادل ، حتى يغفر لنا خطاياناويطهرنا من كل اثم» (1 يوحنا 1 : 8 ، 10 ، 9). [510]

توجد جماعة تدعي القداسة ، وتعلن انها بجملتها للرب، وتدعي لنفسها الحق في مواعيد االله ، وهي في الوقت نفسه ترقض اطاعة وصاياه . هؤلاءئ المعتدون على الشريعة يدعون لأنفسهم الحق في كل مما قد وعد به الله أولاده ولكن هذه وقاحة وغطرسة من جانبهم نلأن يوحنا يخبرنا ان المحبة الحقيقة لله تظهر في الطعة لكل وصاياه.لاكفي الاعتقاد بنظريق الحق ، او الاعتراف بالايمان بالمسيح ، او الاعتقاد بأن يسوع ليس محتالا ، ا وان ديانة الكتاب ليس خرافة مصنعة . فلقد كتب يوحنا يقول : «من قال قد عرفته و هو لايحفظ وصاياه ، فهو كاذب وليس الحق فيه. واما من حفظ كلمته ، فحا في هذا قد تكلمت محبة الله . بهذا نعرف اننا فيه» «ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه» (1 يوحنا 2 : 4 ، 5 ، 3 : 24).

ان يوحنا لم يعلم ان الخلاصيمكن الحصول عليه بالطاعو ، بل أن الطاعة هي ثمرة الايمان والمحبة . فقال : «وتعلمون ان ذاك اطهر لكي يرفع خطايانا ، وليس فيه خطية ، كل من يثبت فيه لايخطئ . كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه» (1 يوحنا 3:5 ، 6). فان ثبتنا في المسيح وسكنت محبة الله في القلبفان مشاعرنا وافكارنا وافعالنا تكون متوافقة مع ارادة الله . ان القلب المقدس هو في حالة انساجم مع وصاياشريعة الله .

يوجد كثيرون ممكن يحاولون ان يحفظوا وصايا الله بكل اجتهاد ومع ذلك فلما يحصلون على السلام او الفرح. فهذا النفص في اختبارهم هو نتيجة اخفاقهم في ممارسة الايمان فيبدوا انهم سائرونفي ارض سبخة مالحة وقفر يباس. انهم يطالبون بالقليلفي حين كان يمكنهم ان يطالبو بالكثير لأن مواعيد الله لاتحدها حدود . مثل هؤلاءئ الايمكثلون التقديس الذي يحدثعن طريق الطاعة للحق تمثيلا صحيحا . ان الرب يريد ان يكون كل أولاده وبناتع سعداء ومسالمين ومطيعين. [511] بواسطة ممارسة الايمان يمتلك المؤمن هذه البركات . وبواسطة الايمان يمكن سدكل نقص في الخلق ، ويمكن التطهرمن كل دنس او نجاسة ،ويمكن تصحيح كل خطأ وكل توفق يمكن ان ينمو ويزداد.

ان الصلاة هي الوسيلة التي رسمتها السماء للنجاح في الحرب ضد الخطية وتمية الخلق المسحيي ان المؤثرات او القوة الالهية التي تأتي اجابة لصلاة الايمان ستتم في نفس المصلي كل ما يتوسل في طلبه. يمكننا ان نسأل غفران خطايانا او انسكاب الروح القدس علينا ا وان تكون طباعنا مسيحية ، ا وان نطلب الحكمة للقيام بعمله، او اية هبة وعد باعطائها لنا . والوعد لنا هو هذا «تعطوا».

ان موسى حين كان في الجبل منفردا مع الله رأى المثال العجيب للبناء الذي كان مزمعا ان يكون مسكن مجده . اذ نكون نحن في الجب مع الله- في ستر الشركة علينا ان نتأمل فيالمثل الاعلى المجيد الذي

وضعه للبشرية. ففي كل العصور ، وعن طريق الشركة مع السماء ، تمم الله قصده لبنية بكونه كشف لعقولهم بالتدريج عن تعاليم النعمة. ان طريقته في ابلاغ الحق مصورة في هذه الكلمات «خروجه يقين كالفجر» (هوشع 6 : 3). ان من يضع نفسه في الوضع الذي يستيطيع فيه ايده ان ينيره يكون كم يتقدممن عتمة الفجر الجزئية الى اشراق نور الطهيرة الكامل .

ان التقديس الحقيقي معناه المحبة الكاملة لله والطاعة الكاملة والامتثال التام لارادة الله. علينا ان نكون مقدسين لله بواسطة اطاعة الحق . يجب ان تتطره ضمائرنا من الاعمال المميتة لنخدم الله الحي . اننا لسنا بعد كاملين ولكنه امتياز لنا ان ننتزع انفسها من عراقيل الذات والخطية ونتقدم الى الكمال . توجد امكانات عظيمة ومدارك سامية ومقدسة موضوعة في متناول الجميع. [512]

ان السبب الذي لأجله لايتقدم كثيرون الىمدى ابع د في الحياة الالهية في هذا العصر من تاريخ العالم هو كونهم يترجمون ارادة الله لتكون وفق مايرغبون تماما . ففيما هم يتبعون رغباتهم الخاصة ، يخدعون انفسهم بالقوة انهم مطيعون لارادة الله . هؤلاء ليس لهم حروب مع الذات ليخوضوها . ويفلح آخرون الى حين في الحرب ضد رغبتهم الذاتية في طلب المسرات والراحة. انهم مخلصون وغيوريون ولكنهم يكلون بسبب الجهد الطويل والموت كل يوم والاضطراب المتواصل . واذ يبدو التراخي والكسل مغريا، والموت عن الذات منفرا وكريها فإنهم يغمضون عيونهم المسبلة بالنعاس ويسقطون تحت سلطان التجربة بدلا من ان يقاوموها .

ان التعليمات المدونة في كلمة الله لاتترك مجالا للاتفاق مع الشر او مجاراته. لقد اظهر ابن الله ليجتذب جميع الناس الى شخصه . لقد اتى لكي يهدهد العالم لينام بل ليوجه الانظارالى الطريق الضيقالذي ينبغي ان يسير فيهجميعمن يصلوناخيرا «الى ابوابمدينةالله». وعلى أولاده ان يسيروا في نفس الطريق الذي سار هو فيه من قبل ومهما ضحوا براحتهم او تمتعاتهم الذاتية ، ومهما كانت كلفة التعب او الآلام،عليهم عليهم ان يثيروا حربا لاراحةفيها ولا هوادة ضد الذات.

ان اعظم تمجيد يمكن للناس ان يقدموه لله هو ان يكونوا ادوات مقدسة يمكن لله ان عمل بواسطتها . ان الوقت يسرع بنا الى الابدية، اذ فلا نحجز عن الله حقوقه. ولا ننكر عليه الشيئ الذي ، مع كونه لايمكن ان يعطى بدون استحقاق ، لايمكن ان ينر او يحجز بدون هلاك . انه يطلب القلب بجملته ، فاعطه اياه فهو له بحقالخلق وبحق الفداء. وهو يطلب عقلك ، فاعطه اياه فهو له . وهو يطلب مالك ، فاعطه اياه فهو له : «وانكم لستم لأنفسكم؟لانكم قد [513] اشتريتم بثمن» (1 كورنثوس 6 : 19 ، 20). ان الله يطلب ولاء النفس المقدسة التي قد اعدت ذاتها بممارسة الايمان العامل بمحبةلتخدمه. انه يرفع امام انظارنا اسمى مثال أي الكمال . وهو يطلب منا ان نكون له بالتمام وبالكلية في هذا العالم كما انه هو لنا في حضرة الله .

«هذه هي ارادة الله» بالنسبة اليكم ، «قداستكم» (1 تسالونيكي 4: 3). فهي هي ارادتك انت ايضا ؟ قد تكونخطاياك كجبال امامك، ولكن اذا كنت تتضع وتعتف بخطاياك متكلا على استحقاقات المخلص المصلوب والمقام ، فسيغفر لك ويطهرك من كل اثم . الله يطلب منك الامتثال الكامل لشريعته . هذه الشريعة هي صدى صوته القائللك : كن ادقس واقدس مما انت . اطلب ملئ نعمة المسيح . ليملئي قلبك بشوق حار الى بره الذي تعلن كلمة الله انه ينشيئ سلاما وينتج عنه الهدوء واليقين الى الابد .

فإذ تتوق نفسك وتتعطش الى الله فستجد الشيئ الكثير جدا من غنى نعمته الذي لايستقصى . واذ تتأمل في هذه الكنوز فستمتلكها وتعلن عن استحقاقات ذبيحة المخلص وحماية بره وملء حكمته ، وقدرت ليوقفك اما الآب : «بلا دنس ولا عيب» (2 بطرس 3: 14). [514] [515]

الفصل السادس والخمسون

جزيرة بطمس

كان قد مر ما يزيد على نصف قرن من تنظيم الكنيسة المسيحية، وفي غضون تلك المدة ظلت رسالةالإنجيل نصطدم بمقاومة مستمرة. إن أعداء الإنجيل لم يتراخوا قد في جهودهم وأخيرا أفلحوا في تعبئة قوة الإمبراطور الروماني ضد المسيحيين.

وفي الاضطهاد الرهيب الذي تبع ذلك عمل الرسول يوحنا الشيء الكثير لكي يثبت ويقوي إيمان المؤمنين، فقدم شهادة لم يستطع خصومه أن يجادلوا فيها، وقد أعانت هذه الشهادة إخوته على مواجهة التجارب التي حلت بهم بشجاعة وولاء، وعندما بدا أن إيمان المسيحيين بدأ قد بدا يترنح ويضعف أمام المقاومة العنيفة التي اضطروا لمواجهتها، كان خادم يسوع المحنك ذاك يردد بقوة وفصاحة قصة

المخلص المصلوب والمقام. لقد احتفظ بإيمانه بكل ثبات. ومن بين شفتيه كانت دائما تخرج نفس الرسالة المفرحة القائلة: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، ولمسته ايدينا، من جهة كلمة الحياة ... الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به» (1 يوحنا 1: 1 — 3).

لقد عاش يوحنا عمرا طويلا. وقد شهد خراب أورشليم وتدمير الهيكل الفخم. فذاك الذي عاش أكثر من كل التلاميذ الباقين والذي كان مرتبطا [516] بالمخلص برباط الحب الوثيق كان لرسالته تأثير كبير في إعلان حقيقة كون يسوع هو المسيا فادى العالم، ولم يمكن لأحد أن يشك في إخلاصه، وبواسطة تعاليمه رجع كثيرون عن عدم إيمانهم.

وقد امتلأت قلوب رؤوس اليهود بالعداوة المرة ضد يوحنا بسبب ولائه الثابت لعمل المسيح. وقد أعلنوا أن كل جهودهم ضد المسيحيين لن تجديهم فتيلا طالما بقيت شهادة يوحنا ترن في آذان الشعب. فلكي تنسى معجزات يسوع وتعاليمه ينبغي ‘سكات هذا الصوت الجريء .

ولذلك استدعي يوحنا إلى روما ليكون يحاكم لأجل إيمانه. وهناك حرفت تعاليم الرسول وزورت أمامالسلطات ، وتقدم شهود زور واشتكوا عليه بأنه يعلم بهرطقات وضلالات دينية تدعو الى العصيان على الحكومة. وكان أعدائه يرجون أنه بناء على هذه التهم سيحكم عليه بالموت.

وقد أجاب يوحنا عن نفسه بطريقة واضحة ومقتنعة وببساطة وإخلاص جعلا لكلامه تأثيرا عظيما. وقددهش سامعوه من حكمته وفصاحته. ولكن بقدر ما كانت شهادته مقنعة بقدر ما زادت عداوة خصومه ومقاوميه . وقد استشاط الإمبراطور دومتيانوس غضبا. فلم يستطع في البراهين التي أدلى بها ذلك المدافع الأمين عن المسيح، ولا أن يباري القوة المرافقة لكلام الحق الذي نطق به. ومع ذلك عقد العزم على إسكات صوته.

وقد ألقى يوحنا في قدر كبيرة فيها زيت يغلى ولكن الرب حفظ حياة خادمه الأمين. كما حفظ حياة الفتيةالعبرانيين الثلاثة في أتون النار، وعندما قيلت هذه الكلمات : هكذا يهلك كل من يؤمنون بذلك المحتال يسوع الناصري، أعلن يوحنا قائلا: إن سيدي قد احتمل بصبر كل ما أمكن للشيطان وملائكته أن يبتكرون لإذلاله وتعذيبه. لقد بذل حياته ليخلص العالم. وإني قد أكرمت إذ سمح [517] لي بأن أتألم لأجله. أنا إنسان

ضعيف وخاطئ . أما المسيح فكان أمينا قدوسا بلا عيب ولا دنس. فهو لم يعمل خطية ولا وجد في فمه مكر.

كان لهذه الأقوال تأثيرها فأخرج يوحنا من القدر بأيدي الرجال أنفسهم الذين ألقوه فيه.ومرة أخرى ثقلت يد الاضطهاد على الرسول. فنفى يوحنا بأمر الإمبراطور إلى جزيرة بطمس إذ حكمعليه بذلك : «من أجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح» (رؤيا 1- 9).

وقد ظن أعدائهأنه لن يعود من الناس يحس بتأثير الرسول في تلك الجزيرة النائية، ولا بد من أن يموت تحت ظغطالعناء ووطأة الكر والغم. لقد اختيرت جزيرة بطمس الصخرية الجدباء الواقعة في بحر إيجة، من قبل الحكومة الرومانية لتكون منفى للمجرمين، أما بالنسبة لخاد الله هذا، فقد صارت تلك البقعة الكئيبة باب السماء، ففي هذا المكان المنقطع عن مشاهد الحياء النشطة الصاخبة، وإذ كان هو بعيدا عن حقل خدمته السابق، كان في صحبته الله والمسيح وملائكته السماء، وقد تلقى منهم التعليمات من أجل الكنيسة علىمدى العصور المستقبلية.وقد أجملت أمامه الحوادث التي كانت مزمعة أن تقع في المشاهد الختامية لتاريخ هذه الأرض، وهناكسجل للرؤى التي أراه إياه الله. فعندما لا يعود صوته قادرا على أن يشهد لذاك الذي قد حبه وخدمه. فإنالرسائل المعطاة له على ذلك الشاطئ المقفر كانت مزمعة أن تخرج كمصباح متقد ملعنة عن قصد الربالأكيد تجاه كل أمة على الأرض.وبين جروف بطمس وصخورها كانت ليوحنا شركة مع صانعه. لقد راجع حياته الماضية وإذ فكر في البركات التي قد يصحل عليها ملأ السلام قلبه. لقد عاش عيشة مسيحية فأمكنه أن يقول فأمان : «نحننعلم أننا قد انتقلنا من الموت [518]

إلى الحياة.» (1 يوحنا 3: 14).ولم يكن هذا لينطبق على الإمبراطور الذي قد نفاه والذي كان يستطيع أن ينظر فقط إلى ميادين الحروب والمذابح والبيوت الموحشة،والأرامل والأيتام النائحين، وكل ذلك ثمرة شهوة نفسه الطامعة في التفوق والسيادة.

إن يوحنا وهو في مسكنه المنعزل ذلك استطاع أن يدرس بتمعن وتدقيق أكثر مما فعل في أي وقتمضى، إعلانات قدرة الله كما سجلت في سفر الطبيعة وفي صفحات الوحي الإلهي. في السنين الماضيةكانت عيناه تقعان على منظر التلال المغطاة بالغابات والوديان اليائعة والسهول ومهارته. أما الآن فقدصار محاطا بمناظر تبدو في في نظر الكثيرين كئيبة لا تثير أي اهتمام، أما بالنسبة لويحنا فكان خلافذلك. ففي حين كانت البيئة المحيطة به موحشة وفقراء، فإن السماء الزرقاء التي ظللته كانت منيرةوجميلة كالسماء التي تظلل مدينته المحبوبة أورشليم. ففي الصخور الوعرة، أسرار الغمر العميق، وفيأمجاد الجلد قرأ دروسا هامة. كان كل شيء في تلك البيئة يحمل رسالة قدرة الله ومجده.

رأى الرسول في كل ما حوله شهودا على الطوفان الذي غمر الأرض لأن سكانها تجرأوا وتعدوا على شريعة الله. فالصخور التي قذف بها من الغمر العظيم ومن الأرض بسبب انفجار ينابيع المياه، صورتلعقله بجلاء أهوال ذلك الإنسكاب المخيف لغضب الله. ففي صوت المياه الكثيرو—— غمر ينادي غمرا ——سمع صوت الخالق. فالبحر الذي لكمته واثارته الرياح القاسية صور له غضب الإله الذي أسيء إليه.فالأمواج الهائلة في هيجانها المخيف التي كانت تتوقف [519] عند حدها الذي عيناه لها يد غير منظورة، تحدثتعن سيطرة قدرة غير محدودة. وبالمقارنة مع ذلك تحقق من ضعف بني الإنسان وجهلهم، الذين منكونهم لا يزيدون عن أن يكونوا دودا يزحف في التراب، فهم يفخرون بحكمتهم المزعومة وقدرتهمالكاذبة ويقسون قلوبهم ضد حاكم الكون كما لو كان الله شخصا نظيرهم. وقد ذكرته الصخور بالمسيح صخر قوته الذي يمكنه أن يحتمي فيه بلا خوف. ومن قلب ذاك الرسول المنفى في جزيرى بطمسالصخرية صعدت آخر اشواق نفسه وصلواته الحارة جدا إلى الله.

إن تاريخ يوحنا يقدم لنا مثالا مدهشا للطريقة التي يستطع الله بها أن يستخدم الخدام الطاعنين في

السن.فعندما نفس سوحنا إلى جزيرة بطمس ظن كثيرون أن خدمته قد انتهت، إذ كان كقصبة مرضوضة قديمةموشكة على السقوط في أي وقت. ولكن الرب رأة أنه من الأفضل أن يستخدمه أيضا. ومع أنه قد نفس بعيداعن مشاهد خدمته الأولى فهو لم يكف عن الشهادة للحق. فحتى في بطمس أمكنه أن يكتسباصدقاء ومهتدين. لقد كانت رسالته رسالة الفرح إذ ركز بمخلص مقام هو في الأعالي يشفع في شعبه إلى أن يعود ليأخذهملنفسه. ويعدما شاخ يوحنا في خدمة سيده وصلته من السماء اخبار أكثر مما قد وصله مدى سنى حياته الأولى ينبغي أن نكن أرق المشاعر والاعتبار والتقدير للذين قد ارتبط اهتمام حياتهم بعمل الله. فهرلاء الخدامالطاعنون في السن وقفوا أمناء في وسط الأعاصير والتجارب قد تكون لهم ضعفاتهم ولكن مع ذلك فإنهميملكون مواهب تؤهلهم لأن يتبوأوا مكانهم في همل الله. ومع أنهم قد أدركوا الضنى وصاروا عاجزين عن تحمل أعباء اثقل كالتي حملها الشباب ويجب أن يحملوها، فإن المشورة التي يمكنهم تقديمها لهاأعظم قيمة. [520]

ربما يكونون قد ارتكبوا بعض الأخصاء، ولكنهم تعلما من فشلهم أن يتجنبوا الأخطاء والمخاطر، أفليسو الذلك أهلا لأن يقدموا نصيحة حكيمة؟ لقد احتملوا المحن والتجاب ومع أنهم قد فقدوا جانيا من نشاطهمفالرب لا يلقى بهم جانيا. بل هو يمنحهم نعمة وحكمة خاصتين.

أولئك الذي حدموا سيدهم عندما كانت الخدمة شاقة وقاسية، والذين احتملوا الفقر وظلوا أمناء في الوقت الذي كان فيه الواقفون إلى جانب الحق قليلين، ينبغي إكرامهم وإحترامهم. إن الرب يرغب أن يحصلالخدام الشباب على الحكمة والقوة والنضج بمعاشرتهم لهؤلاء الرجال الأمناء. ليتحقق الشباب أن وجوده مثل هؤلاء الخدام بينهم هو فضل وبركة لا تقدر. فليعطوهم مكان الكرامة في مجامعهم.

إن الذين قد أنفقوا حياتهم في خدمة المسيح إذ تقترب خدمتهم الأرضية من نهايتها، فإن الروح القدسسيحثهم كي يسردوا الاختبارات التي حصلوا عليها والتي لها صلة بعمل الله. إن سفر معاملات اللهالعجيبة مع شعبه، وصلاحه العظيم في إنقاذه إياهم من التجربة ينبغي ترديدها للحديثي العهد بالإيمان.فالله يريد أن يقف الخدام المتقدمون في الأيام والمختبرون في مكانهم وأن يقوموا بنصيبهم في إنقاذالرجال والنساء حتى لا يجرفهم تيار الشر القوي إلى الأسفل. إنه يرغب أن يظلوا حاملين سلاحهم حتىيأمرهم هو بإلقائه جانبا.

إننا نجد في اختبار يوحنا الرسول تحت الاضطهاد درسا عجيبا لتقوية المسيحي وتعزيته.إن الله لا يمنعالأشرار من التآمر ولكنه يجعل مكايدهم تعمل لخير أولئك الذين يحتفظون بإيمانهم وولائهم في وسطالتجارب والحروب. كثيرا ما يضطلع خادم الإنجيل بأعباء خدمته في وسط عواصف الاضطهاد والمقاومة المرة والتعييرات الظالمة. ففي مثل هذه الظروف ليذكر أن الاختيار الذي سيحصل عليه [521] وهوفي أتون التجربة والآلام والضيقات يساوي كل الألم الذي يتطلبه. وهكذا يقرب الله أولاده إليه لكي يريهمضعفهم وقوته. إنه يعلمهم الاستناد عليه. وهكذا يعدهم لمواجهة الاحتمالات والطوارئ وليملأوا مراكزذات مسؤوليات وليتمموا الغرض العظيم الذب لأجله أعطيت لهم القوة.

في كل العصور عرض شهود الله المعنيون أنسفهم للعار والاضطهاد لأجل الحق. لقد افترى على يوسفواضطهد لأنه ظل محتفظا بفضيلته واستقامته. وداود الرسول المختار من الله طورد كالفريسة أمامأعدائه. ودانيال طرح في جاب الأسود لأنه أمينا في ولائه للسماء. وأيوب جرد من أملاكه الأرضيةوكان مبتليا في جسده بحيث اشمأز منه الأقرباء والصدقاء، مع ذلك فقد ظل متمسكا بكماله. ولم يكنممكنا منع إرمياء من النطق بالكلام الذي وضعه الله في فمه ليتكلم به، وقد أثارت شهادته الملك والأمراءإلى حد جعلهم يطرحونه في جب كربه.وقد رجم استفانوس لأنه كرز بالمسيح المصلوب. وثد طرح بولس في السجن وضرب بالعصى ورجم أخيرا قتل لأنه كان رسولا أمينا لله إلى الأمم. ويوحنا نفى

إلىجزيرة بطمس. «من لأجل كلمة الله، ومن أجل شهادة يسوع المسيح.»

هذه الأمثلة على ثبات الناس تشهد لأمانه مواعيد الله ـــوحضورهم الدائم ونعمته العاضدة ، وهي تشهدأيضا على قوة الإيمان على الصمود أمام قوات العالم. إن عمل الإيمان ه الاستناد على الله في أحلكالساعات، والإحساس بأن الب السماوى هو الذي يدير الدفة حتى عندما تمر النفس في تجارب مرةوعندما تصدمها العواصف. إن عين الإيمان هي وحدها التي تستطيع أن ترى ما رواء الزمن الحاضرلتقدر الغنى الأبدي تقديرا صائبا. [522]

إن يسوع لا يقدم لتابعيه رجاء في الحصول على مجد العالم وغناه، أو أن يحيوا حياة خالية من التجارب.ولكنه بدلا من ذلك يدعوهم لأن يتبعوه في طريق إنكار الذات واحتمال العار. إن ذلك الذي قد أتى ليفتديالعالم احتمل مقاومة قوات الشر مجتمعة. ففي تحالف قاس ظالم اتحد الناس والملائكة الشرار في محاربةرئيس السلام. فكل كلمة قالها وكل عمل أظهر إشفاقا إلهيا، فعدم تشبهه بالعالم اثار ضده أمر العداء.

وهكذا ستكون الحال مع كل من يعيشون بالتقوى في المسيح يسوع فالإضطهاد والعار ينتظران كل منيسكن في قلوبهم روح المسيح. نعم إن صفة الاضطهاد تتغير بمرور الزمن، ولكن المبدأـــالروح الذيكمن ورائه ـــ هو ذاته الذي قتل مختاري الرب منذ أيام هابيل، ولم يتغير.

ففي كل العصور اضطهد الشيطان شعب الله. لقد عذبهم وقتلهم ولكنهم انتصروا بموتهم. لقد شهدوا لقوةذاك الذي هو اقوى من الشيطان. يمكن للأشرار أن يعذبوا الجسد ويقتلوه ولكنهم لا يستطيعون أن يمسوا الحياء المستترة مع المسيح في الله. يمكنهم أن يحسبوا الرجال والنساء داخل أسوار السجن ولكنهم لايستطيعون أن يقيدوا الروح.

وعن طريق التجارب والاضطهاد يعلن مجد الله وصفاته في مختاريه. إن المؤمنين بالمسيح الذييبغضهم العالم ويضطهدهميتهذبون ويتدربون في مدرسة المسيح. فهم يسيرون على الرض في طرقضيقة ويتطهرون ويتنقون في أتون الألم، وهم يتبعون المسيح في حروب قاسية، ويتحملون إنكار الذاتويختبرون مرارة الفشل، ولكنهم بذلك يتعلمون شر الخطية وشقائها فينظرون إليها باشمئزاز. فإذيصبرون شركاء المسيح في آلامه [523] يمكنهم أن ينظروا من خلال الظلام إلى المجد قائلين : «فإني احسب أن الآم الزمان الحاضر لا تقاس بالمسجد العتيد أن يستعلن فينا» (رومية 8 : 18). [524] [525]

الفصل السابع والخمسون

الرؤيا

كان المسيحيون المؤمنون في عهد الرسل ممتلئين غيرة وحماسا. وكاموا يخدمون سيدهم بغير كلل بحيثأنه في وقت قصير نسبيا، وبرغم المقاومة العنيفة سمعت بشارة الملكوت في كل أنحاء المعمورة. إنالغيرة التي أدباها اتباع يسوع حينئذ سجلها قلم الوحي لأجل تشجيع المؤمنين في كل عصر. وفيمايختص بكنيسة افسس التي اتخذها الرب يسوع كرمز للكنيسة المسيحية عامة في العصر الرسولي، أعلنالشاهد الأمين الصادق قائلا:

«أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك، وأنك لا تقدر أن تحتمل الأشرار، وقد جربت القائلين أنهمرسول وليسوا رسلا، فوجدتهم كاذبين. وقد احتملت ولط صبر، وتعبت من أجل اسمي ولم تكل.» (رؤيا 2 : 2،3).

في بادئ الأمر امتازت كنيسة افسس بغيرة وبساطة كبساطة الأكفال. وقد اجتهد المؤمنون في إطاعة الله بكل غيرة وقد كشفت حياتهم عن محبة للمسيح وغيره مخلصة. وقد سروا بعمل غرادة الله لأن المخلصكان ساكنا في قلوبهم بشكل دائم. فإذ امتلآت قلوبهم محبة لفاديهم كان هدفهم الأسمى أن يربحوا له نفوسا.فهم لم يفكروا في اختزان كنز نعمة المسيح الثمين لأنفسهم. بل أحسوا [526] بأهمية دعوتهم، وإذا كانوا مثقلينبالرسالة القائلة: «على الأرض السلام، وبالناس المسرة» . اضطرم في قلوبهم الشوق لحمل بشرىالخلاص المفرحة إلى أقصى أرجاء الأرضي. وقد عرف العالم أنهم كانوا مع يسوع. والناس الخطاةإذتابوا وغفرت خطاياهم وتطهروا وتقدموا دخلوا في شرطة مع الله في ابنه.

كان أعضاء الكنيسة متحدين معا في الشعور وفي العمل. وإذ كانت المحبة للمسيح هي السلسلة الذهبيةالتي ربطت بينهم، فقد تقدموا ليعرفوا الرب معرفة أكمل وقد تجلى في حياتهم فرح المسيح وسلامه.فافتقدوا اليتامى والأرامل في شيقتهم وحفظا أنفسهم بلا دنس من العالم موقنين من أن إخفاقهم في ذلك يعتبر مناقضة لاعترافهم وإنكارا لفاديهم.

وفي كل مدينة تقدم العمل. وقد تجددت نفوس، وهؤلاء بدورهم أحسوا بأن عليهم أن يذيعوا نبأ الكم الذي لا يقدر الذي قد حصلوا عليه. لم يستطيعوا أن يستريحوا حتى رأو النور الذي اشرق عليهم مشرقا على الآخرين. وقد علم جماهير من غير المؤمنين سبب رجاء المسيحي. وقد قدمت دعوات حارة ملهمة شخصية للخطاء والمنبوذين ولأولئك الذين في حين أنهم كانوا يعترفون بأنهم يعرفون الحق محبين للذات أكثر من محبتهم لله.

ولكن بعد وقت بدأت غيرة المؤمنين تفتر كما قلت محبتهم لله ولبعضهم البعض. لقد زحف الفتور إلىالكنيسة. فنسي البعض منهم الطريقة العجيبة التي بها قبلوا الحق. وقد سقط حاملوا الأعلام القدماء عند مراكزهم الواحد في اثر الآخر. وبعض الهدام من الشباب الذين كان يمكن أن يشاركوا هؤلاء الرواد في حمل أثقالهم ويصبحوا مستعدين للقيادة الحكيمة، ضجروا من الحقائق التي طال ترديدها مرارا. فإذاكانوا يتوقون إلى شيء جديد ومثير ومفرع حاولوا أن يقدموا مظاهر جديدة للعقيدة تكون أكثر إرضاءلعقول

كثيرة، ولكنها لا تتفق مع [527] مبادئ الإنجيل الساسية. ففي ثقتهم في ظواتهم وعماهم الروحي أخفقوافي التنبه إلى أن هذه المغالطات كفيلة بأن تجعل كثيرين يشكون في اختبارات الماضي ويذلك تقود إلىالارتباك وفدم الإيمان.

وإذ تم التحريض والإلحاح على هذه التعاليم الكاذبة نشأت الخلافات وتحولت أنظار الكثيرين عن رؤيةيسوع بوسفه رئيس إيمانهم ومكمله. ثم أن النقاش والمداولة في بعض النقاط غير المهمة في العقيدة،والتفكير في الخرافات المسرة التي هي من اختراع الناس، شغل الوقت الذي كان ينبغي أن يصرف في الكرازة بالإنجيل. والجموع الذين كان يمكن أن يتبكتوا ويهتدوا بواسطة الكرازة الأمينة بالحث تركوابدون إنذار. لقد بدأت التقوى تتضاءل بسرعة وبدا كان الشيطان مزمع أن يسود على من كانوا يدعون بأنهم أتباع المسيح.

وفي ذلك الوقت الحرج من تاريخ الكنيسة حكم بالنفس على يوحنا. كانت الكنيسة أحوج لسماع صوته عندئذ منها في أي وقت آخر. فكل زملائه في الخدمة تقريبا ماتوا شهداء. والبقية الباقية من المؤمنين كانت تواجه مقاومة عنيفة، وكانت كل الظواهر تدل أن اليوم الذي فيه ينتصر أعداء كنيسة المسيح ليس بعيدا.

ولكن يد الرب غير المنظورة كانت تتحرك لتعمل في الظلام. فقد شاءت عناية الله أن يوضع يوحنا في وضع يمكن للمسيح فيه أن يقدم له إعلانا عجيبا عن نفسه وعن الحق الإلهي لأجل إدارة الكنائس. إنأعداء الحق بنفيهم ليوحنا كانوا يؤملون أن يسكتوا إلى الأبد صوت شاهد الله الامين، ولكن في بطمستلقى التلميذ رسالة كان تأثيرها مزمعا أن يدوم مقويا للكنيسة ومشددا إياها إلى انقضاء الدهر. ومع أن اولئك الذي نفوا يوحنا لم يعفوا من مسؤولية [528] عملهم الظالم الذي ارتكبوه في حقهفقد صاروا آلات في يدي الله لإتمام مقاصد السماء، والمسمى نفسه الذي بذل لإخماد النور زاد من سطوعه وإشراقه.

وفي يوم السبت ظهر المجد للرسول المنفي. لقد كان يوحنا يحفظ السبا ويقدسه في بطمس كما كان يحفظه وهو يكرز للشعب في مدن اليهودية وقراها. وادعى لنفسه الحق في المواعيد الثمينة التي أعطيت بخصوص ذلك اليوم وكتب يوحنا: «كنت في الروح في يوم الرب، وسمعت ورائي صوتا عظيماكصوت بوق قائلا أنا هم الألف والباء. الأول والآخر ... فالتفت لأنظر الصوت الذي تكلم معي. ولماالتفت رأيت سبع منابر من ذهب، وفي وسط السبع المنابر شبة ابن انسان» (رؤيا 1 : 1-13).

لقد أنعم على هذا التلميذ الحبيب بنعمة غنية وحصل على حظوة كبيرة. لقد رأى سيده في جشماني حين كان وجهه ينضج بقطرات الدم نتيجة الكرب والعذاب النفسي. «كان منظره ... كذا مفسدا أكثر منالرجل، وصورته أكثر من بني آدم» (إشعباء 25 : 14). لقد رآه بين أيدي عساكر الرومان وقد ألبسثوب ارجوان بال وجبينه مكلل بالشوك. كما رآه معلقا على صليب الجلجلة هدفا للسخرية والإهاناتالقاسية. والآن فها هو يوحنا يسمح له مرة أخرى بمشاهدة سيده، ولكن ما أعظم الفرق في منظره !ماعاد بعد رجل أوجاع محتقرا ومخذولا من الناس، ولكنه متسربل بثوب بهاء سماوي: «واما رايهوشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار، ورجلاه شبه النحاس النقس، كأنهمامحميتان في أتون» (رؤيا 1 : 14، 15). وصوته موسيقى كصوت مياه كثيرة ووجهه يضيئكالشمس، معه في يده سبعة كواكب وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه، ورمزا لسطان كلمته. لقدتألقت بطمس بمجد الرب المقام. [529]

وكتب يوحنا يقول: «فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت، فوضع يده اليمنى علي قالا لي لا تخف» (رؤيا 1 : 17).

لقد تشدد يوحنا ليحيا في محضر سيده الممجد. وحينئذ انكشفت أمجاد السماء أمام بصيرته التي علتهاالدهشة. لقد سمح له بأن يرى عرش الله، وإذ يتطلع إلى ما وراء منازعات الأرض وحروبها

يشاهدالجماهير اللابسين الثياب البيض من المفديين. وقد سمع موسيقى ملائكة السماء وأناشيد الانتصار التيتغنى بها الذي غلبوا بدم الخروف وبكلمة شهادتهم. وفي الرؤيا المعطاة له انكشف أمام عيني يوحنامواضيع ذات أهمية عظيمة، وكان عليه أن يسجله حتى يدرك شعب الله الذي يعيش عصره والعصور التالية المخاطر والحروب التي امامه إدراكا صحيحا وسليما. لقد.

اعطيت هذه الرؤيا لأجل إرشاد الكنيسة وتعزيتها مدى العهد المسيحي كل. زمع ذلك فقد أعلن معلموالذين أن هذا السفر هو سفر مختو ولا يمكن شرح اسراره أو تفسيرها. ولذلك ترك كثيرون هذا السفرالنبوي وانصرفوا عنه ورفضوا أن يبذلوا بعضا من وقتهم في درس اسراره. ولكن الله لا يرغب أنيعتبر شعبه هذا السفر هكذا. فهو : «إعلان يسوع المسيح، الذي أعطاه إياه الله، ليري عبيده ما لا بدأن يكون عن قريب» والرب يعلن قائلا: «طوبى للذي يقرا وللذين يستمعون أقوال النبوة، ويحفظونماهو مكتوب فيها، لأن الوقت قريب» (رؤيا 1: 3 ، 1). : «لأني اشهد لكل من يسمع أقوال نبوةهذا الكتاب إن كان أحد يزيد على هذا، يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب، وإن كان أحديحذف من أقوال كتاب هذه النبوة، يحذف الله نصيبه من [530] سفر الحياة، ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب في هذا الكتاب، يقول الشاهد هذا نعم أنا آتي سريعا» (رؤيا22 : 18 — 20).

في الرؤيا صورت عمائق الله. إن الاسم الذي اطلقت على هذا السفر الموحى به «الرؤيا» ، يناقضمزاعم القائلين بأنه كتاب مختوم. فالرؤيا شيء يرى ويعلن. فالرب نفسه أعلن لعبده الاسرار المتضمنةفي هذا السفر، وهو يقصد أنها تتكشف أمام عيون كل دارسيه. وحقائقه موجهة إلى من يعيشون في الأيامالأخيرة من تاريخ هذه الأرض مثلما هي موجهة لمن يعيشون في ايام يوحنا. وبعض المشاهد المصورة في هذه النبوة نهاية الصراع العيم بين قوات الظلمة وبين ابن الله، أمير السماء. والبعض يكشف لنا عنالانتصارات والأفراح التي يتمتع بها المفديون في الأرض الجديدة.

لا يظنن أحد أنه لكونه لا يستطيع أن يوضح معنى كل رمز في الرؤيا فإنه من العبث له أن يفتض هذاالصفر محاولا معرفة معنى الحق المتضمن فيه. فذاك الذي كشف هذه الأسرار ليوحنا سيفطى لمن يفتشعن الحق باجتهاد أن يتذوق شيئا من الأمور السماوية. واولئك الذي قلوبهم مفتوحة لقبول الحق ستمنح لهم القدرة على إدراك تعاليمه وسينالون البركة الموجود بها اولئك. «للذين يسمعون اقوال النبوة،ويحفظون النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها» .

إن كل اسفار الكتاب المقدس تلتقى وتنتهي في سفر الرؤيا. هنا يجد تكملة سفر دانيال. فأحدهما نبوةوالآخر إعلان. إن السفر المختوم ليس هو الرؤيا بل هو ذلك الجزء من نبوة دانيال الخاص بالأيامالأخيرة، فقد آمره الملاك قائلا: «أما أنت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية» (دانيال 12 : 4). [531]

والمسيح هو الذي امر الرسول بأن يسجل ما سيكشف أمامه ويعلن لهن فقد امره قائلا: «والذي تراه، اكتب في كتاب وارسل إلى السبع الكنائس التي في أسيا إلى أفسس، وإلى سميرنا، وإلى برغامس، وإلىثياتيرا، وإلى ساردس ، وإلى فيلادلفيا، وإلى لاودكية». «و (انا) احيم وكنت ميتا، وها أنا حي إلىابد الأبدين ... فاكتب ما رأيت، وماهو كائن، وماهو عنيد أن يكون بعد هذا. سر السبعة الكواكب التيرأيت على يميني، والسبع المنابر الذهبية ، السبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائي، والمنابر السبعالتي رايتها هي السبع الكنائي» (رؤيا 1 : 11 ، 18 — 20).

إن أسماء الكنائس السبع تركز إلى الكنيسة في عصور التاريخ المسيحي المختلفة. إن العدد سبعة يدلعلى الكمال ويرمز الى حقيقة كون الرسائل تمتد الى انقضاء الدهر، في حين أن الرموز المستعملة تعلنعن حالة الكنيسة في فترات تاريخ العالم المختلفة.

قبل عن يسوع المسيح بأنه يتمشى في وسط المنابر الذهبية. وهكذا يرمز إلى علاقته بالكنائس. إنه علىاتصال دائم بشعبه ويعرف حالتهم على حقيقتها. وهو يلاحظ نظامهم وتقواهم وتكريسهم. ومع أنه رئيسالكهنة والوسيط الشفيع في القدس الأعلى إلا أنه يرمز إليه بصوفة يتمشى هنا وهناك في وسط كنائسهعلى الأرض. فبيقظة لا تكل وسهر لا ينقطع يراقب ليرى ما إذا كان نور اي من حراسه يخبو أو يكاد ينطفئ. فلو تركت المنابر للرعاية البشرية وحدها فإن لهبها الخافق قد يضعف وينطفئ. ولكنه هو الرقيبالأمين في بيت الرب والحارس الأمين في أورقة الهيكل. إن رعايته الدائمة ونعمته المسندة العاضدة هنا نبع الحياة والنور. [532]

إن المسيح يرمز غليه هنا على أنه يمسك الكواكب السبعة في يمينه هذا يركد لنا أنه لا حاجة لأي كنيسةأمينة لودائعها أن تخشى الخوف او الفضل، لأن الكواكب المحفوظة في يد الله القدير لا يمكن أن تختطفمن يد المسيح.

«هذا يقوله الممسك السبعة الكواكب في يمينه، الماشي في وسط السبع المنابر الذهبية» (رؤيا 2 — 1).هذا الكلام موجه إلى المعلمين في الكنيسة — أولئك الذين ائتمنهم الله على مسؤوليات خطرة. إنالمؤثرات الجميلة التي ستتوفر في الكنيسة مرتبطة بخدام الله الذي يعلنون محبة المسيح. إن كواكبالسماء هي تحت سلطانه وهو يملآها بالنور. وهو يرشدها يوجهها في مداراتها. فلو لم يفعل ذلك لكانت تصير كواكب ساقطة أو تائهو. وكذلك الحال مع خدامه. إنهم لا يزيدون عن كونهم آلات في يديه وكلالخير الذي يصنعونه إنما يصنعونه يقدرته. فنور يضيئ فيهم وينبغي أن يكون المخلص كفايتهم. فإذاتطلعوا إليه كما تطلع هو إلى الب فسيكونون قادرين على إنجاز عمله. وإذ يجعلون الله معتمدهمفسيعطيهم من نوره وبهائه ليعكسوهما على العالم.

في بدء تاريخ الكنيسة بدا سر الإثم الذي أنبا به بولس، يعمل عمله المهلك الوبيل. وإذ أدخل المعلموناالكذبة ضلالاتهم التي حذر بطرس الرسول المؤمنين منها، تلك، أخذ كثيرون في شراك التعاليم الكاذبة. وقد اضطرب البعض أمام التجربة وجربوا بأن يتركوا الإيمان. وفي الوقت الذي رأى فيه يوحنا هذهالرؤيا ترك كثيرون محبتهم الأولى لحق الإنجيل. ولكن الله في رحمته لم يترك الكنيسة لتظل في حالةالارتداد. ففي رسالة الرحمة والمحبة غير المحدودة أعلى لهم محبته ورغبته في أن يعملوا عملا اكيداللأبدية. فقد توسل إليهم قائلا: «فاذكر من أين سقطت وتب، واعمل الأعمال الأولى» (رؤيا 2 : 5). [533]

كانت الكنيسة ناقصة وبحاجة إلى توبيخ صارم وتأنيب. وقد أوحى إلى يوحنا بأن يكتب رسائل إنذار وتوبيخ وتوسل لأولئك الذين إذ اغيب عن أنظارهم مبادئ الإنجيل الأساسية، يعرضون للخطر رجائهمفي الخلاص. ولكن كلام التوبيخ الذي يرى الله أنه من اللازم أن يقدمه لشعبه يقدمه دائما في حب رقيقمصحوبا بالوعد والسلام لكل مؤمن تائب. والرب يعلن قائلا: «هنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمعأحد صوتي وفتح الباب، أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي» (رؤيا 6 : 20).

أما بالنسبة إلى الذين يعزمون على الاحتفاظ بإيمانهم في وسط الصراع النفسي فقد أعطى للنبي كلامالمديح الوعد ليوجهه إليهم إد يقول لهم الرب: «أنا عارف أعمالك. هنذا قد جعلت أمامك باب مفتوحاولا يستطيع احد أن يغلقه، لأن لك قوة يسيرة، وقد حفظت كلمتي ولم تنكر اسمي ... لأنك حفظت كلم صبري، أنا ايضا سأحفظك من ساعة التجربة العتيدة أن تأتي على العالم كله لتجرب الساكنين على الأرض». «كن ساهرا وشدد ما بقي، الذي هو عتيد أن يموت». «ها أنا آتي سريعا. تمسك بما عندك لئلا يأخذ أحد إكليلك» (رؤيا3: 8، 10، 2، 11).

إن المسيح أعلن لكنيسته الأمور التي يجب عليهم أن يحتملوها لأجل اسمه عن طريق شخص كان

لهم«أخا وشريكا في الضيقة» (رؤيا 1 : 9). فإذ نظر ذلك الشيخ المنفى عبر قرون من الظلمةوالخرافات راي جماهير كثيرة تقاسي آلم الاستشهاد لأجل محبتها للحق. ولكنه راي ايضا أن ذاك الذياسند شهوده الأولين لن يترك أتباعه الأمناء أثناء عصور الاضطهاد التي لا بد أن يجوزوا فيها قبلانقضاء الدهر. لقد أعلن الرب قائلا: «لا تخف البتة مما أنت عتيد أن [534] تتالم به. هوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضا منكم في السجن لكي تجربوا، ويكون لكم ضيق ... كن أمينا إلى الموت فسأعطيك إكليلالحياة» (رؤيا 2 : 10).

أما كل الأمناء الذين كانوا يجاهدون ضد البشر فقد سمع يوحنا الوعود المقدمة لهم. وهناك بعضها: «من يغلب فسأعطيه أن يأكل من سجرة الحياء التي في وسط فردوس الله» . «من يغلب فذلكسيلبس ثيابا بيضا، ولم أمحوا اسمه من سغر الحياة، وسأعترف باسمه أمام ابي وامام ملائكته».«منيغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت انا أيضا وجلست مع أبي في عرضه» (رؤيا2 : 7 ، 3 ، 5 ، 21).

لقد رأى يوحنا رحمة الله وحنانه. وحبته ممتزجة بقداسته وعدله وقدرته ورأى الخطاة يجدون في ذاك الذي قد أخافتهم خطاياهم منه الب الرحيم. وإذ تطلع إلى ما بعد نهاية الصراع العظيم راى على جبل صهيون«الغالبين ... واقفين علىالبحر الزجاجي، معهم قيثارات الله، وهم يرتلون ترنيمة موسى عبد اللهن وترنيمة الخروف» (رؤيا 15 : 2 ، 3).

إن المخلص يقدم نفسه ليوحنا تحت هذين الرمزين: «السد الذي من سبط يهوذا». و(خروف قائم كأنه مذبوح».(رؤيا 5 : 5 ، 6). وهذان الرمزان يمثلان الاتحاد بين القدرة غير المحدودة والمحبة المضحية. فالأسد الذي من سبطيهوذا، الذي هو مرعب لرافضي نعمته سيكون حمل الله للمطيعين والأمناء. إن عمود النار الناطق بالعرب والغضب لمنيتعدى على شريعة الله هو علامة النور والرحمة والخلاص والنجاة للذين حفظا وصاياه. فالذراع القوية المرفوعة لتسحق ستكون قوية لإنقاذ المخلصين الأمناء، كل من هو أمين سيخلص : «فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعونمختاريه من الربع الرياح، من أقصاء السماوات إلى أقصائها».(متى 24 : 31). [535]

إن شعب الله بالمقارنة مع ملايين الناس الذين في العالم سيكونون كما كانوا دائمان قطيعا صغيرا، ولكن إذا كانوا يثبتونإلى جانب الحق كما هو معلن في كلمة الله فسيكون لهم ملجأ. إنهم يقفون تحت ستر القدير المتسع. إن جانب الله هو دائماجانب الأكثرية. فعندم يخترق صوت البوق الأخير بيوت سجن الموتى ويخرج الأبرار بانتصار هاتفين وقائلين: «اين شوكتك يا موت؟ أين عليك يا هاوية؟» ('1كورنثوس 15 : 55). وإذ يقف أولاد الله مع الله والمسيح والملائكة ومع المخلصين والأمناء في كل العصور فسيكونون أكثرية ساحقة.

إن تلاميذ المسيح الأمناء يتبعونه في وسط الحروب القاسية محتملين لإنكار الذات ومختبرين الخيبة المرةـ ولكن هذايعلمهم مقدار شر الخطيئة وشقائها ويقودهم إلى النظر إليها بكراهة واشمئزاز. وإذ هم شركاء المسيح في آلامه فقد قدرلهم أن يكونوا شركاءه في مجده. وقد رأى النبي في رؤيا مقدسة النصرة النهائية لكنيسة الله الباقية، فكتب يقول: «ورأيت كبحر من زجاج مختلط بنار، والغالبين ... واقفين على البحر الزجاجي، معهم قيثارات الله، وهم يرتلون ترنيمةموسى عبد الله، وترنيمة الخروف قائلين عظيمة وعجيبة هي أعمالك ايها الرب الإله القادر على كل شيء عادلة وحق هيطرقك يا ملك القديسين» (رؤيا 15 : 2 ، 3)

«نظرت وإذا بخروف واقف على جبل صهيون- ومعه مئة واربعة وأربعون الفا، لهم اسم ابيه مكتوبا على جباههم» (رؤيا 14 : 1). إنهم حين كانوا في هذا العالم كانت افكارهم مكرسة لله، وقد خدموه بعقولهم وبقلوبهم والآنيمكنه أن يضع اسمه «على جباههم»«وهم سيملكون إلى ابد الآبدين» (رؤيا 22 : 5).إنهم لا يدخلون ويخرجون كمن يستجدون مكانا. إنهم محسوبون ضمن أولئك الذين يقول لهم المسيح: «تعالوا

يامباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ [536] تأسيس العالم» وهو يرحب بهم كأولادهقائلا لكل منهم : «ادخل إلى فرحسيدك» (متى 25 : 34 ، 21).

«هؤلاء هم الذين يتبعون الخروف حيثما ذهب. هؤلاء اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف» (رؤيا 14: 4) إن رؤيا النبي تصورهم على أنهم واقفون على جبل صهيون متمنطقين للخدمة المقدسة ولابسين بزا أبيض هو تبرراتالقديسين ولكن الذي يتبعون الخروف في السماء ينبغي أن يكونوا قد اتبعوه أولا حين كانوا على الأرض لا بتبرم أو بتقلب بل بطاعة محبة واقفة راغبة، تماما كما تتبع الرعية راعيها«وسمعت صوتا كصوت ضاربين بالقيثارة يضربون بقيثاراتهم، وهم يترنمون كترنيمة جديدة أمامالعرشولم يستطع أحد أن يتعلم الترنيمة إلا المئة والأربعة والأربعون ألفا الذي اشتروا من الأرضوفي أفواههم لم يوجد غش، لأنهم بلا عيب قدام عرش الله» (رؤيا 14 : 2 — 5).

«وانا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينةلرجلها» . «ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلوري، وكان لها سور عظيم وعال، وكان لهااثنا عشر باب، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكا، وأسماء مكتوبة هي أسماء اسباط بني إسرائيل الاثني

عشر» . «والاثنا عشر باب اثنتا عشر لؤلؤة، كل واحد من الأبواب كان من لؤلؤة واحدة. وسوق المدينة ذهبنقي كزجاج شفاف. ولم أر فيها هيكلا، لأن الرب الله القادر على كل شيء، هو والخروف هيكلها» (رؤيا 21 : 2، 11 ، 12 ، 21 ، 22).

«ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها، وعبيده يخدمونه، وهم سينظرووجهه، واسمه على جباههم، ولا يكون ليل هناك [537] ولا يحتاجون إلى سراج أو نور شمس، لأن الرب الإلهينير عليهم» (رؤيا 22: 3 — 5).

«واروني نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كبلور، خارجا من عرش الله والخروف، في وسط سوقهاوعلى النهر من هنا ومن هناك، شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة، وتعطي كل شهر ثمرها، وورق الشجرة لشفاء الأمم» . «طوبى للذين يصنعون وصاياه لكي يكون سلطانهم على شجرة الحياء، ويدخلوا من الأبواب إلىالمدينة» (رؤيا 22 : 1 ، 2 ، 14).

» :

»

»

»

» «

(21 : 3). [538] [539]

الكنيسة المنتصرة

لقد مر اكثر من ثمانية عشر قرنبا منذ استرح الرسل من اتعابهم، ولكن تاريخ اتعباهم وتضحياتهم لأجل المسيحلايزال من اثمن ذخائر الكنيسة وكونوزا . فهذا التاريخ المكتوبة بارشاد الروح القدس انما سجل لكي يكون حافزا لاتباع المسيح في كل جيل على الغيرة العظيمة والاهتمام الاكمل في خدمة المخلص .

لقد قام التلاميذ بالمأمورية التي كلفهم بها المسيح . فاذ خرج رسل الصليب هؤلاء لاذاعة الانجيل والمناداة به كنا هناك اعلان لمجد الله كما لم تشاهد عين بشر من قبل.وبمعاونة الروح القدس قام الرسل بعمل هزم اركان العالم . وفي جيل واحد وصل الانجيل الى كل امة تحت السماء.

وماكان امجد النتائج التي صحبت خدمة الرسلو الذين اختارهم المسيح . وفي بدء خدمتهم كان بعض منهم غير متعلمين ولكن تكريسهم لخدمة سيدهم كان في غير تحفظ، وتحت ارشاده وتعليمه حصلوا على اعداد كامل للقيام بالعمل العظيم المسلم اليهم. كانت النعمة والحق يملكان على قلوبهم وقد الهمتا دوافعهم وسيطرتا على اعمالهم. كانت النعمة والحق يملكان على قلوبهم وقد الهمتا دوافعهم وسيطرتا على اعمالهم. كانت حياتهم مستترة مع المسيح في الله وقد غابت الذات عن انظارهم وغاصت في اعماق المحبة الالهية السرمدية. [540]

كانت التلاميذ رجالا عرفوا كيف يتحدثون ويصلون باخلاص ، رجالا امكنهم ان يتسمكوا بشدة الربوقته . ماكان اعظم قربهم من الله حين وقفوا الى جانبة وربطو كامتهم الشخصية بعرشه . كان الرب الهاهم . وكرمته كانت كرامتهمز وحقه كان حقهم . واي تهجم على الانجيل كان بمثابة طعنات موجهة الى صميم قلوبهم ، فبكل قوى كيانهمحاربوا لأجل عمل المسيح. لقد امكنهم اذاعة كلمة الحياة لأنهم قبلو المسحة السماوية . لقد انترظوا الشيئ الكثير ولذلك بذلوا جهدا عظيما . فالمسيح العن ذاته لهم ، ولهذا فقد لجأوا اليه في طلب الارشاد . كان ادراكهم اللحق وقوتهمفي الصمود امام المقاومة متناسبين مع امتثالهم لارادة الله. ان يسوع المسيح حكمة الله وقدرته كان هوموضع كل احاديثهم.واسمه — الاسم الوحيد تحت السماء الذي يمكن للناس ان يخلصوا به — عظموا ومجده. واذ اذاعوا كمال المسيح المخلص المقام، حرك كلامهم القلوب وربح الرجالوالنساء للانجيل . وجماهيرمن الناس الذي نكانوا يهينون اسم المخلصويشتمونه بزدرون بقوته اعترفوا عندها بأنهم قد صاروا تلاميذ المصلوب.

ان الرسل يتمموا مأموريتهم أو يؤدوا رسالتهم بقوته بل بقوة الله الحي . لم يكن عملهم سهلا هينا . ان الخدمات الاولى التي قامت بها الكنيسة المسحية كانتمصحوبة بالمشقات والاحزان المرة . فالتلاميذ وهم يباشرون عملهم واجهوا الحرمان المستمروالفقر والوشايات والاضطهاد، ولكنهم لم يحسبواانفسهم ثمينة عندهم ، وقد فرحوا لكونهم دعوا ليتألمولأجل المسيح. ومع ذلك فإنهلا التردد ولاالتقلب والضعف القصد والهزيمة اضعفت جهودهم. كانوا راغبين في ان ينفقوا وينفقوا . ان احساسهم بالمسؤولية الملقاة عليهم طهر اختبارهم واغناه، واعلنت نعمةالسماء الانتصارات التي احرزوها لاجلالمسيح . ان الله عمل بواسطتهم بقدرته المقتدرة على كل شيئ لكي ينتصر الانجيل . [541]

لقد بنى الرسل الكنيسة على الاساس الذي وضعه المسيح نفسه . ففي الكتاب المقدس نجد ان رمز اقامة هيكل يستعمل كثيرا لتمثيل بناء الكنيسة . وزكريا يشير الى المسيح بوصفه الغصن الذي ينبغي ان يبنى هيكل الرب. وهو يتحدثعن الامم على انهعم يساعدون في العمل : «والعيدون يأتون ويبنون في كل الرب» (زكرياء6 : 12 ،15). واشعياء يعلن قائلا : «وبنو الغريب يبنون اسوارك» (اشعياء 60:10), وبطرس وهو يكتب عن بناء هذا الهيكل يقول : «الذي اذ تأتون اليع ، حجرا حيا مرفضوا من الناس ، ولكن مختار من الله كريم ، كونو انتم ايضا مبينيين —كحجارة حية — بيتا روحيا ، كهنوتا مقدسا، لتقديم ذبائح روحيةمقبولة عندالله بيسوع المسيح» (1 بطرس 2 :4 ، 5).

ففي محجر العالم اليهوديوالاممي خدم الرسل واخرجوا احجارا لتوضع على الاساس . ان بولس في رسالته الى المؤمنين في افسس قال : «فلستم اذا بعد غرباءً ونزلا ن بل رعية مع القديسين واهل بيت الله ، مبنيين على اساس الرسلوالانبياء ، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيها كلالبناء مركبا معا ، ينمو هيكلا مقدسا في الرب . الذي فيه انتم ايضا مبنيون معا ، مسكنا لله في الروح» (افسس 2: 19 — 22).

وقد كتب كتب الى اهل كورنثوس يقول : «حسب نعمة الله المعاطة لي كبناء حكيم قد وضعت اساسا ، وآخر يبني عليه. ولكن فلينظر كل واحد كيف يبني عليه . فإنه لاستيطع احد ان يضع اساس آخر غير الذي وضع ، الذي هو يسوع المسيح. ولكن ان كان احد يبني على هذا الاساس : ذهبا ، فضة ، حجارة كريمة،

خشبا ، عشبا ، قشا ، عمل كل واحد سيصير ظاهرا لأن اليوم سيبينه. لأن بنار يستعلن ، وستمتحن النار عمل كل واحد ماهو» (1 كورنثوس 3 : 10 — 13). [542]

لقد بني الرسل على اساسر اسخالاوهو صخر الدهور. وقد أتوا الى هذا الاساس بالاحجار التي اقتطعوها من العالم. وقد تعب البناؤون في عملهم تعبا شديدااذ وجدت في طريقهم معطلات كثيرة . وقد زاد من صعوبة عملهم مقاومة اعداء المسيح . كان عليهم ان يحاربو التعصبوالتحزب وعداوة من كانو يبنون على اساس كاذب . ان كثيرين من عملوا كبنائين للكنيسة يمكن تشبييهم بمن كانوا يبنون السور في ايام نحميا ، الذين يقول الكتاب عنهم : «البانون على السور بنو واحملوا الاحمال حملو . باليد الواحدة يعملون العمل ، وبالاخرى يمسكون السلاخ» (نحميا 4 : 17).

لقد احول الملوك والحكام والكهنة والرؤساء ان يهدموا بيت الله .. هيكله. ولكن في وجه السجين و العذاب والموت استمر الرجال الامناء يقومون بالعمل ويتقدمون به الى الامام وكان البناء يعلوويرتفع جميلا ومتناسقا في بعض الاوقات كاد البناؤون لايعرفون شيئا بسبب ضباب الخرافات الذي جثم عليهم . وفي مرات اخرى كادوا ينهزمون امام عنف خصومهم ، ولكن بايمان ثابت وشجاعة لاتعرف الخوف او الاضطرابسارو قدما بعملهم.

وقد سقط البناؤون المتقدمون وحدا بعد الآخر بيد العدو . فرجم استفانوسومات ، ويعقوب مات قتلا بالسيف ، وبوس قطعت رأسه، وبطرس مات مصلوبا ، ويوحنا نفي. ومع ذلكفقد ظلت الكنيسة تنموا . وقد جاء خدام جدد ليحلوا مكان الذين سقطوا ، فأضيف الى البناء حجر بعد حجر . وهكذا ارتفع البناء- بناء هيكل كنيسة الله.

وعقب تأسيس الكنيسة المسيحية اشتعلت نيران الاضطهاد على مدى قرون متلاحقة ، ولكن لم تعدم الكنيسة الرجال الذي كانو يحسبون عمل بناء هيكل الله اعز لديهم من الحياة نفسها . امثال هؤلاءيقول الكتاب عنهم : «وآخرون تجربوا [543] في هزء وجلد، ثم في قيود ايضا وحبس . رجموا نشروا ، جربوا ، ماتوا قتلا بالسيف، طافو في جلود غنم وجلود معزى ، معتازين مكروبين مذلين . وهم لم يكن العالم مستحقا لهم. تائهين في براري وبجال ومغاير وشقوق الاراض .» (عبرانيين 11 :36 — 38).

ان عدو البر لم يرتك مجهودا الا وبذله لايقاف العمل الذي وكل الى ايديبنائي السيد الرب . ولكن الله «لم يترك نفسه بلا شاهد» (اعمال 14 : 17). لقد اقيم خدام دافعوا بكل جدارة وقوة عن الايمان المسلم مرة للقديسين. والتاريخ يشهد لثبات هؤلاء الرجال وبطولتهم . وكثيرون منهم سقطوا وماتوا في مكان حراستهم كالرسل ، ولكن عميلة بناء الهيكل ظلت ماضية الى الامام في طريقها بلكل ثبات . كان العمال يقتلون ولكن العمل ظل يتقدم الى الامام . ان الولدنسيين وجون ويكلف وهس وجيروم ومارتين لوثر وزوينجلي وكرانمرولايتمرونوكس والهيجونوث وجون وتشارلس وسلي وآخرون كثيرون وضعو في اساس البناء موادتبقى مدى اجيال الابد. وفي السنوات اللاحقة نجد ان اولئك الذين بكل نبل حاول وان يساعدو في نشر كلمة الله ، والذين بخدمتهم في البلدان الوثنية اعدوا الطريق لاذاعة الرسالة الاخيرةالعظيمة —– هؤلاء ايضا اعانوا فياقامة البناء .

وفي غضون العصور التي مرت منذ ايام الرسل لم يتوقفبناء هيكل الله . يمكننا ان نتطلعالى الخلف عبر القرون لنرى الاحجار الحية التي يتكون منها هذا الهيكل متألقة بالنور مبددة ظلمات الضلال والخرافات . وعلى مدى دهور الابد ستضيئ هذه الجواهر الكريمة ببهاء متزايد شهادة لقوة حق الله . ان النور الساطع المنبثق من هذه الاحجار المصقولة يرينا الفرق الشاسع بين النور والظلمة بين هذهب الحق وزغل الضلال . [544]

ان بولس والرسل الآخرينوجميع الابرار الذين عاشوا على الارض منذ ذلك الحين قاموا بدورهم في

بناء الهيكل . ولكن البناء لما يكمل بعد فنحن الذين نعيش في هذا العصر لنا عمل لنعمله ودور لنقوم به . علينا ان نضع على الاساس مواد تثبت امام اختبار النار — كالذهب والفضة والحجارة الكريمة : «منحوتات حسب بناء هيكل» (مزمور144 : 12). ان بولسينطق بكلام التشجيع والانذار لأولئك الذين يبنون هكذا لله فيقول : «ان بقي عمل احد قد بناه عليه فسيأخذ اجرة. ان احترق عمل احد فسيخسر ، واما هو فسيخلص ، ولكن كما بنار» (1 كونثورس 3 : 14 ، 15). ان المسيحي الذي يقدم كلمة الحياة بأمانة مرشدا الرجال والنساء في طريق القداسة والسلام انما يضع على الاساس مواد تثبت امام الامتحان ، وفي ملكوت الله سيكرم كبناء حكيم.

اما الرسل فالكتاب يقولعنهم: «واما هم فخرجوا وكررو في كل مكان ، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة» (مرقس 16 : 20). وكما ارسل المسيحالتلاميذ كذلك هو اليوم يرسل اعضاء كنيسته. ونفس القوة التي كانت للرسل هي لأجل هؤلاء ايضا . فاذا جعلواالله قوتهم فسيعمل معهم ولن يكونتعبهم باطلا . وليتحققوا ان هذا العمل الذي يأخذونه على عاتقهم هو العمل الذي قد ختمه الرببختمه. لقد قال الله لارميا : «لاتقل اني ولد ، لانك الى كل من ارسلك اليه تذهب وتتكلم بكل مامرك به ، لاتخاف من وجوههم ، لأني انا معك لأنقذك ، يقولالرب ، ومدة الرب يده ولمس فمي ن وقال الرب لي : «ها قد جعلت كلام في فمك» (ارميا 1 : 7 — 9). وهو يأمرنا بأن نخرج لنتكلمبالكلام الذي يضعه في افواهنا ونحن شاعرون بلمسته المقدسة على شفاهنا .

لقد اعطى المسيح الكنيسةعدهة مقدسة . وعلى كل عضو ان يكون قناة يوصل الرب عن طريقها كنوز نعمته للعالم وغنى المسيح الذي لا [545] يستقصى . ان اعظم مايتوق اليه المخلص هو وكلاءيصورون للعالم روحه وصفاته . واعظم مايحتاجه العالم هو اظهار محبة المخلص بواسطة البشر . ان كل سكان السماء ينتظرون الرجال والنساء الذين يمكن لله ان يعلن عن طريقهم قوة المسيحية .

فالكنيسة هي وسيلة الله لاذاعة الحق . وهي مفوضة من قبل هللقيام بعمل خاص. فاذاكانت خالصة الولاء له ومطيعة لكل اوامره فسيكن فيها جمال وبهاء النعمة الالهية . فإذا كانت امينة في ولائها ، واذا كانت تكرمالرب ، فلن تستطيع اية قوة ان تقف ضدها .

ان الغيرة لله وملكوتههي التي حركت التلاميذ للشهادة للانجيل بقوة عظيمة . افلا يجب ان تلتهب قلوبنا بغيرة كتلك الغيرة فنعزم على ان نخبر الناس برواية المحبة الفاديةوالمسيح واياه مصلوبا ؟ انه امتياز لكل مسيحي ليس فقط ان ينتظر مجيئ المخلص بل ايضا ان يعجل ذلك المجيئ.

اذ كانت الكنيسة تتسربل بثوب بر المسيح منصرفة عن كل ولاء للعالم، فإنه يوجد امامها فجر نهار منير ومجيد : ووعد اللهلها سيظل ثابتا الى الابد. وسيجعلها فخرا ابدا وفرح اجيال طويلة . والحق الذي يجوز تاركااولئك الذين يحتقرونه ويرفضونه ، سينتصر . مع انه قد بداان الحق قد تأخر في بعض الاحيان ، فانه لم يتوقف قط عن تقدمه . وعندماتواجه رسالة الله مقاومة فهو يزيد من قوتها لكي يكون لها تأثيرا أعظم. وحيث انها مزودة بالقوة الالهية فستشق لنفسها طريقا في وسط اقوى الحواجز، وتنصر على على كل العوائق .

مالذي دعم ابن الله واعانه في اثناء حياة التعبوالتضحية التي عاشها ؟ لقد رأى من تعب نفسه يروى ويشع. واذ اخترق نظره حجب الابدية رأى سعادة [546] الذين عن طريق اتضاعه حصلوا على الغفران والحياة الابدية . فسمعت اذانه هتاف المفديين . كما سمع المفديين يرتلون ترنيمة موسى والخروف .

ونحن يمكننا ان نرى رؤى المستقبلوسعادة السماء . في الكتاب , اعلنت رؤى عن المجد العتيد ومشاهد صورتها يد الله ، وهذه الغالية القيمة في نظر كنيسته ومحببة اليها . ونحن يمكننا بالايمان ان نقف على عتبات المدينة الابدية ونسمع الترحيب الكريم بأولئك الذين يتعاونونمع المسيح في هذه الحياة والذين

يحسبون احتمال الالام لأجله كرامة عظيمة. واذ ينطق الرب بهذا القول : «تعالوا يامباركي ابي»،يطرحون اكاليهم.عند قدمي الفادي هاتفين وقائلين : «مستحقين هو الخروف المذبوح ان ياخذالقدرةان يأخذ القدرةوالغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجوالبركة .. للجالس على العرش وللخرواف البركةوالكرامة والمجد والسلطان الى ابد الآبدين» (متى 25 : 34 ، رؤيا5 : 12 ، 13).

وهناك يحي المفديون من قد ارشدوهم الى المخلص ، والجميع يتحدثون معا في تمجيد ذاكالذي مات لتكون لبني الانسان حياةتقاس على قدر حياة الله . لقد انهت الحرب ز وقد جاءت نهاية الضيق والخصومةاتو المنازعات. وستمتلئ السماء بأغاني الانتصاراذ يشترك المفديون في التسبيح قائلين : مستحق مستحقهو الخروفالمذبوح والحي ايضا وهو الغالب المنتصر.

«بعد هذا نظرت واذا جمع كثيرلم يستطع احد ان يعده ، من كل الامم والقابائل والشعوب والالسنة، واقفون امام العرش . وامام الخرف ، متسربلين بثياب بيض وفي ايدهم سعف النخل . وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين ك«الخلاص لالهنا الجالس على العرش وللخروف» (رؤيا7 : 9 ،10).

«هؤلاء هم الذين اتو من الضيقة العظيمة ، وقد غسلو ثيباتهم وبيضوا ثيباتهم في دم الخروف . من اجل ذلك هم امام عرش الله ، ويخدمونه نهارافي [547] هيكله ، والجالس على العرش يحل فوقهم . لن يجوعو بعد ، ولن يعطول بعد ولا تقع عليهمالشمس ولاشي من الحر ، لأن الخروفالذي في وسط العرش يرعاهم ن ويقتادهم الى ينابيع ماء حية ، ويمسح الله كل دمعة من عيونهم» «والموت لايكون في ما بعد، و لايكون حزن ولا صراخولا وجهفيما بعد ، لان الامور الاولى قد مضت» (رؤيا7 : 14 — 17 ، 21 : 4),